

المملكة العربية السعودية

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القرى - مكة المكرمة

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدراسات العليا

فرع العقيدة



٣٠١٠٢٠٠٠٠٠٦٣٣٢

الصوفية في بنغلاديش وأثرها على المجتمع

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في فرع العقيدة

إعداد الطالب :

جسار محمد معين الدين الحاج

إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور

محمود أحمد خفاجي

١٤١٦ - ١٤١٧ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : حسن محمد معين الدين كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : الدراسات العليا - الشرعية
الأطروحة مقدمة لبلل درجة : الدكتوراة في تخصص : العقيدة
عنوان الأطروحة : ((.....)) المؤلفة من : بنفيلاديش .. وأشرها : على المجتمع .. ((.....))

وبعد :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين

لبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه - والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٥ / ٩ / ١٤١٧ هـ - بقولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...
والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المناقش الخارجي

المناقش الداخلي

المشرف

الاسم : د. / سعيد عبد العزيز السلي

الاسم : د. / محمود أحمد خلاجي الاسم : د. / علي شفيع العلياني

التوقيع :
يعتمد

التوقيع :
التوقيع :

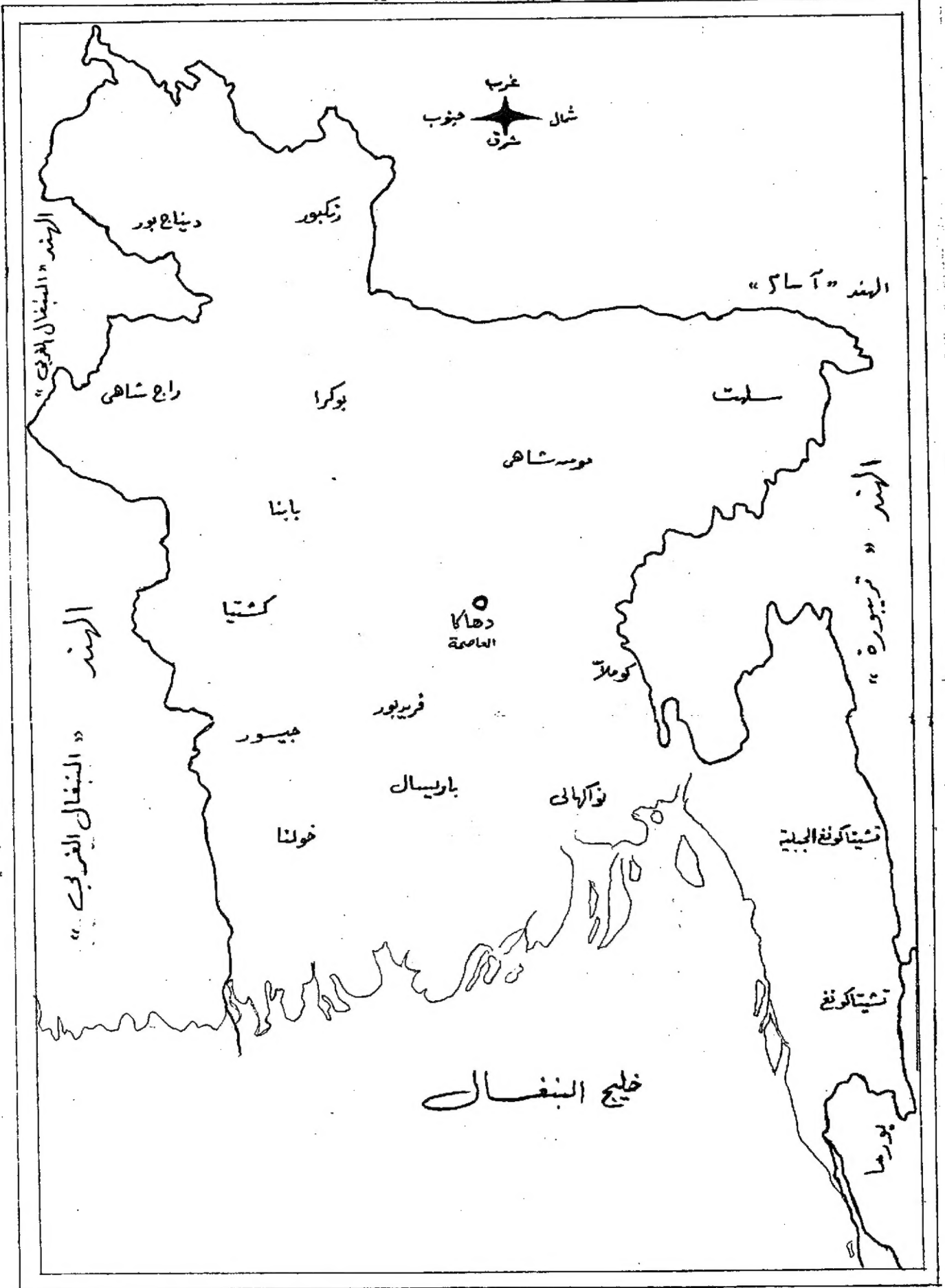
رئيس قسم (.....)

الاسم : د. / أحمد الزهراني

التوقيع :
١٤١٥/٤/١٥ هـ

يوضع هذا النموذج أمام الصفحة القابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

خريطة بنغلاديش



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

خلاصة الرسالة

بחנוا «الصوفية في بنغلاديش وأثرها على المجتمع»

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الكريم نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين ...
أما بعد ..

فلما انقطعت رحلات العرب من الدعاة نحو منطقة البنغال ترك ميدان الدعوة والتعليم لاقوام آخرين لم يكن لديهم علم صحيح وفهم أصيل . فبدأت الأفكار الدخيلة والمعتقدات الفاسدة تزحف وتغزو نفوس المسلمين يتوافد جمهرة الصوفية إليها بعد أن كانت مهياً لتقبل كل من يأتي إليها من غث وسمين ومن كل حذب وصوب . ومن هنا ظهر الإسلام في البنغال بصورة جديدة غير التي كان المسلمون يعرفونها كما علمهم الدعاة العرب .

فأصبح الدين القويم مشوهاً ومختلطاً بمزيج من الثقافات الدخيلة والغريبة . كما أصبح المتصوفة فيها ذات سلطة مطلقة على حياة عامة المسلمين في شعائر العبادات والعقائد والسلوك في الفرد والمجتمع . وإن الظروف التي احاطت بها مهدت الطريق أمامهم كي يعتنقوا تلك الأفكار المضللة .

إن لانتشار التصوف بمبادئه وأفكاره في منطقة البنغال وآفاقها كانت عوامل وأسباب ، منها البعد عن الإسلام وتعاليمه ، وجهل علماء الدين عن حقيقة الدين وعن تصورهم الخاطيء له ونشر الثقافة الفارسية وحضارتها بين الناس بمساعدة رجال المغول الذين حكموها عدة قرون . بالإضافة إلى دور التأثير والتأثر في هذا الصدد . وقضية الحقيقة والشرعية والظاهر والباطن وقضية الأحوال والمقامات وغير ذلك من القضايا أثرت في المجتمع الإسلامي في المنطقة واستحدثت من قبل المتصوفة وجعلوها من أسس الدين .

ومن خلال هذه الأفكار والخزعبلات أنهم أستطاعوا انحراف المسلمين عن دينهم وعقيدتهم ونشر البدع والانحرافات وتوسيع الفساد في الأخلاق والسلوك ، والقيام بتحريف نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة .

فمن الواجب المواجهة لهذا التحدي الذي يستهدف الأمة الإسلامية بأخذ الوسائل الكفيلة من نشر الإسلام وتصحيح العقائد وفق المناهج السلفية وتحذيرهم من أضرار التصوف وخطورته في ضوء الكتاب والسنة .
وأخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسليماً كثيراً .

عميد كلية الدعوة وأصول الدين

د . محمد سعيد محمد حسن

المشرف

د . محمود أحمد خفاجي

د . محمد سعيد محمد حسن

مقدمه الطالب

حسن محمد معين الدين الحاج

د . محمد سعيد محمد حسن

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿المقدمة﴾

الحمد لله رب العالمين، أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وحفظه من
كيد الظالمين، وحماه من تحريف المؤولين ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ﴾ (١).

والصلاة والسلام على النبي المصطفى الأمين محمد بن عبد الله (ﷺ)،
تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك وعلى آله
وأصحابه أجمعين ومن سار على نهجه إلى يوم الدين.
أما بعد !

فإن الدين الإسلامي الذي اختاره الله وارتضاه لنا ديناً ، يرسم الطريق
الصحيح الموصل إليه بصورة حددت حقيقة العبد وطبيعة العلاقة بينه وبين
ربه، وهى علاقة تفصل فى وضوح تام بين الخالق والمخلوق وبين العابد
والمعبود.

وكان لهذا الوضوح أكبر الفضل فى فاعلية عقيدة التوحيد وتأثيرها فى
شتى جوانب الحياة الإسلامية.

بهذا المفهوم وعلى هذه الصورة من التوحيد الخالص انتهت المائة

الأولى من ظهور الإسلام، حيث كان المسلمون حديث عهد بحياة النبي (ﷺ) وبما تمثله هذه الحياة المباركة من تجسيد للمثل الأعلى، وبما يرتبط بها أيضاً من البيان الرائع الدقيق لمبادئ الإسلام وتوجيهاته.

لكن الأمر اختلف في القرنين الثانى والثالث للهجرة حيث الفتوحات الإسلامية الكثيرة، وكثر المال فى أيدي الناس وعاشوا حياة الترف، مما جعل البعض من المسلمين ، كرد فعل لهذه الظروف يتجهون إلى الزهد والتقشف وحب العزلة والانقطاع للعبادة ، والبعد عن هذه الحياة المطفية، محاولين التمسك بالكتاب والسنة.

إلا أن هذا الاتجاه الجديد فى منتصف المائة الثانية وبداية المائة الثالثة للهجرة ما لبث أن امتزج بالثقافات الوافدة والفلسفات المتنوعة بسبب الحركات النشطة للترجمة، عند ذلك برزت نظريات دينية ابتعدت عن روح الإسلام الصحيح وعقائده الصافية ، وتبلور من ذلك تيارات فكرية أجنبية، كان أبرزها التصوف.

ولو أن هذا اقتصر على أفراد لهان الأمر ، إلا أنه أصبح ظاهرة لها أثرها العميق فى مجرى الحياة الإسلامية كلها، فإن تأثيرها فى هذا المجتمع لا يمكن تجاهله أو الاستهانة به، لتعلقه بمختلف قنوات حياة المجتمع المسلم الروحية والاجتماعية والسياسية، وكان لهذه الظاهرة أسوأ الأثر على مسيرة العقيدة الإسلامية والدعوة إلى الله منذ ظهور هذه الطائفة وحتى يومنا الحاضر.

وفى القرون المتأخرة، قدّم آلاف من العلماء المسلمين فى الهند خدماتهم فى نشر التصوف وعلومه عبر المؤلفات ، منهم الشيخ/ أشرف على تهانوى الذى يعد من كبار الصوفية المتأخرين فى شبه القارة الهندية، وأتى بعده عدد منهم مثل: ميكش أكبر آبادى، عبد البارى الفاسفى، وعبد الماجد دريابادى وغيرهم من تلاميذ هؤلاء الذين نشروا التصوف ومصطلحاته فى جميع أقطار شبه القاره، فأصبحت الصوفية اليوم فى المجتمع البنغالى جزءاً غير منفك عن الإسلام، وإن قلنا إن دين الإسلام لدى المسلمين فى البنغال هو التصوف ، فلسنا مبالغين.

وهؤلاء الأفاضل مع تقديرنا لهم وحسن الظن بهم لانستطيع أن نسكت عن التجاوزات التى حصلت بسببهم عندما نشروا التصوف وعلومه فى المجتمع الإسلامى ، إذ أنه أبعد الناس عن جادة الحق ،مع كل التقدير لهم وحسن الظن بهم فإن ذلك لا يمنعنا عن نقد مواقفهم فى ضوء الكتاب والسنة وما أثر عن الصحابة والسلف الصالحين، الذين ساروا على طريق الحق والصواب ، وكانوا معياراً للتفريق بين الصحيح والسقيم ، بين الحق والباطل وبين الهداية والضلال، وفى هذا الصدد لا يجوز لمسلم المجاملة والمداهنة فالحق أحق أن يتبع.

ولما انقطعت رحلات العرب المسلمين نحو المنطقة البنغالية، وترك ميدان الدعوة والتعليم لأقوام آخرين لم يكن لديهم علم وفهم أصيل، فبدأت الأفكار الدخيلة و المعتقدات الفاسدة تزحف وتغزو نفوس المسلمين بتوافد

جمهرة الصوفية إليها، و أرض البنغال كانت مهياة لتقبل كل من يأتي إليها من غث وسمين ومن كل حذب وصوب.

وفى هذه الفرصة السانحة اغتتم المتصوفة زحفهم نحو المنطقة من بلاد نشأ وترعرع فيها التصوف ، ومن خلال وجودهم فيها وسلوكياتهم الخادعة احتلوا عند الشعوب المسلمة مكانتهم ونجحوا فى تسليط أفكارهم الهدامة على الأمة ومن هنا ظهر الإسلام فى البنغال بصورة جديدة غيرالتى كان المسلمون يعرفونها كما علمهم الدعاة العرب الأوائل وأصبح الدين القويم مشوهاً مختلطاً بمزيج من الثقافات الدخيلة والغريبة.

وإذا قلنا عن بلاد بنغلاديش أنها دولة مسلمة يقترن الإسلام فيها بالمظاهر الصوفية فهذا ليس فيه مبالغة و المعالم والآثار التاريخية التى تركها المتصوفة فى المنطقة خير شاهد على تلك المظاهر فمئات المزارات والأضرحة والزوايا والخانقاهات المبعثرة فى المدن والقرى فى جميع أنحاء البلاد تدل على أن هؤلاء قد أسرفوا فى بذل الجهود فى سبيل نشر أفكارهم الصوفية وما يترتب عليها من الشوكيات والبدع والخرافات الجاهلية، كعبادة القبور وطلب الشفاعة والاستغاثة بأصحابها وتعظيم الأولياء والصالحين وجعلهم فى مرتبة الإله أوقداسة الأنبياء - تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً - وأصبحت الصوفية فى البنغال ذات سلطة مطلقة على حياة الناس فى شعائر العبادات والعقائد والسلوك فى الفرد والمجتمع.

فيستحيل لإنسان يؤمن بالله ورسوله يعيش في مجتمع دون أن يتأثر
بها، إلا من رحم الله، وأصبح نقد هذه الأفكار الباطلة بالبراهين القاطعة
المنبعثة من النصوص الصحيحة ودعوة الناس إلى عقيدة صحيحة، أصبح
صعباً شديداً، لذا تجد كثيراً من الدعاة والعلماء لا يتكلمون هذه القضية
ولا يتعرضون لها عند مخاطبتهم للناس سواء في خطب الجمعة أو في
مجالس الوعظ والإرشاد، إما خشية من مطاردة الناس وإما خوفاً من عزلهم
عن مناصبهم وإما تفادياً من إيقاع الإنشقاق والصراعات في صفوف
المسلمين، ولكن القضية القائمة تتحدى الإسلام وعقيدته، فهل يجوز
للمسلمين أن يتركوا زمام الأمور ويلتزموا الصمت ويغمضوا العيون دون أن
يتحركوا لتصحيح المسار؟ وهل يصح أن لا يقوموا بالعمل الجاد لإنقاذ
هذه الأمة من براثن التصوف والشرك والبدعة والخرافة؟
هل يجوز للعلماء والمشائخ الذين هم ورثة الأنبياء أن يتقاعسوا عن أداء
دورهم وهم الذين على عواتقهم مسئولية كبرى عظيمة لنشر الدعوة والعقيدة
والتعاليم الإسلامية الخالدة بين الناس وهل لهم أن يقولوا كما قال بعض
المؤمنين من بنى إسرائيل : ﴿لَمْ تَعْظُون قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ
عَذَابًا شَدِيدًا﴾ (١) تلك تساؤلات كانت تخالجنى منذ فترات طويلة
عندما أشاهد أوضاع البلاد وأرى الملايين من المسلمين الحائرين
يحجون القبور ويتجمعون في الزوايا والخانقاهات وهم يبحثون

فيها عن تسكين القلوب والراحة والاطمئنان ويسعون الخلاص من مآهات الحياة من الأمراض والمصائب والبلايا، كما أجدهم يركعون ويسجدون للقبور ويتضرعون إليها ويكون يغشى عليهم عندها فصاروا كالمرضى الذين لا يرجى شفائهم نظراً للبعد الشديد عن الدين وتعاليمه الصحيحة، فمسلمو بنغلاديش في حاجة شديدة بل في أمس الحاجة إلى الوعي الإسلامي وتصحيح عقائدهم وتطهيرها من هذه الخزعبلات والبدع والخرافات.

وهذا مما دفعني أن أكتب في هذا الموضوع في رسالتي التي أقدمها اليوم

بعنوان: [[الصوفية في بنغلاديش وأثرها على المجتمع]]

بفرع العقيدة بكلية الدعوة وأصول الدين بجامعة أم القرى لنيل درجة [الدكتوراه].

فأردت نيل هذا الشرف، والعبء كبير والموضوع شائك وصعوباته متعددة، فالمصادر متناثرة في طيات لغات عديدة، والوصول إلى الهدف المنشود يحتاج إلى الكثير من المشقة والتعب، وإنني على يقين تام بأن هذا الموضوع يستحق ما بذل فيه من جهد ومشقة، فهو يستحق من الدراسة لدرأ الأخطار المحدقة ببلد أسهم في النهضة الإسلامية في تصحيح العقائد وفق العقيدة الإسلامية الصحيحة، ومنذ بضع سنين وأنا أبذل قصارى جهدي وأقضى ساعات الليل والنهار باحثاً عن المصادر والمراجع المتعلقة بالموضوع وأجمع المعلومات المتناثرة من هنا وهناك، فقد

وجدت أثناء البحث صعوبات كثيرة: منها صعوبة الحصول على المراجع والمصادر عن التصوف وعن رجاله وانشطتهم باللغة البنغالية ، وحرصاً على جمع المعلومات الدقيقة والصحيحة حول هذا الموضوع تجولت أكثر من مرة ربوع بنغلاديش وخاصة في المناطق التي تكثر فيها آثار الصوفية وتجمعاتها وقابلت علماء التصوف وتناقشت معهم كثيراً ربما أدت بنا المناقشة إلى الجدل العنيف والمناوشات الكلامية، فقد كنت أريد الوصول إلى الحقائق، وهذا ما لا يريده هؤلاء ، ثم مكثت فيها شهوراً عديدة وسجلت بقدر المستطاع كل ما شاهدته من أنشطتهم وتحركاتهم وكيدهم وإضلالهم.

وهناك مئات البحوث والكتب العلمية قد ألفت حول موضوع التصوف ونقده ودراسته، ولم تتحدث أي منها عن الصوفية في مناطق جنوب شرق آسيا، وخاصة عن صوفية بنغلاديش، وذلك لوقوعها بعيدة عن كتلة العالم العربي والإسلامي، وعليه فإنني في هذا الجهد المتواضع أحاول أن أضيف بحثاً جديداً عن بنغلاديش وأنشطة التصوف فيها، كما ألقى مزيداً من الأضواء على هذا الموضوع، وذلك بالكتشف عن حقائق جديدة عن تاريخ التصوف ووصول المتصوفين إلى هذه البلاد وعن وسائل وأسباب انتشار التصوف وتأثيره على المجتمع البنغالي المسلم، وما ترتب على ذلك من النتائج الخطيرة التي ظهرت في القرون الأخيرة، والتي مازال المسلمون هناك يعانون منها.

منهج الرسالة:

إن دائرة المنهج الذى رسمته لنفسى فى إعداد هذه الرسالة على أسس خمسة:

١ : إن هذه الدراسة، دراسة عقدية تهتم بعرض ما يخالف العقيدة والرد عليه، والأساس فى ذلك النص من الكتاب و السنة و أقوال السلف الصالح رضوان الله عليهم، وعلماء مذهب أهل السنة والجماعة.

٢ : المراجع الأصلية الخاصة بتاريخ المسلمين فى المنطقة والوثائق والصور والخرائط.

٣ : المراجع العامة، مثل كتب التاريخ والسير والجغرافيا.

٤ : الحقائق العامة المسلم بها لدى العلماء والباحثين وبعض الوثائق التى أضيفها وفقاً لمشاهدتى ومعلوماتى الخاصة التى جمعتها بالاتصال والاطلاع وبالجولات فى ربوع المنطقة.

٥ : المراجع الثانوية التى لها صلة بالموضوع والتى تساعد على الوصول إلى بعض المراجع الأصلية والأساسية.

ولا أضع فى هذه الرسالة مسألة أو فكرة إلا بعد قراءة هذه المراجع، رغبة فى إكتشاف الحقائق العلمية والتنبيه على المخاطر الناجمة منها.

خطة الرسالة:

وخطة الرسالة تشمل على مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة.

أما المقدمة فقد تضمنتها أهمية هذا الموضوع والدوافع على إختياره،
وخطّة الدراسة.

أما الباب الأول : [الإسلام فى بنغلاديش] ويشتمل على ثلاثة
فصول :

الفصل الأول: [التعريف ببنغلاديش] ذكرت فيه نبذة عن البلاد وموقعها
الجغرافى وعدد سكانها وأوضاعها الإجتماعية والاقتصادية .

الفصل الثانى: [بنغلاديش قبل الإسلام] ذكرت فيه حالات البلاد قبل
دخول الإسلام فيها، والحالات الدينية
والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما عرضت
الحالة الدينية من الأرية والبرهمية والجينية والبوذية
وذلك باختصار دون إطناب ولا إطالة.

الفصل الثالث: [كيفية دخول الإسلام فى المنطقة] تحدثت عن غزو
الهند ومتابعة الحملات العسكرية هناك ثم قدوم العلماء
والمشائخ من الجزيرة العربية والمناطق الفارسية،
ثم دور بعض السلاطين المسلمين فى نشر الإسلام.
الباب الثانى : [الصوفية نشأتها وتطورها].

ويشتمل على ستة فصول:

الفصل الأول : فى بيان حقيقة التصوف ونشأته، ذكرت فيه معنى كلمة التصوف لغة وإصطلاحاً، وأقوال العلماء فيه المشهورة، ثم القول الراجح عند علماء السلف.

الفصل الثانى : [مفهوم التصوف] ذكرت فيه أقوال العلماء المتصوفين المتباينة فى التصوف ومصطلحاته واخترت رأى الراجح فيه.

الفصل الثالث : [نشأة التصوف قبل الإسلام] وذكرت فيه كيف تسربت هذه الفكرة فى المجتمع الإسلامى بعد أن كان نظيفاً طاهراً ونقياً من الدس والخداع، كما ذكرت بعض الشخصيات الذين قاموا بدور فعال فى نشأة الأفكار الصوفية وترويجها فى المجتمع الإسلامى.

الفصل الرابع : [مراتب الصوفية وطبقاتهم] وكون المتصوفة خلال تطور عقيدتهم نظاماً هرمياً مقدساً يبدأ من القطب الذى يقابل الإمام الشيعى والاسماعيلى ويتفرع إلى الأبدال والأئواد والعمداء والنقباء والنجباء وتحدثت عن تصرفاتهم فى هذا الكون على حد تعبير المتصوفة ثم قمت بتنفيذ هذه المزايم.

الفصل الخامس : [الحقيقة والشريعة] ذكرت فيه أن

التصوف عبارة عن عمل القلب وتركيزه النفس والرياضيات والمجاهدات وما استحدثوه من أشياء غريبة وأمور عجيبة لأساس لها في الإسلام ولكنهم جعلوها جزءاً من الدين كقولهم في الحقيقة والشرعية وهذه القضية وأمثالها جعلت الأمة الإسلامية مشتتة ومتفرقة تتأخر مع بعضها البعض.

الفصل السادس: [أهم المصطلحات الصوفية] وهي الأحوال والمقامات وذكرت انهم مضطربون في تحديد بيان الحال والمقام كما كان حالهم في تعريف التصوف بل إنهم حيارى في هذا الموضوع وعلماء التصوف يجعلون الأحوال والمقامات موضع الإهتمام بحيث يعتبرونها من أسس الدين تتوقف عليها جميع الأعمال، كما ذكرت فيه أقسام الأحوال والمقامات ثم نقدت ذلك نقداً وافياً.

الباب الثالث: [الصوفية في بنغلاديش].

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: [عوامل انتشار التصوف].

ويشتمل على سبعة مباحث:

المبحث الأول: الدعوة الإسلامية بين التطور والخمول.

المبحث الثانى : دور القادة المسلمين فى إنتشار التصوف.

المبحث الثالث : دور العلماء والمشائخ فى نشر التصوف.

المبحث الرابع : دور اللغة الفارسية وثقافتها فى نشر التصوف.

المبحث الخامس: التصوف بين التأثير والتأثر.

المبحث السادس: دخول المتصوفة فى المنطقة البنغالية.

المبحث السابع : [وحده الوجود وما يتعلق بها من الحلول

والاتحاد] وقضية وحدة الوجود قضية خطيرة

أصابت المسلمين فى هذه المنطقة بإصابات شاملة

لذا كان من الضرورى إيضاح هذه الخطورة.

الفصل الثانى: [الطرق الصوفية فى بنغلاديش].

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول: الطرق المشهورة، وذكرى فيه معانى الطريقة،

ومتى ظهرت هذه الطرق ، ومقام الشيخ لدى أهل
الطرق.

المبحث الثانى: أهم الطرق التى تتواجد فى البلاد من

السهروردية، والخشتية والقادرية والنقشبندية.

المبحث الثالث : الطرق غير المشهورة من القلندرية والأدهمية

والبكتاشية وفي الأخير التعليق على هذه الطرق
وبطلان هذه المزاعم.

الباب الرابع : [دراسة تحليلية لأثار التصوف على

المجتمع] ويشتمل على خمسة فصول:

الفصل الأول : أثر التصوف على الأخلاق الفردية والاجتماعية، ذكرت

فيه تأثر المسلمين البنغاليين من المتصوفة الوافدين إلى
البنغال في حياتهم الاجتماعية والأخلاقية، باعتبار أن
هؤلاء لهم عند الله مكانة لا يصل إليها أى عبد من
العباد وأنهم باستطاعتهم أن يخلصوا المواطنين من القلق
والاضطرابات الذى كانوا يتعرضون له كما ذكرت
أن تلك المؤثرات أحدثت ثورة فى المجتمع الإسلامى
بالمنطقة، منها تحويل الأضرحة إلى معابد، السماع
والغناء خرق العادات، تشويه صورة الإسلام، البطالة
عن العمل.

الفصل الثانى : [أثر التصوف فى البدع والخرافات]

تكلمت فيه عن معنى البدع ومضارها فى المجتمع
وكيفية الاجتناب من الوقوع فيها ثم تحدثت عن البدع
والخرافات الشائعة فى منطقة البنغال ومدى إنحراف
المسلمين عن الإسلام بسبب تلك البدع.

الفصل الثالث : [أثر التصوف فى تعطيل الجهاد] ذكرت فيه مفهوم الجهاد

لدى الجماعات المتصوفة وتحريف النصوص التى وردت
فى الكتاب والسنة حول مشروعية الجهاد، ومدى أثر تعطيل

الجهاد على المجتمع.

الفصل الرابع: [الوسائل الكفيلة لمواجهة التحديات التي نتجت عن

التصوف] وبيان عن الحركات الإسلامية العاملة

في المنطقة وضرورة دعم أنشطتها.

ثم ختمت الرسالة بتيسير من الله تعالى بخاتمة تلم

أطراف الموضوع وتبين ما توصلت

إليه من النتائج.

وأختم بما بدأت به من أن الحق والصواب هو مطلبى

فإن وفقت إليه في مباحث هذه الرسالة فله الشكر والثناء

على توفيقه وإن أخطأت أو قصرت فمن نفسي.

وأرجو أن أكون صادق النية في طلب الحق والصواب

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله على

محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

الباب الأول

الإسلام في بنغلاديش

ويشتمل على ثلاثة فصول

الفصل الأول : التعريف ببنغلاديش

الفصل الثاني : بنغلاديش قبل الإسلام

الفصل الثالث : دخول الإسلام إلى بنغلاديش



الفصل الأول

التعريف بينغلاديش

ويشتمل على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : التعريف بينغلاديش

المبحث الثاني : البنغال القديمة

المبحث الثالث : بنغلاديش اليوم



المبحث الأول : التمهيد - بنغلاديش

متى دخل الإسلام في بنغلاديش وكيف وصل إليها ؟

تساؤلات ينبغي البحث عنها لدى المؤرخين ، فإن تاريخ الهند وبالذات تاريخ بنغلاديش أمر يصعب على المؤرخين استيعابه ، لكونه قديماً وغامضاً ومجهولاً حتى أنهم لم يستطيعوا إلى الآن أن يحددوا من أين جاء سكان الهند الأصليون (١) .

هل جاءوا من خارجها ؟ ومن أين جاءوا ؟ إلا أنه في عهد متأخر وجد بعض الآثار القديمة في أنحاء متفرقة من القارة الهندية ، يستدل بها علماء الآثار على تحديد أصل سكان الهند ، فيقولون : إن بداية تاريخها ترجع إلى الآريين والدرافيين (٢) .

وأياً كان الأمر في ذلك وبغض النظر عن صحة ما يقوله المؤرخون وعلماء الآثار ، فإن تاريخ الهند له أهمية بالغة لعلاقته بالأديان والحضارات القديمة التي كانت كثيرة الانتشار آنذاك وكانت لهذه الديانات والحضارات الهندية القديمة ، الأثر البالغ والملموس في الفلسفات القديمة والحديثة ، فقد تأثرت بها الفلسفة اليونانية والأفلاطونية الحديثة (٣) وكذلك الفلسفة اليهودية والمسيحية وأيضاً الفلسفة الإسلامية تأثرت ، ووصلت هذه الفلسفة إلى المتكلمين وأثرت في مناقشاتهم ومجادلاتهم .

(١) محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع الإسلامي في البنغال .

(مسلم بنغلارشا ماجك ايتى هاش) ص ٢٠ ط ١ ، ١٩٦٣م / دكا .

(٢) للتفصيل انظر : كتاب الدكتور / إحسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة

الهندية الباكستانية ص ١١ ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، ط ٢ ، ١٣٩٨هـ .

(٣) هى مزيج من آراء أفلاطون اليونانى وأفلوطين الاسكندراني الذى

ترك فلسفة الفارابى وابن سينا فى القول بالعقول العشرة .

ويقول أحمد أمين: "فإن أوائل المتكلمين قد دخلوا في حوار عميق مع أقوام من الملل الأخرى من يهودية ونصرانية ووثنية، وكانت قد تفلست عقولهم وهؤلاء لم يفهم في الاقناع أن تذكر لهم آية من القرآن أو الحديث، بل يريدون الرجوع إلى قضايا تستند على قدر مشترك من العقل... الخ" (١).

ويستطرد أحمد أمين قائلا: "ومن الخطأ البين والفكرة الشائعة أن العرب والمسلمين جميعا كانوا بمعزل عما حولهم من الثقافات والأديان إلى العصر العباسي، وأن آدابهم وعلومهم، نبتت وحدها من عقول عربية من غير أن تغذى بغيرها، فقد رأينا أنهم حتى في جاهليتهم لم يكونوا بمعزل وأنهم كانوا بعد الإسلام أكثر اتصالاً... الخ" (٢).

ومن هنا حاول المغرضون أن ينفثوا سمومهم في المجتمع المسلم، فادعوا الإسلام وعملوا أسماء مصقولة براقعة، وقد وقع بعض الفلاسفة الإسلاميين ضحية لبعض التأثيرات الخارجية.

ونرى أن نقصر في تاريخ الهند على ما يرتبط بموضوعنا، نظرا لأنه من الصعب - إن لم يكن من المستحيل - استيعابه كله، لذا سوف أدخل مباشرة إلى تلك المنطقة التي تهتمنا في البحث، ألا وهي البنغال، باعتبارها منطقة مهمة من الهند تاريخا وسياسة.

التعريف بالبنغال:

كانت البنغال جزءا واحدا في البداية، ويشمل الجزء الشرقي الذي يسمى الآن ببينغلاديش، والجزء الغربي الذي صار بعد ذلك اقليما لبلاد الهند، هبت عليها عبر الزمن، عواصف وحوادث ونكبات، مما أدى إلى تقسيمها عدة مرات، وكانت بنغلاديش إحدى نتائج هذا التقسيم المتتابع

(١) أحمد أمين: ضحى الإسلام: ج٣ ص ١٧، ط ١٠، ١٩٦٩م، دار الكتاب العربي، بيروت / لبنان.

(٢) أحمد أمين: فجر الإسلام ص ١٣٤، ط ١٠، دار الكتاب العربي / بيروت. أيضا انظر: أحمد أمين: ضحى الإسلام ج١ ص ٢٣٦-٢٥٢.

حيث كانت إحدى جناحي باكستان المتحدة ، المسماة بباكستان الشرقية ، وكانت تعرف بالبنغال الشرقى ، قبل قيام دولة باكستان عام ١٩٤٧ م .

أما تسمية البنغال ، فمن الصعب تحديد مصدرها بالضبط ، إلا أن المعروف لدى المؤرخين والكتاب أن هذا الاسم أطلق على هذه البلاد منذ قدوم المسلمين إلى المنطقة ، ففي عهد أمبراطور " اكبر " (١) كانت تشتهر باسم " صوبه بنغاله " (٢) ثم تغير إسمها عندما جاء الاحتلال البريطانى للمنطقة ، فسموها " بنغال " موافقة للنطق الانجليزى .

وجاء فى دائرة المعارف الإسلامية : " أن لكلمة البنغال مدلولات كثيرة فى الاصطلاح الانجليزى الإدارى ، فقد أطلقت أول الأمر على الأراضى التى تكونت منها وكالة البنغال الأصلية بمقتضى التنازل المسمى " ديوانى " الذى عقد عام ١٧٩٥م (٣) وأيا كان الإطلاق ومدى صحته ، إلا أنه من المؤكد أن إسم " البنغال " كان معروفا منذ عهد قديم .

ويقول أبو الفضل (٤) فى كتابه : " آئين اكبرى " : إن الإسم الأصلى للبنغال كان " بنغو " وكان ملوكه الأولون يقيمون أكاما (٥) ، ارتفاع كل أكمة عشر ياردات وعرضها عشر ياردات (yard) فى جميع أنحاء الولاية ، المسماة بـ (آل) فصار بنغال " (٦) .

-
- (١) إسمه : جلال الدين محمد اكبر بن همايون ، أحد ملوك المغول فى الهند .
 - (٢) " صوبه " كلمة فارسية تطلق على الاقليم أو المنطقة .
 - (٣) دائرة المعارف الإسلامية : نقلها إلى العربية مجموعة من العلماء : ج ٤ ص ٢٢٥ ، منشورات " جهان " / طهران .
 - (٤) هو الوزير الأول لمحمد اكبر المغولى ، الذى دون تاريخه ، عاش فى النصف الثانى من القرن السادس عشر الميلادى ، وله عدة مؤلفات ، منها : " آئين اكبرى " (قوانين اكبر) وأشهرها " اكبرنامه " انظر : دائرة المعارف للبستانى ج ٢ ص ٣٠٦ ط : دار المعرفة / لبنان .
 - (٥) " الأكمة " أى التل ، ج اكم واكمت ، وج ج أكام . معجم الرائد : جبران مسعود ، دار العلم للملايين / لبنان .
 - (٦) دائرة المعارف الإسلامية : ج ٤ ص ٢٢٥ ، منشورات " جهان " / طهران .

وهناك أسطورة ذكرها بعض الكتاب بشأن تسميتها ، وإن لم أجد مصدرا يعتمد على صحتها ، إلا أنى أعرضها لأبين أن ما يدور فى أذهان الناس وما يتردد على ألسنتهم ، وما يكتبه بعض الكتاب ، ما هو إلا محاولة لإيجاد سند لما يعتقدون ، تأكيداً لما سبق فى التسمية ، وهى أن سيدنا نوح عليه السلام عقب نجاته من الطوفان ومن معه من المؤمنين ، بعث ولده "حام" إلى جنوب الكرة الأرضية ، وكان لإبنه "حام" خمسة أولاد ذكور ، فأراد أن يرسل كلا منهم إلى جهة ليتناسلوا ، ويكثر نسله فى الآفاق ، ومن بينهم إبنه الأكبر "هند" بعثه أبوه "حام" إلى الهند ، وكان له أربعة أولاد ، والثانى منهم إسمه "بنغا" عاش فى الجنوب الشرقى من الهند ، ومن هنا صارت المنطقة معروفة باسمه (١) .

ويقال أيضاً فى تسميته : إن الناس فى العصور القديمة كانوا يعيشون فى سفوح الجبال ، حيث يبنون المنازل العالية ليحموها من السيول و تسمى "بنغاله" (٢) .

سواء صح هذا أو ذاك فإن هذه الآراء لم ترق إلى درجة اليقين ولا ترقى لدرجة الاستدلال ، وأرى أنها غير صحيحة .

المبحث الثانى : البنغال القديمة :

لم تكن تطلق البنغال على منطقة واحدة بل كانت عبارة عن مناطق متعددة يجمعها الجوار واللغة ، ومع ذلك تكاد الخلافات والنزاعات المستمرة تأكلها ، وفى القرن السادس الميلادى حاول أحد حكام الهندوس أن يجمع هذه

(١) غلام محمد سليم : رياض السلاطين ، ص ٢٠ ، كلكتا "البنغالية" .

(٢) نور الأعظمى : مذكرات نور محمد الأعظمى ، "نور محمد أعظمى رجسابلوى"

ص ٣٤ المؤسسة الإسلامية ، دكا ١٩٨٤ م .

الأجزاء المتناثرة ويوحد بينها ولكنه فشل فى إنجاز مهمته ، فلما فتحها المسلمون (١) وتمت سيطرتهم الكاملة عليها ، استطاعوا توحيد جميع أجزاء البنغال ، فسموها البنغال المتحدة (٢) .

وتحد البنغال المتحدة من الشرق ، سلسلة من الجبال العديدة وهى " غارو " و " جيوننتيا " و " لوسيا " و " خاصيا " ومرتفعات " تشيتا كونغ " و " تريبور " . وتحدها من الشمال ، سلسلة من الجبال التابعة لجبل هماليا المعروفة ، ومن الجنوب خليج البنغال ، ومن الغرب اقليم " اوريسا " وما يلاحقه من المرتفعات ، وتمتد مساحتها نحو أربعمائة ميل طولا ومائتى ميل عرضا . وأشهر مدنها فى القديم مدينة لكنوتى ، وسناركاون وسهلت وتشيتاكاون

(١) قبل القرن السادس الهجرى كانت البنغال خاضعة للسلطات الهندوكية والبوذية إلى أن فتحها المسلمون فى بداية القرن الثالث عشر الميلادى ، وامتد حكمهم بها إلى عام ١٧٥٧م أى حوالى خمسة قرون ونصف ، فأما المسلمون الأتراك ، فقد حكموها من عام ١٢٠١م حتى عام ١٣٥٢م ، أى حوالى قرن ونصف القرن ، ثم حكمها مسلمو الفرس ، حيث امتد حكمهم من ١٣٥٢م إلى ١٥٧٦م أى حوالى قرنين وبضعة أعوام ، ثم يأتى دور سلطات المغول والتي ظلت سيطرتها من ١٥٧٦م إلى ١٧٥٧م أى حوالى قرنين تقريبا . وإن أول من فتح البنغال هو سلطان اختيار الدين محمد بختيار خلجى الذى كان حاكما لمنطقة " بيهار " (إقليم فى الهند) ودخل بجيوشه المسلمة ، عاصمة البنغال " ناديا " دون إهراق دماء ، وطرد منها الحاكم الهندوسى " لكشمن سين " وأبعده ثم نصب فيها راية الإسلام ، وذلك فى عام ١٢٠١م ، ثم بعد ذلك قام المسلمون بحملات عديدة ، حتى دخلت البنغال كلها فى نفوذ المسلمين ، وظل علم الإسلام فيها مرفوعا إلى أن دخل الإنجليز و انتصروا على المسلمين فى معركة " بلاسى " عام ١٧٥٧م التى تعتبر بداية الغزو الصليبي للبلاد . راجع : عبد المنان طالب / الإسلام فى البنغلاديش ص ٢٨ .

(٢) عبد المنان طالب : بنغلاديش اسلام (الإسلام فى بنغلاديش) ص ١٥ ، ط : ١ ، ١٩٨٠م
داكا / بنغلاديش .

و دهاكا (١) و كلكتا، وديناج بور ، ورنكبور ، وشریف آباد ، ومالده ، ومرشد آباد ، وبردومان (٢) .

إن أرض البنغال خصبة وشاسعة ، ومليئة بالأنهار والقنوات التى تتبع من جبل الهمالايا والتى تحيط بها من جميع النواحي ، كأنها شبكة منتشرة الأضلاع ، وتنتهى الأنهار والقنوات بحدودها إلى خليج البنغال، وتكثر الأمطار فيها التى تستمر خمسة أشهر فى السنة ، ومن كثرة الأمطار الغزيرة ، تتدفق السيول والفيضانات التى ينجم عنها فى أحيان كثيرة إزهاق الأرواح وتدمير الأراضى والمحاصيل الزراعية ، ولهذا السبب تعد البنغال منطقة متأخرة من الناحية الإقتصادية والاجتماعية ، بالرغم من خصوبة الأرض ، وجودة المحاصيل ، ووفرة الإنتاج ، إلا أن تتابع العواصف والفيضانات التى تجتاح البلاد قد تصيب الزراعة ومحاصيلها ، وتسبب فى تأخر البلد إقتصاديا .

ومن أهم المحاصيل الزراعية الأرز الذى يعتبر غذاء رئيسيا للسكان . يقول الرحالة ابن بطوطة (٣) فى مذكراته السياحية عن البنغال : إنها بلاد متسعة ، كثيرة الأرز ولم أر فى الدنيا أرخص فى أسعارها ، ولكنها مظلمة ، وأهل خراسان يسمونها " دوزخ است بر از نعمت " أى جهنم ملئ بالنعيم (٤) .

(١) وكانت تسمى سابقا ذاكا (Dacca) ثم تغير إسمها فى الثمانينات وتسمى الآن دهاكا (Dhaka) عاصمة بنغلاديش .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية : مجموعة من علماء العرب ج٤ ص ٢٢٥ ، منشورات : جهان/ طهران .

(٣) محمد بن بطوطة : ملأت شبابه الباكر فى المغامرة بركوب البحر ، وخوض معركة المجهول بالرحلة فى أفاق الأرض ، وقد بدأ برحلته التاريخية ، وهو فى سن الثالثة والعشرين ، وامتدت رحلته من عام ٧٢٥هـ إلى ٧٥٠هـ فى خمس رحلات كبرى ، بلغت إلى الصين والهند، والملايو، عاد إلى المغرب بلده الأصلية ، حيث توفى بها عام ٧٧٩هـ ١٣٧٧م . أنور الجندى : أعلام الإسلام ، ص ٤٦ ط : دار الإعتصام / القاهرة .

(٤) ابن بطوطة : عجائب الأسفار (اردو) ج ٢ ص ٦١٠ ط : المكتبة الإسلامية / الهند .

المبحث الثالث : بنغلاديش اليوم :

كان إسم البنغال يطلق على جزء كبير من أجزاء الهند الكبرى ، فلما انقسمت الهند إلى الهند وباكستان ، أصبح البنغال منقسما إلى قسمين شرقي وغربي ، فأما الجزء الغربي منه الذي يسمى اليوم بالبنغال الغربي ، صار مقاطعة من مقاطعات الهند ، ومعظم سكانها هندوس ، والمسلمون فيها أقلية أما الجزء الشرقي منه ، فقد انضم إلى باكستان عام ١٩٤٧م واشتهر بباكستان الشرقية ، والأغلبية فيها مسلمون ، ولم يدم هذا التقسيم إلا حوالي ربع قرن أو أقل منه ، ثم حدث الانشقاق فيها مرة أخرى .

" ففي عام ١٩٧٠م فاز حزب رابطة عوامي في باكستان الشرقية الذي يتزعمه " شيخ مجيب الرحمن " في الانتخابات البرلمانية المركزية بأغلبية ساحقة ، واحتل ١٦٧ مقعدا من مجموع المقاعد في البرلمان المركزي ، وهذه النتيجة جعلت زعيمه يفكر بإنشاء دولة مستقلة ومنفصلة عن باكستان الأم " (١) وسميت جمهورية بنغلاديش الشعبية ، وقد ظهرت إلى حيز الوجود في عام ١٩٧١م ، عقب القتال العنيف الدائر بين الجيش الباكستاني والجيش الهندي والذي أدى إلى استسلام باكستان أمام الهندوس في مقاطعة باكستان الشرقية ، والمراد من بنغلاديش أي " وطن البنغال " .

وإذا ألقينا النظر على خريطة بنغلاديش، نجد أنها محاطة بالهند من جهاتها الثلاث ، ففي الغرب والشمال الغربي تقع مقاطعة البنغال الغربي التابعة للهند وفي الشمال منطقة " آسام " و " مكهاليا " (٢) وفي الشرق " آسام " و " تريبور " التابعتان أيضا للهند وجزء قليل من حدود بورما ، أما في الجنوب فيقع خليج البنغال (٣) .

(١) The statement year book 1982 - 83 , page - 18 .

(٢) إحدى الولايات الهندية .

(٣) The Statement year book - 1982 - 83 . London, p - 188 .

ومساحتها حوالى ٥٥/٥٩٨ ميلا مربعا أى ١٤٤/٠٢٠ كيلوا مترا مربعا ، أما عدد السكان فى بنغلاديش حسب الاحصائيات التى أجريت عام ١٩٨١م فيصل إلى حوالى ٩٠ مليون نسمة ، منهم ٨٥،٤٠٪ مسلمون و ١٣،٥٤٪ هندوس ، و ٦١،٠٪ بوذيون ، و ٣٠،٠٪ مسيحيون (١) . وعاصمتها : دهاكا ، وقد انقسمت البلاد إلى أربع مقاطعات وهى : دهاكا ، وتشيتاكونغ ، وراجشاهى ، وخولنا ، وتتكون هذه المقاطعات من عدة محافظات أو مديريات .

وحسب الأحصائيات التى أجريت فى البلاد مؤخرا "عام ١٩٩١م" يصل عدد السكان ١١١،٤٥٥،١٨٥ نسمة ، منهم ٨٨،٣٪ المسلمون و ١٠،٥٪ الهندوس ، و ٦،٠٪ البوذيون و ٣،٠٪ المسيحيون و ٣،٠٪ الآخرون (٢) . أ - مقاطعة دهاكا " العاصمة " مشتملة على خمس محافظات كالتالى :

المحافظة	المساحة	عدد السكان
١ - دهاكا	٧،٤٦٤ كيلومتر مربع	١٠،٠٤٩،٠٠٠ نسمة
٢ - تانغانيل	٣،٣٧٠ ~ ~ ~	٣،٤٤٤،٠٠٠ ~
٣ - مومن شاهى	١٣،١٠٥ ~ ~ ~	٦،٥٤٣،٠٠٠ ~
٤ - جمال نور	٣،٤٠٥ ~ ~ ~	٢،٤٤٥،٠٠٠ ~
٥ - فريد بور	٦،٩٧٧ ~ ~ ~	٤،٧٦٨،٠٠٠ ~

ب - مقاطعة تشيتاكونغ ، وفيها خمس محافظات وهى :

المحافظة	المساحة	عدد السكان
١ - تشيتاكونغ	٧،٠٠٦ كيلومتر مربع	٥،٤٧٦،٠٠٠ نسمة
٢ - تشيتاكونغ الجبلية	١٣،١٩١ ~ ~ ~	٧٤٦،٠٠٠ ~

(١) د / يسرى عبد الرزاق الجومرى : العالم الإسلامى فى آسيا وأفريقيا ، ص ٢٣١-٢٣٥ مكتبة النهضة المصرية
(٢) انظر : مجلة " جاجايون " الأسبوعية ، شبه الحكومية الصادرة فى دهاكا ١/٤/١٩٩٤م

المحافظة	المساحة	عدد السكان
١ - نواكشالي	٤,٨٠٤ كيلومتر مربعاً	٣,٨١٣,٠٠٠ نسمة
٤ - كوملا	٦,٧١٨ ~ ~ ~	٦,٨٨٠,٠٠٠ ~
٥ - سهات	١٢,٣٩٣ ~ ~ ~	٥,٦٥٠,٠٠٠ ~

ج - مقاطعة راجشاهي : ويشتمل على خمس محافظات هي :

١ - راجشاهي	٩,٤٦٤ ~ ~ ~	٥,٢٦٣,٠٠٠ ~
٢ - بوكرا	٣,٨٩٠ ~ ~ ~	٢,٧١٨,٠٠٠ ~
٣ - رنكبور	٩,٥٩٣ ~ ~ ~	٦,٤٩٠,٠٠٠ ~
٤ - ديناچ بور	٦,٧٥٧ ~ ~ ~	٣,١٩٨,٠٠٠ ~
٥ - فابنة	٤,١٦٨ ~ ~ ~	٣,٤١٨,٠٠٠ ~

د - مقاطعة خولنا : وفيها خمس محافظات أيضا وهي :

المحافظة	المساحة	عدد السكان
١ - خولنا	١٢,٠٤٩ كيلومتر مربعاً	٤,٣٥٣,٠٠٠ نسمة
٢ - جيسور	٦,٥٩٧ ~ ~ ~	٤,٠١٦,٠٠٠ ~
٣ - كشيता	٣,٥٥١ ~ ~ ~	٢,٢٧٣,٠٠٠ ~
٤ - باريسال	٦,٧٥٧ ~ ~ ~	٤,٦٦٨,٠٠٠ ~
٥ - بتواكشالي	٤,٢٢٤ ~ ~ ~	١,٨٤٠,٠٠٠ ~ (١)

واللغة السائدة الرسمية في بنغلاديش " اللغة البنغالية " ، ونسبة المتقنين من مجموع السكان : الذكور ٣٣,٩٪ والإناث ٢٥,٥٪ .

الإنتاج ١ لمح - لمح :

الإنتاج الرئيسي للبلاد هي : الأرز ، والألياف ، والشاي ، وورقة الجراك ، وقصب السكر ، والعدس .

الصناعات :

وفى أرض البنغال عدد من المصانع منها : مصنع الألياف ، ومصنع السكر ، ومصنع الورق ، ومصنع النسيج ، ومصنع الجلود .
الثروات المعدنية والطبيعية : تنتج أرض البنغال عددا من الثروات ، مثل : الغاز الطبيعى ، والفحم ، والجص الجبرى ، والرمال السليكية ، والحديد ، والنحاس ، والأتربة الصينية .
والى جانب هذا فقد اكتشف الزيت فى الآونة الأخيرة .

الأشياء المصدرة : إلى الخارج :

تصدر بنغلاديش إلى الخارج عددا من المواد مثل : الألياف ومنتجاتها ، والشاي والجلود ، وأوراق الطباعة ، والصناعات اليدوية ، والسبك الجبرى وأرجل الضفادع ، والملبوسات الجاهزة (١) .
إن العامل السكانى له علاقة وثيقة بالاقتصاد فى بنغلاديش ، والاقتصاد فى هذا البلد فى غاية الهزال والضعف ، فهو لم يتطور منذ بداية تاريخها حتى الآن ، وذلك لوقوع البلاد فى موقع تحيط بها الهند الوثنية من جوانب ثلاثة ، ولكونها محطاً لأطماع الهنادكة والإنجليز ، وقد ازدادت تكاليف المعيشة إلى ٤٤٠ فى المائة عام ١٩٨٠م ، أى خلال عشر سنوات حصلت الزيادة فى تكاليف المعيشة أضعافا كثيرة .

فالاقتصاد البلد يعانى من التضخم ، والملايين من الناس فيها يعيشون تحت مستوى الحد الأدنى من الفقر والعوز ، ولذلك تعتمد الدولة على دفعات كثيرة من المساعدات الخارجية ، دعما لاحتياجات البلاد ، وقد وصلت تلك

(١) د/جودة حسنين : جغرافية آسيا الإقليمية ، ص ٤٦٨ ، ط: دار المعارف ، الاسكندرية ،

مصر ١٩٨٥م .

المساعدات الخارجية عام ١٩٧٨م إلى حوالي ٢،٦ بلايين دولارا بكل أنماط المساعدات الاقتصادية التي قدمت من دول متعددة .

وعماد الاقتصاد في بنغلاديش هو الزراعة ، وتعتبر الانتاج الأساسى للبلاد ، لذا ف (٨٥ ٪) من السكان فلاحون ، والمزارعون يعيشون بالعمل الزراعى ، والأكثرية منهم فقراء لا يملكون ما لا يملكون به الأراضى الزراعية ، بل يعملون عند أصحاب الأرض لقاء نسبة معينة من المحصول يتفق عليها عند إبرام عقد العمل وهذا شبيه بالمضاربات .

- يتركز وجود حوالى ٩٠ ٪ من السكان فى القرى والضواحي .
- وأما من الناحية الصناعية فإنها تعد من البلاد غير المتقدمة .
- وأما من الناحية التجارية فقد أخذت الآن تتطور شيئا فشيئا .

إذن فبنغلاديش تعتبر من الدول النامية من الناحية الاقتصادية ، ومع ذلك فإنها تستطيع بما فيها من الموارد الطبيعية الضخمة ، أن تقوم بدورها فى مجال التطور والازدهار ، إذا نجحت فى الحصول على المساعدات المناسبة والعمل الجاد الذى يدفعها للنمو الاقتصادى والاجتماعى .

ونظرا للظروف الاقتصادية الصعبة وما تواجهه البلاد من الكوارث الطبيعية من كثرة هطول الأمطار ، واجتياح السيول والفيضانات والأعاصير المدمرة ، فإن البلاد تجتاحها حالة من الفقر والمجاعة والأمراض ، كل هذا ساعد على الشلل الاقتصادى والاجتماعى والسياسى .

الفصل الثاني

فـ

بنغلاديش قبل الإسلام

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول : الحالة الدينية

المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية

المبحث الثالث : الحالة الاقتصادية

المبحث الرابع : الحالة السياسية



المبحث الأول

في

الحالة الدينية

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول : الديانة الآرية أو البرهمنية

المطلب الثاني : الديانة الجينية

المطلب الثالث : الديانة البوذية



المطلب الأول

الحالة الدينية

لنا وقفة طويلة عن كيفية دخول الإسلام والعناصر التي أسهمت في دخول الإسلام إلى بنغلاديش والمناطق الأخرى المجاورة ، وسنأتي ببيانها في المكان المناسب - إن شاء الله - .

والآن أود مناقشة ما كتب عن الحالات السائدة في المنطقة منذ فترة ظهور الإسلام حتى القرن العاشر الميلادي ، أي عند فتح المسلمين لها من الناحية الدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية ، وذلك تمهيدا لدخولنا مباشرة إلى مرحلة الانتشار العام للإسلام في البنغال ، وبناء عليه نبدأ بالحالة الدينية .

فلونظرنا إلى منطقة البنغال، نجد أن الديانات التي كانت تسيطر عليها هي ديانات ثلاث: الديانة الآرية أو البرهمية، والديانة الجينية، والديانة البوذية (١) . كما نجد أن لهذه الديانات ، مراحل بلغت فيها قمة التطور والازدهار ، ثم أتى عليها حين من الدهر ، وهي تأخذ في الاضمحلال والذبول ، حتى تلاشى بعضها ، وبعضها قد اندمج في الآخر بعد أن فقد أساس الاستقرار والثبات ، وذلك بسبب شدة التنافس والصراع بينها من جهة ، وبنائها على ترهات وأهواء لاقيمة لها في الواقع من جهة أخرى .

وكانت الديانة الآرية، قائمة أساسا على الإلحاد والإنكار بوجود الله ، فهي عبارة عن عبادة الأرض والسماء والنجوم والكواكب وغيرها من مظاهر الكون ، كما كان البراهمة ينجحون تماثيل رمزية على أشكال حيوانات لهذه المعبودات ، وكانت للأضاحي عندهم أعظم منزلة في بعث السرور إلى صدور الآلهة المزعومة ، لتمكن عليهم بما يطلبون من نعيم في

(١) السيد بونيكار : تاريخ هند قديم (تاريخ الهند القديمة) ص ٩٦ إتي هاش برو كاشوني

هذه الحياة ، ولما كان الفقراء لا يستطيعون التقرب إلى الآلهة بالأضاحى فقد ظهر تطهير النفس بقهرها ، ومن هنا نشأت فكرة الروح الحيوانية (١) ، ثم تطورت إلى فكرة الروح الأعظم أو الإله ، ومنها انبثقت فكرة التناسخ (٢) وكان الناس يعطونهم مكانة خاصة تصل إلى درجة التقديس ويسمونهم طبقة البراهمة وهى طبقة لها قدسيته فى نظرهم ، ومن هنا بدأ البراهمة يشعرون فى نفوسهم بنوع من الاستعلاء والزهو على غيرهم ، واعتبروا أنفسهم فوق البشر (super Human) وظلت هذه الطبقة تحتل بمكانتها صدر المجتمع الأرى، وأثرت كل التأثير على هذا المجتمع، حيث نالت التعظيم فى كل مكان، ومن هنا بدأت الديانة الآرية تذوب فى البرهمية حتى انتهت حياتها (٣) ثم تطورت الديانة البرهمية ، وأخذت تترقى إلى أن أصبحت تسمى الآن بـ (الديانة الهندوسية) المعروفة ، وإن المكانة والنفوذ الذى احتله البراهمة ، جعلهم يقسمون المجتمع إلى أربع طبقات :

الأولى: الطبقة البراهمة : الذين يقومون بخدمة المعابد ويؤدون طقوسا دينية معينة ، ولا علاقة لهم بالحياة الإنسانية فى المجتمع ، فهم منعزلون عنه تماما، ترفعا عليه .

الثانية : طبقة السلطة السياسية : وتسمى هذه الطبقة " الكشترىا " .

الثالثة : وهم أولئك الذين جبلوا على حب المال ، إما عن طريق التجارة أو الزراعة ، وتسمى هذه الطبقة " فيشا " أو " ويشا " .

(١) للتفصيل : د / احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ١٧ ، مؤسسة الرسالة / بيروت .

(٢) مسألة التناسخ من فكرة الفلسفة الهندوكية ، وقد لعبت هذه النظرية فيما بعد دورا هاما فى الفلسفة اليونانية وفى الديانة المانوية وفى المذاهب الإسلامية ، وفى التصوف وفى النصرانية ، انظر : كتاب أحمد أمين : ضحى الإسلام ٢٣٩/١ .

(٣) دكتور/ روميش شنندرا موجدومدار : بنغلاديش ايتى هاش " تاريخ بنغلاديش " ص ٣٦ ١٩٥٦ م كلكتا ، الهند .

الرابعة : وهم الذين خلقوا أغبياء بلداء ، فلا يصلحون لغير المهن الساقلة والقيام بالخدمة ، ويقال لهم: " طبقة شوادراء " (١) وهى عبارة عن الأغلبية من الهندوس ، ولاقيمة ولا مكانة لها فى المجتمع الهندوسى مثل المنبوذين ، فهم يعيشون منعزلين تماما عن الطبقات الثلاث الأولى .
فمجموعة هذه الطبقات الأربع تكون المجتمع الهندوسى ويمثل الديانة "الهندوسية" التى ظلت سائدة فى شبه القارة الهندية وتعتبر أقدم ديانة فى تاريخها .

المطلب الثانى : الديانة الجينية :

أما تاريخ الجينية وبدايتها فتحدد بظهور زعيم الديانة البوذية " غوتما " ولئن قارنا بين زعيمى الجينية والبوذية ، لرأينا أنهما قد تعاصرأ فى عهد واحد، فإن زعيم الديانة الجينية " بوردهوما مهابيرا " (٢) ولد من أسرة هندوسية فى عام ٥٩٩ ق م فى العصر الذى كان فيه يعيش " غوتما " وكان "مهابيرا" يفكر دائما فى تخليص الإنسان من المحن والعذاب والمصائب ، فقد عاش زمنا طويلا فى الغابات للبحث عن طريق الحق والصدق ، وبعد عودته منها قام بنشر مذهبه بين الناس ، واستمر فى ذلك حوالى ثلاثين عاما وأخيرا مات " مهابيرا " منتحرا (٣) .
قلو بحثنا عن مبادئ الجينية وتعاليمها لوجدنا أن المعلومات فى ذلك ضئيلة وتشير إلى أن منبع مبادئها هو الديانة الهندوسية وفلسفاتها ، كما هو الحال فى البوذية .

(١) دكتور / أحمد شلبى : مقارنة الأديان " أديان الهند الكبرى " ٥٨/٤ ط ٤ ١٩٧٦م مكتبة النهضة المصرية .

(٢) د/ أحمد شلبى : أديان الهند الكبرى ١٠٩/٤ ط ٤ ١٩٧٦ م .

(٣) عبد المنان طالب : بنغلاديش إسلام " الإسلام فى بنغلاديش " ص ٣٠ آدهونيك بروكاشانى " طبع ١٩٨٠ م .

يقول الدكتور أحمد شلبي : " ومن بين ألوان النشاط الفكرى التى انبثقت فى القرن السادس " ق م " كان ظهور " مهابيرا " و" غوتاما " بوذا بالهند ، ويلاحظ على أفكار هذين المعلمين ، بل على أفكار جميع المصلحين والفلاسفة الهنود أنها دارت فى الفلك الهندى ولم تتجاوزه (١) .

والذى عرفناه من خلال البحث حول تعاليم الجينية أن ما ورد فيها من تعاليم وأفكار، غير موثقة ولا يمكن التأكد من صحتها ، وذلك لوجود التناقض وكثرة الخلافات فيها ، ولأن تعاليم " مهابيرا " لم تكن مدونة بل كانت متداولة على الألسن ، أما كتب هذه الديانة التى توجد اليوم فقد ألقت بعد ثمانية قرون من موت " مهابيرا " (٢) .

على كل حال فإن الجينية دين مسالم يبالغ كل المبالغة فى البعد عن العنف حتى أنه يكره قتل الهوام والحشرات الصغيرة (٣) .

فهل حصل لهذه الديانة الدوام والاستقرار أم أنها ذابت كغيرها ؟ وهذا غير واضح ونستطيع القول أنه قد حدث انقسام خطير بعد وفاة " مهابيرا " فى التعاليم والمبادئ ، فقد أدخل فيها من جاء بعده معتقدات كثيرة غريبة عن المبادئ الأصلية ، وفى أوائل العصور الوسطى احتلت الجينية مكانة عند بعض الحكام فى البنغال ، وأصبح لرهبان الجنية نفوذا واسعا فى بلاط هؤلاء الحكام (٤) .

(١) د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان " أديان الهند الكبرى " ١٠٧/٤ ط ٤ ١٩٧٦م مكتبة النهضة المصرية .

(٢) السيد / ديبى بروشاد تشوتو بودهاى : بهارتودرشن " الفلسفة الهندية " ص ٢٢٨ طبع ١٩٣٠م ، كلكتا ، الهند .

(٣) د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان " أديان الهند الكبرى " ص ١٢٧ .

(٤) عبد المنان طالب : بنغلاديش إسلام " الإسلام فى بنغلاديش " ص ٣٢ .

المطلب الثالث : الديانة البوذية :

يعتبر بوذا - غوتما - مؤسس البوذية من مواليد القرن الرابع قبل الميلاد ، وعاش حياته من صغره إلى كبره بـ " بنارس " (١) في الشمال الشرقي من الهند الواقعة تحت سفوح جبال " الهملايا " إلا أن تعاليمه وأفكاره لم تصل إلى الأفاق كما حصل بعد وفاته ، وذلك من قلة تلاميذه ، وأتباعه ، وكانت هذه الديانة مقصورة في المنطقة التي يعيش بها " بوذا " وإنما انتشرت بعده في منتصف القرن الثالث " ق م " أيام " أسوكا " أحد الملوك العظام في الهند حتى تبنى "أسوكا" مذهب البوذية وأصبحت حكومته تدعم البوذية في انتشارها وتؤيد مبادئها، ولذلك تعتبر شخصية "أسوكا" في البوذية شبيهة بالقديس " بولص " أو " القسطنطين " بالنسبة للمسيحية (٢) .

وفي ظل هذا الملك الكبير - أسوكا - الذي امتدت سلطته من غرب الهند إلى شرقها ، بدأت البوذية تتوسع إلى الأفاق البعيدة ، من رقعة إلى رقعة ومن منطقة إلى منطقة ، ومن إقليم إلى إقليم حتى تمكنت فيها كدين أساسي لمنطقة البنغال ، وقد اكتشفت في الآونة الأخيرة بعض الآثار القديمة والآثار المنقوشة خلال الحفريات تدل على تمركز البوذية في هذه المنطقة (٣) .

فظهرت مئات الآلاف من تماثيل " غوتما " بوذا منحوتة مما يدل على أنه كان للبوذية نفوذ واسع في البنغال في فترات عديدة تتراوح بين القرن السادس والقرن الحادي عشر الميلادي تعتبر هذه الفترة ، فترة ازدهارها ، وفي أواخر القرن الحادي عشر أخذت البوذية تضمحل وتتهار قوتها لما اشتدت السيطرة الهندوسية عليها ، وانتهت محاصرتها من الجوانب الروحية والسياسية ، وابتليت تحت نفوذ الهندوسية ببلاء شديد أدى إلى نهاية دورها وجعلها في النفس الأخير ، وذلك عندما جاء "شين راجا" الهندوسي المتعصب فاتحاً منطقة البنغال (٤) وانتقلت البوذية بعدها إلى جنوب شرق آسيا .

(١) د/ أحمد شلبي : مقارنة الأديان " أديان الهند الكبرى " ص ١٣٧ .

(٢) نفس المصدر : ص ١٨٠ ، بحوث العلمية لتاريخي بنغلاديش

(٣) جمعية الاتحاد الإسلامي ، Bangladesh Historical Studies

ص ٥٥ ، جامعة دهاكا ، بنغلاديش ١٩٥٥ م .

(٤) عبد المنان طالب : بنغلاديش إسلام " الإسلام في بنغلاديش " ص ٣٥ ، دهاكا ، بنغلاديش .

المبحث الثاني

الحالة الإجتماعية



على الرغم من وجود البوذية فى بنغلاديش مدة طويلة فإن ملوكها خلال فترات الحكم لم تستطع تغيير العادات والتقاليد السائدة التى وضعتها البراهمة (١) ولعل السبب فى هذا التقلبات السياسية التى عاشها المجتمع البنغالى بين ازدهار وانكماش ، وبين عروج وزوال ، منها مجاملتهم للهندوسية من أجل تخفيف حدة الصراع القائم بين النظام البوذى ، واستبداد طبقة البراهمة على الطبقات الأخرى .

وأيضاً فإن بوذا لم يتعرض فى حياته للبحث عن قضية الإله والأمور العقدية ، بل مهمته كانت بالدرجة الأولى فى الدعوة إلى الإهتمام بالأخلاق الحميدة والأوصاف الكريمة ومعاملة الحيوانات بالرفق والتلطف ، وتحقيق المساواة بين الناس بغض النظر عن الطبقات (٢) .

لهذه العوامل والأسباب نجد أن هذه الديانة احتلت مكانتها فى قلوب الهندوس مع بقائهم على الفكر العقدى الهندوسى بما فى ذلك قضية الإله ، ولذا نجد كثيراً من الهندوس يتبعون البوذية فى مجال الأخلاق والأوصاف الفاضلة حسب زعمهم ، ويظلون مع ذلك على ولائهم لآلهة الهندوس ، كذلك يندمج اتباع البوذية فى تقاليد الهندوسية وطقوسها (٣) .

(١) د/ رميش مومدار : بنغلاديش براهماش برشاشين جوك ومدهوجوك تاريخ بنغلاديش فى العصور القديمة والوسطى " ٢/ ٢٨٠ ، ١٩٥٦ م كلكتا ، الهند .

(٢) د/ أحمد شلبى : مقارنة الأديان " أديان الهند الكبرى " ٤/ ١٦٩ ، ١٩٧٦ م مكتبة النهضة المصرية .

(٣) د/ أحمد شلبى : مقارنة الأديان " أديان الهند القديم " ص ١٦٩ .

فإن الفترات التي حكم البوذيون فيها المنطقة البنغالية كانت تقتصر في إهتمامهم على سياسة المنطقة وإدارة شؤونها فقط ، دون تعرض للعادات والتقاليد التي كانت سائدة فيها وفق النظام البراهمي ، المفروض على الناس من قبل البراهمة ، لوجود مكانتهم المتميزة في المجتمع الهندوسي ، ويعتبرون أنفسهم أصحاب السلطة المطلقة ويمتيزون عن سائر البشر (١) .

لقد كانت السلطات البوذية تجتنب دائما التدخل في شئون المواطنين ، أما البراهمة الذين كانوا يسيطرون على المجتمع فقد استخدموا هيمنتهم أسوأ استخدام بحيث أنها أثرت على المجتمع بشكل فظيع ، فقد حرّموا زواج بناتهم ونسائهم لمن دون الطبقة العليا ، وأباحوا لأنفسهم بنات ونساء من دون طبقتهم إذا شاءوا ذلك ، وإن الاعتداء على النساء والرقص بهن في المعابد والأديرة كانت من أمورهم العادية ولا مجال لأحد أن يعترض عليهم ، هكذا شاعت في المجتمع الجرائم من الممارسات الجنسية ، وهتك أعراض النساء ، وكثرة تعاطي الخمر والمخدرات ، ولم يبق بيت من البيوت إلا وانتقل المرض تدريجيا إليه وصار المجتمع البنغالي الهندوسي منحذرا تماما (٢) .

أضف إلى ذلك فإن هؤلاء البراهمة لمكانتهم في المجتمع الهندوسي كانوا يعيشون حياة رغد وغدق ، فكان لهم حصص معينة من جميع المحاصيل والمنتجات المحلية غصبا عن المواطنين مما تأثرت به الطبقة الكادحة وأحدث في المجتمع الهندوسي هوة ساحقة أدت إلى الانهيار والفساد فيه .

(١) السيد بوني كور : تاريخ هند قديم "تاريخ الهند القديم " ص ٩٤ ، أيتي هاش بروكاشوني
كلكتا ١٩٦٦ م .

(٢) السيد بوني كور : تاريخ الهند القديم ص ٩٥ ، ١٩٦٦ م أيتي هاش بروكاشوني ، كلكتا .

المبحث الثالث

الحالة الاقتصادية

كانت البنغال تشتهر منذ قديم الزمن بالمنطقة الزراعية لجودة انتاجها الزراعى فى العالم ، وهى منطقة مكتظة بالقنوات والأنهار التى تروى سائر البلاد (١) ومع هذا فإن معظم الأراضى الزراعية كانت تحت تصرف الدولة والإقطاعيين من الهندوس ، فيعطونها للمزارعين والفلاحين للعمل فيها مع فرض ضرائب شتى عليهم مقابل العمل والانتاج ، كدفع جزء من المحاصيل إلى الطائفة البرهمنية هبة لها ، وجزء آخر لأصحاب الدولة والإقطاعيين دون أن يأخذوا لقاء عملهم على أى مبلغ مالى، إضافة إلى ذلك كانت البنغال تشتهر أيضاً بالصناعات اليدوية الصغيرة ، فبعض منتجاتها اشتهرت فى العالم ووصلت إلى الأسواق الدولية مما يعود بالربح الكثير والفوائد ولكنه مع ذلك فإن عامة المواطنين لا يستفيدون منها شيئاً، بل يستمتع بها رجال السلطة وأصحاب الصناعات فقط (٢) فانقسم الشعب إلى طبقتين: طبقة غنية ، وطبقة فقيرة ، وتشكل الطبقة الفقيرة الأكثرية الكادحة ، وهى محرومة من الأراضى إلا بقدر ما يعطى لهم، وبسبب هذا الطغيان المالى وادخار المال عند طبقة خاصة ، دون اعطاء الحقوق للآخرين الذين لهم دور رئيسى فى انتاج المحاصيل والصناعات، أخذت الطبقة المحرومة تذوب وتطحن فى رحى الظلم والعدوان، وشملت البلاد بالفقر والمجاعة إلى أن يعدم المرء لقمة العيش التى تقيم الأود، ويفقد الكسوة التى تستر الجسد، وأسوأ العصور بالنسبة لهؤلاء الفقراء هى ما بين القرن العاشر والثانى عشر الميلادى ، فقد وصف بعض الشعراء هذه الظاهرة الرهيبة وصفا يهز القلوب والمشاعر (٣) .

(١) البستانى: دائرة المعارف ٢/٢٢٥ ، دار المعرفة لبنان .

(٢) السيد بونى كور : تاريخ هند قديم " تاريخ الهند القديم ص ٩٤-٩٦٦م كلكتا ، الهند .

(٣) عبدالمنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص ٥٢ .

المبحث الرابع

الحالة السياسية



وفيما يتعلق بالوضع السياسى نجد أن البنغال كانت خاضعة قرابة ثمانية قرون لأسرة " مغدة " أو " مكدة " (١) التى تنتمى إلى الديانة البوذية ، وفى القرن السابع الميلادى بدأ الزحف الهندوسى على البنغال بقيادة الملك الهندوسى " الشنكارا " وكان متعصبا شديدا للهندوسية وبعد استيلائه على البنغال بعد الإطاحة بأماره " مكدة " أمر بمحو جميع آثار البوذية وهدم معابدها وعطل نظام المساواة الذى وضعه البوذيون للناس ، وحل محله النظام البرهمى ، ورغم استيلائه على الحكم فإن الملك الهندوسى " الشنكارا " قد فشل فى ضبط الأمن وتحسين الوضع الإقتصادى فى البلاد، مما أودى بالبلاد الى المزيد من الانهيار والفساد ، وازداد التوتر عقب موت الملك الهندوسى ، وواجهت الحكومة التحديات الداخلية والخارجية من الحركات المناوئة والمتمردين مما أدى ذلك إلى ضعف قوة الحكم وهزت مشاعر المواطنين لما يجرى فى البلاد من القتال والفساد وبدأت الحكومة بالعمل الجاد لاستقرار البلاد ، وتخليصها من المأزق ، لتسير نحو التقدم والازدهار ، فقد انشأوا حكومة جديدة بقيادة " راجه غوبال " الذى يدين بالبوذية ، وظل الحكم فى أسرته طيلة أربعة قرون (٢) فعادت البوذية

(١) وتسمى هذه الأسرة بامارة موريا ، فإن الآريين قد أقاموا فى شمال الهند ست عشرة اماره

منها سبع امارات صغيرة وتسع امارات كبيرة ، أعظمها شأنًا وأكبرها أهمية اماره

" مغدة " التى اقام دعائهما ورفع بنيانها الأمير سيسناك .

د/ احسان حقى : تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية ص ١٨ .

(٢) د/ روميش شوندار موجدما : تاريخ بنغلاديش فى العصور القديمة والوسطى ص ٢١٥

ج ٢ ١٩٥٦م كلكتا .

إلى المنطقة سيرتها الأولى فبذلت جهداً لبحث العقائد البوذية ونشر تعاليمها بين الناس ، فأنشأت مدارس ثقافية لدراسة العقيدة البوذية ، ورغم هيمنة الدولة على البنغال فإنها لم ترغب في إثارة مشاعر المواطنين ووجدانهم في مجال العادات والعبادات والمعتقدات تفادياً من الاستنفار والتمرد من قبل الشعب البنغالي (١) .

هكذا ظلت منطقة البنغال تعيش في تقلبات وتغييرات بين الحكم البوذي والهندوسي ، وقد تأثر المجتمع البنغالي تأثراً سلباً بسبب الصراع المستمر بينهما ، الأمر الذي أدى إلى تدهور وضعهم الاقتصادي والاجتماعي ، وظل الناس يعيشون في الظلام واليأس لا يجدون لهم مأوى يسكنون فيه ثم بعث الله تعالى إلى هذه المنطقة نسيم الصباح يحمل بشرى الإسلام وأضاء بنوره أفاقها ونعم المواطنون بنعمة الإسلام وتعاليمه الخالدة .

﴿ وَأذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بَيْنَهُمْ رُحَمَاءَ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا ۚ وَكَانَتْ عَلَى شَفَا حُفْرَةِ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا ، كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ (٢) .

(١) د/روميش شوندر مودو : تاريخ بنغلاديش في العصور القديمة والوسطى ٢/٢١٨

(٢) سورة آل عمران آية ١٠٣ .

الفصل الثالث

فـ

دخول الإسلام إلى بنغلاديش

ويشتمل على ثلاثة مباحث

المبحث الأول : دخول الإسلام عن طريق البحر

المبحث الثاني : دور العلماء والمشايخ في دخول الإسلام

المبحث الثالث : دور السلاطين المسلمين في دخول الإسلام



الفصل الثالث

دخول الإسلام إلى الهند

حديثنا عن الصوفية فى المنطقة ونشاطاتهم فى المجتمع البنغالى لا يكتمل إلا إذا تحدثنا عن تاريخ دخول الإسلام فيها ، وعن الدور الذى قام به العلماء الكرام فى نشر دعوة الإسلام وتعاليمه الخالدة ، ذلك لأن التاريخ الإسلامى فى المنطقة له علاقة بانتشار التصوف هناك ، إذا لا يتصور أحد منهما دون تصور الآخر ، فدور العلماء المتصوفة الذين توافدوا إليها من بلاد العرب وفارس وتركيا وغيرها التى فيها انتشر التصوف وفلسفاته فى أدوار مختلفة يتصل بتاريخ كيفية دخول الإسلام ، ولهم فى هذه البقعة وفى سبيل الخدمات الدينية شأن كبير وحظ سعيد ، بغض النظر عن انحراف بعضهم عن المسار الصحيح الذى وضعه الدين الإسلامى الحنيف لمعتقيه ، وذلك الانحراف الذى يسبب فى المستقبل انتشار البدع والخرافات وبعد الناس عن تعاليم الدين الصحيحة ، ووقوعهم فى هاوية الضلال والانحلال .

إن انتشار البدع والخرافات كان عاملا أساسيا لانحطاط المسلمين^{ذلك} والذى نرى آثاره اليوم فى أرجاء المنطقة وسوف نتحدث إن شاء الله تعالى فى موضعها .

كانت شبه القارة الهندية كلها خاضعة قبل الإسلام للتسلط الهندوسى والبوذى وهما قوتان عظيميان ظل الصراع الدائم بينهما طيلة قرون ، حيث كان الناس يعانون من البؤس والشقاء والظلم والطغيان وأصبحوا ضحايا لذلك الصراع ، لا يجدون من يناصرهم أو يدافع عنهم ويؤيدهم ويحميهم ، ومستوى معيشتهم قد وصل إلى مادون الحياة البشرية ، وهم فى ذلك الوقت يترقبون نظاما ينقذهم من تلك المعاناة ويضئ حياتهم ويهديهم إلى الطريق

المستقيم ، فبعث الله تعالى نبيه محمدا عليه الصلاة والسلام بدين الإسلام وتعاليمه المجيدة ، الدين الحنيف الذي تحتاجه الإنسانية ، وقد ارتضاه الله تعالى للبشرية جمعاء ، لآيآتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فما من مشكلة من المشاكل أو قضية من القضايا إلا وقد أوجد لها الإسلام حلا شاملا وقد ذكر الله تعالى ذلك في كتابه الكريم: ﴿ مَا فَرَطْنَا مِنْهُ الْكِبَافُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (١) بزغ نور نبي الرحمة والهدى محمد صلى الله عليه وسلم ، من آفاق جزيرة العرب ، بدعوة التوحيد ، لإخراج الناس من ظلمات الجاهلية البالية ومن عبادة الأوثان والطواغيت إلى نور الهداية وإلى عبادة الله الواحد الذي لا نظير له ولا ند له .

وجعل الله سبحانه وتعالى للدعوة الإسلامية ، ميزة خاصة على الدعوات السابقة للأنبياء السابقين عليهم الصلاة والسلام الذين رفعوا راية التوحيد في أزمان وأطوار مختلفة في العصور الماضية ، وكانت دعوة الإسلام لكافة الجن والإنس ، إلى أن تقوم الساعة ، وإلى ذلك أشار القرآن الكريم :

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ (٢) .

وقال أيضا : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ، وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣) .

وإذا نظرنا إلى طبيعة هذه الدعوة وخصائصها ، نجد أنها قد تمت على مراحل عديدة وفي أطوار مختلفة ، ووصل صوتها إلى أنحاء العالم ، شرقه وغربه ، شماله وجنوبه ، وحقت عالمية الدعوة الإسلامية وشموليبتها ثم لقي النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، وقد أدى الرسالة ، وبلغ الأمانة وأكمل الدين بقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٤) .

- | | |
|-----------------------------|------------------------------|
| (١) سورة الأنعام : الآية ٣٨ | (٢) سورة الأعراف : الآية ١٥٨ |
| (٣) سورة سبأ : الآية ٢٨ | (٤) سورة المائدة : الآية ٣ |

وبعد وفاته صلى الله عليه وسلم ، قام أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين ، بحمل هذه الرسالة ، وذلك تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (١) .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَوْ لَا نَفَوْا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةً لَأَيَّدُوا بِمَا هَدَى الَّذِينَ وَلِيْتُمْهُمْ وَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (٢) .

وامتثالاً لقول النبي صلى الله عليه وسلم : ((لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ

فَإِنَّ الشَّاهِدَ ، عَسَى أَنْ يُبْلَغَ مَنْ هُوَ أَوْعَى لَهُ مِنْهُ)) (٣) .

وانطلاقاً من هذه الإرشادات لم يأل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين جهداً في نشر الإسلام ، وإعلاء كلمة الله ، في أنحاء العالم المعمورة ، فارتحلوا لتحقيق هذا الهدف النبيل ، وانتشروا في أرجاء الأرض حاملين راية الإسلام ، وكان للرعييل الأول من المسلمين ، أثر كبير في الفتوحات ونشر الدين ، كما تحدثنا بذلك كتب السير والتاريخ ، وكانت رحلة هؤلاء غير قاصرة على الدعوة والتبليغ فحسب ، بل إنهم بالإضافة إلى ذلك كانوا يقومون بالتجارة والاستكشاف ، فضلاً عن عادات العرب منذ العصور

من ممارسة التجارة والاستكشاف عن البلدان المجهولة ، والتعرف على سكانها وعاداتها وتقاليدها ، وقد أشار إلى ذلك صاحب كتاب : العرب والملاحة في المحيط الهندي ، إذ يقول : " . . . ثم توالى من بعد ذلك الدعوة سواء كانت الدعوة من أجل الدعوة نفسها أو من أجل التجارة ، فهؤلاء التجار العرب ، كانوا يسافرون ويصلون إلى شرق آسيا وغيرها ، عن طريق البحر ، كما كانت عاداتهم قبل الإسلام وهم يحملون مسئولية الدعوة هناك (٤) وتمكن سكان المنطقة التعرف على الإسلام وتعاليمه ومحاسنه .

(١) سورة آل عمران الآية ١٠٤ . (٢) سورة التوبة الآية ١٢٢ .

(٣) رواه البخاري في صحيحه كتاب العلم : ٩٠ .

(٤) جورج فضلو الحوراني : العرب والملاحة في المحيط الهندي ، ترجمة : يعقوب بكر

ص ١٩٠ ، مكتبة الانجلو / مصر ١٩٥١ م .

المبحث الأول : دخول الإسلام عن طريق البحر

ولتحديد مدى دور العلاقات التجارية بين العرب والهند في سبيل توثيق الصلات بين الأمتين في مختلف المجالات، ومدى أثرها في تطور الدعوة الإسلامية في شبه القارة الهندية ، كان لزاما علينا أن نركز حديثنا على العلاقات التجارية بينهما في عصور سابقة .

كان العرب منذ العصور الغابرة يحترفون التجارة ، وكانوا معروفين في العالم بهذه المهنة لوقوع بلادهم في مواقع استراتيجية وحساسة في جغرافية العالم ، ونظرا لممارستهم التجارية ، استطاعوا السيطرة لوقت طويل على الأسواق العالمية (١) .

وكانت مكة المكرمة آنذاك مركزا تجاريا في جزيرة العرب يقدم إليها الناس ، ويتبادلون السلع التجارية ، وكانت في مكة المكرمة سوق عكاظ (٢) الذي كان له دور كبير في التجارة ، بالإضافة إلى القوافل التجارية التي تخرج منها محملة بالبضائع والسلع التجارية باتجاه بلاد خصبة وعامرة ومزدهرة بالتجارة ، أعنى العراق والشام ومصر والهند ، وكانت الهند تعتبر أكثر البلاد نشاطا بممارسة التجارة البحرية مع بلاد العرب الواقعة على الشاطئ الغربي من بحر العرب ، وكانت السفن العربية التجارية منذ فجر التاريخ ، تتجه إلى موانئ الهند الغربية (٣) .

ومن كثرة تجارب العرب التجارية وترددهم على بلاد الهند ، ذاعت شهرتهم بين الناس خاصة بين أهالي البنغال ، حيث إنهم كانوا يجوبون العالم

(١) أحمد فخرى : دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ١٢٣ ، ط٢ مكتبة الانجلو/مصر ١٩٦٣م .

(٢) وهذه السوق تقع على مسافة ثلاثين كيلو متر تقريبا من مكة وعشرة كيلو مترات من الطائف ، وكان لسوق عكاظ دور هام في مضمار الإصلاح الاجتماعى والدينى ، وانتشار الأدب العربى .

(٣) د: محى الدين الآلوى : الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص ٥٣ ، ط: دار

ويحملون البضائع كما كان شأنهم فى المنطقة ، بالإضافة إلى ذلك كانوا يقيمون العلاقة والصداقة مع أهلها ، ويتركون فى قلوبهم مآثر عميقة ومشاعر ودية (١) .

كان تجار العرب من المسلمين أثناء رحلاتهم التجارية يقومون بزيارات للبنغال ومناطقها الساحلية قبيل ظهور الإسلام ولم تكن زياراتهم هذه محطة أخيرة، بل كانوا يتابعون منها رحلاتهم صوب جنوب شرق آسيا من جاوا وسومطرا والصين، ومن خلال يرسون سفنهم فى مرافئ تشيتاكونغ (٢) ويحملون معهم أسنان الفيلة ونوعا من الأنسجة التى تشتهر فى العالم فى دقة صناعتها ويبيعونها فى أسواق العالم (٣) .

يقول الرحالة ابن بطوطة فى كتابه عجائب الأسفار وهو يصف ميناء تشيتاكونغ والمدينة التى تقع فيها: " انها عظيمة واقعة على ساحل البحر الأعظم " (٤) " و . . . يوجد فيها أشياء كثيرة تصنع من أسنان الفيلة وكذلك فى المنطقة المجاورة لها المسماة " بأركان " (٥) (٦) .

وتجدر الإشارة إلى أن بعض المؤرخين المغرضين عندما يتحدثون عن حركة الاستكشاف الجغرافى وخاصة التى قام بها فاسكو دى جاما وكولمبس وغيرهما من الصليبيين من بلدان العالم ، يذكرون بأنهم أول من بدأ فى الاستكشاف فى العالم و أنهم سبقوا فى ذلك المسلمين .

-
- (١) د/ عبد الكريم : تشيتاكونغ إسلام " الإسلام فى تشيتاكونغ " ص ١٩ المركز الثقافى الإسلامى : تشيتاكونغ ط ١ / ١٩٧٩ م .
 - (٢) مدينة تقع قرب ساحل بنغلاديش ، واصبح اليوم مركزا تجاريا دوليا .
 - (٣) نفس المصدر ص ٢١ .
 - (٤) ويشتهر اليوم بالخليج البنغالى ، الذى هو جزء من أجزاء المحيط الهندى .
 - (٥) منطقة تقع اليوم داخل بورما .
 - (٦) ابن بطوطة: عجائب الأسفار "أردية" ٣٨٩/٢ مكتبة المركز الإسلامى / دلهى ١٩٦٠ م .

وهذه الدعوى بعيدة عن الصواب وتحريف للواقع ، فالتاريخ يشهد بأن العرب سبقوا هؤلاء في الرحلات الاستكشافية وأنهم وصلوا خلالها إلى الجزيرة الهندية وإلى جزيرة الصين وكمبوتشيا شرقا وإلى أسبانيا والبرتغال غربا في القرن السابع والثامن الميلاديين بينما فاسكودى جاما قد زار منطقة الهند في القرن الخامس عشر الميلادى .

ومدينة تشيتاكونغ كانت تعتبر مركزا تجاريا دوليا لوقوعها على الساحل وقد جاءت تسمية المدينة من التجار العرب الذين يقدمون إليها لغرض المنافع التجارية ويسكنون بها ، وقد سموها " شاطئ الكونغ " فأصبحت الآن معروفة بـ تشيتاكونغ (١) وهؤلاء العرب أثناء رحلاتهم إلى هذه المنطقة ومكثهم الطويل كانوا يقيمون العلاقة مع السكان ويستأنسون بهم كما حصل بينهم نسب ومصاهرة .

ولتأكيد ما قلنا فى هذا الشأن نورد ما جاء فى بعض الكتب ، أن بعض السفن التجارية التى يقودها العرب المسلمون قد غرقت بالقرب من ساحل تشيتاكونغ سنة ٧٨٨م فقام أحد حكام المدينة واسمه " فهان شندايت " بمساعدة الملاحين لإنقاذ حياتهم كما سمح لهم أن يعيشوا فيها ، ومن هنا فإن هؤلاء العرب تزوجوا وتناسلوا وكثر أولادهم " (٢) وقد اكتشف علماء الآثار بعض المسكوكات والعملات المعدنية المكتوبة عليها اللغة العربية وبعض أسماء الخلفاء المسلمين فقد وجدوا بعض العملات مذكور فيها اسم الخليفة هارون الرشيد أحد الخلفاء من بنى عباس وبتاريخ عام ١٧٢هـ (٣) .

(١) د/عبدالكريم: تاريخ الثقافة الاجتماعية فى البنغال ص ٩ مجمع الأدب البنغالى دهاكا ١٩٦٥م

(٢) د/ عبد الكريم : الإسلام فى تشيتاكونغ ص ١٥ - ١٦ .

(٣) نفس المرجع ص ١٥ .

وهذه المسكوكات مازالت موجودة اليوم فى المتاحف المحلية والبريطانية مما يدل على أن هذه العملات والمعادن وصلت إلى هذه المنطقة بواسطة هؤلاء العرب الذين استعملوها أثناء رحلاتهم التجارية .

وهكذا عندما وصل التجار إلى البنغال عبر ميناء تشيتاكونغ انتشروا فى ربوعها وقاموا بنشر الإسلام ودعوته انطلاقاً من مفاهيم الآية القرآنية التى قال فيها عز وجل ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ (١) وامثالاً لأمر الله سبحانه وتعالى فى أداء المسؤولية تجاه الأمة ، وبالفعل فإنهم أثناء توقفهم هناك وإقامتهم بها لفترات محدودة حملوا راية الإسلام ، ودعوا الناس إلى توحيد الله وإخلاص العبادة له (٢) ولهذا الغرض المبارك وصلوا إلى أقصى الحدود منها ، إلا أن مهمتهم هذه كانت مقصورة على الخدمات الفردية دون الجماعية بسبب قلتهم عدداً وعدة وأخذ الحيطة كل الحيطة من مواجهة عدوان أو معارضة ، وإنما هم كانوا يقومون به على حسب ظروفهم التجارية أو الاجتماعية أو من يقابلونه من الناس أو يخالطونه أو يعاشرونه فى المنطقة ، ومن هذا المنطلق انتشرت الدعوة الإسلامية تدريجياً ومن فرد إلى فرد ومن أسرة إلى أسرة ومن بيت إلى بيت دون التعرض لأى خطر من الأخطار التى قد يتعرض لها داع أو مبلغ فى هذا المجال " وذلك لحسن ظن أصحاب السلطات من الهنادكة والبوذيين بهذه القوافل العربية التجارية واعتقادهم بأنهم لن يأتوا إلى هذه المنطقة إلا لغرض الممارسة التجارية أولاً ثم العمل من أجل نشر دينهم فى دوائر محدودة ثانياً كما هو الشأن بالنسبة للأديان الأخرى الموجودة هناك مما يؤدي إلى عدم تشكيل أى خطر على سلطاتهم أو ديانتهم " (٣) .

-
- (١) سورة آل عمران آية ١٠٤ .
(٢) انظر : شريف الدين بيرزاده : نشأة باكستان ، تعريب ، عادل صلاحى ص ٢١ ، الدار السعودية للنشر والتوزيع ، جدة ط ١٩٦٩ م .
(٣) عبد المنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص ٣٨ .

أضف إلى ذلك أن غالبية السكان في المنطقة كانت تتمسك بالهندوكية والبوذية دون أن تتأثر بدعاة الإسلام العرب ، ولهذا فإن أصحاب السلطة والجاه والأعيان لم يقوموا بأى مقاومة أو معارضة قبل هؤلاء الناس . وبهذا الأسلوب بدأ الإسلام ينتشر تدريجيا في المجتمع ، ونجح الدعاة والعلماء من التجار في أداء مهمتهم في هذه المنطقة بدرجة كبيرة وبفضل هذا القدر من الجهود المبذولة فقد استطاعوا تغيير البيئة التي كانت قائمة على الجاهلية الظلماء طيلة فترة من الزمان ، إلى نور الإسلام وبناء مجتمع إسلامي وضاء " ومن شدة رغبتهم وإيمانهم الصادق وعملهم المخلص قد أسلم بعضهم وحققوا إسلامهم بالأعمال الصالحة ، وفي سبيل هذا الإقبال الشديد فإنهم تعلموا اللغة العربية ، وتقبلوا بعض العادات العربية وتقاليدها ، وأن سكان مناطق تشيتاكونغ وما حولها مازالوا يستعملون بعض الكلمات العربية ولهجاتها أثناء الحديث (١) فقد ثبت أن الإسلام قد دخل البنغال وبعض المناطق الهندية بدخول تجار العرب إلى هذه البلاد (٢) .

فإلى هؤلاء الدعاة النازحين من بلاد العرب يرجع الفضل في تأسيس أول الجاليات الإسلامية من الأهالي في المنطقة ، وفي تحويلهم من عبادة الأوثان إلى عبادة الله الواحد .

فهم لم يدخلوها محاربين في بداية الأمر ولم يشهروا سيوفهم في سبيل ذلك ، ولم يكرهوا أحدا لإعتناق الإسلام ، إذ الدين الإسلامي لا يعترف بذلك ولا يسمح لأصحابه أن يكرهوا الناس ليدخلوا في الإسلام لقوله تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ... الآية ﴾^(٣) بل إنهم جذبوا الناس إليهم بالأخلاق الفاضلة

(١) د/ انعام الحق و د/ عبد الكريم : الأدب البنغالي ص ٤ كلكتا عام ١٩٣٥ م .

(٢) لوثرروب ستوارد : حاضر العالم الإسلامي ، تعليق : الأمير شكيب ارسلان ١/٣٦٦

ط ٤ ، ١٣٩٤ هـ دار الفكر بيروت .

والمعاملات الطيبة ، وتقديم المثل العليا والقذوة الحسنة وأوجدوا لأنفسهم بين أهالى المنطقة مكانة عالية واحتراما عظيما وحفاوة بالغة ، حتى بلغ من حب الأهالى لهم أن يتقربوا إليهم بالمصاهرة (١) .

(١) انظر : د/ أحمد محمود الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ص ٥٤ ،
وزارة الثقافة والتربية / القاهرة .

المبحث الثاني

دور العلماء والمشائخ في دخول الإسلام

بعد أن تحدثنا عن دخول الإسلام عن طريق التجار العرب والرحل منهم إلى هذه المنطقة أى البنغال بالذات ، يجدر بنا أن نتحدث عن الطريق الثاني لدخول الإسلام ، ويمكن تسمية هذا الطريق بدور العلماء والمشائخ والوعاظ الذين لهم حظ كبير في نشر الدين في المناطق الهندية كلها ، فبفضل جهودهم الجبارة وأعمالهم المخلصة وصل الإسلام إلى آفاقها واستتارت حياة المواطنين بنوره .

وكان الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين يحرصون على فتح القارة الهندية التي ظل مواطنوها طيلة قرون من الزمان في بؤس وشقاء وفي ظلمة من البطش والاستبداد فقد كانوا يتمنون الخروج من المآسى والمتاهات، وينتظرون أن ينالهم قبس من النور الإلهي الذي يخلصهم منها ووصل الصحابة إلى الهند اتباعا لما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة بشأنها فيما يرويه الصحابي أبو هريرة رضي الله عنه ، حيث قال: ((وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوا الهند فإن أدركتها أنفق فيها نفسي ومالي ، فإن أقتل كنت من أفضل الشهداء وإن أرجع فأنا أبو هريرة المحرر)) (١) .

وفي الحديث عن ثوبان - مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((عصابتان (٢) من أمتي أحرزهما الله من النار ، عصابة تغزوا الهند وعصابة تكون مع عيسى بن مريم عليهما السلام)) (٣) .

-
- (١) . رواه النسائي : كتاب الجهاد ٤٢/٦ .
(٢) العصابة والعصبة : الجماعة : انظر : ابن حجر العسقلاني تفسير غريب الحديث ، ص ١٦٦ ، دار المعرفة للطباعة / بيروت .
(٣) رواه النسائي : كتاب الجهاد ٤٢/٦ .

ولقد أفرد الإمام النسائي بابا في السنن عن غزو الهند ، وفيه تبشير للمسلمين الذين سيشاركون في الجهاد لفتح الهند ونشر الإسلام فيها .
وقد ذكر الإمام أحمد رحمه الله الحديث الأول في مسنده ، غير أنه ذكره بوجه آخر عن أبي هريرة ، حيث قال : حدثني خليلي الصادق رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : ((يكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند فإن أدركته ، واستشهدت فذلك وإن أنا رجعت فأنا أبو هريرة المحرر قد أعتقني من النار)) (١) .

ويدل الحديثان النبويان الشريفان على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يحث أصحابه على المشاركة في غزو الهند وبين الفضائل والأجور لمن يشارك فيه .
إن الفتح الإسلامي للهند وإن بدأ في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين ، إلا أن الاتصالات بين الهند والعرب المسلمين ، كانت سابقة منذ العهد النبوي الشريف ، فقد وصلت شهرة الإسلام إلى آفاق العالم ، وبلغ أمر الدعوة حينذاك ، وقد توافد بعض الوفود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقدموا إليه الهدايا الهندية ويتمتعوا بصحبته صلى الله عليه وسلم بالهدايا والإيمان ، ومن ثم يعودون إلى أوطانهم .
" وكان أهل سرنديب (٢) قد بعثوا رسولا منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن وصل إليهم نبأ ظهوره نبيا وهاديا ومرسلا من الله سبحانه وتعالى ، وذلك للوقوف على شأن هذا النبي وشأن دعوته ، ولكن قبل أن يصل الرسول إلى المدينة المنورة فاجأه الوفد نعي انتقاله للرفيق الأعلى " .
ويذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله في كتابه " الإصابة " عن حاكم قنوج إسمه " سرباتك " : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أرسل له حذيفة ، وأسامة وصهيبا ، ليدعوه إلى الإسلام ، وأنه قد قبل ذلك ، مع أننا لا نجزم بصحة هذه الحكاية ، إذ أن الحافظ ابن حجر يشك في إثبات هوية هذا الحاكم

الفتح الربيعي لترتيب من أحم

(١) / الشيخ أحمد بن عبد الرحمن البنا ج ٢٢ ص ٤١١ ، ط ١٣٧٧ م .

(٢) منطقة هندية قرب ساحل السيلان .

"سرباتك" أهو أصلا من الهند أم أنه من الروم ، وبغض النظر عن هويته وعن مدى صحة الحكاية ، فالأمر الذى لامرية فيه أن بعض الحكام من الهند ، كان يرسل الهدايا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل: الزنجبيل والمسك وغيرهما من الهدايا الهندية ، مما يدل على وجود الاتصالات بين الهنود والمسلمين العرب منذ العهد النبوى (١) وإن الإسلام ودعوته قد وصلت إلى شبه القارة الهندية منذ ذلك العهد الزاهر ، وإن كانت تلك الاتصالات مقصورة ومحدودة فى بعض الأفراد والمجموعات ذات النطاق الصغير ولم تتوسع بعد لتعم القارة الهندية كلها ، وكان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم يشعر بما حباه الله تعالى من نور الوحي والبصيرة النبوية بمستقبل الإسلام فيها ، ولذلك كان يتمنى أن تبلغ دعوة الدين الإسلامى إلى هذه المنطقة ، ويرغب أصحابه الكرام على القيام بفتحها لتكون راية الإسلام خفاقة وعزيزة فى أرضها .

وانطلاقا من البشارة النبوية لغزو المسلمين للمناطق الهندية بدأ المسلمون العرب غزوها فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، عندما بعث أحد مواليه "حكيم بن تغلب" إلى منطقة السند (٢) إلا أن هذه المهمة وما تتابع بعدها من الحملات لم تتجح فى تحقيق أهداف المسلمين وذلك لظروف تعرض لها المسلمون فى تلك المنطقة، ومن جملتها قلة الزاد والعتاد المتوفر لتأدية واجباتهم ، فاضطر الخليفة عمر رضى الله عنه إلى إيقاف الغزو وتتابعت رحلاتهم حتى يستعدوا له بجميع الوسائل الممكنة، ولكنه لم يتم فى حياته بسبب وعورة الطريق والمشاكل البيئية العديدة التى حالت دون تحقيق الهدف .

(١) أحمد مباركفورى : العرب والهند فى عهد الرسالة ، ص ١١٠ .

(٢) انظر : نفس المرجع ص ١١٣ .

(٣) تقع جنوب شرق باكستان وعلى ساحل بحر العرب .

وبعد وفاة عمر بن الخطاب رضى الله عنه تتابعت محاولات المسلمين للدخول إلى ثغر الهند إلا أن محاولاتهم لم تكن بشكل منظم ومنسق يتحقق لهم الظفر العظيم . فقد حاول المسلمون تلك المحاولات أيام الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه وفى عهد الخليفة الرابع على بن أبى طاب رضى الله عنه ، ولم يألوا جهدا فى ذلك الغرض ، كما ذكر البلاذرى فى فتوحه : " فلما ولى عثمان بن عفان رضى الله عنه وولى عبدالله بن عامر بن كريز على العراق ، كتب إليه يأمره أن يوجه إلى ثغر الهند من يعلم علمه وينصرف إليه بخير ، وفى خلافة على بن أبى طالب رضى الله عنه توجه إلى ذلك الثغر الحارث بن مرة العبدى متطوعا " (١) .

وظل القادة المسلمون العرب يطرقون أبواب الهند من هذه الطريقة . وفى أيام الأمويين وقع الخلاف بين حكام الهند وخلفاء بنى أمية بشأن هجوم قراصنة الهند على قوافل المسلمين البحرية ، وطلب خلفاؤهم إلى حكامها المساعدة للحيلولة دون هذه القرصنة ، إلا أنهم اعتذروا عن تلبية مطالبهم لعدم قدرتهم على سد ذلك الهجوم ، وكان لحاكم العراق الحجاج بن يوسف فرصة لاستغلال هذا الخلاف ، حيث كان من طبيعته حب الاستطلاع على البلاد الإسلامية والفتوحات ، واغتناما للفرصة المتاحة له قام بالحملة العسكرية على أرض الهند ، واختار محمد بن القاسم الثقفى قائدا لها ، وبعثه إلى الهند بالعدة والعتاد إلى ثغر الهند عام ٩٣هـ ، وقد غزا محمد بن القاسم أرض الهند عن طريق البحر والبر معا ، وعدد الجنود الذين شاركوا فى الغزو معه لا يقل عن اثنى عشر ألف جنديا من الشام والعراق ، ثم انضم معه عدد كبير من رجال " الجات " (٢) فأخذت جيوش الإسلام بقيادته تتقدم نحو الشرق والشمال فى الهند .

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٢١ ، ط ١ ، ١٩٣٢م / مصر .

(٢) ويقال الزط أيضا ، وجاء فى لسان العرب : الزط : جبل أسود من السند ، وكتب ابن الخرداذبة : أن منطقة بلاد الزط التى تمتد من فكران إلى المنصورة (السند) تربو مساحتها على مئات الأميال . انظر : المسالك والممالك ص ١٠٧ . وقد أسلم معظمهم على أيدي جيوش المسلمين العرب إثر قدومهم إليها .

ولما كانت حملة محمد بن القاسم مفاجأة لحكام وأهالى المنطقة التى ما كانوا يتوقعونها من قبل ، فقد أصابهم الخوف والفرع ، ودب فى قلوبهم الرعب ، فهرب كل من كان باستطاعته الهروب بمن فيهم حاكم السند " راجه داهر " . وهكذا حقق المسلمون انتصارا بفتح أراضى الهند (١) .

ولم يشمل الفتح الذى حققه المسلمون بقيادة محمد بن القاسم ، أراضى الهند كلها كما ذهب إليه بعض الكتاب ، وإنما شمل أراضى الهند وما حولها من ملتان (٢) وكشمير وغيرها التى تقع شمال غرب الهند .

ولما وصل محمد بن القاسم إلى ملتان أتاه خبر وفاة عمه " الحجاج " وذلك سنة ٩٣ هـ وبعد مدة قليلة جاءه خبر وفاة الخليفة الوليد بن عبد الملك ، وتولية سليمان بن عبد الملك الخلافة ، فأمر هو بعزل محمد بن القاسم وعين مكانه يزيد بن كبشة حاكما للسند ، واقتيد ابن القاسم إلى بغداد ، ثم أدخل السجن ، وقد عاش فيه فترة وهو يذوق عذابا شديدا حتى توفى فيه (٣) .

وكان ابن القاسم يهدف من وراء فتح السند : إلى

أولا : إنقاذ المواطنين فى هذه المنطقة من بطش السلطات الهندوكية .

ثانيا : فتح الطريق إلى الهند لأولئك الذين كانوا يحرصون على أداء الرسالة هناك ، وتوسيع ونشر الدعوة الإسلامية .

ثالثا : ضم هذه البقعة إلى الدولة الإسلامية .

وقد نجح ابن القاسم فى تحقيق تلك الأهداف النبيلة ، فبفضل إيمانه العميق وشجاعته الباسلة ، تمكن من فتح باب للإسلام فى الهند بعد أن صعب على المسلمين السابقين ، وهذا الفتح قد مهد السبيل لدعاة الإسلام وعلمانه لبث دعوة وعقيدة التوحيد إلى ربوع القارة الهندية كلها .

(١) د/أحمد الساداتى : تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية ج١ ص ٥٥ .

(٢) بلدة شهيرة فى وسط باكستان .

(٣) البلاذرى : فتوح البلدان ص ٤٢٥ - ٤٢٨ .

ومن هذا المنطلق توافد علماء الإسلام ومشائخه العظام إلى الهند بعد هذا الفتح المبين ، قادمين من الجزيرة العربية والعراق والشام ومدن فارس من أجل نشر الإسلام وهداية الناس إلى الصراط المستقيم ، إذ كانوا يدركون جيدا خصوبة أرض الهند وأهلها ، وأنها سوف تؤتي ثمارها لو اجتهدوا وعملوا فيها كما فهموا ذلك من الأحاديث النبوية الشريفة التي بشر بها المسلمون ، وقد كرس هؤلاء العلماء والمشائخ جهودهم وحياتهم في هذا السبيل ووصلوا إلى أصقاع الهند بما فيها منطقة البنغال الواقعة في الجنوب الشرقي من الهند ، في حين كانت منطقة البنغال تحت سيطرة الهندوس والبوذيين ، ولضئالة عددهم وانحصار نشاطاتهم داخل البيوت ، لذلك لم يتعرضوا للمعارضة من الحكام المحليين ، بالإضافة إلى أن عملهم في مجال التبليغ الإسلامي كان في السر دون الجهر ، وأخذ أهل المنطقة يتعرفون على الإسلام ويتعاطفون مع هؤلاء الدعاة ، ويعتقون الدين الإسلامي ، فلما زادت نشاطاتهم وكثر عدد المعتنقين للإسلام ، أصبحت الدعوة معلنة مما جعل الحكام المحليين يخافون منهم ومما يقومون به من الدعوة ونشر الإسلام واشتعلت في نفوسهم نار الغضب وقاموا بالانتقام منهم ، وهاجموهم بكل وسائل الممكنة من القتل والتعذيب والتشريد ، ومع ذلك فقد ظل الدعاة صامدين أمام هذا العنف والبطش ، يدفعهم إلى ذلك إيمانهم بالله عز وجل ورجاؤهم في أن يهدي الله بهم من يشرح الله صدره للإسلام ، ولهم في ذلك المثل الأعلى والقذوة الرائعة من تاريخ الأنبياء والرسل والصالحين ، فقد تعرضوا أثناء دعوتهم لمثل هذه العنت أو أشد ، وصبروا وصابروا واحتسبوا ذلك عند الله تعالى ، وفي ذلك يقول الله عز وجل : ﴿ أَحْسِبِ النَّاسَ أَنْ

يَتَذَكَّرُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ (١) .

فهذه سنة من سنن الله التي من خلالها يرفع درجات المؤمنين، ويكفر عنهم السيئات ويدخلهم الجنة .
واستطاع هؤلاء الدعاة من خلال عملهم الدؤوب غرس العقيدة الإسلامية في نفوس الناس، فترك الناس دياناتهم وجاهليتهم التي كانت تحيط بهم ، ودخلوا في دين الله أفواجا، بعد أن أدركوا أن الديانات السائدة في أوطانهم والمعتقدات المحيطة بها ما هي إلا أساطير وتخيلات ليس لها حقائق في الوجود، وأيقنوا أن التوحيد الإلهي والشرعية الإسلامية وتعاليمها هي التي تنقذ الناس من المآهات وتوضح لهم الطريق السليم الذي فيه تنال السعادة .
فهذه الخدمات الجبارة التي عمل بها الدعاة من العلماء والمشائخ ، دفعت إلى تكوين الأمة الإسلامية التي قامت بعدهم بمهمة الدعوة والتبليغ في المجتمع البنغالي ، وبفضل أعمالهم المخلصة انتشر الإسلام في ربوع المنطقة ، حتى أن بعض الحكام المحليين كانوا قد تأثروا بمحاسن الإسلام وتعاليمه ، ولبوا دعوة التوحيد وساعدوا في نشرها بإنشاء مساجد ومعاهد ومراكز دينية في شتى أنحاء البنغال كينابيع ينبثق منها الإسلام وأحكامه .
وينبغي أن نذكر هنا بعض الدعاة من العرب والفرس القادمين إلى أرض البنغال الذين لهم الفضل الكبير في انتشار الإسلام وإنقاذ المواطنين الذين كانت العقائد الهندوكية والبوذية مهيمنة عليهم ، ونزعم أن معظم هؤلاء الدعاة استطاعوا التأثير في المواطنين من خلال سلوكهم وأخلاقهم الطيبة ، بحيث إنهم تأثروا بهم ودخلوا الإسلام ، وتركوا المعتقدات الباطلة ، وإن كان ينقصهم الفهم الصحيح للإسلام ونبذ البدع والخرافات التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، وذلك بسبب اعتناقهم لبعض الطرق الصوفية المنتشرة في بعض البلدان الإسلامية وبصفة خاصة في بلاد فارس ، ولكنهم مع ذلك - والحق يقال - أن هؤلاء كانوا يتمتعون بصدر رحب ، وسعة أفق ، غير ما يعهد عند غيرهم ، وأذكر هنا نموذجا من هؤلاء الدعاة والوعاظ :

(١) عبدالمنان طالب : الإسلام في بنغلاديش ص ٦٤٠

وأیضا : Dr.enamal Hocque : A History of Sufism in Bangal .p 208.

١- الشيخ مير سيد سلطان محمود البلخي، المعروف بماهى سوار المتوفى ١٠٤٧م :

كان أحد أبناء ملوك بلخ، وتولى العرش بعد وفاة أبيه، ويحكى أنه ذات يوم ضرب امرأة بالكرباج، لارتكاب جريمة الجلوس على كرسى فى الديوان كان معدا لكبار الضيوف، وهى جريمة لا يقل العقاب عليها عن الضرب بالسياط، وفى أثناء الضرب قالت المرأة: إذا كان هذا الضرب من أجل استمتاع لحظة على الكرسى، فما بال رجل يتمتع به عشرات السنين؟! فشقت كلماتها هذه على قلب السلطان، فأمسك يده عنها وأطلق سراحها مع الاعتذار منها كما أعطاها شيئا من النقود.

ومنذ هذه اللحظة انقلبت حياته وتغيرت أحواله، وترك العرش وارتحل إلى دمشق لطلب العلم والمعرفة، وبعد أقامته فيها حوالى ست وثلاثين عاما توجه الشيخ مير سلطان إلى منطقة البنغال على ظهر سفينة تشبه الحيتان، ومن هنا صار لقبه "سلطان ماهى سوار" أى الراكب على الحوت ثم نزل فى مدينة "دهاكا" التى كانت مليئة بالمعابد الهندوسية، وفى يوم من الأيام دخل السلطان فى أحد هذه المعابد، وأذن فيها بصوت اندهش له أهل المدينة وحكامها، وتأثروا بصوت الحق أشد التأثير (١).

وتتعجب عندما تقرأ كتب التراجم أن مثل هذه الحادثة، قد تأثرت كثيرا فى قلوب عديد من الناس على اختلاف أديانهم ومللهم واتجاهاتهم، فاعتنق عدد كبير منهم الإسلام، واعتقدوا أن شخصية هذا الرجل وصلاحه وحلاوة منطقه وقوة إيمانه وإخلاصه، عوامل لها الأثر الأكبر فى اعتناق هذا العدد الكبير من الناس الإسلام.

(١) د/ شودرفى شمس الرحمن : الحقائق عن التصوف : ص ١٦٨، جمعية البحوث الباكستانية

١٩٧٠م (بنغالى)

ولشدة تعلق الناس به والتفافهم حوله وتأثرهم به أمر رجال السلطة بطرده فوراً من المنطقة ، فذهب السلطان إلى منطقة " بوكرا " شمال البنغال وكان لديه من قبل علم بأحوال هذه المنطقة وسكانها وما يصيبهم من وطأة الظلم الذى يمارسه الحكام على المواطنين ، فثار على الظلم ودافع عن المظلومين من الناس ، محاولاً تخليصهم من أيدي الظلمة ، فقام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبكل ما تأمره به الدعوة الإسلامية ، فغضب حاكم المنطقة و اعتبر أن ما يقوم به الشيخ سلطان محمود هو تدخل فى الشئون الداخلية التى قد تتسبب فى تأليب الناس عليه ، فأعلن الحرب ضده ، ولكنه منى بالهزيمة فى القتال ، وكانت نتيجة تلك المواجهة هى هروب الحاكم وحاشيته من " بوكرا " خوفاً من هذا الداعى الفاضل وأتباعه بعد هذا الانتصار العظيم ، وبعد هذا النصر أنشأ الشيخ فيها مركزاً لنشاط الدعوة كما أقام مسجداً جامعاً تقام فيها الصلوات .

وبهذا انطلقت الدعوة الإسلامية إلى أرجائها ، وقد عاش السلطان بقية حياته فى تلك المنطقة ، وهو يكرس جهده فى سبيل خدمة الإسلام بين المواطنين إلى أن فارق الدنيا ، وهو مدفون فى نفس المدينة (١) .

٢ - الشيخ محمد سلطان الرومى المتوفى سنة ١٠٥٣م :

ولد الشيخ محمد سلطان الرومى فى إحدى القرى من بلاد فارس ، وقد تربى فى أسرة علم ودين ، وتعلم فيها العلوم الشرعية ، وبعد مضى فترة من عمره فى " فارس " ارتحل إلى البنغال لنشر الدعوة الإسلامية ، فنزل فى مدينة " مؤمن شاهى " الواقعة فى الشمال الشرقى من البلاد، ولم يمض على قدومه أيام قلائل إلا وذاعت شهرته بطيب الخلق وحسن السلوك، ودخل على يديه أفراد غير قليلين الإسلام، وكان وجوده فى هذه المنطقة أمراً غير مرغوب فيه لدى السلطة الهندوكية خاصة عندما رأت المواطنين يلتفون

(١) د/انعام الحق : تاريخ دعاة الإسلام فى البنغال ص ٨ / دهكا ١٩٦٠م .

حوله ويدخلون الإسلام رغبة دون إكراه ، فدبر رجالها مؤامرة لقتله بتقديم الشراب الممزوج بالسم ، فطلبه الحاكم ليحضر في القصر ، ولكن الشيخ كان واعيا لما سيحدث عند حضوره في القصر ، فلما قدم له ذلك الشراب ، قال : " بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شئ في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم " ثم شرب دون أن يؤثر عليه شئ ، فاستغرب الحاكم وحاشيته ، واندعشوا لما رأوا منه هذا الأمر ، فاسلموا جميعا على يديه ونطقوا بالشهادتين (لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله) .

ويذكر بعض المؤرخين أن الزانرين له كانوا يعجبون كثيرا بهيبته ودمائه خلقه ، ونور الإيمان الذي كان يظهر على وجهه ، ولقد كان لشخصية الشيخ الرومي التي تتمثل فيها العديد من الصفات التي يتحلى بها ، الأثر الكبير في نفوس زانريه ، حتى أن الواحد منهم كان يدخل عليه ويجلس معه فما يلبث أن يسلم على يديه دون أى تردد ، لما يلمس فيه من حسن الخلق وقوة الإيمان وروعة ما يتمتع به من السلوك الإسلامي ، وبقي الداعية الإسلامي السلطان الرومي يعمل بجهد متواصل في إصلاح الفرد والمجتمع إلى أن توفي .

٣ - بابا آدم شهيد المتوفى ١١١٩ م :

لم يعرف المكان الذي ولد فيه إلا أن القرائن المتوفرة ، تشير إلى أنه كان من أفغانستان ، وكان رجلا فاضلا ومتفوقا في علمه وعمله ومعرفته بالدين الإسلامي ، فقد قدم إلى البنغال في القرن الثاني عشر الميلادي ، ونزل في منطقة " بيركام فور " على بعد عدة أميال من عاصمة بنغلاديش دهاكا ، وهي تعرف اليوم بـ (عبد الله فور) وبفضل خدماته الجبارة ، أسلم على يديه عدد كبير من المواطنين ، وذكر أنه ذات يوم ذبح بقرة لإقامة وليمة لضيوف كانوا عنده بالرغم من أنها كانت مقدسة في الديانة الهندوكية فذبحها ودمها حرام للجميع ، لما فيها إذلال وإهانة للبقرة لكونها آلهة من دون الله ، وسمع بهذا النبا حاكم المنطقة وهو هندوكي متعصب ، فأراد القيام بالثار

فأرسل قافلة من الجنود لمحاربته وأتباعه من المسلمين ولكنه مني بالفشل أمام الشيخ وأنصاره وأتباعه ، ومع ذلك فقد بقى الحاكم الهندوكى يتربص بالشيخ الدوائر ، وفى يوم من الأيام عزز قواته وتوجه لقتال الشيخ ، وكان هذا القتال أول قتال من نوعه بين الهندوس والمسلمين فى تاريخ البنغال ، وانتهى بهزيمة جيش المسلمين ، واستشهاد الداعية الإسلامى الكبير وعدد كبير من أتباعه ، ولذا لقب بـ (الشهيد) .

٤ - مخدوم شاه الدولة المتوفى ١٢٤٧ م :

ذكر أصحاب التراجم أنه من أصل يمنى ، بل يذهب بعض الكتاب إلى أنه كان من سلالة معاذ بن جبل رضى الله عنه الصحابى الجليل الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن حاكما لها .

وقد جاء هذا الداعية الإسلامى مع بعض أفراد أسرته وتلامذته إلى البنغال ، فأنشأ معهدا دينيا فى إحدى ضواحي محافظة " بابنا " الواقعة فى الشمال الغربى من بنغلاديش ، وكان يلقي فيها دروسا فى تفسير القرآن الكريم والأحاديث النبوية والفقه وغيرها ، وبعد فترة وجيزة من قدومه ، اعتنق عدد كبير من المواطنين الإسلام على يديه ، وحسن إسلامهم ، وكالعادة لم يكن حاكم المنطقة يبارك هذا النشاط الذى كان يقوم به الشيخ فغضب منه ، ولم ير بدا من الخلاص منه وإيقاف مهمته فأعلن الحرب ضده ومن كان معه من المسلمين ، لكن النصر كان حليف المسلمين فى هذه المعركة الطاحنة ، واستشهد الشيخ مخدوم شاه وبعض أتباعه فيها ، ومع ذلك الإنتصار وفقدانهم لهذا العالم الكبير ، تمسك أتباعه بالسير على نهجه ، ومواصلة التبليغ الذى جعله الشيخ هدفا لحياته ، حتى دخل فى الإسلام عدد كبير من الوثنيين .

٥ - الشيخ جلال الدين التبريزي المتوفى ١٢٢٥ م :

ولد هذا العالم في مدينة " تبريز " عاصمة اقليم " فارس " وكان عالما ورعا مخلصا تلقى دروسا دينية من أحد مشاهير شيوخ بغداد ، يسمى الشيخ شهاب الدين السهروردي (١) ، وبعد استكمال الدراسة توجه جلال الدين بأمر استاذة للعمل في التبليغ الإسلامي في البنغال ، وكان وصوله إليها في بداية القرن الثالث عشر الميلادي ، حيث اشتهر في البنغال بعلمه وعمله المخلص وخلق الفاضل ، حتى أصبح من كبار الدعاة في المنطقة ، واعتنق على يديه الإسلام مئات الألوف من الهندوس والبوذيين لما وجدوا فيه من مكارم الأخلاق وحسن الأدب والمعاملة ، بالإضافة إلى الزهد والورع والتقوى الذي جذب الناس إلى المسارعة في اعتناق الدين الإسلامي .

فبعد نزوله في مدينة " بندوة " الواقعة في غرب البنغال ، أنشأ فيها جامعا كبيرا وفيه دار الضيافة للمغتربين وطلبة العلم وعشاقه الذين يأتون لأخذه عنه ، وبعد إقامته هناك خرج الشيخ في جولة عامة لمناطق البنغال لتوسيع الدعوة للعقيدة الإسلامية ونشر التعاليم الدينية ، فما من منطقة مر بها الشيخ إلا وبنى فيها مسجدا ومركزا دينيا وكان يهدم ما يقابله في الطريق من المعابد والأصنام والتماثيل ، والذي يدل على نجاح مهمته في التبليغ الإسلامي أنه قد تأثرت به جميع الطبقات من المتقفين والفقراء والأغنياء من الهندوس والبوذيين وكان يهتم كثيرا بالفقراء والمعدومين والمعوقين وينفق عليهم ويعينهم ، وفي أثناء هذه الخدمات المباركة والجولات المكثفة توفي الشيخ رحمه الله ، دون أن يعرف أحد المكان الذي مات فيه بالتحديد .

(١) الظاهر أنه شيخ الطريقة السهروردية أو بعبارة أخرى أنه مؤسسها لها "السهرورد"

منطقة تقع في فارس ، واليه ينتسب ٠٠٠ توفي ١٢٣٤ م .

٦ - الشيخ شرف الدين ابوتوامة : (المتوفى عام ١٣٠٠ م) .

هو شرف الدين أبو توامة الحنفى الدهلوى كان من أعيان القرن السابع الهجرى . وأخذ عنه الشيخ شرف الدين أحمد يحيى المنيرى (١) ولد فى مدينة " بخارى " المعروفة وتقع فى وسط آسيا . وكان عالما فاضلا وفقهيا فى مدرسة علماء الأحناف ، تعلم العلوم الدينية فى " خراسان " وبعد إكمال الدراسة عزم على السفر إلى الهند فى القرن الثالث الميلادى ، ووصل إلى البنغال عبر دلهى ، واستقر فى مدينة " سوناركاون " على مقربة من عاصمة بنغلاديش ، فأنشأ فيها معهدا إسلاميا كبيرا ، يعتبر أكبر وأقدم معهد فى تاريخ البنغال . ويرتاد هذا المعهد آلاف من طلاب العلم يأتون إليه لتلقى العلم فيه ، وبعد استكمال دراستهم العلمية بالمعهد يرسلون إلى أنحاء البلاد لينشروا الدعوة الإسلامية فيها ، وما زالت آثار هذا المعهد موجودة إلى الآن .

٧ - الشيخ عباس على مكى (المتوفى ١٣٤٢ م) :

ولد فى مكة المكرمة حيث تربى وترعرع وأخذ العلوم الشرعية من كبار العلماء والمشايخ فى القرن السابع فى مكة المكرمة ، وبعد الحصول على الإجازة من المشايخ سافر إلى الهند ، ويذكر أنه شارك مع السلطان غياث الدين تغلق شاه (أحد حكام المسلمين فى دلهى) أثناء قيامه بالهجوم على منطقة البنغال لإخماد الثورة التى قام بها المتمردون ضد السلطان

-
- (١) أحد مشاهير العلماء ، ولد سنة ٦٦٠ هـ فى عهد السلطان ناصر الدين محمود الإيلتمش ببلدة منير ، ومن مؤلفاته : المكتوبات ، ارشاد الطالبين ، ارشاد السالكين ، معدن المعانى ولطائف المعانى ، شرح آداب المريدين . راجع : " نزهة الخواطر : عبد الحى الحسينى ٧٠٦/٢ مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد / الهند .
- (٢) عاصمة لبنغلاديش القديمة ، أنشأها المغول تبعد حوالى ٢٠ كيلو متر من عاصمة دهاكا .

وذلك سنة ١٣٢٤م وبعد انتهاء العملية بقى الشيخ عباس فيها يدعو الناس إلى عبادة الله والعمل بالشرعية الإسلامية ، وكان وجوده مقلقا لحاكم البنغال ، وخاصة عندما أدرك أن جموعا غفيرة من الناس قد اعتنقت الإسلام فعلا ، فبادر باستخدام القوة ضد هذا الداعى ، وشاء الله أن ينتصر المسلمون فى تلك المعركة على الطائفة الهندوسية .

٨ - الشيخ جلال الدين اليمنى : (المتوفى ١٣٤٧م)

الشيخ جلال الدين اليمنى الملقب " شاء جلال " كان من كبار الوعاظ المعروفين والعلماء البارزين فى جنوب شرق الهند، وقد اختلف المؤرخون فى تحديد الموقع الذى ولد فيه ، فبعضهم ذهبوا : إلى أنه ولد فى منطقة " قونيا " الواقعة فى تركيا ، بينما قال بعضهم : إنه من أصل يمنى، والتوفيق بين هذين الرأيين بأنه ولد فى تركيا ، ثم تربى ونشأ فى اليمن وأخذ العلوم والمعرفة من علماء ومشائخ اليمن ، ومكث هناك فترة طويلة ، ثم ذهب إلى منطقة "سهلت" شمال شرق البنغال لغرض العمل بالدين ونشر التعليم الإسلامى ، وكان قدومه إليها أيام حكومة فيروزشاه، حاكم دلهى "عام ١٣٠٣م" وكانت هذه المنطقة أوكارا للوثنيين والهندوس ، فأختارها من أجل هداية أهلها ودعوتهم إلى التوحيد ، وفى أثناء إقامته فى "سهلت" أقام فيها مركزا دينيا ومعهدا إسلاميا لينبثق منه شعاع الإسلام ، كما اعتنق الإسلام على يديه مئات الآلاف من البنغال متأثرين بدعوته وخلقه وسلوكه ، فلم يبق بيت أو أسرة إلا وقد دخلها الإسلام وطار صيته إلى آفاق العالم وأصبحت له مكانة رفيعة عند الناس ، كما ورد فى الحديث النبوى الشريف: ((ماتواضع أحد لله إلا دفعه الله)) (١) وكان الرحالة ابن بطوطة أثناء رحلته للهند

(١) رواه مسلم عن أنس رضى الله عنه الحديث رقم ٢٥٨٨ .

يشتاق لزيارة الشيخ شاه جلال ، وقد سمع عنه وعن تفوقه فى مجال العلم والمعرفة ، فلما قدم ابن بطوطة إلى البنغال ، ذهب إلى " سهلت " على ظهر قارب من ميناء " تشيتاكونغ " وقد أطل المقام فيها عدة أيام ، فأكرمه الشيخ وأحسن ضيافته ، وقدم له هدايا فاخرة (١) وقد تأثر الرحالة ابن بطوطة من سلوكه المتواضع وزهده فى الدنيا ومتاعها ، ورغبته فى عبادة الله تعالى ، وحرصه على دعوة الناس إلى عقيدة التوحيد والعمل بالشرعية الإسلامية ، إضافة إلى بعض الكرامات التى خصه الله بها عما يمضى بها عباده المخلصين والمقربين ، قد شاهدها ابن بطوطة على يديه ، وذكرها فى الرحلة الشهيرة .

توفى الشيخ جلال الدين فى نفس المدينة ، ومازالت مقبرته موجودة فى إحدى مرتفعاتها .

٩ - الشيخ علاء الدين عمر أسد الخالدى المتوفى ١٣٩٨م :

ولد فى منطقة لاهور (٢) وكان والده عمر بن أسد من سلالة الصحابى الجليل خالد بن الوليد رضى الله عنه ، ثم قدم من لاهور إلى غرب البنغال فى أواسط القرن الرابع عشر الميلادى ، وأقام فى " بندوه " ، وتلقى الشيخ علاء الدين العلوم الدينية فيها من مدرسة نظام الدين الدهلوى التى جاء إليها لنشر العلوم والمعرفة ، وكان علاء الدين من أجل طلاب المدرسة الذين أسهموا فى إضاءة شموع الإسلام فى أنحاء البنغال • ولتفوقه علما وخلقا ، كان الناس يحبونه ويقدرونه • وحبا فى العمل الإسلامى أنشأ فيها مركزا دينيا لطلاب العلم وعشاقه • وله خدمات جليلة فى تحويل المجتمع البنغالى الجاهلى إلى مجتمع إسلامى • وبعد أن أمضى مدة طويلة فى لاهور ارتحل

(١) ابن بطوطة : سفرنامه ابن بطوطه : (اردو) رحلة ابن بطوطة ص ٦١١ •

(٢) عاصمة بنجاب الباكستانية •

الشيخ إلى مدينة "سو ناركاون" قرب عاصمة بنغلاديش ، وبقي في المدينة إلى آخر لحظة من حياته مجاهداً في سبيل الله وفي سبيل الدعوة إليه وحمل لواء الإسلام بعد وفاته عدد من أفراد أسرته وتلاميذه ، الذين استطاعوا تخليص مئات الآلاف من المسلمين الذين تعرضوا لعدوان حاكم هندوسى يسمى "راجاغونيش " عندما أراد استتصال الموحدين من جذورهم والقضاء على الإسلام (١) .

تلك لمحات سريعة عن حياة بعض أكابر العلماء والمشائخ الذين أسهموا في نشر الدين و غرس الدعوة الإسلامية في ربوع البنغال .
ولقد من الله تعالى على هذه الأمة بنعمة الإسلام ومن لطفه وإحسانه على العباد أن قيض الإسلام ودعاة المسلمين لإصلاح البشر. والدعاة من ورثة الأنبياء ، جاءوا إلى هذه المنطقة في حين كانت الجاهلية بجميع أوصافها سائدة في كل الأنحاء ، رحل الدعاة إلى البنغال وتركوا أوطانهم وأهاليهم يحرصون على أداء مسئولية الدعوة والتبليغ التي القيت على عاتق وكاهل أخيار هذه الأمة ، ولقد نجح هؤلاء في واقع الأمر ، وسعوا بكل ما في وسعهم لإصلاح الناس وهدايتهم إلى طريق الرشد ، وسعد الناس بفضل

(١) نقلت هذه المعلومات عن دعاة الإسلام وعلمائه ومشائخه الذين أسهموا في نشر دين الإسلام في محيط البنغال من الكتب التي تمثل أهم المصادر والمراجع حول هذا الموضوع وهي كالتالى :

- ١ - غلام تقلين : تذكرة علماء المسلمين فى بنغلاديش ، المؤسسة الإسلامية ، دهاكا بنغلاديش ط ٣ ١٩٨٢ م .
- ٢ - محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع الإسلامى البنغالى ، مكتبة الأزاد للطباعة ط ١ ، عام ١٩٦٥ م .
- ٣ - شودرى شمس الرحمن : حقائق عن التصوف : جمعية البحوث الباكستانية ، دهاكا ط ١ ١٩٧٠ م .
- ٤ - منكرات الشيخ نور محمد الاعظمى : ترتيب وتبويب ، س ، م عزيز الحق الأنصارى المؤسسة الإسلامية ، دهاكا ، بنغلاديش عام ١٩٦٥ م .
- ٥ - عبد المنان طالب : المسلمون فى بنغلاديش ، المؤسسة الإسلامية ، دهاكا ، ط ١ ١٩٨٠ م .
- ٦ - عبدالحى الحسينى : نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر : مجلس دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد دكن ط ٢ ، ١٩٦٢ م .

قبولهم للإسلام وتعاليمه أن يعيشوا بالأخوة والمحبة ، متمسكين بحبل الله المتين على سبيل الحق والرشاد .

ومما لأمريّة فيه أن الفضل كله فى انتشار الإسلام فى منطقة البنغال يعود إلى دعاة المسلمين من العرب والعجم الذين تشبعوا بنور الإيمان والعقيدة السمحة ، وبذلوا جهوداً فردية وجماعية فى نشره فى كل بقعة نزلوا فيها وفى كل مكان أقاموا فيه .

خلاصة الكلام :

إن انتشار الإسلام ودعوته فى بقعة البنغال يعود فضله إلى هؤلاء الدعاة والوعاظ من العرب والعجم الذين تشبعوا بروح الإيمان ، وأخلصوا العمل لله عزوجل ، وبذلوا جهوداً فردية وجماعية فى نشر هذا الدين وأوصلوه إلى أماكن متناثرة وأصقاع بعيدة . فإن لم تبذل تلك المجهودات ولم يهتم فى توسيع رقعة الدين الحنيف آنذاك ، لكانت المناطق كلها فى ظلمة الكفر والشرك ، وما كان سكانها يعرفون عن التوحيد والقرآن والرسالة شينا ولكن الله سبحانه وتعالى قد رحمهم فهداهم إلى الصراط المستقيم بقدم هؤلاء الدعاة وخدماتهم العظيمة ، لنشر الإسلام وإصلاح عقاندهم ، وتجميعهم على كلمة الحق سبحانه وتعالى .

ونلخص تلك الخدمات الجليلة فى النقاط التالية :

أولاً: إن الظروف السياسية والاجتماعية التى كانت سائدة فى أصقاع الهند كلها قبيل ظهور الإسلام ، كانت سيئة للغاية ، فالجاهلية بجميع ألوانها وأوصافها كانت موجودة فى المجتمع الهندى ، كما هو شأن الجزيرة العربية قبل الإسلام ، كما أن سعادة الإنسان وكرامته كانت مؤودة فى صراعات بين ديانة الهندوسية والبوذية و كان الناس يعمدون إلى عبادة الأشجار والأحجار بالإضافة إلى الآلهة القديمة الخرافية المتعددة .

وظلت عقائدهم مليئة بالخرافات والخزعبلات ، وفى وسط تلك الأوضاع والظروف كانت مبادرة العمل بالدعوة والتبليغ فى مجتمع يعيش فى الجاهلية المحضة صعبة للغاية ، فالسبل والمنافذ التى سلكها هؤلاء الدعاة محفوفة بالمخاطر والمهالك ، ولكنهم مع كل هذه العقبات والطرق غير المعبدة واصلوا سيرهم المقدس غير متخاذلين أو متقاعسين ، بل تقدموا وتحركوا فى سبيل إنجاز مهمتهم التى من أجلها كان سبب القدوم ، وكان هدفهم الحصول على الرضا والثواب من الله سبحانه وتعالى ، ومن ثم أدوا فريضة التبليغ التى جعلت على عواتق أخيار هذه الأمة بعد وفاة رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .

ثم إن هؤلاء كانوا يريدون إسعاد أنفسهم بتلك البشارة التى بشر بها أمته بغزو الأراضى الهندية التى ذكرناها سابقا ، ولو كان لهم أدنى غرض فى طلب المنافع الدنيوية وكسب السمعة والشهرة لما تحملوا المشاق والمتاعب ولما نجحوا فى المهمة ولما انتشر الإسلام فى أصقاع شبه القارة الهندية ، وقد حث القرآن الكريم إلى القيام بعمل التبليغ والدعوة ، فقال عز وجل من قائل : ﴿ قَالُوا نَفَرْنَا مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾ (١) .

ثانيا : إن الإسلام دين عقيدة وأخلاق ، فإذا كان هذا يعلمنا عقيدة التوحيد والعبادة لله عز وجل ، ويحذرننا من الشرك والكفر والإلحاد فإنه يعلمنا أيضا حسن الأخلاق والسلوك ، وحسن الآداب والمعاملات كما يشجعنا على الصدق والمروءة وعلى الأخوة والمحبة والعفو والتسامح .

فإذا نظرنا إلى هؤلاء الدعاة والوعاظ وإلى سيرهم نجدهم قد اتخذوا القدوة الحسنة كوسيلة رئيسة في دعوة الناس إلى التوحيد وجمعهم تحت لواء الإسلام ، ذلك أن النفوس لا تتأثر بدعوة أو كلام إلا إذا كان الداعي أو المبلغ متحلياً بالقدوة الحسنة والسيرة الطيبة ، وعند دراستنا عن وضع أهالي البنغال تاريخياً وحضارياً وإجتماعياً نجد أن معظم السكان في المنطقة اعتنقوا الإسلام لما رأوا في الدعاة من سمو الأخلاق وحسن السلوك والآداب ، وبشاشة الوجه ، ولين الكلام والعفو والتسامح .

فالمسلمون عموماً والدعاة والعلماء خصوصاً مأمورون بالتحلى بالقدوة الحسنة والسلوك الحسن ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ (١) .

قال الشوكاني رحمه الله " الأسوة الحسنة هي القدوة الحسنة " (٢) وكان النبي صلى الله عليه وسلم وهو خير داع إلى الله تعالى متحلياً بها ، وكان يحث أصحابه رضوان الله عليهم أجمعين على التحلى بحسن الخلق والآداب والسلوك ، كما ورد في الحديث النبوي الشريف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ((مَا مِنْ شَيْءٍ أَثَقَلَ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ)) (٣)

ثالثاً : إن هؤلاء الدعاة كانوا يتمتعون بنور العلم والمعرفة ، بغض النظر عن تفاوتهم في المستوى العلمي ، والإسلام يحث الناس على العلم النافع والعمل به ، وجعل الإسلام علماء الدين ورثة الأنبياء ، فهم مكلفون بنشر هذا العلم ونقله من جيل إلى جيل ، وحذرهم الله من كتمانهم والتساهل في نشره ، فعن ابن مسعود رضي الله عنه ، قال :

-
- (١) سورة الأحزاب آية ٢١ .
 (٢) الشوكاني : فتح القدير ٢٧٠/٤ ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
 (٣) رواه البخاري عن أبي هريرة .

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ((نَضْرًا لِلَّهِ أَمْرًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا ، فَبَلَغَهُ كَمَا سَمِعَهُ ، قَرِيبٌ مُبْلَغٌ أَوْ عَمِيٍّ سَامِعٌ)) (١) .

ويقول صلى الله عليه وسلم : ((مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكْتَمَهُ ، أَلْجَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامِ النَّارِ)) (٢) ، وكان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه رضوان الله عليهم في نقل العلم من جيل إلى جيل ومن شاهد إلى غائب ومن مكان إلى مكان ويتضح ذلك في خطبة حجة الوداع ((لِيُبْلَغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ)) (٣) .

وامتثالاً لهذا التوجيه المبارك وحرصاً على المثوبة من الله في نشر العلم فقد أنشأ هؤلاء الدعاة والوعاظ عدداً كبيراً من الجوامع والمراكز العلمية والكتاب ودور الضيافة والزوايا وكانوا يدرسون القرآن والأحاديث والعلوم الدينية الأخرى فيها وأفادوا الآفا من أبناء المسلمين كانوا يتجمعون فيها ويتلقون الدروس منهم ، ثم ينتشرون لنشره في المناطق البعيدة ، وما زالت آثار تلك المراكز موجودة إلى اليوم " فلولم يقيم العلماء الأفاضل برحلات علمية إلى هذه المنطقة الهندية لما وصل إلينا علم الحديث حتى اليوم " (٤) .

رابعاً : مخاطبة الناس بلغتهم ولهجتهم وعلى قدر عقولهم ، وقد قام هؤلاء العلماء الدعاة بمراعاة الجوانب المذكورة عند أدائهم للدعوة والتبليغ واستلهموا ذلك الهدى من الحديث الشريف " لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذاً وأبا موسى الأشعري رضي الله عنهما إلى اليمن ، قال لهما : ((يسروا ولا تعسروا ، وبشروا ولا تنفروا)) (٥) .

(١) رواه الترمذی : و قال هذا حديث حسن صحيح .

(٢) رواه ابو داود والترمذی ، قال الترمذی : حديث حسن .

(٣) رواه البخاری ، عن أبي بكرة عن أبيه ، كتاب العلم .

(٤) انظر : د/محمد اسحاق " علم حديث مين باك و هند كاحصة " [علماء الحديث في الهند

وباكستان ص ١٧ ، إدارة الثقافة الإسلامية ، لاهور ١٩٧١ م .

(٥) رواه البخاری عنه سعد بن أبي بردة : كتاب المغازی .

وقال أيضا : ((إنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين)) (١) .

فهؤلاء الدعاة من أهل العلم والمعرفة لما قدموا إلى مناطق البنغال والمجاورة لها أحبوا أن يختلطوا مع سكانها قبل كل شئ فتعلموا لغاتهم ولهجاتهم المحلية ، كما تعرفوا على عاداتهم وسلوكهم ، وحاولوا بهذه الوسائل التقرب إليهم وكسب ودهم ، ومن طبيعة الناس أنهم إذا رأوا غريبا يأتى إليهم ويختلط معهم ويتحدث بلغتهم ويحبهم ويتعاطف بهم فإنهم يكبرونه ويعظمونه ويرفعون شأنه ، وينصتون إليه ويطيعونه فى أوامره ونواهيه لذا نرى أن هؤلاء الدعاة عند ما كانوا يخاطبون الناس وينادونهم كان الناس يجتمعون ويلتقون حولهم ويصغون إلى ما يقولون ويدخلون فى دين الله أفواجا متأثرين بحسن كلامهم وأسلوب بيانهم ، حتى أن بعض الحكام المحليين قد انضموا إلى المعتنقين للإسلام بمجرد الاستماع لكلماتهم .

سادسا : كان صلاح العلماء وإخلاصهم وتقواهم سببا لنشر الإسلام ، وقد ظهر على أيديهم بعض الكرامات (٢) كما يدعى نفر من الباحثين مما جعل كثيرا من الناس يدخلون فى دين الله أفواجا ،

- (١) رواه البخارى عن أبي هريرة : كتاب الوضوء .
 (٢) الكرامة : من الكرم : ضد اللوم ، فالكرامة : طبق يوضع على رأس الحب ويقال حمل إليه اكرامة " الجوهرى : الصحاح ٢٠٢١/٥ ، ت عبد الغفور عطار " .
 قال ابن تيمية : " وإن كان اسم المعجزة يعم كل خارق للعادة فى اللغة ، وعرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وغيره ، ويسمونها آيات ، ولكن كثيرا من المتأخرين للعادة " مجموعة الرسائل والمسائل ٢/٥ .
 قال بعض العلماء : إن المعجزة هى ما يجرى الله تعالى على أيدي الرسول أو الأنبياء من خوارق العادات المستلزمة بالتحدى .
 وأما الكرامة : فهى ما يجرى الله تعالى على أيدي أوليائه من المؤمنين من خوارق العادات دون اقتران بالتحدى ولا بدعى النبوة .
 انظر : عبد العزيز السلمان : الأسئلة والأجوبة على العقيدة الواسطية ص ٣٤٩ ، ط ٨١ .

ولكن مما يجب أن ننبيه عليه فى هذا المجال أنه ينبغي أن تكون أقوال وافعال صاحب الكرامة موافقة للشريعة وصاحبها ، فإذا كانت مطابقة لها فهى حق وصدق ، وإن كانت مخالفة لشي من ذلك فليعلم أنه مخدوع أو مستدرج قد طمع فيه الشيطان فلبس عليه .

يقول العلامة ابن تيمية : " وجميع ما يؤتیه الله تعالى لعبده من هذه الأمور إن استعان به على ما يحبه الله ويرضاه ويقربه إليه ويرفع من درجته ويأمره الله به ورسوله ، ازداد بذلك رفعة وقربا إلى الله ورسوله ، وعلت درجته ، وإن استعان به على ما نهى الله عنه ورسوله كالشرك والظلم والفواحش استحق بذلك الذم والعقاب ، فإن لم يتداركه الله تعالى بتوبة أو حسنات ماحية وإلا كان كأمثاله من المذنبين " (١) .

وذكر فى كتب التاريخ - والله أعلم - أن معظم الناس من أهالى المنطقة البنغالية رعاة أو حكاما دخلوا الإسلام متأثرين بالكرامات التى قد أظهرها الله تعالى على أيدى الدعاة كأمثال الشيخ نعمة الله الملقب " كاسر الأصنام " ، ويحكى عنه أنه ذات يوم خرج من البيت ودخل معبدا هندوسيا كان الهنادكة يعكفون حول الأصنام ، ويدقون الطبول والمزامير بصوت عال فمنعهم من ذلك إلا أنهم اصرروا على ذلك العمل فوقف الشيخ وأذن بصوت مرتفع فتكسرت الأصنام والآلهة المزعومة التى كانت داخل المعبد ، فخر الناس ساجدين لله وآمنوا به ، وتخلوا عن الهندوكية (٢) ، وكذا الشيخ سلطان الرومى لما تأمر حاكم عصره على قتله دعاه إلى القصر ، وقدم له كأسا من الشراب المخلوط بالسّم ، شرب الشيخ ذلك الشراب بعد قراءة الدعاء المأثور عليه ولم يصب بأذى فلما رأى الناس ذلك الحدث الغريب تعجبوا منه ، فأسلموا على يديه ونطقوا كلمة الشهادة (٣) وقد ذكر

(١) ابن تيمية : الفرقان بين أولياء الرحمن ص ١٣٥ ، دار المدنى للطباعة جدة .

(٢) عبد المنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص ٨٨ .

(٣) نفس المرجع ص ٧٠ .

المؤرخون بعض كرامات الشيخ جلال الدين اليمنى وهى كثيرة وذكر بعضها الرحالة ابن بطوطة فى مذكراته السياحية (١) *
وهذه الخوارق للعادات استشهد بها المؤرخون الهنود والسؤال هنا هل حدثت فى الواقع أم أنها مجرد أساطير اختلقها الناس من عند أنفسهم ؟
والجواب أن ذلك لا يعلمه أحد إلا الله العليم الخبير، ذلك لأن كتب التاريخ المتعلقة بهذه المنطقة بالذات معظمها قد ألفت بعد قرن أو نصف قرن *
وإن الذين ألفوا هذه الكتب بعضهم من الهنادكة وبعضهم من المسلمين ممن قل علمهم فى الدين والعقيدة ، فليس بإمكاننا تصديق هذه الكرامات و أخذها بعين الاعتبار، إضافة إلى ذلك أن هؤلاء العلماء والمشائخ وإن كانوا مخلصين فى الدعوة إلى الله ، وحريصين على اتباع الكتاب والسنة وهذا مما لا شك فيه إلا أن هناك بعض الأخطاء كانت فيهم وتؤخذ عليهم كالعزلة وحبهم للفقر واللباس الخشن وعدم الزواج وغير ذلك من الخصال التى توجد فى الصوفية ، والتى لا تتفق مع الإسلام وكان رسولنا عليه الصلاة والسلام شاهدا ومبشرا ونذيرا مع ذلك كان يأكل الطعام ويمشى فى الأسواق ويصوم ويفطر ويقوم من الليل وينام ويتزوج النساء فهذه سنة من سننه صلى الله عليه وسلم فمن رغب عنها فليس منه ، قال الله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ﴾ (٢) فالمطلوب من المسلم التوازن بين الحياة الدنيوية والحياة الآخروية ، " فلم يطلب الإسلام من الفرد المسلم المؤمن أن يكون راهبا فى ديرة أو عابدا فى خلوة ، ليله قائم ونهاره صائم ، كل صمته فكر ، وكل كلامه ذكر وكل نظره تأملات ، لاحظ له فى الحياة ولا حظ للحياة فيه " (٣)
يقول الله تعالى أيضا:

-
- (١) ابن بطوطة : عجائب الأسفار " اردو " ٣٨٥، ٣٨٣/٢
(٢) سورة القصص آية ٧٧
(٣) د/ يوسف القرضاوى : العبادة فى الإسلام ص ١٨٥ ، مكتبة وهبة/ القاهرة ط ١٥

﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١)، وهدى المسلمون إلى ذلك التوازن الجميل بين الدنيا والآخرة وبين الاهتمام بمطالب الجسد ، والاهتمام بمطالب الروح (٢) .

وقد ورد الحديث في هذا الموضوع وهو أجلى الشرح لما ورد في الآيات القرآنية ، عن أنس بن مالك رضى الله عنه أنه قال : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا: وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال أحدهم: أما أنا فإني أصلى الليل أبدا ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا ، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ((أتمم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله واتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأزكو وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني)) (٣) .

سابعاً : كما عرفنا من خلال دراسة الموضوع أن من بين هؤلاء الدعاة والوعاظ الذين قدموا إلى هذه المنطقة من كانت لهم صلة بعلماء التصوف الذين كانت بعض البلاد العربية من الشام والعراق مقرا لهم ، بالإضافة إلى بعض المناطق الفارسية ، ولكل منهم فيها مدارس خاصة يتجمع الناس حولها ، ويتلقون منهم الدروس الصوفية ، ثم ينتشرون

(١) سورة الجمعة آية ١٠ .

(٢) محمد قطب : رؤية إسلامية لأحوال العالم الإسلامي ص ٢١٨ ط ١ دار الوطن للنشر

الرياض " ١٤١١ هـ ١٩٩١ م " .

(٣) رواه البخارى كتاب النكاح ، باب الترغيب فى النكاح ، ورواه أيضا المسلم فى صحيحه

كتاب النكاح الحديث رقم ٦ .

منها إلى آفاق العالم ، وكانوا يهتمون بالتصوف أكثر من الإهتمام بالعلوم الشرعية والتي كان من المفروض أن تكون الأصل والنبع الذى يصدر منه ولكنهم كانوا يتعمقون بالتصوف دون الاهتمام بدراسة الشريعة الإسلامية بمرحلتها وكانوا يعرفون منها علما سطحيا .

وبسبب نقصهم فى العلم الشرعى وقلة الإهتمام به نجد أن كثيرا منهم لم يقوموا باصلاح الأمة من البدع والخرافات والعقائد الفاسدة التى توارثوها من العصور الماضية ، بل إن معظم أوقاتهم وأعمارهم قضوه بالتعبد فى الأذكار والأوراد بالاضافة إلى تزكية النفوس بالرياضات الروحية والنفسية الخاصة بالصوفية ، وهذا السبب من أهم الأسباب التى من أجلها انتشرت الصوفية فى المنطقة وقويت دعائنها واحتلت مكانتها فى نفوس المسلمين .

وكان الشيخ جلال الدين اليمنى المجرى قد قضى حياته متبتلا ، ولم يتزوج فى حياته أبدا ، بل قضى حياته وأفناها فى سبيل خدمة الدين والدعوة الى الله ولقضاء حياته متبتلا حتى لقب " المجرى " (١) .

ويقول ابن بطوطة عن حياته : أنه كان يقضى طول الليل فى التعبد والصلاة وهو قائم على قدميه ، كما كان يصوم صوم الوصال حوالى أربعين سنة متتالية ولا يفطر أبدا أثناء الصوم إلا بعد عشرة أيام ، ولا يشرب إلا كاسا من حليب البقر (٢) وهكذا معظم الوعاظ القادمين إلى هذه المنطقة

(١) شوبرى شمس الرحمن : حقائق عن التصوف البنغالية ص ١٨١ جمعية البحوث العلمية
داكا ط ١ ١٩٧١ م .

(٢) انظر : ابن بطوطة : عجائب الأسفار (اردية) ٢/ ٣٨٣ .

كانوا يحبون العزلة ، ويمكنون فى الزوايا ، ويتعبدون فيها ويعظون الناس وينصحونهم ، والقليل منهم قد تزوج وعاش فى حياة أسرية وشارك فى العمل الإجتماعى وفى إصلاح الحكم والأخذ بيده بعيدا عن الانحرافات .

هذا وثمة أشياء أخرى توجد عند هؤلاء الدعاة والوعاظ يجب نقدها والتنبيه عليها ، وهذا النقد الموجه اليهم قد يكون ضروريا مهما كان العالم كبير الشأن وصاحب الشرف و الفضل وذلك من أجل مصلحة الدين والعقيدة .

وذلك لا ينقص شيئا من خدماتهم الجائلة التى قدموها للأمة الإسلامية ولا يخرجهم من دائرة المصلحين فلا ننسى أن لهم الفضل بعد الله فى دخول الإسلام إلى أرض البنغال .

المبحث الثالث

فـ

دور السلاطين المسلمين فـ نشر الإسلام

نحن المسلمون نؤمن بأن ديننا الإسلامي الحنيف دين منزل من عند الله تبارك وتعالى ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، فهو منهج حياة بكل مقوماتها يشمل الأسس التنظيمية التي تقبل التحقيق والتطبيق ، وهي تنبعث من الاعتقاد الحق وتجعل له صورة واقعية متمثلة في حياة البشر .

ويشمل هذا التنظيم جوانب عدة منها: الجانب الإقتصادي ، والجانب السياسي والجانب الأخلاقي والاجتماعي والدولي وغير ذلك من الجوانب المتعددة في حياة الناس .

ولقد فطر الله الإنسان في هذه الدنيا ليكونوا خلفاء لله في الأرض بإقامة دينه الحنيف بصورة متكاملة ويؤدوا مسئوليتهم التي تعلموها من أنبيائهم ورسلمهم ، وكان الرعيل الأول من المسلمين قد حققوا هذه المهمة بإنشاء أول دولة إسلامية مثالية في المدينة المنورة طبقوا الشريعة الإسلامية بها في واقع المجتمع حتى صار مجتمعا مثاليا بين مجتمعات العالم .

ومن خلال تلك المميزات تمكن المسلمون الأوائل من السيطرة على معظم أقطار الكرة الأرضية . وبعد فتوحاتهم الشاملة والشاسعة جعلوها تنضم إلى هذه الدولة الإسلامية الأم ، ولم يكن قصد المسلمين بهذه الفتوحات احتلال الأراضي واستبعاد أهلها كما هو شأن الاستعمار وشيمة القوات التوسعية ، بل كانت فتوحات المسلمين من أجل نشر وإعلاء كلمة الله ، وتخليص الناس من عبادة الطواغيت إلى عبادة الله الواحد الذي لا ندله ولا ضد له ولا نظير له ، هذه مهمة أساسية للمسلم المؤمن في هذه الحياة الدنيا ، وكان هذا هو شأن أولئك السلاطين المسلمين الذين جاءوا إلى شبه القارة الهندية ليفتحوا أراضيها .

فالأمر الذى حملهم على هذه الفتوحات هو إنقاذ الناس من براثن الوثنية والبوذية التى استبعدتهم منذ فترة طويلة وجعلتهم ضحايا للصراعات القائمة بينهما، تحت وطأة الظلم والحرمان، كالعبيد الزنوج فى عهد الرومان .

وكان هؤلاء السلاطين المخلصين فى هذه المهمة ، يريدون إدخال الناس فى الدين ، وتوسيع دعوة الإسلام إلى كافة البقاع ، كما كان من أهم أهدافهم استرداد حقوق المظلومين والمحرومين من الناس ، وحل مشاكلهم الإقتصادية والاجتماعية العادلة . نعم وجد أن بعض هؤلاء السلاطين والملوك المسلمين ، لم يمارسوا التطبيق الصحيح والكامل للشرعية الإسلامية على ذواتهم وأسرهم ، لكنهم مع هذا التقصير ، كانوا حريصين على اتساع رقعة الأراضى الإسلامية ، وتوسيع دعوة الدين فى المنطقة التى لم يسبق وصول الإسلام إليها (١) .

" وقد بدأ الفتح الإسلامى فى الهند عن طريق أفغانستان والمناطق الجبلية بيد السلطان محمود الغزنوى من نحو عام ٣٩٢هـ / ١٠٠١م .

فقد استمرت ثغور الملوك والفاثحين من الأفغان والترك والمغول وغيرهم من الذين فتحوا بلاد الهند وأسسوا فيها ممالك وحكومات للمسلمين، واستمرت دولة المسلمين فى شبه القارة الهندية زهاء ثمانية قرون " (٢) .

وأول فتح قام به المسلمون فى القارة الهندية بعد الفتح العربى فى السند هو ما قام به السلطان محمود الغزنوى (٣) فى نحو عام ٣٩٢هـ / ١٠٠١م ثم تابع حملاته وانتصاراته بعد ذلك حتى قامت الدولة الغزنوية فى الهند .

(١) عبد المنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص ١٢ . (بنغالية)

أيضا : عبد الكريم : تاريخ الحكومات الإسلامية ص ٥٣ . (بنغالية)

(٢) د/ محى الدين الألوى : الدعوة الإسلامية وتطورها فى شبه القارة الهندية ص ١٨٥

ط : دار القلم / دمشق ١٣٩٠هـ .

(٣) الغزنة : منطقة معروفة فى أفغانستان .

وخير ما يوصف به ما اعترف المؤرخ الغربى غوستاف لوبون : " إن الفتوحات التى تمت على يد محمود الغزنوى ، كانت ذات طابع دينى وسياسى ، وأن محمود الغزنوى كان مسلما ، متينا فى عقيدته وتواقا إلى رفع الشريعة الإسلامية ، فأعلن فى كل مكان أنه ناشر لدين الإسلام وحضارة العرب ، فأنعم عليه خليفة بغداد بلقب يمين الدولة " (١) .

واستمر حكم الغزنويين فى الهند إلى نحو عام ٥٨٢هـ / ١١٨٦م ، ثم تتابعت على شبه القارة الهندية دول المسلمين واحدة بعد أخرى فقامت فيها الدولة الغورية تحت زعامة شهاب الدين الغورى الذى استولى على الحكم من خلفاء محمود الغزنوى ، بعد أن تسرب الضعف والتأخر الداخلى إلى صفوفهم ، فكان شهاب الدين بفتوحاته وانتصاراته يشبه إلى حد كبير بالسلطان محمود ثم قامت فى الهند دولة المماليك ، إذ استقل " قطب الدين ايبك " أحد قواد المماليك فى عهد الحاكم الغورى محمود بن غياث الدين .

وفتح قطب الدين مدينة دلهى فى سنة ٥٨٩هـ ١١٩٣م واتخذها عاصمة لدولته ، وهو الذى بدأ تشييد منارة قطب التاريخية فى دلهى تخليدا لذكرى انتصاراته كما بنى مسجداً قوة الإسلام بجوار المنارة .

(١) غوستاف لوبون : حضارات الهند ص ٢١٨ ترجمة عادل زعتر ، الحلبي ، مصر

واستمر حكم المسلمين فى البلاد الهندية نحو ثمانية قرون ونصف قرن منذ أن فتحها المسلمون على يد محمود الغزنوى إلى انتهاء غروب شمس حكم المغول فيها بأيدي الانجليز سنة ١٢٧٢هـ-١٧٥٧ م ، وبذلك دخل شبه القارة الهندية رسميا فى مستعمرات التاج البريطانى (١) .

لقد بدأ الفتح الاسلامى لمنطقة البنغال فى أواسط القرن الثالث عشر الميلادى عندما اقتحم جيش السلطان محمود الغزنوى أرض شبه القارة الهندية بطريق الجبال الشمالية الغربية (٢) ثم تتابعت بعده غزوات عديدة قام بها المسلمون عن طريق البر ، حيث إنهم ساقوا جيوشهم من بلاد فارس وأفغانستان وتركيا ، لم يكن غرض هؤلاء توسيع الأراضى فحسب بل أرادوا بها تبليغ الإسلام ونشر تعاليمه فى سائر البنغال ، ومن خلال ذلك لم يغفلوا عن استتباب الأمن وتحقيق الاستقرار فى المنطقة ، ووفروا للناس جميع متطلباتهم واحتياجاتهم ، يريدون بذلك جذب النفوس إلى الإسلام وخلق المحبة له فيهم ، ولهذا فلا يقل دور أولئك السلاطين والحكام فى نشر الإسلام فيها عن ساهم فى هذا المجال من العلماء والمشائخ والوعاظ . وسنذكر هنا تلك الخدمات الجليلة التى قدموا لأهالى المنطقة :

١ - السلطان محمد مختيار خلجى (٣) : هو أول من قدم فاتحا وظافرا إلى

البنغال وأصله من " شيسان " بفارس ، كان مسلما ورعا وشجاعا وعارفا

-
- (١) غوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٣١٨ .
(٢) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ٦ .
(٣) محمد بختيار خلجى " ت ٦٠٢ هـ ١٢٠٥ م " معجم الأنساب والاسرة الحاكمة فى التاريخ الإسلامى " للمستشرق الدوارد فون زامباوہ ص ٢١٠ مطبعة جامعة فؤاد الأول ١٩٥١ م .

بالسياسية الحربية ومحبا للاستطلاع ونشر الدين ، مما دفعه إلى التوجه نحو القارة الهندية ليجعلها في حوزة المسلمين ، أرسل جيشه الإسلامي بقيادة السلطان قطب الدين أيبك حاكم دلهي ، إلى شرقي البنغال .

فدخلوها فاتحين دون إهراق دم ولم تقف في وجههم السلطات الهندوسية ، التي اضطرت للهروب خوفا من الغزاة المسلمين ، وأول ما عمله السلطان خلجي في البنغال أنه جعل مدينة لكنوتى (١) عاصمة لها سنة ١١٠٣م وبعد استكمال الفتح لبعض أجزاء البنغال مكث السلطان خلجي في العاصمة " لكنوتى " بغية استحكام السلطة فيها ، وبإحدى ذى بدء قام السلطان بعد فتح البنغال بإنشاء الجوامع والمساجد والمعاهد الدينية في مختلف أنحاء ، وجعل لأبناء المسلمين مناهج تعليمية على ضوء الكتاب والسنة كما بنى فيها البيوت العديدة على نفقة الدولة للنزلاء والفقراء والمساكين (٢) .

وكان السلطان خلجي شديد الكراهية للوثنية ، إذ يعتبرها الأشد خطرا على المجتمع الإسلامي وعلى المناطق المفتوحة التي جعل الله للمسلمين في المنطقة فأمر بهدم جميع المعابد والصوامع الخاصة لها ، وبالرغم من شجاعته وقوة بطشه كان يكره إراقة الدماء دون سبب حتى ولو كانت دماء غير المسلمين ، وكان حريصا على إقامة العدل والمساواة بين الرعاة والمواطنين ، وأراد بختيار بعد استحكام سلطانه في البنغال أن يواصل الغزو الإسلامي في المناطق الشمالية منها ، ولكن لم يمهله ولم يتمكن من ذلك حيث ضعفت أحواله وتدهورت صحته ، إلى أن وافته المنية وهو متربع على العرش (٣) .

(١) منطقة تقع في البنغال الهندية .

(٢) د/ عبد الكريم : تاريخ الحكومات الإسلامية في شبه القارة الهندية ص ٣٨-٣٩ .

(٣) د/ عبد الكريم : تاريخ الحكومات الإسلامية في شبه القارة الهندية ص ٣٩ مجمع الأدب

البنغالي ، دهاكا ، ط ١ ١٩٧٤م .

وكانت رئاسة البنغال بعد وفاة بختيار خلجى خاضعة للسلطات المركزية بدلهى فى فترة ما بين عام ١٢٦٠ م وعام ١٣٣٨ م ، أى حوالى اثنتين وثلاثين سنة حكمها ثلاثة وعشرون سلطانا يتم تعيينهم من قبل الحكومة المركزية بدلهى، إلا أنها كانت مستقلة تماما فى إدارة شئون الرئاسة وتنفيذ الأحكام فيها دون أى تدخل من القيادة المركزية (١) .

وعلى كل حال فإن هذه الفترة الطويلة تعتبر فترة ازدهار للحركة الإسلامية فى البنغال، وهؤلاء الحكام والسلاطين الذين قدموا من بلاد فارس وتركيا وغيرهما دفعهم نحو الأرض البنغالية شدة حبهم للإسلام وعقيدة التوحيد، وكانوا حريصين على إقامة نظام إسلامى ونصب راية التوحيد على أرضها . وبهذا الحرص الطيب والحماسة المخلصة للدين لم يدخل فى نفوسهم ما دخل فى نفوس رجال السلطات المركزية من المغول وغيرهم الذين حكموا الهند طيلة ثمانية قرون ، من الترف والبذخ والضعف والمهانة ، بل كانوا متحليين بالأوصاف الحميدة التى ينبغى أن يتحلى بها الملوك والسلاطين المسلمون، وبفضل ذلك القدر من الاخلاص والصدق للدين والعقيدة أعانهم الله فى مهمتهم ونصرهم فى نشر الدين فى سائر البنغال .

٢ - السلطان غياث الدين يوزشاه :

حكم سلطان غياث الدين منطقة البنغال زهاء أربعة عشر عاما وعنى أول ماعنى بتسهيل مهمة نشر الدعوة الإسلامية فى المنطقة ، وكان يشجع العلماء والمشائخ والوعاظ بتقديم مكافأة مغرية لهم ويبعثهم إلى أنحاء البلاد وكان يكرمهم ويقربهم ويستقبلهم بحفاوة وتكريم باعتبار أنهم صفوة الناس وورثة الأنبياء وقد أنشاء السلطان يوزشاه فى حياته معاهد دينية ومساجد وجوامع فى أرجاء البلاد لتوسيع تعاليم الإسلام فيها ، ومن أجل تسهيل

(١) عبد المنان طالب : الإسلام فى بنغلاديش ص ١٤١ .

الاتصال والمواصلات بين أنحاء المنطقة أنشأ طرقاً معبدة كثيرة .
٣ - السلطان اختيار الدين (الزبك) : استولى على الحكم في البنغال

وبعد توليه الحكم قاد المعركة التي احتدمت بين الهندوكيين الحقودين بقيادة " راجه نرشن " وبين المسلمين ، فانتصر المسلمون وانهزم راجه نرشن وجنوده ، ورفعت راية الإسلام في " جاج نغر " (١) .

وكان السلطان أزبك حريص على توسيع الدولة المسلمة لنشر الإسلام إلى سائر المنطقة وقد قدم من أجل ذلك خدمات عظيمة رغم معارضة المجتمع الهندوكي له ، وأخيراً اغتيل السلطان بأيدي الغدروا للزوم .

٤ - السلطان مغيث الدين : تولى السلطة في البنغال في عام ٦٧٠هـ ١٢٧١م

بموجب تعيينه من قبل غياث الدين بلبن ، حاكم دلهي ، ليحكم البنغال (٢) .
وقد استمر في الحكم اثنتا عشرة سنة جعل من خلالها مدينة " سورناركاون " عاصمة للبنغال ، حيث أنشأ فيها معقلاً حصيناً لتدريب جيوش المسلمين كافة أنواع التدريبات العسكرية والحربية ومن ثم كان يرسلهم للفتوحات الإسلامية ، وقد وصل جنوده إلى أقصى شرق البنغال وهم يحملون لواء الإسلام (٣) .

كان السلطان مغيث الدين حسن الخلق ولين الكلام ، يحبه الناس ويقدرّون شأنه ، كما أنه كان معروفًا بالعطاء والسخاء يبذل أمواله بلا حساب في مصارف الفقراء والمحتاجين سواء كانوا مسلمين أو من غيرهم ، ومما ورد من كثرة عطائه أنه كان يهب الدعاة والوعاظ مكافآت مالية تشجيعية تقدر قيمتها بخمسة أطنان من الذهب في سبيل الدعوة والتبليغ ، فأصبحت مكانته عالية عند الناس مرموقة لدرجة جعلته يفكر في أن يكون

(١) شري كويلاش شندر شنغ : تاريخ تريبورة ص ١١-١٢ ، كلكتا ١٨٧٦م .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) شري كويلاش شندر شنغ : تاريخ تريبورة ص ١٥ .

حاكما للبنغال مدى الحياة دون موافقة الحكومة المركزية بدلهى .
وبذلك فقد أعلن استقلال البنغال عنها، ولكن الأمور سارت فى غير صالحه
وانتهى الأمر بهزيمة جيشه أمام القوات التى بعثتها السلطات المركزية (١) .

٦ - السلطان ركن الدين فيقاوس : تولى الحكم ، فى البنغال واستمر

حكمه ما بين عام ٦٩٠هـ / ١٢٩١م و ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م وقد خدم الإسلام
أيام حكمه ومد يد العون لنشر الإسلام .

٧ - السلطان شمس الدين فيروز شاه : تولى أمر الحكم فى البنغال عام

٧٠٣هـ / ١٣٠٣م وقد حسن إسلامه ، وأعز الله الإسلام به .

بعث هذا السلطان جيشا من المسلمين بقيادة أحد وزرائه إسمه جعفر
خان غازى إلى شرق البنغال لإنجاد أهلها المظلومين والمقهورين
والمضطهدين من أيدي السلطات الهندوكية هناك ، ونجحوا فى مهمتهم تلك ،
ويعتبر الدور الذى قام به " فيروز شاه " أيام حكومته فى المنطقة
تاريخيا وهاما ، ويعتبر المؤرخون عصره من العصور الذهبية بالنسبة للفتح
الإسلامى بشرق القارة الهندية ، وكان دعاة عصره وعلمائه ساعدوه فى
تلك المهمة الجبارة (٢) وبفضل جهوده المتواصلة وإخلاصه فى العمل ، فقد
انتشر الإسلام فى سائر المناطق .

٨ - السلطان فضل الدين شاه والذين جاءوا من بعده ، أخذوا زمام

السلطة فى منطقة البنغال ، ظلوا عليها طيلة مائتى عام ، غير خاضعين
للسلطات المركزية ، يسكنون العمالات المعدنية للبلاد بأسمانهم وألقابهم ،
وترفع أسمائهم على المنابر فى خطبة الجمعة .

(١) د/عبدالكريم : الحكومات الإسلامية فى شبه القارة الهندية ، ص ٥٩ ، ط ٢ ، ١٩٧٤ ، مجمع
الأدب البنغالى / دكا .

(٢) جدونات سركار : تاريخ البنغال ، ج ٢ ص ٧٨ ، كلكتا/الهند .

وإلى جانب هذا فقد كانت الثروات والمحاصيل الزراعية المحلية تصرف في المنطقة دون إرسالها إلى السلطة المركزية (١) .

وفتح المسلمون في عهد فخر الدين شاه مناطق تشيتاكونغ وما يجاورها من المناطق السياحية والجبلية بشرقي البنغال ، وكان الرحالة الإسلامي ابن بطوطة يود مقابله ، ولكن حال دون ذلك خوفه من سخط حاكم دلهي " تغلق شاه " ، وذكر اسمه في كتابه المعروف بـ (عجائب الأسفار ، ويشيد فيه بخدماته في سبيل نشر الإسلام ، كما كان فخر الدين يحب مجالس العلماء ويتحدث معهم في العلم والأدب والدين ، ويستشيرهم في أمور الدولة ، وسبل الدعم لنشر التعاليم الإسلامية ، واستمر حكمه في البنغال حوالي اثنا عشر عاما ، وكان موضع تأييد من قبل الكبار والصغار والخواص والعوام ، وبلغت محبته إلى أن الوثنيين الذين يشكلون الأقلية في البلاد ، يدفعون الجزية للدولة برغبتهم دون إكراه (٢) .

وبعد وفاة السلطان فخر الدين ، تولى ابنه شمس الدين الياس شاه زمام السلطة مابين عام ٧٢٢ - ٧٥٠ هـ / ١٣٢٢ - ١٣٥٧ م ، وحكم البلاد لمدة سنتين (٣) فتح المسلمون في عهده مناطق في شمال البنغال وغربها بما فيها نيبال وجبال هملايا وهدموا جميع المعابد والصوامع وحولوها إلى مساجد ومراكز للتعليم الإسلامي ، كما بنى في حياته أكبر جامع في مدينة " بندوه " غرب البنغال .

(١) عبد المنان طالب : الإسلام في بنغلاديش ص ١٤٣ .

(٢) الرحالة ابن بطوطة: عجائب الأسفار > اردو < ص ٦١٢ .

(٣) عبد المنان طالب : الإسلام في بنغلاديش ص ١٤٦ .

ثم يأتى بعده دور السلطان غياث الدين أعظم شاه ، وكان فى أيام عهده معروفا بالعدالة ، إلى جانب أنه عالم وفقه فى الشريعة وامتد حكمه عشرين عاما ، وتعتبر هذه الفترة فترة ازدهار الإسلام ونموه ، وقد طبق الشريعة الإسلامية وإن لم يتوفر لدينا معلومات دقيقة حول كيفية التطبيق ، ولكن عند تتبع سيرته فى بعض كتب التاريخ نجد أنه أنشأ أول محكمة قضائية على أساس الكتاب والسنة ، كما أنه أقام مجتمعا على العدل والمساواة لأمثل له فى سائر الهند ، فالحكام والرعاة كلهم كانوا يقفون أمام المحاكم القضائية .

تلك نبذة عن تاريخ و دور الملوك والسلاطين المسلمين فى أرض البنغال الذين أسهموا فى نشر الإسلام وتعاليمه وأظهروا فيها نور الحق والهداية بعد أن كان المواطنون فى ظلمات الجاهلية والطغيان .



الباب الثاني

فـ

الصوفية : نشأتها وتطورها

ويشتمل على ستة فصول

- الفصل الأول : حقيقة التصوف ونشأته
وتعريف التصوف ومفهومه
- الفصل الثاني : نشأة التصوف
- الفصل الثالث : مراتب الصوفية وطبقاتهم
- الفصل الرابع : بين الحقيقة والشريعة
- الفصل الخامس : الأحوال والمقامات

**

الفصل الأول

فـ

حقيقة التصوف ونشأته

ويشتمل على ثلاثة مجلدات

المبحث الأول : التصوف مأخذه اللغوي

المبحث الثاني : معنى التصوف عند العلماء

المبحث الثالث : نقد وتحليل لمعنى التصوف



المبحث الأول

التصوف مأخذه اللغوي

كلمة الصوفي أو التصوف مأخوذة من الصوف ، وهو القماش المعروف المصنوع من أوبار الضأن وغيره " يقال : فلان يلبس الصوف أو القطن أى ما يعمل منهما " (١) قال ابن سيده : الصوف للغنم كالشعر للمعز ، والوبر للابل ، والجمع أصواف (٢) وقد يقال : الصوف للواحدة على تسمية الطائفة باسم الجميع (٣) .

وقد يستعمل الصوف فى معنى الميل والعدل ، فيقال : " صاف السهم عن الهدف " أى مال عنه ، أو كما يقال صاف عن الشر ، إذا عدل عنه (٤) وعند بعض العلماء : هى كلمة مولدة لا يشهد قياس ولا اشتقاق فى اللغة العربية (٥) بل هى جامدة غير مشتقة (٦) ثم غلبت على طائفة الصوفية لكونهم يرتدون زيا خاصا .

قال القشيري : " يقال : رجل صوفى ، وللجماعة صوفية ، ومن يتوصل إلى ذلك يقال له : متصوف وللجماعة متصوفة ، وليس لهذا الاسم من حيث العربية قياسا ولا اشتقاقا ، والأظهر أنه كاللقب (٧) .

-
- (١) الزمخشري : أساس البلاغة ص ٢٦٢ ، تحقيق عبد الحليم محمود ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت ١٣٩١ هـ .
 - (٢) مجد الدين الفيروز آبادي ، القاموس المحيط ١٦٩/٣ ط ١٣٧١ هـ ١٩٥٢ م مكتبة مصطفى الحلبي / مصر .
 - (٣) نفس المصدر ونفس الصفحة .
 - (٤) نفس المصدر والصفحة .
 - (٥) ابن منظور : لسان العرب ١١/١٠٢ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة .
 - (٦) دائرة المعارف الإسلامية : تعريب ، أحمد الشناوى وإبراهيم زكى ٢٦٥/٥ .
 - (٧) عبد الكريم القشيري : الرسالة القشيرية ٥٥٠/٢ دار الكتب الحديثة / القاهرة .

المبحث الثاني

مذهب التصوف عند العلماء

لقد حاول العلماء المحققون من الصوفية وغيرهم متابعة كلمة التصوف للوصول إلى مدلولاتها ومدى صحة نسبتها إلى وظائف معينة فبعضهم تكلم في ذلك لإيضاح الحقائق عند عامة المسلمين بعيداً عن التعصب والتحيز كالإمام ابن تيمية وابن القيم وابن الجوزي البغدادي وغيرهم من الأسلاف رحمهم الله تعالى ، أما البعض منهم فتحدثوا عن ذلك الموضوع حديثاً وضح فيه تعاطفهم وميلهم لتلك الطائفة .

وللباحثين في التصوف من حيث المأخذ والمعنى أقوال بعضها على حق وصواب وبعضها بعيد عنه ، لا يخلو من التخييلات والافتراضات التي لا وزن لها في الشريعة الإسلامية ، نذكر طرفاً منها :

القول الأول :

١ - يرى بعض العلماء أن كلمة التصوف نسبة إلى الصوف (١) وهو لباس خاص بالجماعة الصوفية أو الزهاد الذين يرغبون عن متع الحياة الدنيا ولذاتها الموهوبة من الله عز وجل لسائر العباد ، وذلك لأن لباس الصوف كان يكثر في الزهاد (٢) ، وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ورجحه في مجموع الفتاوى ، حيث يقول : " وقيل - وهو المعروف - أنه نسبة إلى الصوف ، فإنه أول ما ظهرت الصوفية في البصرة ، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبدالواحد بن زيد ، وعبدالواحد من أصحاب الحسن " ثم يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله : " وقد روى الشيخ الأصفهاني بإسناده عن محمد بن سيرين ، أنه بلغه أن قوماً يفضلون لباس الصوف ، فقال : إن قوماً يتخيرون الصوف ويقولون : إنهم متشبهون

(١) أبو بكر الكلاباذي : التعرف لمذهب التصوف ، ص ٢٩-٣٠ . تحقيق : عبد الحليم محمود وطبعه عبد الباقي

(٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ٥ ص ٢٦ - سبق بيانه - .

• بالمسيح بن مريم (١)

وقال الياقعى (٢): "إن لباس الصوف كان غالباً على المتقدمين من سلف الصوفية، لأنه أقرب إلى الخمول والتواضع والزهد، لكونه لباس الأنبياء" (٣) • ولعل الياقعى بهذا القول: يعتمد على حديث ابن عباس رضى الله عنهما حيث يقول :

" لقد سلك فج الروحان سبعون نبيا حجاجا، عليهم ثياب (٤) الصوف " (٥) • وحذا حذوه نجم الدين الكبرى (٦) فقال : " إنه لبس الصوف آدم وحواء، وإذا لبس أحد الصوف ، طالب من نفسه حقه ، لأن الصوف مركب من الأحرف الثلاث ، الصاد والواو و الفاء " (٧) •

-
- (١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٦-٧ مكتبة المعارف / الرباط / المغرب •
 - (٢) هو : أبو عبدالله محمد الياقعى الشاذلى ، الملقب بشيخ الحرمين ، ولد بمدينة عدن ، وتوفي بمكة المكرمة عام ٧٦٨ م ، ودفن بباب المعلى إلى جنب الفضل بن عياض •
 - (٣) أبو الفيض المنوقى : جمهرة الأولياء ج ٢ ص ٢٥٨ ، مؤسسة الحلبي وشركاه ط ١ ١٩٦٧ م •
 - (٤) د/ زكى مبارك : التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق ج ١ ص ٤٠ ، دار الجيل اللبنانية •
 - (٥) إن لبس الصوف فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وقبله ، لا يدل إلا على الفقر والعجز والضيق ، ولا يدل هذا على طائفة تنتسب إلى الصوف كما ورد فى حديث جابر بن عبدالله البجلي رضى الله عنه إذ قال : " جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عليهم الصوف ، فرأى سوء حالهم ، قد أصابتهم حاجة ، فحث الناس على الصنعة " رواه مسلم فى كتاب العلم •
 - (٥) الحاكم النيسابورى : المستدرک على الصحيحين ج ٢ ص ٩٥٨ ، ورواه أبوداؤد فى مسنده : كتاب اللباس ٢/٧ •
 - (٦) نجم الدين الكبرى هو : أبو عبدالله أحمد بن محمد بن عبدالله الخوارزمى ، الملقب بالطامة الكبرى ، المتوفى سنة ٦١٨ هـ ، وله مؤلفات كثيرة فى اللغة العربية والفارسية •
 - (٧) إحسان إلهى ظهير : التصوف : المنشأ والمصادر ص ٢٠ ، ط ١ عام ١٣٠٦ هـ / ١٩٨٦ م إدارة ترجمان السنة / لاهور •

وذهب الطوسي (١) إلى نفس هذا المعنى تقريباً فقال: " إن الصوفية ليسوا منفردين في علم دون سائر العلوم أو متصفين بحال من الأحوال والمقامات دون سواها ، بل إنهم معدن جميع العلوم ومستجمع جميع الأحوال والأخلاق المحمودة الشريفة ، فلذلك تتخذ ظاهراً مناهجاً للتسمية ونسبهم صوفية ، لأنهم يلبسون الصوف ، وارتداء الصوف كان دأب الأنبياء والصديقين والحواريين والزهاد (٢) .

وجاء في الحديث الشريف عن أبي موسى الأشعري أنه قال : ((كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويلبس الصوف ويأتي مدعاة الضعيف)) (٣) . وقال الحسن البصري: ((لقد أدركت سبعين بدويّاً كان لباسهم الصوف)) (٤) . وأورد الهجویری في كتابه ، أحاديث عديدة موضوعة ، تأييداً للباس الصوف لأهل التصوف منها: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من سمع صوت أهل التصوف فلا يؤمن على دعائهم كتب عنده الله من الخافلين)) (٥) . قلت : إن ما ورد هنا على لسان بعض الصوفية من بعض الأحاديث والآثار في لبس الصوف من قبل الأنبياء والصالحين ، لا نستطيع أن نجزم به حتى نعتقده أو نقول به ، إذ أن المسألة تحتاج إلى دراسة دقيقة في البحث عن الرواة والمتون ، والأمر الذي نجزم به هو أن لباس الصوف كان معروفاً وأنه يختص بهؤلاء الأتقياء .

- (١) أبونصر سراج الطوسي ، صاحب اللمع ، الملقب بطاؤوس الفقراء ت ٣٧٨ هـ .
 - (٢) أبو نصر سراج الطوسي : اللمع ص ٢٠-٢٢ : " : لين ١٩٣٤ م .
 - (٣) الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ، ص ٢٣ ، تحقيق : عبدالحليم محمود وطه عبدالباقى ١٣٨٠ هـ / ١٩٦٠ م / القاهرة ، ولم يرد هذا الحديث في كتاب الصحاح .
 - (٤) نفس المرجع ونفس الصفحة .
 - (٥) ويقول الحسن : " وهدى نبينا أحب إلينا ، وأنه صلى الله عليه وسلم لم يشرع هذا اللباس الصوف ولم يأمر به ، إلا أنه حدث جديد عن المتأخرين ، انظر : عبد القادر السندى: التصوف في ميزان البحث والتحقيق ، ص ٣٧، ط ١، ١٤١٠ هـ مكتبة إين القيم .
- (٥) علي الهجویری : كشف المحجوب ص ٢٢٧ ، دراسة وترجمة دكتورة إسعاد عبدالهادي فندیل ، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، لجنة التعريف / القاهرة .

والشيء المعروف عندهم أنه كان لباسا شائعا يستعمله العوام والخواص ، وليس من الشرع الذى أنزله الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا هو من قبيل السنة المطهرة ، وكان الحسن البصرى رحمه الله يقول فى اللباس بالصوف : " وهدى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أحب إلينا " معناه أنه صلى الله عليه وسلم لم يشرع هذا اللباس الصوفى ولم يأمر به إلا أنه حدث جديد عند المتأخرين (١) وكان الإمام مالك بن أنس العامرى رضى الله عنه ينكر لباس الصوف ويقول : " لأن اخفاء العمل أولى ، ولم ينحصر التواضع فى لبسه " (٢) كما يدل على أنه يكره هذا اللباس كراهة شديدة ، لو كان اللبس الصوفى جزء من الشرع لوجد ذلك فى الأحاديث النبوية لكونه من فقهاء المدينة الأجلاء ، ثم إن الروايات عن الصوف ولبسه الذى ورد ذكره فى كتب الصوفية وبمفهومهم المعين تعتبر من الأحاديث الموضوعة ، والإمام جلال الدين السيوطى قد ذكر الأحاديث بلبس الخرقة من ضمن الموضوعات (٣) .

ويقول الصوفية: إن عليا رضى الله عنه ألبس الحسن البصرى الخرقة فى حياته ، وهذا لم يثبت فى التاريخ لأن الحسن لم يعاصره وأئمة الحديث لم يثبتوا للحسن بن علي رضى الله عنه سماعا (٤) .
فقد تبين مما سبق أن لباس الصوف والخرقة الصوفية لغرض خاص ليس من آداب الشريعة الإسلامية ولا من شعار السلف الصالحين ، وإنما أوجدها رجال متصوفة انحرفوا عن الطريق الجادة المستقيمة .

(١) راجع عبد القادر السندى : التصوف فى ميزان البحث ص ٣٧ ، مكتبة ابن القيم ، المدينة المنورة ط ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

(٢) نفس المرجع ، ص ٣٨ .

(٣) للتفصيل انظر : عبد القادر السندى ، التصوف فى ميزان البحث والتحقيق ص ٣٩ ، ٤١ .

(٤) نفس المرجع ص ٤٠ .

ينتقد الإمام الجوزى (١) موقف الصوفية من لبس الصوف والخرقة إذ يتحدث عن اللبس الخاص بهذا الشكل وأنه غير وارد في السنة النبوية الشريفة فيقول : " كان الزهد في بواطن القلوب ، فصار بظاهر الثياب ، كان الزهد حرمة فصار اليوم خرقة ، ويحك الصوف قلبك لاجسمك ، وأصلح نيتك لامرقتك (٢) .

القول الثانى :

تنسب كلمة التصوف إلى قوم يطلق عليهم " صوفية " وهى نسبة إلى رجل اسمه غوث بن مر ، يخدم الكعبة ، ومن هنا سميت به الصوفية لانقطاعهم إلى عبادة الله تعالى ، وإليه ذهب ابن الجوزى ، حيث يقول : " ورأوا أن من انفرد به بخدمة الله تعالى هو " صوفة " وهى إسم لقوم فى الجاهلية انقطعوا إلى الله عزوجل ، وقطنوا الكعبة ، فمن تشبه بهم فهو من الصوفية ، وهم المعروفون بصوفة من أولاد الغوث بن مر أخى بنى تميم ، وسمى الغوث الصوفة لأنه ما كان يعيش لأمه ولد ، فنذرت لنن عاش

-
- (١) هو : أبو الفرج عبد الرحمن الجوزى البغدادى " ت ٥٩٧ هـ له كتاب " تلبيس إبليس " وضع فيه با بين العاشر والحادى عشر - حول التصوف ويقول فى هذا الموضوع : " وأما ما يروى فى فضل لبسه - الصوف - من الموضوعات التى لا يثبت منها شئ ، ولا يخلو لا لبس الصوف من إحدى الأمرين أحدهما أن يكون متعودا لبس الصوف وما يجانسه من غليظ الثياب ، فلا يكره ذلك له لأنه لا يشهر به ، وثانيها إما أن يكون مترفا لم يتعوده وهذا مردود لما ورد فى الحديث عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " من لبس الصوف ليعرفه الناس ، كان حقا على الله عزوجل أن يكسوه ثوبا من جرب حتى تتساقط عروقه " وايضا عن ابن عباس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " إن الأرض لتعج إلى ربها من الذين يلبسون الصوف رياء " ابن الجوزى : تلبيس إبليس ص ١٩٥ ، إدارة الطباعة ، دار الكتب العلمية/ بيروت .
- (٢) زكى مبارك : التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق ص ٤٥ .

لتعلق برأس صوفة وتجعله ربيط الكعبة ، ففعلت ، ففعلت ، ففعلت له ولولده من بعده (١) ويقال أيضا: كان آل صوفة يجيزون الحاج من عرفات ، أى يفيضون بهم ويقال لهم: آل صوفان وآل صفوان ، وكانوا يخدمون الكعبة ويتسكون (٢) قال أبو عبيدة : " وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئا من غير أهله ، أو قال لشيء من أمر المناسك " (٣) .

فكلمة الصوفية عند ابن الجوزى لم تكن بداية استعمالها فى عصر الإسلام ، وإنما سبق استعمالها فى العصر الجاهلي ، قبل الإسلام ثم جاء أناس فى القرون اللاحقة من المسلمين الزهاد أحبوا أن ينتسبوا إلى قوم اشتهروا بالصوفية ، خدم الكعبة المشرفة من أجل انقطاع أنفسهم للتعبد وانشغالها عن متع الحياة الدنيا .

القول الثالث :

وذهب البيرونى (٤) إلى أنها مأخوذة من صوفا أو سوفيا اليونانية ومعناه الحكمة ، فقال: إن قداماء اليونان أى الحكماء السبعة مثل سولن الأثينى وطاليس المالى كانوا يعتقدون قبل تهذيب الفلسفة بعقيدة الهندود ، بأن الأشياء إنما هى شئ واحد ، وهذا رأى الصوفية ، وهم الحكماء فإن "صوف" باليونان " الحكمة " (٥) وبها سُمى الفيلسوف قِيلَاسُوفَا ، أى محب الحكمة .

- (١) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ١٦١ ، دار الكتب العلمية / بيروت .
لسان العرب ١٠٣/١١ .
- (٢) الزمخشري : أساس البلاغة ص ٢٦٢ ، تحقيق : عبد الرحيم محمود .
- (٣) ابن الجوزى : تلبيس ابليس ص ١٦١ .
- (٤) أبو الريحان البيرونى " ت ٤٤٠ " مؤلف عربى من أصل فارسى ، سافر إلى الهند ، ودرس لغة أهلها وثقافتهم وديانتهم ، كان مؤرخا ولغويا وأديبا وعالما بالرياضيات والطبيعات والفلك والطب ، والفلسفة والتصوف . راجع: الموسوعة الميسرة العربية ٤٦٤/٢ .
- (٥) البيرونى : تحقيق ما للهند من مقولة فى العقل أو مردولة ص ٢٤ ، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية ، بحيدر آباد " دكن " الهند ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .

وكلمة صوفيا اليونانية معناها: الحكمة ومنها فيلسوف: أى محب الحكمة .
ويضيف البيرونى : " لما ذهب فى الإسلام قوم إلى قريب من رأيهم
سموا باسمهم " (١) .

وأيد هذا رأى المستشرق الألماني فون همر (ت ١٨١٨م) إلا أن مدلول
هذه الكلمة يحمل معانى عميقة لا يمكن إنكارها والهروب منها، ومن هذه
النسبة استدلل الكثيرون على أن الصوفية ومبادئها تنبثق من الفلسفة اليونانية .
ويقول الدكتور زكى مبارك: "على أنه ما الذى يمنع أن تكون صوفيا
بمعنى الحكمة الروحانية، جاءت من كلمة صوف وهى قديمة فى العربية، وإن
التصوف قديم جدا عند العرب، وهو أساس المسيحية، ولبس الصوف كان
علامة النقشف، فليس من المستبعد أن ترحل إلى معابد اليونان " (٢) .
والواضح أن وجود الشبه فى استعمال كلمة " صوفى " وكلمة " صوفيا "
اليونانية يبرهن على وجود علاقات قائمة بالصوفية التى اشتهرت فى الإسلام
وبصوفيا التى اشتهرت فى الفلسفة اليونانية .

ويقول جورج زيدان : " إنها مشتقة من لفظ يونانى الأصل هى صوفيا
ومعناها الحكمة ، لأنهم كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثا فلسفيا ،
ويؤيد ذلك أنهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة إلا بعد ترجمة
كتب اليونان إلى العربية ودخول الفلسفة فيها " (٣) .

القول الرابع :

التصوف نسبة إلى " الصفا " فالصوفى هو الذى صفا قلبه لله (٤)
ويقال : إن اللفظ مأخوذ من صفا يصفوا صفوا ، ضد الكدر ، وصفوة الشئ

-
- (١) البيرونى : نفس المصدر ونفس الصفحة .
 - (٢) التصوف الإسلامى فى الأدب والأخلاق ج ١ ص ٦٤ .
 - (٣) د/إبراهيم بسيونى : نشأة التصوف الإسلامى ص ١٠ ، دار المعارف /مصر .
 - (٤) الطوسى : كتاب اللمع ص ٤٦ .

خالصه، يقال: محمد صلى الله عليه وسلم صفوة الله في خلقه (١) ومنه: الصفى أى ما يصطفيه الرئيس من المغنم لنفسه، ومنه: اصطفاه أى اختاره (٢). وكان الأصل صفوى، فانقلبت الفاء واوا، و الواو فاء، صار صوفيا، وذلك لتقل النطق به، وهذا غير سليم، والصحيح أن يكون اللفظ " صفوى " دون صوفى، إلا أن الصوفية ربطوا التصوف بصفاء القلب والنفس، لأن صفاء القلب لذكر الله تعالى هو سمو روحى، عمل النبى صلى الله عليه وسلم على تعزيزه فى قلوب أصحابه، كما ربطوها بالصف، فمن صفت قلوبهم لله تعالى، يكرمهم ويصطفاهم، فيصبحون الصف الأول عنده، يقدمهم على سواهم، وكما ذكرنا إن هذا اللفظ غير سليم، لأنه حينئذ يكون اللفظ صفيا (٣) وليس صوفيا .

وقال القشيري: هذا بعيد من جهة اللغة .

القول الخامس :

تنسب الكلمة إلى " الصفة " (٤) وهى مكان عند دكة المسجد النبوى الشريف، كان بعض أصحابه صلى الله عليه وسلم يسكنون فيها بعد أن هاجروا مكة المكرمة، يأكلون فيها وينامون ويقضون أوقاتهم فى صحبة النبى محمد صلى الله عليه وسلم، وقد ذكر باسناد عن نعيم بن المجمر عن أبيه عن أبى ذر رضى الله عنه قال: ((كنت من أهل الصفة، وكنا إذا أمسينا، حضونا باب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمركل رجل، فينصرف برجل، فيبقى من بقى من أهل الصفة عشرة أو أقل، فيؤثرنا النبى صلى الله عليه وسلم بعشائه، فتحشى، فإذا فرغنا،

(١) عبد القادر الرازى: مختار الصحاح ص ٢٦٦، دار الفكر/بيروت .

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٣) للتفصيل راجع: الطوسى: كتاب اللع، تحقيق: عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ص ٤٦ دار الكتب الحديثة .

(٤) القشيري: الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٥٥٠ .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ناموا في المسجد» (١) .
 وذهبت جماعة من المتصوفة إلى أن تلك النسبة إما لإقترابهم من
 أوصاف أصحاب الصفة أو لأنهم من بقايا أهلها " وهم رفضوا الدنيا وكانوا
 لا يرجعون إلى زرع ولا إلى ضرع " (٢) .
 قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فيما جاء عن أصحاب الصفة:
 " وهؤلاء القوم إنما قعدوا في المسجد ضرورة ، وإنما أكلوا الصدقة ضرورة
 فلما فتح الله على المسلمين استغنوا عن تلك الحال ، وخرجوا " (٣) .
 ثم يقول الشيخ ما مفهومه : إن عدد أهل الصفة أخذ يتقلص عند تقليل
 الضرورة ، فلم يبق أحد منهم فيما بعد (٤) ، وانتشروا إلى أماكن شتى بعد
 الفتوحات الإسلامية .
 ولو افترضنا صحة نسبة الكلمة إلى الصفة ، فلا تستقيم إذن تلك النسبة ،
 لأنه عندئذ تكون "الصفى" وليس الصوفى، كما يعترض القشيري على صحة
 هذه النسبة بقوله : " فالنسبة إلى الصفة لا تجزى على نحو صوفى " (٦) .
 تلك أقوال خمسة في نسبة كلمة التصوف ، قد ذكرناها بإيجاز ، إضافة
 إلى ذلك هناك أقوال أخرى في هذا الموضوع وردت في كتب الصوفية
 وذكرها علماء التصوف حسب نزعتهم ومدى فهمهم وإدراكهم (٧) .

- (١) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ١٥٧ ، وهذا الحديث ورد في المسند لأحمد ٤٩٠/٣ .
- (٢) السهروردي عوارف المعارف ص ١٠٨ ، دار الكتاب العربي ط ١٤٠٣ هـ / لبنان .
- (٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٨ ، مكتبة المعارف / الرباط .
- أيضا : ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ١٥٧ .
- (٤) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٧ .
- (٥) نفس المراجع ص ٦ .
- (٦) القشيري : الرسالة القشيرية ، ص ٢١٧ .
- (٧) للتفصيل راجع : القشيري : الرسالة القشيرية ص ٥٥١ - ٥٥٧ .

المبحث الثالث :

نقد وتحليل لمعنى التصوف :

عرفنا من خلال هذا العرض الموجز ، تباين الأقوال فى أصل كلمة التصوف، وظل هذا التباين غير المتفق على شئ منه إلى اليوم ، ويصعب التوفيق بين تلك الأقوال ، وهذا يشير إلى عدم استقرار المتصوفة على المناهج ، وعدم ثباتهم على المبادئ التى قرروها لأنفسهم، كما قال ابن العربى: " فالأمر حيرة ، والحيرة قلقة ، والحركة حياة " (١) .

ولو أردنا أن نقارن بين هذه الأقوال الخمسة المشهورة ، نجد أن ما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله فى نسبة كلمة التصوف هو الأصح ، ورجحه فى كتابه الفتاوى ، إذ يقول : " وقيل - وهو المعروف - أنه نسبة إلى الصوف ، فإنه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة ، وأول من بنى دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد الحسنى البصرى " ، ثم يقول الشيخ: " وقد روى أبو الشيخ الأصفهاني بإسناده عن محمد بن سيرين: أنه بلغه أن قوما يفضلون لباب الصوف، فقال: إن قوما يتخيرون الصوف يقولون إنهم يتشبهون بالمسيح بن مريم (٢) وإن أكثرية الصوفية يفضلون هذا القول وأما قول ابن الجوزى من أن نسبة كلمة التصوف تطلق على قبيلة مفروق فى العصر الجاهلى (٣) لم تكن معروفة فى عصر الصحابة بهذا المفهوم ولا فى عصر التابعين ولا تابعى التابعين ، فلو كانت معروفة فى عصرهم لبادروا إلى اعتناقها ، لأنهم كانوا أزهد الناس وأعبدتهم لله تعالى .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فيما ذهب إليه ابن الجوزى : " إن صوفة بن بسرة قبيلة من العرب كانوا يجاورون مكة من الزمن القديم، وينسب إليهم النساك ، وهذا وإن كان موافقا للنسبة من جهة اللفظ ، فإنه ضعيف

(١) ابن عربى ، محى الدين : فصوص الحكم ص ٢٠١ .

(٢) ابن تيمية مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٦ - ٧ مكتبة المعارف ، الرباط / المغرب .

(٣) ابن الجوزى : تلييس إبليس ص ١٦١ .

أيضا ، لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر الناس ، ولأنه لو نسب إلى هؤلاء ، لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ، ولأن غالب من تكلم باسم الصوفى لا يعرف هذه القبيلة ، ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الإسلام " (١) .

وكما ذهبت دائرة المعارف الإسلامية بهذا القول : " أن نسبة التصوف أو الصوفية إلى الصوف الذى هو لبس خاص بصوف الضأن ، هو أقرب إلى العقل وأرجح الأقوال ، وهو مختار من كبار العلماء من الصوفية مثل : صاحب اللمع وصاحب الرسالة القشيرية (٢) .

والغالب على أنه من طلب خشونة العيش والتقلل من الدنيا ، والتكشف عنها من ترك الناعم من الثياب ، ويقنع بالخشن منها ، ولبس الصوف والقطن غالب في هذه الحالة ، والصوف أغلب لعموم وجوده وخشونته أكثر من خشونة القطن (٣) وهو أيضا لباس رجال الدين في اليهودية والنصرانية من الأحرار والرهبان (٤) .

وقال الطوسى : " الصوفية عندي - والله أعلم - نسبوا إلى ظاهر اللباس ولم ينسبوا إلى نوع من أنواع العلوم والأحوال التى هم بها مترسمون لأن لبس الصوف ، كان دأب الأنبياء عليهم السلام والصديقين ، وشعار السالكين المتتسكين (٥) وقد دافع الطوسى عن رأيه هذا بكل حماسة ، وذلك لأن الصوفية يتخلقون بكل الأخلاق الفاضلة ويتسمون بكل الأحوال الشريفة سائفا ومستأنفا ، فلا محل لتمييزهم بحال دون حال ، ولا بخلف دون خلف ،

-
- (١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٦ ، مكتبة المعارف / الرباط .
 (٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ٥ ص ٢٧٧ - ٢٧٩ .
 (٣) كمال الدين أبو الفضل الأذفوى : الموفى بمعرفة التصوف والصوفى ص ٤٠ ، تحقيق : د : محمد عيسى ، مكتبة دارالعروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ط ١ / ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
 (٤) د / عمر فروخ : التصوف فى الإسلام ص ١٩ ، دار الكتاب العربى ، بيروت ١٤٠١ هـ .
 (٥) اللمع ص ٤١ .

ولا بعلم دون علم ، فكانت هذه النسبة - نسبة إلى ظاهر اللبسة - اسما مجملا عاما مخبرا عنه جميع العلوم والأخلاق والأحوال المحموده ، وكما نسب الله طائفة من خواص أصحاب عيسى عليه السلام ، إلى ظاهر اللبس فيقال لهم الحواريون ، إذ كانوا قوما يلبسون البياض ، ولم ينسبهم إلى نوع من العلوم والأعمال والأحوال (١) .

كما اختار هذا الغرض السهروردي (٢) ، وذكر أنه يلانم ويناسب من حيث الاشتقاق ، يقال : تصوف : إذا لبس الصوف ، كما يقال : تقمص : إذا لبس القميص (٣) .

وهناك نصوص كثيرة تشهد بصحة هذا القول ، فقد حكى أن أبا سليمان الدارمي (ت ٢١٥ هـ) قال لرجل لبس الصوف : إنك قد أظهرت آلة الزاهدين فماذا أورتك هذا الصوف ؟ فسكت الرجل ، فقال له : يكون ظاهرك قطنيا وباطنك صوفيا .

ودخل أبو محمد ابن أخي معروف الكرخي على أبي الحسن بن بشار وعليه جبة صوف ، فقال له أبو الحسن : يا أبا محمد ! صوفت قلبك أو جسمك ؟ صوف قلبك و البس القوهي على القوهي (٤) .

ومن الثابت أن الصوفية أخذوا هذا اللباس كشعار للزهد والخشوع عن رهبان المسيحيين ونساكهم ، ويدل على ذلك قول الجاحظ : " إن النصراني يلبس الصوف حين يتتسك " (٥) .

وفي إخوان الصفا : " أن راهبا قدم في ثوب من صوف " (٦) .

-
- (١) اللمع ص ٤٠ - ٤١ .
 - (٢) عبد القاهر عبدالله (٥٣٩ هـ - ٦٣٢ هـ) صاحب كتاب عوارف المعارف (ابن الملقن : ص ٢٦٢) .
 - (٣) السهروردي : عوارف المعارف ص ٦٠ .
 - (٤) ابن الجوزي : تلييس ابليس ، ص ١٩٨ (القوهي : الثياب الأبيض) .
 - (٥) د/زكي مبارك : التصوف الإسلامي ج ١ ص ٥٠ .
 - (٦) نفس المرجع ص ٥٠ .

الفصل الثاني

فـ

مفهوم التصوف عند الصوفية .

وبعد أن انتهينا من الحديث عن نسبة كلمة التصوف وأقوال العلماء فيها نود أن نعرض هنا آراء العلماء الصوفية في مفهوم التصوف ، فقد وردت في كتب التصوف وفيما ألفه غير المتصوفة حول هذا الموضوع أقوال كثيرة لا تعد ولا تحصى ، وذكر محمد زروق الفاسي في أحد مؤلفاته : " وقد حد التصوف ورسم وفسر بوجوه تبلغ نحو ألفين " (١) .

وحاول بعض الكتاب تجميع تلك التعريفات والأقوال وحصرها في مدوناتهم إلا أنهم لم يستطيعوا استيعاب ذلك (٢) .

كما أن الكاتب والمستشرق (نكلسون ارنولد رينولدز) سعى سعيا لجمع ما يقارب المائة تعريف للكلمة للوصول إلى نتيجة ، ولكنه في شوطه الأخير من تلك المساعي ، عجز عن الاستنتاج والاستيعاب ، ثم قال أخيرا : " إن التعاريف المتعددة للصوفية التي وردت في الكتب العربية والفارسية ، وإن كانت ذات فائدة تاريخية ، فإن أهميتها الرئيسية في أنها غير ممكن تحديدها (٣) .

وأصبح من المعروف لدى العلماء الذين كتبوا عن التصوف ، أن تعريف التصوف بعبارة واحدة جامعة ومائعة ، إن لم يكن متعذرا ، فهو متعسر جدا .

يقول الدكتور قاسم غني : " . . . هذا وإن لم يكن تعريف التصوف غير ممكن فلا أقل من أن نقول : إن تعريفه صعب عسير " (٤) .

- (١) أبو العباس محمد زروق : قواعد التصوف ، القاعدة رقم (٢) ، ص ٣ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، راجعه : علي معبر فرغلي ، ط ٢ / ١٣٩٦ هـ .
- (٢) للتفصيل راجع : الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٥٥١ - ٥٥٧ .
أيضا : د/ إبراهيم بسيوني : نشأة التصوف الإسلامي ص ١٧ - ٣٥ .
- (٣) أيضا : د/ عبدالرحمن بدوي : تاريخ التصوف الإسلامي ص ١٥ - ١٨ .
نقلا من كتاب د/ عرفان عبدالحميد : نشأة فلسفة التصوف وتطورها ص ١١٥ ، المكتب الإسلامي ، ط ١٣٩٤ هـ / بيروت .
- (٤) د/ أحمد محمد البناني : موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ص ٧٣ ، كلية الدعوة وأصول الدين / جامعة أم القرى ، ط ٢ / ١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م .

والحقيقة أن كلا من هؤلاء المتصوفة ذكروا من التعريفات ما وافق
أذواقهم ووجدانهم وميولهم العقلية والنفسية كقول الشاعر :

" وللناس فيما يعشقون مذاهب " .

مهنك التصوف عند الصوفية :

قال القاضي زكريا الأنصاري (ت ٩٢٠ هـ) في وصف التصوف :

" التصوف علم يعرف به أحوال تزكية النفوس وتصفية الأخلاق وتعمير
الظاهر والباطن ، لنيل السعادة الأبدية " (١) .

ويقول أحمد زروق (ت ٨٩٩ هـ) :

التصوف غلم قصد به إصلاح القلوب ، وإفرادها لله تعالى عما سواه (٢) .

ويقول الجنيد (ت ٢٩٧ هـ) (٣) :

أ - التصوف : " استعمال كل خلق سني وترك كل خلق دني " (٤) .

ب - " أن تكون مع الله بلا علاقة " (٥) .

ج - " التصوف : تصفية القلب عن موافقه البرية ، ومفارقة الأخلاق
الطبيعية ، وإخماد صفات البشرية ، ومجانبة الدواعي النفسانية ، ومنازلة
الصفات الروحانية ، والتعلق بالعلوم الحقيقية " (٦) .

(١) القشيري : الرسالة القشيرية ص ٧ .

وأيضاً : عبد القادر عيسى : حقائق عن التصوف ص ١٣ .

(٢) أبو العباس أحمد زروق : قواعد التصوف ، القاعدة (٣) ص ٩ ، مكتبة الكليات الأزهرية .

(٣) هو : أبو القاسم الجنيد بن محمد ، أصله من نهاوند بفارس ، منشأه ومولده بالعراق ، كان

أبوه يبيع الزجاج . راجع : القشيرية ص ١٣١ .

(٤) الطوسي : كتاب اللمع ص ٤٧ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ج ٥ ص ٢٨٤ .

(٦) د/ إبراهيم البسيوني : نشأة التصوف الإسلامي ص ١٩ ، دار المعرفة / مصر .

- د - " التصوف عنوة لأصلح فيها " (١) .
- هـ - " هم أهل بيت واحد ، ولا يدخل فيهم غيرهم " (٢) .
- و - " ذكر مع اجتماع ووجد مع استماع وعمل مع إتباع " (٣) .
- ز - " التصوف كالأرض ، يطرح عليها كل قبيح ولا يخرج منها إلا كل مليح " (٤) .
- قال الشبلى (٥):
- أ - التصوف بدء معرفه الله ونهايته توحيد الله (٦) .
- ب - " التصوف هو الجلوس مع الله " (٧) .
- ج - " منقطع عن الخلق ومتصل بالحق (٨) لقوله تعالى:
- ﴿ وَاصْطَلِمْتُكَ لِنَفْسِكَ ﴾ (٩) .
- د - " التصوف اطفال فى حجر الحق " (١٠) .
- هـ - " التصوف برقة محرقة " (١١) .
- و - " هو عصمة عن رؤية الكون " (١٢) .

- (١) نفس المصدر والصفحة .
- (٢) نفس المصدر والصفحة .
- (٣) نفس المصدر والصفحة .
- (٤) نفس المصدر والصفحة ، وللجنيد فى هذا الباب أقوال أخرى كثيرة كلها تتناقض مع الآخر .
- (٥) هو من أئمة التصوف فى القرن الثالث والرابع الهجرى ، أصله من فارس ، ونشأ فى بغداد وتوفى هناك فى أوائل القرن الرابع الهجرى .
- انظر : الطبقات الصوفية لأبى عبد الرحمن السلمى .
- (٦) راجع : شهاب الدين السهرودى : عوارف المعارف ت ، د/ عبد الحليم محمود و د/محمود بن الشريف ، ٢٠/١ .
- (٧) احسان الهى ظهير : التصوف ، المنشأ والمصدر ص ٣٧ .
- (٨) نفس المصدر والصفحة .
- (٩) سورة طه الآية ٤١ .
- (١٠) احسان الهى ظهير : التصوف ، المنشأ والمصدر ص ٣٧ .
- (١١) د/ ابراهيم البسيونى : التصوف فى الإسلام ص ١٩ .
- وله أقوال كثيرة غير ما ذكر فى هذه الصفحة .

قال أبو الحسن الشاذلي (ت ٦٥٦ هـ) :

" التصوف : تدريب النفس على العبودية ، وردها لأحكام الربوبية " (١) .
قال ابن عجيبة :

" التصوف : هو علم يعرف به كيفية السلوك ، إلى حضرة الملك الملوك ،
وتصفية البواطن من الرذائل ، وتحليتها بأنواع الفضائل ، أوله علم وأوسطه
عمل وآخره موهبة " (٢) .

سنل ذو النون المصري (٣) عن التصوف فقال : " هم قوم أثروا الله
عز وجل على كل شيء ، فآثرهم الله تعالى على كل شيء " (٤) .
قال الجريري (٥) :

" التصوف : مراقبة الأحوال ولزوم الأدب " (٦) .

قال أبو الحسن النوري (٧) :

" التصوف : قوم صفت قلوبهم من كدورات البشرية وآفات النفس
وتحرروا من شهواتهم ، حتى صاروا في الصف الأول ، والدرجة العليا مع

-
- (١) الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٥٥٢ .
 - (٢) دائرة المعارف الإسلامية ج ٥ ص ٢٨٤ .
 - (٣) هو أبو الفقيه ذوالنون المصري ، نزل أبوه إبراهيم بأخميم من ديار مصر ، فأقام بها .
توفي عام ٢٤٥ هـ . انظر : الرسالة القشيرية ص ٦٧ .
 - (٤) الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٥٥٢ .
 - (٥) هو أبو محمد أحمد بن الحسين الجريري ، من كبار أصحاب الجنيد ، توفي عام ٣١١ هـ .
راجع : الرسالة القشيرية ص ١٦٦ .
 - (٦) د/ إبراهيم البسيوني : نشأة التصوف في الإسلام ص ١٩ .
 - (٧) هو : أبو الحسن أحمد بن محمد النوري البغدادي مولدا ومنشأ ، بغوى الأصل ، كان من
أقران الجنيد توفي عام ٢٩٥ هـ .
راجع : الرسالة القشيرية ص ١٤٠ .
وهو ممن قال ينسب التصوف : إلى الصف الأول من صفوف المسلمين في الصلاة .
راجع : دائرة المعارف الإسلامية ج ٥ ص ٢٦٥ .

الحق ، فلما تركوا ما سوى الله ، صاروا لا مالكين ولا مملوكين " (١) .
 قال الرويم (٢) : " التصوف مبنى على ثلاث خصال : التمسك بالفقر
 والافتقار والتحقق بالبذل والإيثار ، وترك التعرض والاختيار " (٣) .
 قال سهل بن عبد الله التستري (٤) : " التصوف من صفا من الكدر ،
 وامتلا من الفكر ، وانقطع إلى الله من البشر ، واستوى عنده من الذهب
 والمدر " (٥) .
 قال علي بن سهل الأصبهاني (٦) : " التصوف التبرئ عمن دونه
 والتخلي عمن سواه " (٧) .
 قال عبد القادر الجيلاني (ت ٥٦١هـ) : " التصوف ليس أخذ عن القيل
 والقال ، ولكنه أخذ عن الجوع وقطع المألوفات والمستحسنات (٨) .

قال فريد الدين الملقب بقنچ شكر (٩) :
 أ - التصوف لا يبقى في ملكك شيء ، ولا يبقى وجودك في مكان وإن
 أهل التصوف يقيمون صلواتهم على العرش يوميا ، وإن الصوفي من
 لا يخفي على قلبه شيء .

-
- (١) د/ البسيوني : نشأة التصوف في الإسلام ص ١٩ .
 - (٢) أبو محمد الرويم بن أحمد البغدادي ، من أكابر مشايخ الصوفية ، توفي ٣٠٣هـ :
 راجع : عوارف المعارف ص ٢٠١ الهامش .
 - (٣) السهروردي : عوارف المعارف ٢٠١/١ .
 - (٤) أبو محمد سهل بن عبد الله التستري ، أحد أئمة القوم .
 - (٥) الكلاباذي : التعرف لمذهب أهل التصوف ص ٩ ، أيضا نشأة التصوف في الإسلام ص ١٨ .
 - (٦) أبو الحسن علي بن سهل الأصبهاني ، من أقران الجنيد ، توفي ٣١٧هـ ، القشيرية ص ١٠٧ .
 - (٧) عبد القادر الجيلاني : فتوح الغيب ١/ ١٦٧ .
 - (٨) فريد الدين قنچ شكر : " ت ٦٧٠هـ " من كبار مشايخ الصوفية القارة الهندية ، تتلمذ على يد
 شهاب الدين السهروردي وسعد الدين الحموي وغيرهم ، دائرة المعارف الإسلامية .
 - (٩) فريد الدين : أسرار الأولياء ص ١٢٨ " باللغة البنغالية " نقله من الفارسية إلى البنغالية
 محمد عبد الجليل ، مكتبة الفردوس ، دكا ، ط ٣ ١٣٩٢ هـ .

قال العلامة أشرف على تهانوى (١) :
 " هو كون حال العبد موافقا للزمن " وقال أيضا : " الصوفى الذى لا
 تحصر أعماله فى المسبحات والأوراد بل إنما تكون أكثر من ذلك حسب
 الظروف والواقع " (٢) .
 وكلامه هذا يوافق على مقاله الطوسى ، إذ يقول : إن واحدا من الصوفية
 يتكلم من حيث وقته ، ويجيب من حيث حاله ، ويشير من حيث وجده (٣) .
 وقال العطار (٤) : " التصوف هو الذى يسلم قلبه كقلب إبراهيم من
 حب الدنيا وصار بمنزلة الحامل لأوامر الله ، وتسليمه تسليم إسماعيل ،
 وحزنه حزن داود ، وفقره فقر عيسى ، وصبره صبر أيوب وشوقه شوق
 موسى وقت المناجاة وإخلاصه إخلاص محمد صلى الله عليه وسلم (٥) .
 وقال الهجويزى (٦) الصوفى هو الفانى عن نفسه والباقى بالحق قد
 تحرر من قبضة الطباع واتصل بحقيقة الحقائق " (٧) .
 فهذه بعض أقوال علماء الصوفية حول تعريف التصوف ، ومن خلال
 دراستنا أياها نستنتج مايلى :

١ - إن هذه الأقوال حول تعريف التصوف لا تخلو من الغموض
 والإبهام ولا يستطيع أحد من الباحثين استخراج المعنى المعين والمفهوم
 الواضح منها .

-
- (١) أشرف على تهانوى : أشرف على بن عبد الحق الفاروقى ، توفى ١٣٢٦هـ فى الهند ،
 درس فى دار العلوم ديوبند ، ثم بايع على يد شيخ الطريقة حاجى امداد الله مهاجر مكي .
 - (٢) أشرف على تهانوى : روح التصوف " البنغالية " ص ٣٨ ، نقله من الفارسية مفتى محمد
 شفيح ، مكتبة حافظة ، دكا ، بنغلاديش .
 - (٣) راجع : الطوسى : كتاب اللمع ص ١٠٧ .
 - (٤) العطار : هو فريد الدين العطار " توفى ١٢٣٠هـ " ونظم الأشعار فى التصوف الإسلامى .
 - (٥) فريد الدين العطار : تذكرة الأولياء ص ١٩٢ ، دلهى ١٣١٧هـ .
 - (٦) الهجويزى : هو أبو الحسن على بن عثمان الغزنوى الهجويزى ، ومن معاصرى أبى
 القاسم القشيري ، من أقطاب الصوفية فى القرن الخامس الهجرى .
 - (٧) الهجويزى : كشف المحجوب ص ٤٠ ، لاهور ١٣٩٨هـ ١٩٧٨ م .

كما أن هذه التعريفات يتناقض بعضها مع بعض ، وهذا مخالف لقانون اللغة الذى جعلوه أهلها مبدء أساسيا لصحة التعريف لشيء ما وهو أن يكون ذلك التعريف جامعا مانعا يشمل المفهوم الواضح (١) .

٢- كما ورد بعض التعريفات شديدة الاختصار والضيقة إلى أبعد الحدود مما يصعب للقارئ معرفة المراد منها معرفة تامة إلا لمن يسلك الطريق الصوفى ، فإنه حينئذ يفسر ويشرح تلك الكلمات حسب اتجاهه وطريقته مما قد يؤدي فى كثير من الأحيان إلى التناقض أو المعميات التى لا فائدة منها .

كما أننا نلاحظ فى تلك التعريفات، تأثر المتصوفة الواضح بفكرة الحقيقة والشريعة .

وبعبارة أخرى إلى قولهم بالعلم الباطن والعلم الظاهر ، وذلك أنه لما كان فهم الإسلام لايتأتى بغير اللغة العربية ، إذ هى الأداة التى تمكن من فهم النصوص - فقد كان بعض الصوفية بعيدين عن دراسة اللغة العربية ، بما يمكنهم من الوقوف على المفاهيم المحددة لكلمات الله وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

من هنا كان التأويل وانحرافات التفسير والحيل والمخارج فى الفقه والتعطيل والتجسيم فى العقائد ، وذهبوا إلى الظاهر والباطن ، وهذا يدل على أنهم يسيرون فى التخيلات والافتراضات ، ولا يسيرون فى الواقع والبرهان والدليل ، وإن ما قالوه فى هذا الموضوع من نتائج شعورهم النفسى والوجدانى ، يستحيل التعبير عنه بالواقع الحى ، والإسلام وعقيدته

(١) انظر: عبد الرحمن الجارمى : شرح الجامى للكافية : ص ٧ ، مطبعة الهند ، دلهى .

برينة عن هذه التخیلات الواهية ، ذلك لأن الدين الإسلامی دین يشمل الحياة البشرية كلها ويطابق القول العمل تطبیقا واقعیا ، وليس فيه أى غموض فى فهم نصوص القرآن والحديث (١) .

ومما يؤكد كلامنا هذا ما قاله قاسم غنى فى هذا الشأن :
" وإن لم يكن تعريف التصوف غير ممكن ، فلا أمل من أن نقول إن تعريفه صعب عسير ، ذلك لأن التصوف لم يكن له فى يوم من الأيام طريقة منظمة محدودة أو معينة من الناحية النظرية أو العملية بل كان له ، فى كل عصر مفهوم خاص " (٢) .

قلت : إن ملخص ما جاء فى هذه الأقوال هو أن التصوف عبارة عن ابعاد المتصوفة من الدنيا ومتاعها ، وانقطاعهم إلى عبادة الله تعالى ، وترك المعاشرة والاختلاط بالناس ، والالتزام بالركن والزوايا المهجورة ، إن هذه الأمور تنطوى على مفهوم الرهبانية المسيحية ، والإسلام يرفضها رفضا قاطعا .

فالإسلام عبارة عن فهم واقعى ايجابى لقانون السيادة فى الحياة وممارسة العمل الواجب وفق فكر مستتير طبقا لأوامر الله ونواهيه وصولا إلى الغاية المثلى وهى رضوان الله تعالى ، بينما التصوف يقوم على ادعاء تلك العالم الروحاني ، بمعنى آخر: إن الصوفية يستمتعون فى التخیلات بما عجزوا عن تحقيقه فى حياتهم ، ولذلك عطلوا أداة العمل وهى الجسد وأعضائها وحطموا مصابيح الهداية بالغاء عمل العقل والحواس .

(١) انظر: سمیح عاطف: الصوفية فى نظر الإسلام ص ٨، دار الكتاب اللبنانى ط ٢ بدون تاريخ .

(٢) قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ، ترجمه من الفارسية صادق نشأت ص ٢٦٩

مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٠ م .

الفصل الثالث

نشأة التصوف

كان المسلمون في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حريصين أشد الحرص على امتثال أوامر ربهم عز وجل واتباع رسوله الكريم المبعوث إلى كافة الناس للحصول على مرضاة الله والتقرب إليه وهي أسباب دخول الجنة والنجاة من النار، ورغم حرصهم الشديد على التمسك بدين الإسلام وشريعته فقد كانوا في عملهم لا يتعدون حدود الله ولا يتجاوزن ما أمرهم به الرسول صلى الله عليه وسلم ولا يخرجون عن دائرة الطاعات والعبودية المطلقة لله تعالى، فكل ما يتلقونه من تعاليم الإسلام من المأمورات والمنهيات كانوا يجتهدون في تطبيقه جملة في حياتهم الفردية والاجتماعية دون إفراط وتفريط كانوا يبتعدون كل البعد عن كل أمر لم يرد فيه دليل باعتباره أمراً مستحدثاً في الدين وذلك لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١) وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ (٢) ولقوله صلى الله عليه وسلم ((مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ)) (٣) وفي رواية لمسلم ((مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ)) وقال صلى الله عليه وسلم ((أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ وَخَيْرُ الْمَدْيِ مَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرُّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ..... الحديث)) (٤) وهناك أحاديث كثيرة في هذا الباب مما يحض المسلم على ترك ما لا يعنيه في أمر الدين، والعمل على ما يعنيه ويهتم به .

-
- (١) سورة الحشر آية ٧ .
(٢) سورة المائدة آية ٣ .
(٣) متفق عليه ، عن عائشة رضي الله عنها ، رواه البخاري ٥٧٧٠ ، مسلم ١٨/٨ .
(٤) رواه البخاري ومسلم ، عن جابر رضي الله عنه .

فأى أمر من الأمور أحدث فى الإسلام وهو ليس منه ولم يشهد له أصل من أصوله فهو رد ولا يلتفت إليه ، وهذا هو منهج أهل السنة والجماعة فى لزوم الطاعات فى الدين ، فمنهجهم هذا يقوم على أصول ثلاثة : أولها : كتاب الله عز وجل الذى هو خير الكلام وأصدق فهم لا يقدمون على كلام الله كلام أحد من الناس .

ثانيها : سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أثر عنه من هدى وطريقة لا يقدمون على ذلك هدى أحد من الناس .

ثالثها : ما وقع عليه إجماع الصدر الأول من هذه الأمة قبل التفرقة والانتشار وظهور البدع والمقالات ، وما جاء بعد ذلك مما قاله الناس ، وذهبوا إليه من المقالات ، ووزنوها بالكتاب والسنة ، فإن وافقها قبلوه وإن خالفها ردوه أيا كان قائله (١) .

وفيما مضى من حديثنا عن التعريفات لكلمة التصوف قلنا إنها كانت تستعمل فى العصر الجاهلى بالجزيرة العربية كما ذهب إليه ابن الجوزى فكل من كان ينفرد لعبادة الله تعالى فى الكعبة المشرفة يسمونه صوفيا (٢) . وقد مر التفصيل سابقا وذكرنا إنكار الصوفية نسبتهم إلى هذه الطائفة وإننا على سبيل الافتراض لو أخذناه بعين الاعتبار ، وفحصنا هذه الكلمة ، ومن منطلقاتها عبر التاريخ نجد أن التصوف ومصادقيته تشمل الرهبانية التى كانت فى الديانة المسيحية ، التى ذكرها القرآن وأكرها بقوله تعالى : ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَضْوَائِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ، فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ (٣) .

(١) محمد خليل الهراسي : شرح العقيدة الواسطية ، ص ١٢٧ ، من مطبوعات الجامعة

الإسلامية بالمدينة المنورة ط ٤ بدون تاريخ .

(٢) انظر : ابن الجوزى : تلبيس إبليس ص ١٦١ .

(٣) سورة الحديد آية ٢٨ .

فالتصوف بمفهومه الذى يصطلحه النصارى يشمل الرهبة (١) والتبتل والانقطاع إلى عبادة الله كان سابقا فى الديانة المسيحية .
وهذا المفهوم وجد فى عصر مابعد المسيح بقرن فى الأمة المسيحية ساد فيها الرهبة كانت سائدة فى الأيام الجاهلية ، قبل الإسلام ، قال الدكتور غلاب : " نستطيع أن نجزم بأن الباحثين قد عثروا على المعرفة الصوفية المسيحية للمرة الأولى عند << دينيس الاريوباجى >> الذى عاش فى القرن الأول بعد المسيح وهى تتلخص فى أنها نتيجة من نتائج الامتزاج بين الحياة المسيحية والفلسفة التى كانت فى ذلك الحين سائدة فى أكثر جوانب العقل القديم ، وهى فلسفة الأفلوطينية الحديثة " (٢) ثم تطورت الأحداث فى الديانة المسيحية كما تطورت مع ذلك حركة الصوفية فيها ، فقال د/ غلاب : " فنشأت فى القرن الثانى عشر حركة صوفية محافظة هامة جعلت نموها ينتشر فى الأديرة على الأخص ، وكان من أمجد ممثليها << القديس بارنار (٣) وهوج دى سان فكتور >> (٤) وقد صار المثل الصوفى الأعلى عندها عبارة عن حياة التخلّى والزهادة بحيث أصبح الوصول إلى الكمال يستلزم الفقر والضعة والطاعة " (٥) .
ويتضح من العبارة المذكورة أن مفهوم التصوف وإن لم تستعمل الكلمة المصطلحة المتدواله لدى الصوفية ، فيما قبل الإسلام ، كان موجودا فى الديانة المسيحية عبر تاريخها الطويل .

-
- (١) رهب يرهب رهبا من باب تعب ، والراهب ، عابد النصارى ، والجمع رهبان ، الراهب انقطع للعبادة .
وقال الزمخشري : ترهب فلان ، أى تعبد فى صومعة ، وهو راهب بين الرهبانية .
راجع : أساس البلاغة ص ١٨١ والمصباح المنير ٢٤١/١ ، المكتبة العلمية ، بيروت .
(٢) د/ محمد غلاب : التصوف المقارن ، ص ١٢٥ ، مكتبة النهضة بمصر .
(٣) ولد بارنار فى ١٠٩١م ، وكان مستشارا للبابا أوجين الثالث ، وتوفى سنة ١١٥٢م .
(٤) ولد فى سنة ١٠٨٤ ، وتوفى ١١٤١م ، كان استاذا فى دير القديس فكتور بباريس .
(٥) د/ غلاب : التصوف المقارن ص ١٢٧ .

فلما جاء الإسلام ، ودعا الناس إلى عقيدة التوحيد من جديد ، كان من الواجب نبذ كل ما كان موجودا في الجاهلية وما قبلها من معتقدات فاسدة وتقاليد عمياء حتى صارت مصطلحات التصوف بمفاهيمها البالية ومنبوذة . وكان رسول الله صلوات الله وسلامه عليه يوبخ من كان يحب الاعتزال في الخلوات أو الغابات لغرض العبادة لله، منقطعا عن المجتمع وعن الأسرة ومخالطة المجتمع ، بل كان يمنعهم عن هذه الأمور ، فقد جاء في الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية من سرايا ، فمر رجل بغار فيه شئ من ماء ، قال : فحدث نفسه بأن يقيم في ذلك الغار ، فيقوته ما كان فيه ، وفيه شئ من ماء ويصيب ما حوله من البقل ، ويتخلى عن الدنيا ثم قال : لو أني أتيت نبي الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك ، فإن أذن لي فعلت وإلا لم أفعل ، فقال يا نبي الله : إني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل ، فحدثتني نفسي بأن أقيم فيه واتخلى عن الدنيا ، قال : فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ((إني لم أبحث باليهودية ولا بالنصرانية ، ولكن بحثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لخدوة أو دوحه في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها - الخ)) (١) .

ويفهم من الحديث أن التخلي عن الحياة الدنيوية ولزوم الزوايا والانقطاع عن الاختلاط من شيم اليهود والنصارى ، وليس من شيم الإسلام وشريعته كما يظن الغلاة من التصوف ، لأن الإسلام ضد التقشف والرهبة وهو يرفضه رفضا قاطعا ، ذلك لأن الإسلام يطلب منا التوازن والاعتدال بين الروحية والمادية أو بين الدين والدنيا .

(١) انظر : الحديث في تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ٢٨٩ ، وذكره الإمام أحمد في

مسنده الجزء الخامس ، رقم الحديث ٢٦٦ .

وهو المبدأ الاصلاحى الذى دعا إليه ورعايته يصلح ما أفسده" (١) وكان الصحابة والتابعون لهم بعدهم يؤمنون بذلك التوازن والاعتدال فى الإسلام، دون الغلو فى الدين وكانوا أزهد الناس وأفضلهم وأشرفهم بعد الأنبياء والمرسلين متصفين بالورع والتقوى ، ومع ذلك مستخلفون فى الأرض عاشوا بعمارته وإصلاح الناس فيها من المفاصد على سبيل التوازن والاعتدال وذلك لقوله تعالى ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الْخَيْرَ الْأَخْوَءَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فَهُوَ الْأَرْضُ ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُنْكَسِرِينَ ﴾ (٢) .

التصوف بعهد الإسلام :

إن نشوء التصوف ظهر فى المجتمع الإسلامى نتيجة لرد فعل بما ورد فى بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التى تحمل معانى التشجيع للمؤمن على العمل من أجل الآخرة وتزكية النفس والتوكل على الله والخوف منه والرجاء الدائم برحمته وغفرانه ، وذلك بعد فترات من رحيل سيدنا محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى .

وكان عهد الخلفاء الراشدين والذين جاءوا من بعدهم نظيفا وسليما من الشوائب والطعون والانحراف والتطرف ، مصداقا لقوله عليه الصلاة والسلام : ((خَيْرُ الْقُرُونِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ بَلَوْنَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ بَلَوْنَهُمْ)) (٣) ثم لما تطورت الأحداث وتوسعت الفتوحات الإسلامية وانتشرت رقعة الإسلام إلى الآفاق ، ودخل جم غفير من العرب والأعاجم فى الإسلام قوم أحدثوا اسم الزهد والعبادة ، فتخلوا عن الدنيا وانقطعوا إلى عبادة الله ، واتخذوا بذلك طريقة تفردوا بها وأخلاقا تخلقوا بها (٤) .

(١) د/ يوسف القرضاوى: العبادة فى الإسلام ، ص ١٨١ ، مكتبة وهبة القاهرة ، ط ١٥ ، ١٤٠٥ هـ .

(٢) سورة القصص آية ٧٧ .

(٣) رواه البخارى ومسلم .

(٤) ابن الجوزى تلبس إبليس ص ٢٨٩ .

ومن هنا تطور التصوف فى المجتمع الإسلامى وفهم أناس التصوف على حال بين الزهد الحقيقى والزهد الذى يستوردونه من الأفكار الفلسفية القديمة البالية ، وعند المسلمين فى القرون الأولى مصطلحان واضحان هما: الإيمان والإسلام ، دون غيرهما كما قال ابن الجوزى ، ولكن الناس من بعد هذه القرون أحدثوا أشياء بإسم الزهد ، وإن الزهد الذى ورد فى القرآن الكريم فى قصة سيدنا يوسف عليه السلام (١) لا ينطبق على ماذهب إليه الصوفية وليس هناك أدنى ارتباط بين الزهد الحقيقى والزهد الذى يعنى به أهل التصوف ، ومعنى الزهد فى الآية الكريمة " غير الراغبين ، بل إنها عند المتصوفة هو التقشف " (٢) وهذا التقشف وليد من تقاليد المجوسية وطقوسها الصوفية ، يعود تاريخه إلى ما قبل الهجرة النبوية بقرون ثم تراجعت هذه الفكرة " الزهد " عندما جعلها بعض الطائفة الروحانية وسيلة للتقرب بها إلى الله من العيش المنعزل والرغبة عن الدنيا ومتاعها وتحقيرها ونبذها (٣) وهذا الزهد الذى يدعو إليه الصوفية قد ظهر أيضا فى كل ديانة سماوية وغير سماوية ولكنه حادث فى الملة الإسلامية ، فالإسلام وإن دعا الناس إلى التقوى والقناعة وفضائل النفس والعدالة فإنه لم يدع إلى الترهيب والتقشف (٤) فثبت أن الصوفية أخطأوا فى تفسير معنى الزهد وفى مفهومه وذهبوا إلى ما ذهب إليه الفلاسفة وأصحاب أديان أخرى سماوية كانت أو غير سماوية ، وذلك نتيجة لخلط الأفكار والأديان والتأثير والتأثر .

(١) وهو قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ مِنَ الْوَاهِدِينَ ﴾ سورة يوسف آية ٢١ .

(٢) د/ سميح عاطف : الصوفية فى نظر الإسلام ص ٦٦ .

(٣) نفس المرجع صفحة ٥٧ .

(٤) انظر: د/ عبد القادر محمود ، الفلسفة الصوفية فى الإسلام ص ٥ مطبعة المعرفة / القاهرة

ولذلك يقول الدكتور عبد القادر محمود : " والزهد الذى يعنيه الصوفية أخذوا فكرته من مجموع أفكار وفلسفات من الأديان والمذاهب الأخرى وكذلك التصوف الذى يدعونه هو تصفية النفس ومجاهدتها ورياضتها والانتقال بها من حال إلى حال حتى يصل بها إلى المقام الذى يطلق عليه الصوفية مقام الشهود و الوجد أو الفناء وفى هذه الحال لا فرق بين مسلم ومسيحي ويهودى وبوذى ووثى (١) .

واتفق الباحثون فى أن التصوف ظهر فى المجتمع الإسلامى فيما بين القرن الثانى والثالث للهجرة النبوية ، وبدأت هذه الظاهرة عندما بعد الزمن وقل عدد الصحابة والتابعين ، وظهر فى المجتمع تدريجيا رأى والكلام والتشيع وإنهمك المسلمون فى المجالات الكلامية بعيدين عن مناهج السنة النبوية الشريفة وكانت البصرة آنذاك مركزا للصوفية كما كانت الكوفة مركزا للفقهاء ، وإن أول من بنى دويرة للصوفية هم بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد (٢) من البصرة (٣) ثم انتقل منها إلى العراق والكوفة وغيرهما من بلدان الفرس حسب التوسعات التى نالها المسلمون بالغزو فى المناطق المترامية الأطراف ، وكان من عوامل نشأته فى تلك المناطق الأوضاع السياسية والاجتماعية والدينية ، مما جعل بعض الزهاد يرغبون حياة العزلة ويحرمون أنفسهم من التمتع والملذات ، وجعلهم مميزين عن سائر الناس الذين يميلون إلى بحبوحه الحياة والرخاء فى العيش ، ولذلك يقول الدكتور بدوى : " إن التصوف تأثر من عوامل اجتماعية وفردية ومن أزمات سياسية أو أزمات نفسية " (٤) وتلك العوامل ساعدت على نشأة المدارس الصوفية فى هذه المناطق .

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) هو عبد الواحد بن زيد البصرى توفى سنة ١٧٧ هـ .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ١١/١١ .

(٤) د/ عبد الرحمن بدوى : تاريخ التصوف الإسلامى ص ١٠ .

وفي البصرة بالذات، فإن جماعة من الصوفية تبها كانت سبابة إلى الزهد والمبالغة فيه بسبب تلك الحالات التي تطرأ عليها من المواجيد والمجذوبة (١) .

وكان أول من وصف بالتصوف جابر بن حيان الكيمائي الشيعي (٢) وأبو الهاشم الكوفي (٣) وهما من الكوفة ، وكان آخر زعمائها عبدك الصوفي البناتي الذي توفي ببغداد سنة ٢١٠ هـ (٤) وقيل إنه كان على رأس فرقة صوفية شيعية نشأت بالكوفة وقيل إن الفرقة التي كان يرأسها فرقة من الزنادقة الذين زعموا أن الدنيا كلها حرام محرم لا يحل الأخذ منها بشئ إلا القوت (٥) .

أما كلمة " الصوفية " بلفظ الجمع فقد ظهرت للمرة الأولى سنة ١٩٩ هـ إذ أول ما أطلقت عليه فيما يرى - المحاسبي والجاحظ - على مدرسة تنسكية شيعية نشأت بالكوفة في ذلك العهد، ولقب الصوفية كان أول الأمر منحصرًا في الكوفة ولم يمتد على ذلك خمسون سنة حتى صار يطلق على جماعة متسكة العراق ، ليميزها عن جماعة متسكة خراسان التي كانت معروفة باسم الملامتية ، وبعد قرنين تقريبًا من هذا التاريخ كانت هذه الكلمة تطلق على جميع النساك (٦) .

- (١) راجع : ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٦/١١ .
- (٢) هو أبو موسى جابر بن حيان الكوفي ، تلميذ الإمام جعفر الصادق وقيل : إنه مولى له وتتلذذ على يديه فاشتهر بمعرفة علم الكيمياء والطلسمات وقد ادعى الشيعة إن جابرا هذا كان شيعيا لاتصاله بالإمام جعفر .
- (٣) هو أبو هاشم عثمان بن شريك الكوفي الصوفي ، كانت وفاته سنة ١٥٠ هـ والحديث عنه لا يقل في اضطرابه وتناقضه عما ذكر في جابر بن حيان .
- بعض الناس ينسبونه إلى التشيع ، وبعضهم يقولون : إنه يقول بالحلول والاتحاد ، وبعضهم ينسبونه إلى الدهرية والباطنية ، وبنى أول خانقاه في الرملة بفلسطين ، دائرة المعارف الإسلامية ، مادة التصوف ، وأيضا انظر : د/ أحمد بن محمد البناني : موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية ص ٨٥ - ٨٨ .
- (٤) انظر : أحمد البناني : موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية : ص ٨٩ .
- (٥) د/ محمد غلاب : التنسك الإسلامي منشؤه وتطوره ومذاهبه ص ٤٥ ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة التعريف بالإسلام ، القاهرة .
- (٦) د/ محمد غلاب : التنسك الإسلامي ص ٤٥ .

الفصل الرابع

فـ

مراتب الصوفية وطبقاتهم عندهم

كون الصوفية خلال تطور عقيدتهم نظاما هرميا مقدسا يبدأ من القطب الذى يقابل الإمام الشيعى والإسماعيلى ، ويتفرع إلى الأبدال والأوتاد والعمداء والنقباء والنجباء ، وهكذا لقد ربط الكاتب أحمد أمين هذه الأصناف من الناس " بفكرة المهدي وفروعها عنها ، وجعل المهدية أساسا للقطب على اعتبار أن الصوفية صاغت صياغة جديدة . . . وكونت مملكة من الأرواح على نمط مملكة الأشباح ، وعلى رأس هذه المملكة الروحية " القطب " وهو نظير الإمام أو المهدي فى التشيع " (١) إذن يتضح أن هناك صلة بين التصوف والشيعية والإسماعيلية خاصة فى قضية الإمامة والمهدية وفى تصرف الكون وتسيير الدنيا وتدبير شؤون الخلق . . . كل من هذه الأفكار يستقونها من الفلاسفة القدماء الذين يقولون: " بالعقول العشرة " ، ومن هنا يزعمون " أن الولي يتصرف فى الأكوان ويقول للشئ كن فيكون ، وكل ولي عندهم قد وكله الله بتصرف جانب من جوانب الخلق ، فأربعة أولياء يمسكون العالم من جوانب أربعة ويسمون الأقطاب وسبعة أولياء آخرون كل منهم يمسك قارة من قارات الأرض السبع ويسمون البدلاء ، وعدد آخر من الأولياء فى كل إقليم . . . فالأرض والسموات تدار حسب الولاية الصوفية ، وأما الملائكة جميعا فإنهم فى خدمة هؤلاء الأولياء ينفذون أوامرهم ويخضعون لمشيئتهم " .

ويعتبر الصوفية الأولياء ذو المراتب خواص الله فى أرضه ، ورحمة الله فى ملكوته على سائر العباد ، يقول صاحب روضة التعريف :

-
- (١) أحمد أمين : ضحى الإسلام ٢٤٥/٣ .
(٢) عبد الرحمن عبد الخالق : الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة ص ٢٢٣ ، مكتبة إين تيمية / الكويت ط ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

" إن خواص الله في أرضه ورحمة الله في بلاده على عباده : الأبدال والأقطاب والأوتاد والعرفاء والنجباء والنقباء وسيدهم الغوث " (١) .

ويقول صاحب الكشف : أهل الحل والعقد وقادة حضرة الحق جل وعلا، فثلاثمائة ، يدعون الأخيار ، وأربعون آخرون يسمون الأبدال (٢) وسبعة آخرون يقال لهم: الأبرار (٣) وأربعة يسمون الأوتاد (٤) وثلاثة آخرون يسمون النقباء (٥) وواحد يقال له القطب (٦) والغوث وهؤلاء جميعا يعرف أحدهم الآخر ، ويحتاجون في الأمور لإذن بعضهم البعض (٧) .

قال الشعراني : أما القطب فقد ذكر الشيخ (ابن عربي) في الباب الخامس والخمسين ومائتين أنه لا يمكن القطب أن يكون في القطابة إلا بعد

-
- (١) انظر : لسان الدين ابن الخطيب : روضة التعريف بالحب الشريف ص ٤٣٢ ، دار الفكر العربي / بيروت .
- (٢) هم قوم من الصالحين ، لا تخلو الدنيا منهم ، إذا مات واحد منهم أبدل الله مكانه بآخر . مختصر الصحاح : مادة الباء ، وقال الجرجاني : هم سبعة ، ومن سافر من القوم عن موضعه ترك جسدا على صورته حتى لا يعرف أحد أنه فقد ، فذلك هو البديل لاغير ، وهم على قلب إبراهيم . انظر: الجرجاني : التعريفات الدار التونسية للنشر ص ١٣٩ .
- (٣) ويسمونهم الأخيار .
- (٤) عبارة عن أربعة رجال ، منازلهم على منازل أربعة أركان من العالم شرق وغرب وشمال وجنوب ، مع كل واحد منهم مقام تلك الجهة ، ويقال لهم أيضا العمداء . انظر : الجرجاني : التعريفات ص ١٣٩ .
- (٥) هم الذين تحققوا بلاسم الباطن ، فاشرفوا على بواطن الناس ، فاستخرجوا خفايا الضمائر لإكتشاف الستائر عن وجوه السرائر . كذا في التعريفات للجرجاني ص ١٢٨ .
- (٦) وهو الغوث : عبارة عن الواحد الذي هو موضع نظر الله من العالم في كل زمان وهو على قلب اسرافيل عليه السلام . راجع : التعريفات للجرجاني ص ١٣٩ .
- (٧) على لهجويري : كشف المحجوب ص ٤٤٧ - ٤٤٨ ، دار الكتاب / مصر .

أن يحصل معاني الحروف التي في أوئل السور المقطعة ، مثل : الم ، المص ونحوهما ، فإذا أوقفه الله تعالى على حقائقها ومعانيها ، تعينت له الخلافة وكان أهلا لها (١) .

ويزعم الصوفية أن مسكن النقباء المغرب ، والنجباء (٢) مصر ، والأبدال بالشام ، والأخيار سياحون في الأرض ، والعمداء زوايا الأرض والغوث بمكة ، فإن عرضت الحاجة من أمر العامة ، ابتهل فيها النقباء ، ثم النجباء ، ثم الأبدال ، ثم الأخيار ، ثم العمداء ، فإن اجيبوا وإلا ابتهل الغوث ، فلا تتم مسألته حتى تجاب دعوته (٣) .

يقول صاحب التائية الكبرى : " ولهم مراتب : الأولى المرتبة القطبية : ولا يكون فيها أبدا إلا واحدا ويسمى غوثا ، لكونه مغيثا للخلق في أحوالهم ، ثم مرتبة الإمامين (٤) وهما كالوزيرين للسلطان :

أحدهما : صاحب اليمين وهو متصرف بإذن القطب في عالم الملكوت والغيب
وثانيهما : صاحب اليسار ، وهو المتصرف في عالم الملك والشهادة ، وعند

(١) عبد الوهاب الشعراني : اليواقيت والجواهر ج ٢ ص ٨٢ ، وإن المؤلف لهذا

الكتاب أورد تفاصيل هؤلاء الأفراد من الصوفية ، وأوصافهم والمعرفة على أحوالهم .

(٢) هم الأربعون وهم المشغولون بحمل أثقال الخلق ، وهي من حيث الحملة كل حادثة لا تفي

القوة البشرية بحمله ، وذلك لاختصاصهم بوفور الشفقة والرحمة الفطرية ، فلا يتصرفون

إلا في حق الغير ، إذ لامزية لهم في ترقياتهم إلا من هذا الباب .

راجع : التعريفات للجرجاني ص ١٣٩ .

(٣) عبد القادر حبيب الله : التصوف في ميزان البحث ص ٥٢٥ ، مكتبة ابن تيمية / المدينة المنورة

(٤) قال الجرجاني : الإمامان هما : الشخصان اللذان أحدهما عن يمين الغوث ، أي القطب ،

ونظره في الملكوت وهو مرآة ما يتوجه منه المركز القطبي إلى العالم الروحاني من

الإرادات التي هي مادة الوجود والبقاء ، وهذا الإمام مرآته لامحالة ، والآخر عن يساره

ونظره في الملك ، وهو مرآة ما يتوجه منه المحسوسات من المادة الحيوانية ، وهذا

مرآته ومحله ، وهو أعلى من صاحبه ، وهو الذي يخلف القطب إذا مات .

راجع : التعريفات للجرجاني ص ٢٠ ، الدار التونسية للنشر .

إرتحال القطب إلى الآخرة ، لا يقوم مقامه منهما إلا صاحب اليسار لكونه في السيرة من صاحب اليمين . . . ثم مرتبة الأربعة كالأربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

ثم مرتبة البدلاء السبعة الحافظين للأقاليم السبعة ، وكل منهم قطب للأقاليم الخاص به ، ثم مراتب الأولياء العشرة كالعشرة المبشرة ثم مراتب الإثنى عشر (١) .

فهذه المراتب التي وضعها الصوفية لاتقوم على أساس ديني صحيح ولا هي قائمة على المبادئ الإسلامية ، ولو تأملنا المبادئ الشيعية والإسماعيلية ومعتقداتهما نجد توافقا يشير إلى ما أخذوه من تلك الفرق نتيجة للتأثير والتأثر ، وليست هذه من الدين الإسلامي في شيء ، ولم تثبت في عهد الصحابة والسلف الصالحين ، وإن الواضع لهذه المراتب هو علي بن عبدالله بن الجهم الهمداني الذي قال عنه ابن الملقن في طبقات الأولياء والذي عند العلماء وضاعا كذابا (٢) .

وقال ابن كثير وابن جهضم هذا كذاب (٣) ﴿ وَمَا لَكُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ ﴾^(٤) والله تعالى منزّه فيما يقولونه في المراتب .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - " وأما الأسماء الدائرة على السنة كثير من النساك والعامة ، مثل الغوث الذي يكون بمكة والأوتاد الأربعة والأقطاب السبعة ، والأبدال الأربعة والنجباء الثلاثمائة فهذه الأسماء ليست موجودة في كتاب الله ولا هي أيضا مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بإسناد صحيح ولا ضعيف محتمل ، إلا لفظ الأبدال ، فقد روى فيهم

(١) احسان الهى ظهير : التصوف : المنشأ والمصدر ص ٢٣٢ .

(٢) عبدالقادر حبيب الله : التصوف في ميزان البحث ص ٥٢٥ .

(٣) نفس المرجع ص ٥٢٦ .

(٤) سورة النجم ٢٨

حديث شامي منقطع الأسناد عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إن فيهم يعني أهل الشا من الأبدال، أريح من رجلا، كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلا)) •

ولا توجد هذه الأسماء في كلام السلف كما هي على هذا الترتيب ، ولا هي ماثورة على هذا الترتيب ، والمعاني عند المشائخ المقبولين عند الأمة قبولاً عاماً ، وإنما توجد هذه الصورة عند بعض المتوسطين من المشائخ ، وقد قالها إما أثراً لها عن غيره أو ذاكرة ، وهذا الجنس ونحوه من العلم الذي التبس على كثير من المتأخرين حقه بباطلة ، فصار فيه من الحق ما يوجب قبوله ومن الباطل ما يوجب رده •

وصار كثير من الناس فيه على طرفي النقيض ، قوم كذبوا به كله ، لما وجدوا به من الباطل ، وقوم صدقوا به كله لما وجدوا فيه من الحق وإنما الصواب التصديق بالحق والتكذيب بالباطل ، وهذا تحقيق بما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من ركوب هذه الأمة سنن من كان قبلها حذو القذة بالقذة ، فإن أهل الكتابين لبسوا الحق بالباطل ، وهذا هو التبديل والتحريف الذي وقع في دينهم ، ولهذا يعتبر الدين عندهم بالتبديل تارة وبالنسخ تارة أخرى " (١) انتهى كلام ابن تيمية •

وكلام شيخ الإسلام ابن تيمية رافع جداً ومسكت للقائلين بهذه المراتب لعدم استناد مقولتهم على المبادئ الإسلامية ولا على ما قاله علماء السلف المتأخرين و المتقدمين •

وقد وضعها الصوفية إما تخيلاً وإما لجهلهم بالدين وتعاليمه ، وإما لغرض إحداث الشرور والفتن في الأمة المسلمة ، فلم يجترئ أحد إلا شذمة قليلة من الزائغين والطامعين من الشيعة والإسماعيلية •

(١) ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ج ١ ص ٥٧ / بيروت •

أيضاً : مجموع الفتاوى ج ١١ ، ص ٤٣٩ - ٤٤٣ •

وقد أورد الحديث المذكور ، الإمام أحمد رضى الله عنه فى مسنده ولكنه مقطوع الإسناد وهو من وضع الوضاعين من الرافضة ، وكان الرافضة يدعون أنه لابد فى كل زمان من إمام معصوم ، يكون حجة على المكلفين ، لا يتم الإيمان إلا به ، وذلك لأن الإمام المعصوم ، قائم بمهماتهم فى العالم فى كل زمان ومكان ، لا يزيد عددهم ولا ينقص إلى يوم القيامة .

يقول الشهرستانى : " قالوا : وما كان فى الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام ، حتى تكون مفارقتة الدنيا ، على فراغ قلب من أمر الأمة ، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف وتقرير الوفاق ، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملا يرى كل واحد منهم رأيا (١) .

يقول ابن خلدون : " وكان سلفهم - سلف الصوفية - مخالطين للإسماعيلية المتأخرين من الرافضة الداننين أيضا بالحلول وإلهية الأئمة مذهبا لم يعرف لأولهم ، فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر واختلط كلامهم وتشابهت عقائدهم ، وظهر فى كلام المتصوفة ، القول بالقطب ، ومعناه رأس العارفين ، يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد فى مقامه فى المعرفة ، حتى يقبضه الله ، ثم يورث مقامه لآخر من أهل العرفان .

وهذا الكلام لا تقوم عليه حجة عقلية ، ولا دليل شرعى ، وإنما هو من أنواع الخطابة ، وهو بعينه ما تقوله الرافضة ودانوا به ، ثم قالوا : بترتيب وجود الأبدال بعد هذا القطب ، كما قاله الشيعة النقباء ، فانظر كيف

(١) الشهرستانى : الملل والنحل ، ج ١ ص ١٦٣ ، دار المعرفة / بيروت .

سُرقت طبائع هؤلاء القوم هذا الرأي من الرافضة " (١) .
من خلال هذه النصوص تجلت حقيقة الصوفية في مصطلح المراتب
لهم، وهم أصلاً حرفوا معنى الولي الذي أراده القرآن الكريم، واخترعوا ما
يسمونه بالأقطاب والأوتاد والأبدال والنقباء والنجباء، تسميات ما أنزل الله
بها من سلطان، يرتبونها بها أوليائهم ترتيباً وفق المذاهب الشيعية
والإسماعيلية، ومضاهاة للنصارى الذين يرتبونها رجال الدين عندهم ابتداءً
من الشمس وانتهاءً إلى البابا .

لاشك أن هذه العقائد خطيرة جداً، تمس جوهر العقيدة الإسلامية،
فالاعتقاد بأن أحداً غير الله سبحانه وتعالى يتصرف في هذا الكون هو شرك
جلى لا خفاء فيه، فكيف يرضى الله عن أمة تشرك به صباحاً ومساءً؟!
مع أن الله وصف أكابر أوليائه بالصدّيقين كأبى بكر ومريم بنت عمران
فيأتى هؤلاء ليحادوا الله ورسوله، ويقولون: بأن القطبية هي مرتبة فوق
الصدّيقة؟! .

(١) إين خلدون : تاريخ إين خلدون جـ ١ ص ٨٧٥ ، ط ٢ ، دار الكتاب اللبناني ،
بيروت ١٩٦١ م .

الفصل الخامس

بين الحقيقة والشرعية

•••••

وبما أن التصوف عبارة عن عمل القلب وتركية النفس وتربية الروح ، فكان من الضروري أن تتخذ لها ضوابط وقواعد وأصول يقوم عليها التصوف ، فقد اخترع الصوفية أشياء غريبة واستحدثوا أمورا عجيبة لأساس لها في الإسلام اطلاقا وجعلوها من الدين وهو برئ منها فإن الحقيقة والشرعية واحدة من تلك الأمور فأصبحت اليوم قضية مثارة على المجتمع الإسلامي ، فالشيء الذي لم يكن له أهمية من قبل صار اليوم عنصرا أساسيا للدين الإسلامي ، فإن مصطلح الحقيقة لم يكن في عصر الصحابة شيئا يذكر ولم تحصل له ميزة على الاطلاق ، ولكن الصوفية جعلوا لها مكانة عالية من الشرعية وتكلموا في ما لا يليق لمسلم أن يتحدث به فضلا عن الذين يرفعون قدرهم على الناس ويتفاخرون بالعلوم الظاهرية والباطنية .

وهذه القضية وأمثالها جعلت الأمة المسلمة مشتتة ومتفرقة وأفقدت أواصرها الأخوية وجعلتها فريسة لأعداء الإسلام ، كما نراها اليوم في عالمنا الإسلامي ، وليس من المبالغة حينما نقول: إن فكرة الحقيقة والشرعية وضعت طريقين مختلفين للوصول إلى الله تعالى ، أحدهما: الشرعية التي كلف الله تعالى الناس بواسطة الرسل أو الانبياء وثانيهما: الحقيقة التي تتحقق بلا واسطة ، اتخذها الصوفية من عند أنفسهم وما أنزل الله بها من سلطان .

كما قال ابن عربي : " ولما مثل النبي صلى الله عليه وسلم النبوة بالحائط من اللبن ، وقد كمل سوى موضع لبنه ، فكان صلى الله عليه وسلم تلك اللبنة ، غير أنه صلى الله عليه وسلم لا يراها إلا كما قال: لبنة واحدة ، وأما خاتم الأولياء فلا بد من هذه الرؤيا فيرى مأمثله به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرى في الحائط موضع لبنتين واللبن من ذهب وفضة ، فيرى

اللبتين اللتين ينقص الحائط عنهما ، ويكملانهما لبنة ذهب ولبنة فضة ، السبب الموجب لكونهما رأيا لبنتين أنه تابع لشرع خاتم الرسل في الظاهرة وهو موضع اللبنة الفضية وهو ظاهرة ، وما يتبعه فيه من أحكام ، كما هو أخذ عن الله في السرما هو بالصورة الظاهرة متبع فيه لأنه يرى الأمر ما هو عليه فلا بد أن يراه هكذا وهو موضع اللبنة الذهبية في الباطن ، فإنه أخذ من المعدن الذي يأخذ منه الملك الذي يوحى به الرسول ، فخاتم الرسل من حيث ولايته نسبته مع الخاتم للولاية نسبة الأنبياء والرسل معه " (١) .

فاين عربى فى هذا الكلام يقصد أن هناك علم الشريعة وهو موضع اللبنة الفضية ، وهو علم الظاهر ، كما أن هناك علم الحقيقة وهو موضع اللبنة الذهبية وهو خاص بالصوفية ، ثم إنه شخصية تكلم عن الحقيقة وإن منزلته أعلى من الرسول ، إذ أنه يأخذ - حسب إدعائه - من حيث يأخذ الملك . وسوف نأتى ببيانه فيما بعد ان شاء الله تعالى .

ويحاول الصوفية لإثبات صحة مايقولون فى هذا الشأن إقامة التأويل وتقديم البينة أن الحقيقة أمر لاينفك عن الشريعة ، بل إنها جزء فقال الطوسى : " إن علم الشريعة علم واحد وهو إسم واحد يجمع معنيين : الرواية والدراية ، فإذا اجمعتهما فهما علم الشريعة الداعية إلى الأعمال الظاهرة والباطنة " (٢) ، ولكن حقيقة الأمر أن الصوفية لا يستعملونهما مترادفتي المعنى ، بل يستعملون كل واحدة منهما لمعنى خاص بها دون غيرها ، ولأجل هذا يقول الشيخ على الهجویری : " إن الشريعة والحقيقة أمران منفصلان تماما فى الحكم " (٣) .

(١) محى الدين ابن عربى : فصوص الحكم ص ٦٣-٦٤ ، الفصل الثانى : فص شيش .

(٢) الطوسى : كتاب النعم ص ١٢٩ ، أيضا أبو طالب المكى ، قوت القلوب ٨١/١ .

(٣) على الهجویری : كشف المحجوب ص ٣٣٢ " فارسى " .

وإلى هذا الانفصال أشار القشيري إلى " أن الشريعة أمر بالتزام العبودية ، والحقيقة مشاهدة الربوبية ، فالشريعة أن تعبده والحقيقة أن تشاهده " (١) ، وواضح من كلام القشيري هي ما يكلف به الفرد المسلم من الأوامر والنواهي ، والحقيقة ما يحصل له من الفضل والعناية والتوفيق أو أن الشريعة إمتثال أوامر الدين ونواهيها ، وإن الحقيقة المحافظة على الأحوال الباطنية التي هي من عند الله سبحانه وتعالى .

فهم يقولون : إن العالم نوعان : عالم بالله وعالم بشرع الله :
" فالعالم بالشرع موضوع علم الأحكام ، والنظر في الحلال والحرام ، وما يوافق الشرع وما يخالفه ، فهو يضبط أعمال الجوارح بعمله ، ويصفها ويدل على كيفياتها ، وأساس العمل به النية (٢) أو القصد الذي يعين غرض العامل من عمله .

وأما العالم بالله الذي يحتاج إليه الصوفية ، فهو العالم الذي درس الشرع كما درسه الأول ثم زاد عليه الغوص إلى باطن الشرع بغية عرفان مقاصده الروحية من أوضاعه وكيفياته وحكمته في أوامره ونواهيها ، وبما تصحح به تلك الأوامر والأعمال وبما تفسد به ، ويكون قد درس النفس الإنسانية في ميولها وتفقه في مراتب تركيبها من الأمانة واللوامة إلى الملهمة وإلى المطمئنة ثم الراضية المرضية والكاملة (٣) .

فالنوع الأول : هم الفقهاء الذين يجتهدون في الأعمال الظاهرة التي تتعلق بالجوارح كالصلاة والزكاة والصوم وغيرها ، وأما النوع الثاني : فهم

-
- (١) القشيري : الرسالة القشيرية ص ٥٤ .
(٢) جدير بالذكر أن النية عند الفقهاء ما يسبق الفعل من عقد العزم على أدائه ، وأما عند الصوفية ما يصحب العمل من باعث نفسي ومقصد خلقي .
(٣) السيد محمود أبو الفيض المنوفى : جمهرة الأولياء وإعلام التصوف ٨٣/١ مؤسسة الحلبي وشركاه ، القاهرة ط ١ ١٩٦٧م

الصوفية الذين يعتبرون الأعمال الباطنية من بواطن الإنسان كالنفس (١) . وهذا النوع من الكلام يشير إلى الصراع بين الصوفية والفقهاء ، " وهذا الصراع الذى نشأ منذ عصر التدوين ، فبدأ الصوفية يعتبرون أنفسهم أرباب الحقائق ، والفقهاء أرباب الظواهر " (٢) .

ولئن نظرنا إلى الصوفية فى شبه القارة الهندية وأقوالهم نجد أن أكثريتهم ذهبوا إلى أن الحقيقة والشرعية مفهومان منفصلان ، قال الشيخ يحيى منيرى وهو من العلماء فى الهند : " فالشرعية متعلقة بالطهارة الظاهرة ، وأما الطريقة فهى أمر تتعلق بتزكية النفس وطهارة القلب والباطن فمثلا طهارة الملابس لأداء الصلاة أمر شرعى ، وأما طهارة القلب من الأكدار والأقذار قبل أدائها فهى طريقة ، وأيضا الوضوء واجب قبل كل صلاة فهو شرعية ولكن بقاؤه على الوضوء طول الوقت فهى طريقة (٣) .

وقال الشاه ولي الله : " وللدين المحمدى صلى الله عليه وسلم ميزتان ظاهرة وباطنة ، فأما ما يتعلق بالظاهرة فهو الحفاظ على لمصالح العامة وتنفيذها ومقاومة ما يخالفها ويعارضها من الأحكام والمعاملات وما يتعلق بها من الأعمال الصالحة ، وفيما يتعلق بالباطن فهو ما يترتب على القلب من ثمار تلك الأعمال والأحوال من التلذذ والراحة والإطمئنان " (٤) .

وقال أيضا : " فاما الذين قاموا بالحفاظ على الشريعة والعناية بها فهم يحافظون على ظاهر الدين أى الشريعة وهم جماعة من الفقهاء والمحدثين والغزاة والقراء ، فإذا كان هناك معارضة للدين وتحريف فهو لاء يقومون بردها ومقاومتها ، ويعملون فى خدمة المسلمين فى مجال التعليم والتدريس والمواعظ ، كذلك هناك جماعة أخرى تقوم بالمحافظة على الدين

(١) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٢) عبد العظيم شرف الدين : ابن قيم الجوزية عصره ومنهجه ص ٤٢٢ .

(٣) الشيخ شرف الدين يحيى منيرى : مكتوبات صدى ص ٨٣-٨٤ "فارسى" لكهنو ١٢٨٧ هـ .

(٤) الشاه ولي الله دهلوى : جمعات "فارسى" ص ٢ المطبع الإسلامى ، دلهى .

الإسلامى جعلهم الله تعالى محافظين له بالباطن ، فمهمة هؤلاء دعوة الناس إلى صفاء القلوب وطهارة بواطنهم والاستلذاذ بمسائر العبادات (١) .
ومن هذه الأقوال تبين لنا أن الصوفية قسمت الدين إلى قسمين ظاهر وباطن أو شريعة وحقيقة، فهل هذه القسمة صحيحة وهل تتفق مع الكتاب والسنة ؟ هذا ماسوف نوضحه إن شاء الله .

إن الأمر الذى يهمنا هنا أن الفقهاء والأئمة الذين خدموا الإسلام والقرآن والسنة واستنبطوا الأحكام منهما هل من العدل أن نجعلهم المحافظين على ظاهر الدين ؟ وهل يجوز لنا أن نقول عنهم أنهم لا يعرفون عن حقيقة الدين التى تتعلق بالباطن والظاهر، فأرغوا الأمور الباطنية وأنهم خاوى العقل والفهم ؟! نعم إنهم لا يعرفون الباطن والظاهر بالمفهوم الصوفى وإنما يعرفونه بالمفهوم الصحيح ، والحقيقة التى لامراء فيها أنه لا يوجد تقسيم للدين بهذا المفهوم الصوفى الذى سبق بيانه فنصوص الكتاب والسنة توضح كلها أن أعمال القلوب وأعمال الأبدان متلازمان لا تنفصلان ، فأساس الإسلام فى كل الأعمال النية الخالصة لوجه الله تعالى ، وهذه النية تترجم بالأعمال الصالحة كما جاء فى حديث ((إنما الأعمال بالنيات)) بالرغم من تصور الدين المقسم بين الحقيقة والشريعة فإن الشيخ ولى الله الدهلوى يعتبرهما من أسس الدين وحاول التوفيق بينهما بأنه كلاهما صحيح بذاتها ، فقال: "إن هناك طريقتين للوصول إلى الله ، أحدهما الوحى الإلهى بواسطة الأنبياء والرسل، وثانيهما الإلهام أو المعارف التى تحصل للأولياء" (٢) .
فما هو العلم الباطن ؟ وللإجابة على ذلك قال صاحب القوت :
"هذا هو العلم النافع الذى بين العبد وبين الله تعالى وهو الذى يلقاه به " (٣) .

(١) نفس المرجع والصفحة .

(٢) الشاه ولى الله الدهلوى : التفهيمات الإلهية ٢٨/٢ ، المجلس العلمى ، سورة الهند ١٣٥٥ هـ .

(٣) الشيخ أبو طالب المكى : قوت القلوب ١/١٩٨ ، دار النهضة المصرية ١٣٩١ هـ .

وقال الطوسي " هذا العلم ليس له نهاية " (١) وقال أيضا " وغاية جميع العلوم إلى علم الحقائق ، فإذا انتهى إليها وقع في بحر لاغاية له وهو علم القلوب وعلم العارف وعلم الأسرار وعلم الباطن وعلم التصوف وعلم الأحوال وعلم المعاملات ، أى ذلك شئت معناه واحد " (٢) .

وقال أبو يزيد البسطامي : " أخذتم علمكم ميتا عن ميت وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت " (٣) .

هذا وهناك جماعة أخرى من الصوفية يحاربون التفرقة بين الشريعة والحقيقة ومن هؤلاء أبو سعيد الخراز ، حيث يقول " كل باطن يخالف ظاهرا فهو باطل " (٤) .

وذكر ابن الجوزي مقالته أبو بكر الدقاق : " كنت مارا في تيه بنى اسرائيل ، فخطر ببالي أن علم الحقيقة مبين للشريعة ، فهتف بي هاتف من تحت شجرة ، كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر " (٥) .

وقال الشيخ أشرف علي تهانوي -أحد الصوفية المعتدلين في الهند - " الشريعة مجموعة من الأحكام تشمل الأعمال الظاهرية والباطنية ، فالعلماء المتقدمون من السلف يطلقون الشريعة على الفقه كما ورد عن أبي حنيفة رحمه الله في تعريف الفقه : هو معرفة النفس مالها وما عليها (٦) وقال أيضا : فالعلم الباطني شعبة من شعب الشريعة ، ذلك لأن الشريعة إسم لإصلاح الظواهر والبواطن ، فأما إصلاح الظواهر فهو إصلاح الأقوال والأفعال والأعمال ، وأما إصلاح البواطن فهو إصلاح العقائد والأخلاق " (٧) .

-
- (١) الطوسي : كتاب اللمع ص ١٨ .
 - (٢) الطوسي : كتاب اللمع ص ٣٧٩ .
 - (٣) غين الجوزي : تلبيس إبليس ص ٣٤٤ .
 - (٤) عبد العظيم شرف الدين : إين القيم الجوزية عصره وآراؤه ص ٤٢٥ .
 - (٥) إين الجوزي : تلبيس إبليس ص ٣٤٦-٣٤٧ .
 - (٦) لشرف علي تهانوي : التكشف مهمة التصوف ص ١١٤ " اردو " .
 - (٧) لشرف علي تهانوي : التكشف عن مهمة التصوف ص ٧٣ .

إن قضية الحقيقة والشرعية ، قضية ما تزال موجودة في العالم الإسلامي ولو نظرنا إلى المصدر الذي تنبعث منه هذه القضية نجد : " أن هذه الفكرة جاءت إلينا من الباطنية الإسماعيلية ، فهم أول من أعاد صياغة هذه الفكرة ، بل هم المختصون بهذه الخصائص ، ويعدونها من مفاخرهم " (١) .
وجاء في رسائل إخوان الصفا : " اعلم يا أخى ! أن الإيمان يقال على نوعين : ظاهر وباطن ، فالإيمان الظاهر هو الإقرار باللسان بخمسة أشياء : الإقرار بالله تعالى ووحدانيته ، وبالملائكة وبالرسل وباليوم الآخر .
وأما الإيمان الذى هو باطن ، فهو إضمار القلوب باليقين على تحقيق هذه الأشياء المقر باللسان ، فهو حقيقة الإيمان " (٢) .
ويستدل الإسماعيلية بقوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الْحُجُجُ فَهِيَ قُلُوبُهُمْ ذِيغٌ ، فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِيهِ الْعُلَمَاءُ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ۖ ﴾ (٣) وهم الباطنيون - على حد تعبيرهم - الذين لهم حظ في علم الحقيقة .

ومصطلح الحقيقة والشرعية أو الظاهر والباطن ، مأخوذ أيضا من معتقدات الشيعة ، ذلك : " لأن عليا رضى الله عنه عند الشيعة صاحب السلطات الروحية والزمنية في وقت واحد ، بعد النبي محمد (ﷺ) وفي اعتقاد الصوفية ، أن عليا (عليه السلام) الرئيس الروحي بعد النبي (ﷺ) بحيث : إنه (عليه السلام) مدينة العلم وعلى (عليه السلام) بابها الذى يشير إلى دور على (عليه السلام) في الباطنية الإسلامية ، وهذا الدور مقبول لدى الشيعة والصوفية " (٤) .

-
- (١) احسان الهى ظهير : الإسماعيلية ص ٤٧٣ .
 - (٢) رسائل إخوان الصفا وخلال الوفاء ج٢ ص ٦٧ ، دار بيروت للطباعة والنشر / بيروت ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٩ م .
 - (٣) سورة الأعران الآية ٧ .
 - (٤) د/سيد حسين نصر : الصوفية بين الأمس واليوم ص ١٢٨ ، ترجمة كمال اليازجى ، للدار المتحدة للنشر والتوزيع / ط ١ ، بيروت ١٩٧٥ م .

ويتضح من ذلك أن مصطلح الحقيقة والشرعية من مخترعات الاسماعيلية وبعض فرق الشيعة ، وليس من أصل الدين الإسلامى ، فهما أمران مختلفان باللفظ ولكنهما واحد بالمعنى والمفهوم ، ولأن الأحكام الشرعية كلها شاملة فى مسمى الإسلام الذى كلفه الله تعالى به من عباده المؤمنين ، فلا فرق بين العبادات والمعاملات والعقائد والأخلاق فى مفهوم الشرعية ، ولم تستعمل هذه الكلمات فى عصر الصحابة والتابعين ، ولكن حينما انتشرت الدعوة الإسلامية إلى آفاق العالم ، واتسعت الفتوحات الإسلامية إلى أرجائه، بدأت النهضة العلمية والثقافية تتقدم وتتطور، وشرع أناس مثقفون فى تدوين الكتب وتدوين اجتهادات العلماء فى الأمور الفقهية والعقيدية ، وذلك وفق مدارسهم الفكرية والعقيدية، وهذه الاختراعات التى حدثت فى الدين ، كانت من نتائج تلك التتبع والاجتهادات، بسبب كثرة إحتكاك المسلمين مع الشعوب الأخرى ، وتأثرهم من أفكار واتجاهات غير إسلامية .

فالشرعية بمفهوم الإسلام معناها : " ما شرع الله تعالى لعباده من الدين ويقال : شرعك هذا : أى حسبك " (١) .

والقرآن الكريم ينظم التشريع الإسلامى على ثلاثة أمور :
• الأول : ما يتعلق بالإيمان بالله وملائكته وكتبه . . الخ ، وهذه المباحث تسمى علم الكلام ، أو أصول الدين .
• الثانى : ما يتعلق بأفعال القلوب والمسلكات من الحث على مكارم الأخلاق مثل : الإخلاص والخضوع والخوف والرجاء . وهذه المباحث تسمى علم الأخلاق (السلوك) .
• الثالث : ما يتعلق بأفعال الجوارح من الأوامر والنواهي والتخييرات ، وهذه مباحث الفقه (٢) .

(١) الجوهرى : الصحاح ، ج ٣ ص ٣٢٠ .
(٢) الشيخ خضرى بك : تاريخ التشريع الإسلامى ص ١٦ ، ط ٩ المكتبة التجارية الكبرى القاهرة ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م .

الصورية

وقال بعض /: " إن الشريعة لغة ذات معنيين :

١ - شرعة الماء : أى مورد الشاربة ، ومنه قول العرب : شرعت الإبل ، إذا وردت شريعة الماء .

٢ - الطريقة المستقيمة التى لا اعوجاج فيها ، مثل : قوله تعالى : **وَمِنْ جَمَلِنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ ، فَاتَّبِعْنَاهَا ۖ إِنَّهَا لَآيَةٌ لِّكَ** (١) .

فالشرعية : ما شرع الله لعباده من الأحكام التى جاء بها النبى (ﷺ) سواء كانت متعلقة بكيفية عمل أو متعلقة بكيفية اعتقاد " (٢) .
ووضع الإمام ابن تيمية أصلاً لتفنيذ فكرة الظاهر والباطن أو الحقيقة والشرعية وهو : " أن العبادات مبناها على الشرع والاتباع ، لا الهوى والابتداع ، وذلك فإن الاسم مبنى على أصليين : أحدهما : أن يعبد الله وحده لا شريك له .

الثانى : أن نعبد ما شرعه الله تعالى على لسان رسوله (ﷺ) لا نعبد به بالاهواء والبدع " (٣) .

فلا تتحقق عبادة إلا إذا كان أدائها موافقا للشرع ومطابقا لما جاء به رسول الله (ﷺ) وإلا فتكون العبادة بدعة وغير مقبولة ، فالأعمال الظاهرة والباطنة أمر واحد ، تشملان فى مفهوم العبادة وفى دائرة الشريعة ، فلا فرق بينهما بحيث تتميز عن أخراها ، كما يزعهما الصوفية والشيعة والباطنية .

ويقول ابن تيمية فى هذا الصدد : " إن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة ، فلا تقتصر على الصدق ، والأمانة ، وبر الوالدين ، وصلة الرحم ، والوفاء بالعهد ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، والجهاد ، والإحسان إلى الجار واليتيم ، والدعاء ، والذكر ، والقرآن ، وكلها من الأعمال الظاهرة ، بل تتضمن أيضا حب الله ورسوله

(١) سورة الجاثية الآية ١٨ .

(٢) بدران أبو العيين : الشريعة الإسلامية ص ٢٧ ، مؤسسة شباب الجامعة / جدة .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١١ ص ١٢٠ .

وخشية الله والإنابة إليه وإخلاص الدين له ، والصبر لحكمه ، والشكر لنعمه
والرضا بقضائه والتوكل عليه ، والرجاء لرحمته ، والخوف من عذابه ، إن
هذه من الأعمال الباطنة " (١) .

وقال أيضا : " لأن علم الباطن الذي هو علم إيمان القلوب ومعارفها
و أحوالها هو علم بحقائق الإيمان الباطنة ، وهذا أشرف من العلم بمجرد
أعمال الإسلام الظاهرة " (٢) .

وكما قلنا: إن قضية الحقيقة والشرعية ترجع إلى الصراع بين الصوفية
والفقهاء ، ونشأ هذا الصراع منذ عصر التدوين ، فقسمها إلى فريقين :
أرباب الحقائق وأرباب الظواهر ، وكانت الحرب سجالا بين المتنازعين ،
حتى قال الإمام الشافعي عنهم: " لو أن رجلا تصوف أول النهار لا يأتي
الظهر حتى يصير أحرق " .

وقال أيضا: " ما لزم أحد الصوفية أربعين يوما ، فعاد عقله إليه أبدا " (٣) .
ولو كان الصوفية يجتنبون مثل هذه المصطلحات ، لما وقع هذا النزاع
والحرب الكلامية والفقهاء برءوا من تلك الاتهامات .
وكان العلامة ابن الجوزي من أشد المعارضين للمواقف الصوفية ،
ومن بينها موقفهم من الحقيقة والشرعية ، فقال : " وسموا علم الشريعة علم
الظاهر وسموا هواجس النفوس علم الباطن ، واحتجوا بما روى عن علي
بن أبي طالب كرم الله وجهه عن النبي (ﷺ) أنه قال: ((علم الباطن سر
من أسرار الله عز وجل ، وحكم من أحكام الله تعالى ، يتذقه الله عز وجل
في قلوب من يشاء من أوليائه)) " (٤) .

-
- (١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٢٣١ .
 - (٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٢٣١ .
 - (٣) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ٣٩٧ .
 - (٤) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ٣٤٥ .

وقال ابن الجوزى عن هذا الحديث: " وهذا حديث لا أصل له عن النبى

(ﷺ) وفى إسناده مجاهيل لا يعرفون " (١) .

ثم يستطرد قائلا : " وقد فرق كثير من الصوفية بين الشريعة والحقيقة ، وهذا جهل من قائله ، لأن الشريعة كلها حقائق ، فإن كانوا يريدون بذلك الرخصة والعزيمة ، فكلاهما شريعة " (٢) .

ويضيف ابن الجوزى : " وقالوا حقيقة وشريعة ، وهذا قبيح ، لأن الشريعة ما وضعه الحق لمصالح الخلق ، فما الحقيقة بعد ذلك سوى ما وقع فى النفوس من إلقاء الشيطان ، وكل من رام الحقيقة فى غير الشريعة ، فمغرور مخدوع ، وإن سمعوا أحدا يروى حديثا " (٣) .

وأما ما قاله البسطامى من أنهم : " أخذوا علمهم ميتا عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحى الذى لا يموت " فقال ابن الجوزى : " فأصلح ما ينسب إلى هذا القائل أنه ما يدرى ما فى ضمن هذا القول ، وإلا فهذا طعن على الشريعة ، ولأن كلامه هذا يظهر بغضهم على الفقهاء ، وهذا أكبر الزندقة ، لأن الفقهاء يخطر ونهم بفتاويهم عن ضلالهم وفسقهم ، وكذلك بغضهم لأهل الحديث ، كما قال ابن الجوزى " (٤) .

وأما شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله - كما تقدم معنا - فإنه يبطل التفرقة بين الحقيقة والشريعة ونعنى على ابن عربى عما ذكرنا فى بداية البحث ، وألقى اللوم عليه ، واعتبره علامة من الكفر ، كقول ابن عربى بأنه أخذ من المعين الذى يأخذ منه الملك لذى يوحى به إلى الرسول " . . . وهكذا كفر يشبه كفر مسيلمة الكذاب إذ ادعى النبوة .

(١) ابن الجوزى : تلبيس إبليس ص ٣٤٥ .

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٤) نفس المصدر ونفس الصفحة .

وقال ابن تيمية : " ومنهم من يدعى أن خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء من جهة العلم بالله ، وأن الأنبياء يستفيدون العلم بالله من جهته كما يزعم ذلك ابن عربي صاحب " كتاب الفتوحات المكية و كتاب الفصوص " فخالف الشرع والعقل مع مخالفة جميع أنبياء الله تعالى وأوليائه ، كما يقال لمن قال : ﴿ فخر عليهم السقف من تحتهم ﴾ لا عقل لا قرآن " (١) .

ثم قال : " ومن ادعى أن من الأولياء الذين بلغت رسالة محمد (ﷺ) من له طريق إلى الله ، لا يحتاج فيه إلى محمد (ﷺ) ، فهذا كافر ملحد ، وإذا قال : أنا محتاج إلى محمد (ﷺ) في علم الظاهر دون علم الباطن ، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة ، فهو شر من اليهود والنصارى " (٢) .
وذكر ابن تيمية " تحقيق الحقيقة " التي حصل لها الاهتمام الخاص في مذهب التصوف ، فقال : لفظ " الحقيقة " يقال : على حقيقة كونية وحقيقة بدعية ، وحقيقة شرعية .

فالحقيقة الكونية مضمونها الإيمان بالقضاء والقدر وأن الله خالق كل شيء وربّه ومليكه ، وأن الحقيقة البدعية فهي : سلوك طريق الله تعالى في قلب العبد من الذوق والوجد والمحبة والهوى من غير اتباع الكتاب والسنة ، كطريق النصارى ، فهم تارة يعبدون الله ، وتارة يعبدون بغير الله وأما الحقيقة الشرعية أو الدينية هي : تحقيق ما شرعه الله ورسوله : (٣) .
والحاصل أن ابن تيمية كان يعارض نظرية الحقيقة والشريعة عند الصوفية ، وقال : إن الباطن والظاهر والشريعة والحقيقة ، كل هذا مردود إلى كتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ) لا إلى المشائخ والفقراء ، ولا إلى الملوك والأمراء ، ولا إلى العلماء والقضاة وغيره ، فما وافقهما فهو حق ، وما خالف واحدا منهما فهو باطل .

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٢٢٣ .

(٢) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٢٢٥ .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٥٠٨ - ٥٠٩ .

كذلك كان موقف العلامة ابن القيم رحمه الله ، فهو لا يرضى عن القول بالحقيقة ولشريعة ، إلا أنه لم يكن شديدا كما كان ابن الجوزى وابن تيمية فى موقفهما من الحقيقة والشريعة ، وكان موقفه منه بالنسبة لهما ، موقف تطبيق بين القضيتين ، وفى رأيه أن الشريعة والحقيقة لا تتافى بينهما فكل منهما جانب ، فالسرعة عبادة الله والحقيقة مشاهدة صفات الحق وقال : " فالشريعة أن تعبد ، والحقيقة أن تشهد ، فالشريعة : قيامك بأمره ، والحقيقة : شهودك لوصفه " (١) ولكن بشرط أن لا تكون هذه مخالفة للشريعة .

وبعد ! فكل النوعين من الأعمال - الظاهرة و الباطنة - مبنية على العبادة التى تشمل جميع الأعمال الصالحة ، وهى مطلوبة من المسلمين لتحقيق العبودية لله عزوجل ، فالتلازم بينهما واضح ، إذ لا يتحقق أحدهما دون الآخر ، كاجهاد فى سبيل الله ، فإنه من الأعمال الظاهرة ، إلا أنه لا يتحقق ولا يثاب عليه ، دون الحب فى الله .

(١) ابن القيم الجوزية : مدارج السالكين ج٢ ص ٢٠٨ .

الفصل السادس

فـ

الأحوال والمقامات

ويشتمل على أربعة مباحث

المبحث الأول : مفهوم الأحوال والمقامات

المبحث الثاني : أقسام الأحوال ودرجاتها

المبحث الثالث : المقامات لدى أهل التصوف

المبحث الرابع : نقد الحال والمقام



المبحث الأول

مفهوم الأحوال والمقامات

- من أهم المصطلحات لدى الصوفية الأحوال والمقامات
- فالأحوال : جمع الحال ، وهو في اللغة : نهاية الماضي وبداية المستقبل
- وفي الاصطلاح : ما يبين هيئة الفاعل أو المفعول به لفظاً
- وعند الصوفية : الحال هو ما يدخل في قلب السالك بدون اختيار أو تعمد أو جلب أو اكتساب ، وهذا مثل : الطرب أو الحزن أو البسط أو القبض أو الشوق أو الإنزعاج وأمثالها (١)
- ويقول السراج الطوسي : " الحال : هو ما يحل بالقلوب أو تحل به القلوب من صفاء الأذكار
- وأما المقام فمعناه : مقام العبد بين يدي الله عز وجل ، فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله تعالى
- والمقامات مثل : التوبة والورع والزهد وغير ذلك " (٢)
- فخلاصة كلامه في عبارة قصيرة هي : أن المقامات مكاسب ، والأحوال مواهب ، فما للعبد من جهد يدخل في باب المقامات وما يقاضى عليه من لدن الله تعالى ، فينقله درجة بعد درجة في رحلة السفر إلى الله سبحانه وتعالى ، يدخل في الأحوال
- وقال الكلاباذي : إن علوم الصوفية ، علوم الأحوال ، والأحوال مواريث الأعمال ، ولا يرث الأحوال إلا من صحح الأعمال (٣)
- وقال الجرجاني : والحال عند أهل الحق - التصوف - ما يرد على القلب

(١) السيد الشريف الجرجاني : كتاب التعريفات ص ٨ ، دار الكتب العلمية ط ٩ / لبنان

أيضاً : عبد الكريم القشيري : الرسالة القشيرية ج ١ ص ١٩٢

(٢) السراج الطوسي : كتاب اللمع ص ٦٥ - ٦٦

(٣) أبوبكر محمد الكلاباذي : التعرف على مذهب أهل التصوف ص ١٠٤

من غير تصنع ولا اجتلاب ولا إكتساب من طرب أو حزن أو قبض أو بسط أو هيئة ، يزول بظهور صفات النفس ، سواء يعقبه المثل أو لا ، فإذا دام وصار ملكا ، يسمى مقاما ، فالأحوال مواهب ، والمقامات مكاسب ، والأحوال تأتي من عين الجود ، والمقامات تحصل ببذل المجهود " (١) ويسمى الوارد مقاما إذا ثبت وأقام ، ويسمى الوارد حالا إذا كان عارضا سريع الزوال ، وهذا في الخواطر واللمحات التي تسبق المقامات .

وفي الحقيقة أن علماء التصوف يضطربون في تحديد بيان الحال والمقام ، كما كان حالهم في تعريف التصوف و حقيقته ، فإنهم حيارى في هذا الموضوع ، فإن هناك آراء كثيرة متشابكة ومتناقضة حوله ، ويكفى أن نعلم أن كل جهد يبذل في الطريق من جانب العبد ، يصحبه تغير وجدانه ، وقيل : إن أول من تكلم في الأحوال والمقامات هو ذوالنون المصري (٢) . ولا بد أن نلاحظ أن كتاب التصوف تكلفوا بالتقسيمات والتعريفات للموضوع الواحد ، وعذرهم في ذلك كثرة التغيرات النفسية الطارئة على العبد أثناء المسير كما يقولون ، وهي تغيرات متلاحقة ، وأعانهم ثراء اللغة العربية بالمفردات المتقاربة في المعنى و المتقاربة في نفس الوقت في الدرجة (٢) . ونجد أن المتصوفة قد وضعوا تعريفات كثيرة للحال والمقام ، كما أنهم اختلفوا في وضع أقسام كل منهما ، فبعضها متداخلة وبعضها متناقضة . وعلماء التصوف يهتمون بالأحوال والمقامات ، غاية الاهتمام ، بحيث يعتبرونهما من أسس الدين ، تتوقف عليهما جميع الأعمال الصالحة . ويقول أحدهم : " إن جميع مقامات الدين ، إنما تنتظم من ثلاثة أمور : معارف وأحوال ومقامات .

-
- (١) الجرجاني : التعريفات ص ٨١ .
 - (٢) نيكلسون : في التصوف الإسلامي وتاريخه ص ٧ .
 - أيضا : دائرة المعارف ج ٩ ص ٤١٩ .
 - (٣) د/ إبراهيم البسيوني : نشأة التصوف الإسلامي ص ١٢٠ .

فالمعارف هي الأصول، وهي تورث الأعمال، والأعمال تحقق المقامات والمقامات تبلغ الأحوال، والأحوال تثمر الأعمال، فالمعارف كالأشجار، والأعمال كالأغصان، والمقامات كالثمرات، وهذا مطرد في جميع منازل السالكين إلى الله (١) فلا تتصور الأحوال إلا من مقامات، تتمثل بالأعمال والنتائج، ولا تقوم المقامات بوجودها إلا وقد سبقتها الأحوال، والشئ الذي يفرق بينهما أن الحال عارض، وذلك لتحوله من وضع إلى وضع آخر والمقام ثابت ومستقر لا تطرأ عليه عوارض، ومرتبة الحال مقدمة على مرتبة المقامات .

سئل أبو بكر الواسطي عن قول النبي (ﷺ): ((الأرواح جنود مجندة)) (٢)؟

قال : مجندة على قدر المقامات ، فما تعارف منها في الله انتلف في الله بالحب الإلهي وتلك الأحوال ، وأما المقامات مثل : التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل وغير ذلك ، فهي مكسوبة بالأعمال " .

المبحث الثاني

أقسام الأحوال ومراتبها

صنف أبو نصر السراج مجموع أحوال العارفين على النحو التالي :

١- المراقبة ٢- القرب ٣- المحبة ٤- الخوف ٥- الرجاء

٦- الشوق ٧- الأنس ٨- الاطمئنان ٩- المشاهدة ١٠- اليقين (٣) .

وقال بعض الصوفية (٤) : إن الأحوال مقتصرة على أمور سبعة :

١ - القرب ٢- الحب ٣- الشوق ٤- الأنس ٥- حالي القبض والبسط

٦ - حالي القضاء والبقاء ٧ - حال الاطمئنان .

-
- (١) محمود أبو الفيض المنوفى : جمهرة الأولياء واعلام أهل التصوف ص ١٩٠ .
- (٢) تخريج الحديث رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الأنبياء . أبو داود : كتاب الأدب
- (٣) محمود أبو الفيض المنوفى : جمهرة الأولياء واعلام أهل التصوف ص ١٩١ .
- (٤) أبو نصر سراج الطوسي : اللمع ص ٥٥ .
- (٥) محمود أبو الفيض : جمهرة الأولياء ص ٢٩٢ .

واليك ملخص البيان لهذه الأحوال من وجهة نظر الصوفية :

المراقبة : يقول الجرجاني في تعريف هذه الكلمة : " المراقبة: استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه في جميع أحواله " (١) .

فالمراقبة إذا عبارة: عن يقين العبد بأن الله مطلع في جميع الأحوال على قلبه وضميره ، ومحيط بأسراره الباطنية " (٢) ولها ثلاثة أنواع :

أ - رؤية الله حاضرا وناظرا إليه في كل مكان ، وفي ذلك يقول الحارث المحاسبى : المراقبة علم القلب بقرب الحق تعالى (٣) .

ب - أن ينسى السالك عند المراقبة ، الكائنات ، بحيث لا يخطر على باله وذهنه شئ ، سوى وجود الله تعالى ، ولذلك يقول أحمد بن عطاء : " خيركم من راقب الحق بالحق في فناء ما دون الحق " (٤) .

ج - أما النوع الثالث من المراقبة هو حال أكابر أرباب المراقبة الذين يراقبون الله تعالى ، ويطلبون منه أن يرعاهم في حال المراقبة ، وذلك مصداقا لقول الله عز وجل : ﴿ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (٥) .

وفي هذه المرتبة ينعدم السالك كيانه ، ولا يبقى بينه وبين الرب أى حجاب (٦) .

القرب : فحال المراقبة تؤدى إلى القرب من الله تعالى ، يستشهد الصوفية على القرب بالآيات القرآنية التى تتحدث عن قرب العباد من الله تعالى :

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِي ﴾ (٧) .

وقال تعالى : ﴿ وَتَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَآتِىكُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٨) .

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | السيد الشريف الجرجاني : كتاب التعريفات ص ٢١٠ . |
| (٢) | د/ قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ص ٤٥٥ . |
| (٣) | فريد الدين العطار : تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٢٢٧ . |
| (٤) | أبو نصر السراج : اللمع ص ٥٥ . |
| (٥) | سورة الأعراف الآية ١٩٦ . |
| (٦) | فريد الدين العطار : تذكرة الأولياء ج ٢ ص ٣٤ . |
| (٧) | سورة البقرة ١٨٦ . |
| (٨) | سورة الواقعة ٨٥ . |

قال صاحب اللمع في الحديث عن القرب : " وحال القرب من أحوال عبد يشهد بقلبه القرب من الله تعالى ، ويتقرب في الظاهر والباطن إلى الله تعالى عن طريق الاستمرار في ذكر الله تعالى بالطاعة وجمع الهمة " (١) .
ويقول الجرجاني في هذا الصدد " القرب " : القيام بالطاعات .
والقرب المصطلح - عند المحققين من المتصوفة كما يقول - قرب العبد من الله تعالى بكل ما يعطيه السعادة لا قرب الحق من العبد، فإنه من حيث دلالاته ﴿يَهْوِيكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ (٢) وهذا القرب عبارة عن زوال الحس وتلاشي النفس .

المحبة : ثالث الأحوال عند الصوفية هي المحبة ، " وهذه المحبة الصافية - حسب إدعائهم - تتغير بنورها ، نار الطبع ، وغلبة الغريزة وعوانق النفس " (٣) . والمحبة والعشق من أسمى صفات " العارف " وأهم أحواله ، ومن الأصول المهمة في مباني التصوف " (٤) ولذلك قالوا : " الحب بالنسبة أصل للأحوال كلها " فمن صحت محبته ، تحقق بسائر الأحوال كالشوق والأنس " (٥) .

وتنقسم المحبة إلى نوعين : الحب العام والحب الخاص :
فالحب الخاص الذي هو من أعلى وأرقى الأحوال الموهوبة هو :
حب الذات للذات هبة من الله وفضلا، وهم خاصة الله تعالى الذين اصطفاهم الله في الأزل .
أما الحب العام : فمعناه إمتثال أوامر الله ونواهيه .

-
- (١) السراج : اللمع ص ٥٦ .
 - (٢) الجرجاني: التعريفات ص ١٨١ .
 - (٣) محمود المنوفى : كتاب الجمهرة ص ٢٤١ .
 - (٤) د/قاسم غنى : تاريخ التصوف في الإسلام ص ٤٤٣ .
 - (٥) محمود المنوفى : الجمهرة ص ٢٤١ .

ومن شروط المحب أن يكون مطيعا ، فهو لاء أهل المجاهدات والمكافحات والقطع لعوائق وعقبات الطريق إلى الله تعالى ، فيترقون إليه درجة فدرجة ، ومقاما فمقاما وحالا حالا " (١) .

الشوق : وهو عند الجرجاني ، نزاع القلب إلى لقاء المحبوب (٢) .
وقال الطوسي : " وحال الشوق : حال شريف ، فالشوق هو لعبد قد تبرم ببقائه شوقا إلى لقاء محبوبه .

وسئل البعض عن الشوق ؟ فقال : هيمان القلب عند ذكر المحبوب .

وقال آخر : الشوق نار الله تعالى ، أشعلها في قلوب أوليائه ، حتى يحرق بها ما في قلوبهم من الخواطر (٣) والإرادات والعوارض والحاجات (٤) .
قال المنوفي : هو الباعث الأعظم لأهل الله على الاجتهاد في الوصول إلى الله وحسن العمل ، ولولاه لفترت همم السالكين وأحسوا مشقة الطريق وطال عليهم أمد الوصول (٥) .

الأنس : قال الطوسي : " ومعنى الأنس بالله : الاعتماد عليه ، والسكون إليه والاستعانة به ، ولا يتهاى أن يعبر بأكثر من هذا (٦) .
وقال المنوفي : الأنس بالله هو : الفرح بوجودان حضرته والسكون إلى عنايته والاستغاثة به على وجد معينة ، وليس في الإمكان التعبير عنه (٧) .

-
- (١) المنوفي : كتاب الجمهرة ص ٢٤١ .
 - (٢) الجرجاني : التعريفات : ص ١٢٩ .
 - (٣) الخواطر : معناه خطاب يرد على الضمانر ، وقد يكون بالقاء ملك أو بالقاء شيطان .
راجع : الرسالة القيسرية ص ٢٤٢ .
 - (٤) الطوسي : اللمع ص ٦٣-٦٤ ، مطبعة بريل في مدينة ليدن سنة ١٩١٤ م .
 - (٥) المنوفي : معالم الطريق إلى الله ، ص ٣٨٩ ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ، القاهرة .
 - (٦) الطوسي : اللمع : ص ٦٤ .
 - (٧) المنوفي : معالم الطريق إلى الله ص ٣٩٢ .

وذكر عن ذى النون المصري أنه قيل له ما علامة الأنس بالله ؟
قال: إذا رأيته يؤنسك بخلقه فإنه هو ذا يوحشك من نفسه ، وإذا رأيته يوحشك
من خلقه فهو ذا يؤنسك بنفسه (١) .

الاطمئنان : من الأحوال الصوفية الاطمئنان ، فالاطمئنان وهدوء القلب
ثمرة للإيمان الكامل ، والاطمئنان هو حالة اعتماد القلب على الله الذى هو
نعم المولى ونعم النصير ، اعتمادا على أنه جدير بفضل الله وكرمه ، كما
أنه سيصل إلى ما هو خير له ، وما هو مطابق للحكمة الإلهية وإذا بلغ العبد
هذا المقام فلن يحسن شيئا آخر بعد ذلك بل يحصل له اعتماد التام ويستريح
قلبه وتطمئن نفسه (٢) .

قال الطوسى حكاية عن سهل بن عبد الله: " إذا سكن قلب العبد إلى
مولاه واطمأن إليه ، قويت حال العبد ، فإذا قويت أنس بالعبد كل شئ " (٣) .
وسئل الحسن بن على الدامغانى فى قوله عز وجل ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ
قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ... الآية ﴾ (٤) ؟ فقال : إن القلوب هشت ، وبشت ، وسكنت ،
واستأنست ، ثم كشف عنه ، فقال هشت من معرفة إجلال الله تعالى
وعظمته ، وبشت من معرفة رحمة الله وفضله ، وسكنت من معرفة غاية
الله تعالى وصدقه ، واستأنست من معرفة إحسان الله ولطفه (٥) .

وقسم الطوسى الاطمئنان إلى ثلاثة أقسام :

أولها : اطمئنان العامة : فإنهم عند ما يشتغلون بذكر الله ، يطمئنون إلى أن
الله سوف يستجيب لدعائهم ، ويرزقهم ، ويدفع عنهم الآفات ، وهؤلاء الأشخاص

(١) الطوسى : اللمع ص ٦٦ .

(٢) د/قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ص ٤١١ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) سورة الرعد ٢٨ .

(٥) الطوسى : اللمع ص ٦٧ .

- لهم فى هذه الحال النفس المطمئنة أى المطمئنة على الإيمان والاعتماد .
- ثانيها : اطمئنان الخواص ، الراضين بقضاء الله تعالى ، الصابرين على بلائه ولهم حال الإخلاص ، وسكون خاطر والاعتماد وربط القلب بالكلام الإلهي :
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (١) .
- ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٢) وإنهم يرجون ذلك .
- ثالثها : اطمئنان خاصة الخواص الذين يتيهون فى وادى الحيرة ، لأنهم مأخوذون بجلال الله وعظمته .
- وبعض العلماء من المتصوفين جعل (٣) الاطمئنان فى دائرة آداب القبض والبسط (٤) .
- المشاهدة : قال الجرجاني : المشاهدة تطلق على رؤية الأشياء بدلائل التوحيد ، وتطلق بإزائه على رؤية الحق فى الأشياء ، وذلك هو الوجه الذى له تعالى بحسب ظاهره فى كل شئ .
- قال عمرو بن عثمان المكي : " المشاهدة : ما لاقت القلوب من الغيب بالغيب ، ولا يجعلها عيانا ولا يجعلها وجدا .
- وقال أيضا : " المشاهدة : وصل بين رؤية القلوب وبين رؤية العيان " يعنى مشاهدة الأشياء بعين العبرة والاعتبار ومعانيها بعين الفكر .
- وقال أيضا : المشاهدة : يعنى المحاضرة يعنى المداناة " (٥) .
- وأهل المشاهدة على ثلاثة أحوال :

(١) سورة النحل ١٢٨ .

(٢) سورة البقرة ١٥٣ .

(٣) د/قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ص ٥١١ - ٥١٢ .

(٤) المنوفى : معالم الطريق إلى الله ص ٣٩٥ .

(٥) الطوسى : اللمع ص ٦٨ - ٦٩ .

الأول : الأصاغر: وهم المريدون ، وهم كما قال أبوبكر الواسطي :
يشاهدون الأشياء بعين العبرة ويشاهدونها بأعين الفكر •

الثاني : أى الحال الثانى من المشاهدة، الأوساط، وهو الذى أشار إليه أبوسعيد
الخرزاز، حيث يقول : الخلق فى قبضة الحق وفى ملكه ، فإذا وقعت المشاهدة
فيما بين الله وبين العبد ، لا يبقى فى سره ولا فى وهمه، غير الله تعالى •

الثالث : أى والحال الثالث من المشاهدة ، ما أشار إليه عمرو بن المكى فقال:
إن قلوب العارفين شاهدت الله مشاهدة تثبيت ، فشاهدوه بكل شئ، وشاهدوا
كل الكائنات ، فكانت مشاهدتهم لديه ولهم به ، فكانوا إنما غائبين حاضرين
و حاضرين غائبين على انفراد الحق فى الغيبة والحضور ، فشاهدوه ظاهرا
وباطنا ، وباطنا وظاهرا ، وآخرا وأولا ، وأولا وآخرا " (١) •

وعلى هذا المنوال يقول بعض الصوفية : المحاضرة لأهل التلوين ،
والمشاهدة لأهل التمكن ، والمكاشفة لأهل العين •

والحاصل أن الصوفية يعتقدون أنه إذا ما صفت مرآة القلب من صدأ
المعاصى والأفكار الفاسدة ، يسطع عليها عندئذ نور اليقين ولا يمكن حلول
الشياطين فى مثل هذا القلب الصافى الطاهر •

اليقين : والحال العاشرة اليقين •

قال الجرجاني : اليقين فى اللغة : العلم الذى لا شك معه •

وفى الاصطلاح : اعتقاد الشئ بأنه كذا مع اعتقاد أنه لا يمكن إلا كذا

مطابقا للواقع غير ممكن الزوال •

واليقين عند أهل الحقيقة - الصوفية - رؤية العيان بقوة الإيمان لا بالحجة
والبرهان، وقيل مشاهدة القلوب لصفاء القلوب، وملاحظة الأسرار بمحافظة

(١) الطوسى : اللمع ص ٦٨-٦٩ •

الأفكار وقيل: اليقين ارتفاع الريب في مشهد الغيب (١) .
فعندما يتمكن صوفى من المشاهدة ، ويستقر فيها ، ويتحقق فى الفناء
و يبقى فى الله يبلغ مقام اليقين ، فاليقين بناء على هذا ، هو أصل جميع
الأحوال ومنتهاتها .

وقال الطوسى : اليقين على ثلاثة وجوه (٢) :
علم اليقين (٣) وعين اليقين (٤) وحق اليقين (٥) (٦) .
يقول على الهجویری : " إن كل ما يحصل اليوم بعلم صحيح يتحقق
غدا بالرؤية .

وعلم اليقين هو : علم معاملات الدنيا ، بموجب الأحكام والأوامر .
وعين اليقين هو : حال النزاع إبان الخروج من الدنيا .
وحق اليقين هو : العلم بكشف الرؤية فى الجنة .
فعلم اليقين هو : درجة العلماء ، بحكم استقامتهم على أحكام الأمور .
وعين اليقين هو : مقام العارفين بحكم استعدادهم للموت .
وحق اليقين هو : موضع فناء المحسن بحكم إعراضهم عن كافة
الموجودات .
فيكون إذا علم اليقين بالمجاهدة ، وعين اليقين بالموانسة ، وحق اليقين
بالمشاهدة .
فالأول عام والثانى خاص والثالث خاص الخاص (٦) .

-
- (١) الجرجانى : كتاب التعريفات ص ٢٥٩ .
(٢) الطوسى : لللمع ص ٧١ .
(٣) علم اليقين : ما أعطاه الدليل بتصور الأمور على ما هو عليه . التعريفات ص ١٥٩ .
(٤) عين اليقين : ما أعطته المشاهدة والكشف . التعريفات ص ١٦٠ .
(٥) حق اليقين : عبارة عن فناء العبد فى الحق والبقاء علما وشهودا وحالا لا علما فقط ،
فعلم كل ما قل الموت علم اليقين ، فإذا عاين الملائكة فهو عين اليقين ، وإذا ذاق الموت
فهو حق اليقين .
(٦) وقيل علم اليقين : ظاهر الشريعة ، وعين اليقين الاخلاص فيها ، وحق اليقين : المشاهدة
فيها . راجع : التعريفات للجرجانى ص ٩٠ .

المبحث الثالث

المقامات لدى أهل التصوف

قال القشيري : " المقام يحقق به العبد بمنزلاته من الآداب مما يتوصل إليه بنوع التصرف ، ويتحقق به بطرب تطلب ومقاسات تكشف ، فمقام كل أحد ، موضع إقامته عند ذلك ، وما هو مشغول بالرياضة له " (١) .

ذكرنا بعض أقوال العلماء المتصوفة في تعريف الأحوال والمقامات (٢) وبيننا في تعريف المقامات ما قاله الطوسي : " فإن قيل ما معنى المقامات؟ يقال معناه : مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات والانقطاع إلى الله " (٣) .

فللمقامات عند الصوفية مكانة يهتمون بها للوصول إلى الله تعالى ، لأن طريق الوصول إليه ، هو المقامات القلبية .

وقال ابن القيم في تعريف الأحوال والمقامات : " فالمريد يسلك الطريق الصوفي إلى غايته ، مرحلة بعد أخرى ، وهذه المراحل التي انقسم إليها الطريق الصوفي ، تسمى المقامات ، والمريد في اجتياز هذه المقامات ، تعرض له أحوال مختلفة من سرور إلى حزن ، ومن فتور إلى نشاط .

فالأحوال النفسية التي تعرض للسالك تسمى أحوالا ، ودرجات العبادة التي يلزمها المتعبدون ، تسمى المقامات " (٤) .

ومن تلك المقامات :

١ - (التوبة : قال أبويعقوب حمدان السوسني : " أول مقام من مقامات المنقطعين إلى الله ، التوبة " ثم قال : " التوبة : الرجوع من كل شئ ذمه العلم إلى ما مدحه العلم .

وسئل ذوالنون المصري عن التوبة ؟ فقال : " توبة العوام من الذنوب وتوبة الخواص من الغفلة " (٥) .

(١) عبد الكريم القشيري : الرسالة القشيرية ص ١٩٤ ، ط ١/ دار التأليف بمصر / ١٣٨٥ هـ .
(٢) انظر : (الأحوال والمقامات) ص ١١٩ . (٣) الطوسي : اللمع ص ٤٢ .
(٤) ابن القيم : مدارج السالكين ج ١ ص ٧٨ . (٥) نفس المرجع ص ٤٤ .

ثم بين الطوسى فى شرح كلمات ذوالنون المصرى أنواع التوبة فيقول :
" شتان بين تائب وتائب ، فتائب يتوب من الذنوب والسيئات ، وتائب
يتوب من رؤية الحسنات والطاعات " (١) .
فالصوفى لا ينظر إلى صغر الذنب ، بل ينظر إلى عظمة الرب ، ولا يقف
الصوفى عند التوبة من المعصية ، لأنها فى رأيه توبة العوام ، بل يتوب من
كل شئ يشغل قلبه عن الله تعالى (٢) ثم يقولون : إن الصوفى كلما صحح
علمه بالله تعالى وكثر عمله ، دقت توبته ، فمن طهر قلبه من الآثام
والأرجاس ، وأشرقت عليه أنوار الإيناس ، لم يخف ما يدخل قلبه من خفى
الآفات وما يعكره صفوه حين يهم بالزلات ، فيتوب عند ذلك حياء من الله
تعالى الذى يراه (٣) .

٢ - الورع : اجتناب الشبهات خوفا من الوقوع فى المحرمات ، وقيل هو
ملازمة الأعمال الجليلة (٤) .

قال الطوسى : " وأهل الورع على ثلاث طبقات :
فمنهم من تورع عن الشبهات التى اشتبهت عليه ، وهى ما بين الحلال
البين والحرام البين ، وما لا يقع عليه اسم حلال مطلق ولا اسم حرام مطلق ،
فيكون بين ذلك ، فيتورع عنهما .
ومنهم من يتورع عما يقف عنه قلبه ، ويحيك فى صدره عند تناولها ،
وهذا لا يعرفها إلا أرباب القلوب والمتحققون .
وأما الطبقة الثالثة من الورع فهم العارفون والواجدون ، وهو كما قال
أبوسليمان الدارانى : كل ما شغلك عن الله فهو مشنوم عليه .
فالورع هو الحذر من وقوع المهلكات والموبقات التى تفسد حياة
الإنسان وتبعدهم من الجنة ونعيمها " .
وما سبق من كلام الطوسى عن الطبقات الثلاث من أهل الورع ، يتبين

(١) الطوسى : اللمع ص ٤٤ وأيضاً : القشيري : الرسالة القشيرية ص ٤٧ ، باب التوبة .

(٢) عبد القادر يحيى : حقائق عن التصوف ص ٢٨٦ .

(٣) نفس المصدر ونفس الصفحة .

(٤) الجرجاني : التعريفات ص ٢٥٢ .

أن الورع عندهم على ثلاثة أقسام :
ورع العوام : وهو ترك الشبهات حتى لا يتردى في حماة المخالفات ، وذلك مصداقا لقوله (ﷺ) : ((إِنَّ الْحَلَالَ بَيْنَ وَالْحَرَامَيْنِ وَبَيْنَهُمَا أُمُورٌ مُتَشَابِهَاتٌ لَا يَحْلُمُهُنَّ كَذِبُ مِنَ النَّاسِ ، فَمَنْ اتَّقَى الشُّبُهَاتَ فَقَدْ اسْتَبْرَأَ الدِّينَ وَعِزُّهُ ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ ، وَقَعَ فِي الْحَرَمِ كَمَا الرَّعْيُ يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ ، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ عَازِمَةٌ)) (١) .

وورع الخواص : ترك ما يكدر القلب ، ويجعله في قلق وظلمة ، فأهل القلوب يتورعون عما يهيج في قلوبهم من الخواطر وما يحيك في صدورهم من الوسوس ، وذلك مصداقا لقول الرسول (ﷺ) : ((دَعْ مَا يُرِيكَ إِلَى مَا لَا يُرِيكَ)) (٢) .

وفي هذا قال سفيان الثوري : " ما رأيت أسهل من الورع : ما حاك في نفسك فاتركه " (٣) وهذا التقسيم قد ذكره الشبلي (٤) .
وورع خاصة الخاصة : وهذا هو ورع العارفين الذين يرون أن كل ما يشغلك عن الله تعالى هو شؤم عليك .

قال الشبلي : الورع أن تتورع عن كل ما سوى الله (٥) .

٣ - مقام الزهد : الزهد في اللغة : ترك الميل إلى الشيء .

وفي اصطلاح أهل الحقيقة هو : بغض الدنيا والإعراض عنها .

وقيل هو : ترك راحة الدنيا طلبا لراحة الآخرة (٦) .

قال الشيخ الطوسي : الزهد مقام شريف وهو أساس الأحوال الرضية والمراتب السنية ، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ، والمنقطعين إلى الله ، والراضين عن الله ، والمتوكلين على الله ، فمن لم يحكم أساسه

(١) رواه البخاري عن النعمان بن بشير ، كتاب الإيمان ، ورواه مسلم في كتاب المسابقات .

(٢) رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة ، وقال حديث حسن صحيح .

(٣) القشيري : الرسالة القشيرية ص ٢٥٤ .

(٤) فريد الدين العطار : تذكرة الأولياء ص ١٣٧ .

(٥) القشيري : الرسالة القشيرية ص ٥٤ . (٦) الجرجاني : التعريفات ص ١١٥ .

- في الزهد ، لم يصح له شئ مما بعده (١) .
 سنل الشبلى ما هو الزهد ؟ قال : " الزهد نوع من الغفلة ، لأن الدنيا عدم
 والزهد فى اللاشئ غفلة (٢) .
 قال سفيان الثورى : الزاهد هو الذى يحقق الزهد بفعله فى الدنيا ،
 والمتزهد من كان زهده بلسانه .
 وقال أيضا: ليس الزهد فى الدنيا ارتداء الخرقه وأكل خبز الشعير ،
 ولكنه عدم تعلق القلب بالدنيا وتقصير الأمل (٣) .
 وقسم الطوسى الزهاد إلى ثلاثة فقال : " والزهاد على ثلاثة طبقات :
 ١- المبتدعون : وهم الذين خلت أيديهم من الأملاك ، وخلت قلوبهم مما
 خلت منه أيديهم .
 فقال الجنيد: " الزهد تخلى الأيدى من الأملاك، وتخلى القلوب من الطمع .
 ٢ - المتحققون فى الزهد : ووصفهم ما أجاب رويم بن أحمد حين سنل عن
 الزهد فقال : " ترك حظوظ النفس من جميع ما فى الدنيا " .
 فمن زهد بقلبه فى هذه الحظوظ ، فهو متحقق فى زهده .
 ٣ - الزهاد الخواص : وهم الذين زهدوا فى زهدهم وتابوا من زهدهم
 و تيقنوا أن لو كانت الدنيا كلها لهم ملكا حلالا ، ولا يحسبون عليها فى الآخرة
 ولا ينقص ذلك مما لهم عند الله شيئا ، ثم زهدوا فيها لله عزوجل ، لكان
 زهدهم فى شئ منذ خلقها الله تعالى ما نظر إليها (٤) وهم طبقة الزهاد
 الخواص أى أولئك الذين طافوا أقاليم العشق السبعة ورموا كل شئ وراء
 ظهورهم ظهريا (٥) .
 ٤ - مقام الفقر وصفة الفقراء : الفقر: عبارة عن فقد ما يحتاج إليه ، أما فقد
 ما لا يحتاج إليه، فلا يسمى فقرا .

-
- (١) الطوسى : اللمع ص ٤٦ .
 (٢) قاسم غنى : تاريخ التصوف ص ٣٨١ .
 (٣) نفس المصدر والصفحة .
 (٤) الطوسى : اللمع ص ٤٧ .
 (٥) قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ص ٣٨١ .

فالفقر في نظر الصوفية هو أحوالهم زيادة الميل إلى الوجد و الشوق
الروحي في أعمالهم وأقوالهم " (١) •
فالفقر الحقيقي الذي ذكره الجرجاني غير ما يقصد به الصوفية ، وإنما هو
عندهم يتحقق بفقدان الميل والرغبة في الغنى والثروة ، مع وجودهما لديه ،
يعنى لابد أن يكون قلبه خاليا ويده خالية ، بأن يكون بعيدا عن كل ميل
ورغبة ، يسبب إنحرافه عن الله تعالى •
والحاصل : أن الفقير لدى الصوفية من الممكن أن يكون له ثروات
وغيرها في الظاهر ، ويعد في نفسه من أفقر الفقراء •
" ويعد مقام الفقر من المراحل المهمة للسير والسلوك ، وأول خطوة في
التصوف " (٣) •
قال صاحب اللمع : " الفقر مقام شريف ، وقد وصف الله تعالى الفقراء
وذكرهم في كتابه : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُحَاجِرِينَ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنَ الْآيَةِ ﴾ (٤) •
ثم قسم الفقراء إلى ثلاثة أقسام :
١ - فمنهم من لا يملك شيئا ولا يطلب بظاهره ولا بباطنه من أحد شيئا ، ولا
ينتظر من أحد ، وإن أعطى شيئا لم يأخذ ، فهذا مقامه مقام المقربين (٥) •
٢ - ومنهم من لا يملك شيئا ولا يسأل أحدا ولا يطلب ولا يعرض ، وإن
أعطى شيئا من غير مسألة ، أخذ ، فهذا مقام الصديقين •
٣ - ومنهم من لا يملك شيئا ، وإذا احتاج انبسط إلى بعض إخوانه ممن يعلم
أنه يفرح بانبساطه إليه ، فكفارة مسألته ، صدقة ، وهذا مقام الصديقين من الفقر •

(١) الجرجاني : التعريفات ص ١٨٦ •

(٢) قاسم غنى : تاريخ التصوف في الإسلام ص ٣٨٦ •

(٣) نفس المصدر ص ٣٨٨ •

(٤) سورة الحشر الآية ٨ •

(٥) الجرجاني : التعريفات ص ١٨٦ •

٥ - مقام الصبر: قال الجرجاني : الصبر هو ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله إلا إلى الله " .

الفقر يقتضى الصبر ، وإذا لم يتخذ السالك فى طريق الحق محنة الصبر والتحمل شعارا ، فلا تحصل له أية نتيجة ، وليس الفقر من غير الصبر ، خاليا من النتيجة ، بل إن السير فى بقية مقامات التصوف ، يقتضى الصبر أيضا ، فإداء كل فريضة وترك كل معصية ، لا يتم إلا بالصبر ، لأن القلب الصوفى يكون مشغولا فى أى مقام وحال كان عليها ، فهو إما موافقا لرغبته أو مخالفا لرغبته ، فإنه فى حاجة إلى الصبر على كلتا الحالتين .

المبحث الرابع

نقد الحال والمقام

هذا بيان للأحوال والمقامات التى يهتم بها الصوفية للبدعة التى أحدثوها مما استهوتته أنفسهم وأهواؤهم ، يظنون بها ظن الجاهلية .

فالإيمان عبارة عن تصديق بالجنان وإقرار باللسان وعمل بالأركان (١) . والتصديق المستلزم لعمل القلب هو: النية والاخلاص، والجوارح هو الخشوع والخضوع، فهذه مجموعة ثلاث، يطلق عليها الإيمان عند جمهور العلماء .

قال الله تعالى : ﴿ قَالَتِ الْمَغْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تَوْنُوا وَلَكِنْ قَوْلُوا اسْلَمْتُمْ ﴾ (٢) . قال الشوكانى فى تفسير هذه الآية : أى لم تصدقوا تصديقا صحيحا عن اعتقاد قلب وخلوص نية وطمانينته ﴿ وَلَكِنْ قَوْلُوا اسْلَمْتُمْ ﴾ أى استسلمنا خوف القتل والسبى أو للطمع فى الصدقة ، وهذه صفة المنافقين لأنهم أسلموا ظاهر الأمر ولم تؤمن قلوبهم ولهذا قال الله تعالى : ﴿ وَلَمَّا بَدَخَلِ الْإِيمَانُ قُلُوبَهُمْ ﴾ أى لم يكن ما أظهرتموه بالسننكم عن مواطاة قلوبكم ، بل مجرد قول باللسان دون اعتقاد صحيح ولا نية خالصة .

قال الزجاج : " الإسلام إظهار الخضوع وقبول ما أتى به النبى (ﷺ) "

(١) ابن أبى العز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٢٣٦ .

(٢) سورة الحجرات الآية ١٤ .

وبذلك يحقن الدم ، فإن كان مع ذلك الاظهار ، اعتقاد وتصديق بالقلب ، فذلك الإيمان وصاحبه المؤمن (١) .

وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " إلى أن الأعمال - وهي التي تسمى المقامات والأحوال - تجب على المسلمين كافة ، لأن الإسلام أمر بمحبة الله والاخلاص له ، والتوكل عليه ، والرضا عنه ، وما إليها من أعمال باطنة ، مكاف بها العامة والخاصة " (٢) .

فالأعمال التي تتعلق بالقول التي يميزها الصوفية عن سائر العبادات التي تؤدي بالجوارح ، لم تنقل عن صحابة رسول الله (ﷺ) والذين يلونهم من السلف الصالحين " (٣) .

ومما لا شك فيه أن هذه المميزات من محدثات الأمور والبدع التي حدثت في الأزمنة المتأخرة حيث تدرجت من الحديث في الحقيقة بالذوق والكشف والفصل بين الحقيقة والشرعية ، ثم تطورت الأمر بعد ذلك على أيدي بعض الصوفية ، فنادوا بأن المعرفة وحدها تكفي مع المحبة ، دون ضرورة للأعمال التي تعد عندهم بمثابة الحجاب ، فالشرعية يحتاج إليها العوام وحدهم (٣) .

ثم إن جميع العبادات بأنواعها تتم وفقا لحكم الله ورسوله ، وما عدى ذلك فهو باطل مردود ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ، فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ٤ ﴾ ومثلها آيات كثيرة تأمر بطاعة الله ورسوله معا ، وكذلك أحاديث كثيرة تؤكد بصحة العبادة وفق ما أمر الله تعالى ورسوله ، وما يخالف هذين المصدرين الأساسيين ، يعتبر مرفوضا ، لا يكون أداؤه لوجه الله تعالى ، والقائمون به يشبهون الذين كانت صلاتهم عند البيت مكاء وتصدية ، ثم يعلق ابن رجب على ما لاحظته من الصوفية المعاصرين له " وهذا كمن تقرب إلى الله تعالى بسماع الملاهي أو بالرقص

(١) الشوكاني : فتح القدير ج ٥ ص ٦٧ - ٦٨ .
(٢) د/مصطفى حلمي : التصوف والاتجاه الفلسفي في العصر الحديث ص ١٦٤ ، دار الدعوة/مصر .
(٣) نفس المصدر والصفحة .
(٤) سورة التغابن الآية ١٢ .

أو بكشف الرأس في غير الإحرام ، وما أشبه ذلك من المحدثات (١) .
ثم إن التقرب إلى الله تعالى لابد أن يتم بأداء الفريضة أولاً ثم بالنوافل
وقال ابن رجب تعليقاً على ما ذهب إليه التصوف بتقديم النوافل والزيادات
على الفرائض ، فظهر بذلك أن دعوى طريق يوصل إلى التقرب إلى الله
تعالى وموالاته ومحبته سوى طاعته التي شرعها الله تعالى على لسان
رسوله (ﷺ) ممن ادعى ولاية الله ومحبته بغير الطريق ، تبين أنه كاذب في
دعواه (٢) .

وفي الشريعة الإسلامية أهمية قصوى للعلم وحصوله ونشره ، وحين
يسمع المؤمن قوله تعالى : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (٣) فكيف يتسنى له طاعة
الله ورسوله إن لم يكن على علم بالأوامر والنواهي الواردة في السنة ناهيك
عن الكتاب ، ولكن الصوفية لا يهتمون بالعلم بقدر ما يهتم به الإسلام .
وروى القشيري عن أبي بكر الوراق قوله :

" آفة المريد ثلاث : التزويج ، وكتابة الحديث ، والأشعار " (٤) .
ويخاطب أبو يزيد البسطامي أهل الحديث بقولهم : " أخذتم علمكم ميتاً عن
ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت " (٥) .
وهذه جهالة كبيرة وآفة جسيمة ، ويقول ابن القيم الجوزية في هذا الباب :
" فإن إنفراد العلم عن الحال ، تعطيل وبطالة ، وإنفراد الحال عن العلم كفر
وإلحاد ، والأكمل أن لا يغيب عن شهود العلم بالحال وإن استغرقه الحال عن
شهود العلم مع قيامه بأحكامه ، لم يضره " (١) .
فلو نظرنا إلى الأحوال والمقامات وموقف القوم من تقسيم كل منهما

-
- (١) الصوفية والاتجاه الفلسفي في العصر الحديث ص ١٦٥ .
 - (٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .
 - (٣) سورة الأنفال الآية ٢٠ .
 - (٤) القشيري : الرسالة القشيرية ص ٩٢ .
 - (٥) ابن القيم الجوزي البغدادي : تلبيس إبليس ص ٣٤٤ ، طبقات الشعراني ج ١ ص ٥ .

والكيفيات التى تطرأ عليهم من جراء تجاربهم لها ، نجد أنهم وضعوها دون برهان ولا دليل معقول ، فمثلا نجدهم مختلفين فى مفهوم الأحوال والمقامات كما أنهم يختلفون فى وضع التقسيم بينهما، والترتيب فى أنواع كل منهما .
قال ابن القيم رحمه الله : " ولأرباب السلوك اختلاف كثير فى عدد المقامات وترتيبها، وكل يصف منازل سيره وحال سلوكه ، ولهم اختلاف فى بعض منازل السير ، هل هى من قسم الأحوال ؟ والفرق بينهما : أن المقامات كسبية والأحوال وهبية ، ومنهم من يقول : الأحوال من نتائج المقامات ، والمقامات نتائج الأعمال ، فكل من كان أصلح عملا ، كان أعلى مقاما ، وكل من كان أعلى مقاما كان أعظم حالا " (٢) .

ثم إن الأحوال والمقامات وما يتفرع منهما من الأقسام التى يتقوله الصوفية ، متشابكة ومتداخلة ومترادفة من حيث المعانى والمفاهيم ، ومن شروط صحة التقسيم ، أن تكون أفراد المقسوم ، متباينة ومتغايرة عن أخواتها، فإن لم تكن كذلك ، فلا يصح التقسيم ، وهذا الأمر مسلم به .
ويقول ابن القيم فى هذا الصدد : " ومن المقامات ما يكون جامعا لمقامين، ومنها ما يكون جامعا لأكثر من ذلك ، ومنها ما يندرج فيه جميع المقامات ، فلا يستحق صاحبه اسمه إلا عند استجماع جميع المقامات .
وعلى سبيل المثال فـ (التوبة) جامعة لمقام المحاسبة ، ومقام الخوف لا يتصور وجودها بدونهما .

" والتوكل " جامع لمقام التفويض والاستعانة، والرضا لا يتصور وجودها بدونهما .

" والرجاء " جامع لمقام الخوف والإرادة .

(١) عبد المنعم العزى : تهذيب مدارك السالكين ص ٩٤ .

(٢) نفس المصدر ص ٩٣ .

و " الخوف " جامع لمقام الرجاء والإرادة .
 و " الإنابة " جامعة لمقام المحبة والخشية ، لا يكون العبد منيبا إلا
 باجتماعهما .
 و مقام " المحبة " جامع لمقام المعرفة والخوف والرجاء والإرادة ، فالمحبة
 معنى يلتئم من هذه الأربعة وبها تحققها .
 ومقام " الشكر " جامع لجميع مقامات الإيمان .
 ومقام " الأنس " جامع لمقام الحب مع القرب ، فلو كان المحب بعيدا من
 محبوبه ، لم يأنس به ، ولو كان قريبا من رجل ولم يحبه ، لم يأنس به حتى
 يجتمع له حبه مع القرب منه (١) .
 وأيضا نجد بينهم اختلافا في صفة الحال والمقامات .
 فبعضهم يقولون : إن المقامات لها صفة الديمومة ، بينما الأحوال لها صفة
 التغير المستمر .
 يقول القشيري في هذا الصدد : "صاحب المقام ممكن من مقامه ، وصاحب
 الحال مترق عن حاله " (٢) .
 ومع هذا فمنهم من أشار إلى بقاء الأحوال ودوامه ، كما قال القشيري نفسه :
 " وأشار قوم إلى بقاء الأحوال ودوامها " (٣) ويوجد فيهم الاضطراب والقلق
 في تعيين الصفة لهما .
 ثم قولهم : إن المقامات لها صفة الديمومة ، معارض بقولهم إن المرء
 يترقى من مقام إلى مقام ، وبهذا تتنfy صفة الثبات المذكور ، كما يعتبر
 بعض الصوفية بعض الأمور كالخوف من المقامات وهو ما ورد عن أبي
 طالب المكي (٤) ، بينما يعتبره غيره من الأحوال كما ورد عن أبي النصر
 السراج (٥) واعتبره القشيري من ضمن الأحوال (٦) بينما اعتبره السراج
 من ضمن المقامات .

-
- (١) عبد المنعم العزى : تهذيب مدارك السالكين ص ٩٤-٩٥ .
 (٢) القشيري : الرسالة القشيرية ص ٥٤ . (٣) القشيري : الرسالة القشيرية ص ٥٤ .
 (٤) أبو طالب المكي : قوت القلوب ص ٣٦٤ . (٥) السراج : اللمع ص ٨٩ .
 (٦) القشيري : الرسالة القشيرية ص ٥٤ .

المبحث الأول

فـ

الدعوة الإسلامية بين التطور والخمول

قبل أن ندخل فى موضوعنا حول الصوفية فى منطقة البنغال رأيت أنه من الضروى إلقاء الضوء على الدعوة الإسلامية منذ دخول الإسلام فيها وإلى بداية عصر الانحطاط فيها ، حتى يتضح لنا تلك الأسباب التى دفعت المتصوفة إلى نشر أفكارهم وبث البدع والخرافات ، وأصبحت الأمة الإسلامية فى المنطقة بعيدة عن مبادئ الدين وعن تعاليمها الصحيحة ، وقبل أن نشرع بالحديث ينبغى لنا أن نتحدث عن الدعوة الإسلامية وأنشطتها فى المنطقة .

فى الفترة بين الفتح الإسلامى لمنطقة البنغال عام ٥٩٨هـ - ١٢٠١ م وبين تمكين الاحتلال الإنجليزى لها عام ١١٨١ هـ - ١٧٦٧ م فترات طويلة تحمل أهمية قصوى بالنسبة لتطور نشاطات الدعوة وتوسيع نطاقها فى الآفاق بجنوب شرق الهند ، ثم الانحطاط فى ذلك النشاط الذى يدفع المغرضين للإسلام والمناوئين له إلى أن يفتحوا الأبواب لادخال أفكارهم الخبيثة فى هذه الأمة ، ومرت عليها فى هذه الفترة مراحل عديدة تتطوى بالأحداث والتقلبات السياسية والاجتماعية التى مازال المسلمون إلى اليوم يعانون من نتائجها وآثارها ، وتركت للأجيال مشاكل وعقبات ذات أبعاد فى الدين عامة والعقيدة خاصة .

وكما ذكرنا في التمهيد أن سير الدعوة الإسلامية ونموه في البلاد منذ أن قدم المسلمون العرب تجاراً كانوا أو دعاة إليها ، كان على مايرام فالكل دعا إلى صورة نقية للإسلام ، وكان الناس يتعلمون منهم الدين كما أخذوه من الصحابة والتابعين وعلماء السلف الصالحين •

ولم توجد حينذاك طائفة غير الطائفة المسلمة وأخرى الهندوكية والبوذية ، ولم تعرف البلاد شيعة أو صوفية أو معتزلة أو خوارج وغيرها من الفرق التي نشأت في المناطق العربية والفارسية نتيجة للصراع السياسى والمذهبي والذي ظل المسلمون عليه فترات طويلة يعانونه ويذوقون منه مذاق الشقاق والتفرقة، وكانت البنغال سليمة من هذه الطوائف والنحل آنذاك •

والذين دخلوا الإسلام في هذه الفترة إلى فترة ما قبل الفتح الذي فتحها المسلمون مناطق الهند كلها ، كانوا قليلي العدد ، يعيشون في المناطق الساحلية ، ولم تصل الدعوة إلى مناطق مترامية البعيدة عنها من شمال البنغال وغربها وشرقها ، ونستطيع أن نسميها فترة مضيئة للإسلام والمسلمين ، وظلت على هذه الحال إلى أن بدأ الأتراك والغوريون والغزنويون والمغول، الفتح الإسلامى وغزو أراضى الهند ، عبر درة خيبر في أفغانستان ، وفي أوائل هذه الفترات ظلت الدعوة الإسلامية تنمو وتزدهر بحيث وصل صوت الإسلام إلى أنحاء البنغال، ودخل جمع غفير من المواطنين

الهندوس الإسلام ، ونشط الإسلام فيها نشطاً يحمد عليه ويشكر القائمون على الدعوة، ولكن هذا الوضع لم يحظ بالدوام ، وأخذ سير الدعوة يضعف ويتقهقر بسبب سلوك أولئك الفاتحين والحكام المسلمين وتساهلهم في أداء المسؤولية ، وانشغالهم في توسيع النفوذ وجمع الأموال وفي الترف والبذخ ، فأهملوا عملية الدعوة ، وجوانب أخرى تتعلق بتصحيح أفكار المسلمين من العقائد الفاسدة القائمة على مجتمعاتهم ، وهكذا هبت على الأمة عواصف انقلبت بها الأوضاع وتوقف نشر الإسلام وتقاعس المسلمون في أداء واجبهم ، ومن هنا بدأ الانحطاط في المجتمع الإسلامي في المنطقة وحبسته غيوم الظلام والجاهلية وضعفت بنية البلاد التي أرسى قواعدها المسلمون ، وزحف سيل التيارات الهدامة من ثغورها وظلت أبوابها في المستقبل مفتوحة للمبتدعة و المتصوفة والشيعة ليطمسوا هذا الدين الإسلامي ، ويبثوا في المجتمع أفكاراً خبيثة ومعتقدات باطلة .

ونحن بصدد ذلك نقسم فترة عملية الدعوة بين الفتح الإسلامي للمنطقة وبين إحتلال الإستعمار الإنجليزي لها إلى ثلاثة مراحل :

أولاً :

فالمرحلة الأولى للدعوة تبدأ من العام الذي فتح فيه المسلمون الأتراك البنغال وأرسوا فيها قواعد حكمهم، كما أدخلوا فيها عدداً كبيراً من الناس في الإسلام ، وأنشأوا الجوامع والمعاهد الدينية وشاركهم عدد غير يسير من العلماء في نشر الدين الإسلامي، وتنتهي هذه الفترة عام ٧٣٩هـ ١٣٤٠ م

والتي مجموعها مائة وأربعون عاماً (١) ورجال التاريخ يسمونها فترة نمو الإسلام وازدهاره وإن كان فيما يقولونه شئ من المبالغة .

ثانياً :

ففى المرحلة الثانية ، ويقدر مجموع عدد السنين فيها مايقرب مائتا وثلاث وستون سنة ، وذلك من عام ٧٣٩ هـ ١٣٤٠ م إلى نهاية عام ٩٧٦ هـ ١٥٧٦م كانت منطقة البنغال فيها تحت الحكام المحليين من المسلمين الذين سيطروا على المنطقة بعد أن أسلموا على أيدي الفاتحين ومن ساندتهم من العلماء وهؤلاء الحكام البنغاليون كانوا يعترفون بالإسلام بأنه دين حنيف أنزله الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، و بذلك أصبح المسلمون أمة مستقلة عن الهندوس والبوذيين ، يؤدون شعائر الدين ونشر تعاليمه وتوسيعها بين المواطنين ، بالإضافة إلى أنهم كانوا يساعدون الدعاة والعلماء فى عملهم فى تقديم المكافآت المالية وتوقييرهم .

ثالثاً :

أما المرحلة الثالثة فتبدأ من ٩٦٧ هـ ١٥٧٦م وتنتهى إلى ١١٨١ هـ ١٧٦٧م وذلك ما بين عهد أمبراطور أكبر المغولى وإحتلال الإستعمار الإنجليزى للمنطقة والتي يسمونها عصر الظلام والضلال أو عصر الالحاد والفساد .

(١) محمد أكرم خان / تاريخ المجتمع البنغالى ، ص ٧٤ .

وإذا القينا النظر على هذه الفترات الثلاث وعلى وضع المسلمين فيها ومدى تطور الدعوة الإسلامية نصل إلى نتائج هي: أن المرحلة الأولى من الدعوة وقبلها لعدة سنوات كانت المنطقة آمنة بحيث إن المسلمين آنذاك كانوا يعيشون في أمن وقرار ، ولم يتعرضوا لهجوم من قبل الأعداء على دينهم وعقيدتهم ، كما لم يتعرضوا للمشاكل الداخلية والخلافات الدينية - فقهية كانت أو عقائدية - وتمسكوا بالدين وتعاليمه الصحيحة بقدر ما تلقوه من العلماء والمشائخ ومن المواعظ الحسنة، دون تعمقهم في تفسير الدين وحقائق شعبه المختلفة ، وهذا يدل على أن الدعاة والعلماء إما أنهم لا يرون من المصلحة أن لا ينشغلوا في المسائل الفقهية أو الكلامية أو المذهبية ، نظراً لأن المسلمين الجدد الذين تعرفوا على الإسلام بواسطتهم هم كانوا أشد حاجة إلى المعرفة عن المبادئ الإسلامية قبل الخوض في تفاصيل الشريعة، وأما أنهم لم يكونوا قد وصلوا إلى المستوى العلمي والديني الذي ينبغي لكل عالم دين وطالب شرعى أن يصل إليه ، وما كانت لهم قدرة كافية تصلح لتطهير أخلاق الناس وأفكارهم وسلوكياتهم من العقائد الفاسدة وتمكن بغرس في نفوسهم العقائد السليمة والنظيفة ، وتغيير بيئتهم الجاهلية التي كانوا محيطين فيها منذ قرون ، فلم يستمر الوضع على ذلك الحال ، وبدأ الوضع يتغير تدريجياً ، والمسلمون في المنطقة بدأوا يعدون أيام الانحطاط ، وكانت بدايته في الفترة الثانية عندما إنتشر الإسلام في سائر أراضى الهند ، وأخذت فتوحات المسلمين تتوسع في أنحاءها بأيدي حكام قد سيروا جيوشهم

من إيران وأفغانستان إلى شبه القارة الهندية ، ودخل معهم علماء صوفية كثيرون من تلك البلدان وغيرها من بعض المناطق العربية مثل بغداد والبصرة والكوفة التي يعدها علماء التاريخ معقل التصوف والتشيع .

وهذا العدد الكبير من العلماء الصوفية الذين قدموا المنطقة وسرعة إنتشارهم في أنحاءها أثر على المجتمع الإسلامي تأثيراً بالغاً غير متوقع ، لم يؤثر على الأخلاق والسلوك فحسب ، بل أثر أيضاً على العقيدة والأفكار بعد أن كانت صحيحة ونظيفة من آفات الشرك والبدع والإلحاد ، وبعد مرور الزمن ازداد المرض في المجتمع الإسلامي ، إلى أن عدوى هذا المرض الخطير جعلته يعم أفراد المجتمع ، بحيث لم يبق أى أمل للشفاء ، وعند ذلك لاسبيل إلا الهلاك والضياع .

ولقد ضرب كاتب مسلم هندي مثلاً رائعاً للأمة الإسلامية المريضة بالبنغال كلها حيث يقول : إن الإنسان حينما يفقد بيئة نظيفة ، وغذاء صحيحاً خالياً من التلوث ، فيلحق به مرض ربما يجعل حياته في خطرويهدها ، ثم يشتد ذلك المرض إلى أن يتطور وتخبب الآمال في الشفاء ، بالإضافة إلى ذلك تكون أعصاب المريض قد إنهارت تماماً وشريان الدم في جسمه قد فسد ، وهذا المريض إذا لزم الفراش ، ولم يذهب إلى طبيب للمعالجة ، ولم يأخذ الدواء الشافي ، فماذا تقول عنه ؟ تقول دعوه يموت ويهلك ، فعلاً إنه يموت ويهلك نفسه بالضرورة عاجلاً أم آجلاً (١) .

(١) محمد أكرم خان / تاريخ المجتمع البنغالي المسلم ص ٤٥ .

كذلك كان حال المجتمع الإسلامي في البنغال وفي سائر مناطق الهند في كلتا الفترتين ، إذ أن المسلمين إبتعدوا عن الدين وعن تمسكهم بالكتاب والسنة و إنحرفوا عن العقيدة الصحيحة والمنهج الرباني الأصيل .

وسرعان ما تأثروا بالأوضاع المحيطة بهم من الوثنية والبوذية بالإضافة إلى الأفكار المستوردة من بلدان فارس وأفغانستان وسمرقند وبخارى ومن من الصوفية والرافضة وعلماء الكلام ورواد الفلسفة العقلانية ، وتلاشوا واضمحلوا بكيانهم في تلك الأفكار والبيئة المحيطة بهم ، وكان المسـ

من شأنهم أن يتمسكوا بالدين ويحافظوا على كيانهم وشخصيتهم ، ويكونوا كما سماهم الله ((خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)) (١) .

وهم بهذا الطغيان وبسبب ذلك التأثر فقدوا الإيمان وحميتهم الإسلامية، وفقدوا قدرتهم على مواجهة التحديات والتهديدات التي يرهب بها الأعداء .

وهذا الوضع الخطير دفع المسلمين إلى أن يقعوا في الهاوية والظلام الحالك (٢) ، وهذا الضعف والإنحطاط يساعد أعداء الإسلام لفتح أبوابهم

أمام الأمة الإسلامية ليدخلوا فيها الكفر والضلال .

قال العلامة الندوي " أمران لاتحدد لهما الوقت بدقة : النوم والغفلة

(١) محمد عبد المنان طالب : الإسلام في البنغال ص ٨٥ ، وأيضاً راجع السطر السابق .

(٢) سورة آل عمران : ١١٠ .

(١)

فى حياة الفرد والإنحطاط فى حياة الأمة " فإذا وصلت الأمة إلى هذا الحد من الإنحطاط بحيث تفقد كيانها وشخصيتها وتذوب فى البيئة الفاسدة المحاطة بها فأنى ينالها المجد والعز والكرم الذى شرفها الله تعالى به ، وفى هذا الشرف العظيم عمل مهم وهو عمارة الأرض بمقتضى المنهج الربانى وغرس العقيدة الإسلامية ودحض الشرك والبدع .

يقول الشيخ محمد قطب : لو بقيت الأمة على الحد الأدنى الذى فرضه الله لبقى الخير فى الأرض ، وكان التاريخ قد سار فى غير خطه الذى سار فيه ، لبالنسبة للأمة الإسلامية فحسب بل لكل البشرية ، فقد شاء الله منذ أخرج هذه الأمة إلى الوجود أن يرتبط بها مصير البشرية كله ، فإن كانت قائمة برسالتها على النحو المطلوب تحقق الخير لها ولل البشرية من ورائها ، وإن تقاعست عن رسالتها برزت الجاهلية فى الأرض وسيطرت عليها ، والذى سجله التاريخ على أى حال ، أن هذه الأمة لم تهبط فقط عن المستوى المثالى الذى حققه فى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين إنما هبطت - فى كثير من المجالات - حتى عن الحد الأدنى المفروض فأصابها وأصاب البشرية من ورائها كثير من الشر (٢) .

(١) أبو الحسن على الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ١٨٤ .

الاتحاد الإسلامى العالمى للمنظمات الطلابية ١٣٩٨ هـ ١٩٧٨ م .

(٢) محمد قطب : واقعنا المعاصر ص ١١١ - ١١٢ ، مؤسسة المدينة للطباعة

جدة ط ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨ م .

المبحث الثاني

فـ

دور القادة المسلمين في انتشار التصوف

إن للملوك والرؤساء والقادة أثر عميق في المجتمع الذي يتقبل منهم ما كانوا يريدونه مستغلين سلطاتهم التنفيذية ، وعلى هذا الضوء نحاول مناقشة سلوكيات بعض القادة والحكام الذين تولوا السلطة في البنغال خاصة وفي الهند عامة والتي قد أثرت على الفرد والمجتمع وساهمت وضع البلاد في تدنى الدينى والسياسى والفكرى .

إن الفاتحين لشبه القارة الهندية وأراضى البنغال أكثرهم كانوا من مواطنى فارس وتركيا ، ينطقون باللغة الفارسية ، وكانت طبائعهم وعاداتهم وأفكارهم طابعة بهذه اللغة باعتبارها ذات تأثير بالغ في الفرد والمجتمع ، لذا فإن معرفتهم عن الدين الإسلامى كانت سطحية وغير نقية ونظيفة ، لأن عقولهم كانت خليطة بالفلسفات والأفكار القديمة البالية بعيدة عن المنهج الإسلامى الأصيل ، وكانت مهمتهم توسيع رقعة سلطاتهم والهيمنة على الشعوب والموارد الطبيعية قبل كل شئ ، ثم إدخال الناس فى الإسلام على الوجه الذى يريدونه وكيفما يرونه .

يقول المؤرخ الأديب المعروف الأستاذ/ عبد المنان طالب وهو يشرح عقلية هؤلاء الفاتحين المسلمين ومدى إنتمائهم للإسلام: " فإن معظم حكام البنغال القدامى أصلاً من سلالة الأفغان والأتراك ، ولأنهم كانوا حديثي

الدخول في الإسلام وكانوا قبل ذلك معاندين للإسلام وقد حاربوا المسلمين العرب ، ومعرفتهم للإسلام قليلة جداً ولا تصل إلى المستوى الصحيح ، ولكنهم مع ذلك القدر من النقص والفتور كانوا مؤمنين بالله عز وجل وبالدين الإسلامي إيماناً دون الخوض في تفصيله وشعبه وحقائقه ومستلزماته وفي ما يفرقه بين التوحيد والشرك وبين الحق والباطل وبين الحلال والحرام ، لذا نراهم أيام الغزو للبنغال قد بذلوا جهوداً في غرس عقيدة الإسلام ومحو آثار الوثنية من الأراضي المفتوحة وتطهيرها من عبادة الأصنام والأوثان(١) .

وهؤلاء القادة والزعماء مع كون همومهم في نشر الدين وتعاليمه وحرصهم الشديد في تشييد الجوامع وإنشاء المعاهد الدينية في أرجاء المنطقة كانوا طامعين في السلطة وزعامة المسلمين والسيطرة على موارد البلاد بالإضافة إلى حب الترف والبذخ وجمع الثروات والمال ، كعادة معظم الملوك والرؤساء ، يقول الدكتور / الالوائى في كتابه المشهور : " إن الملوك والأمراء والحكام المسلمين الذين قاموا بفتوحات عسكرية في شبه القارة الهندية ، وشيدوا دولتهم الإسلامية فيها ما إهتموا بنشر الدعوة الإسلامية في قليل ولا كثير ، وإنما كان همهم في توطيد ملكهم وتنفيذ حكمهم ، منهم من كانوا ينفقون الأموال الطائلة في الترف والبذخ ولذائذ العيش ومتع الحياة الدنيا الفانية ، بيد أن بعض هؤلاء الحكام تركوا بعض الآثار والمعالم

(١) عبد المنان طالب : الإسلام في بنغلاديش ص ٧٦ دكا .

للحضارة الإسلامية من المساجد الفخمة والقلاع الحصينة ، كما أسدوا الخدمات لإحياء بعض العلوم والفنون والآداب " .

إن جماعات من الملوك الذين دخلوا الهند فاتحين وحاكمين من المغول وغيرهم لم يكن لهم علم صحيح وتام بمبادئ الدعوة الإسلامية ، وماكانوا متشبعين بروحها الحق ، وذلك لأنهم كانوا حديثي العهد بالإسلام ولم تسمح لهم الظروف المحيطة وإنشغالهم بالفتوحات وشؤون الدولة من الإعتناء بالتعاليم الإسلامية وقوانين الإسلام ، ومما زاد الطين بلة أنه ماكان يهمهم إلا السلطان والحكم " (١) .

أضف إلى ذلك أن بعضا من هؤلاء الحكام قد كانوا معاندين للإسلام ومحاربين لعلماء الدين ، كانوا يضايقونهم في نشر الدعوة ويعارضون فيما كانوا يقومون بمحوالبدع والخرافات ، إذ أن الحكومات التي قامت في عهد المسلمين في الهند كانت ملكية شخصية لاتستند إلى الشريعة الإسلامية في نظام حكمها ، ولا في القوانين التي تحكم بها ، وعلينا أن نذكر هنا - مع الأسف الشديد - أن بعض هؤلاء الملوك المنتمين إلى الإسلام قد ظهر منهم إضطهاد للدعاة المسلمين المصلحين (٢) .

(١) د / محي الدين الألواني : الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية ص ٣١٢

ط ١ ، دار القلم بدمشق ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

كا

" فالذين دخلوا الهند من الملوك والفاثحين بطريق درة خبير مانوا يعرفون من مزايا الإسلام إلا قليلاً، وما اضطبغت قلوبهم بالصبغة الربانية مثل المجاهدين الفاثحين من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين " (١) .
وهؤلاء لم يستطيعوا تغيير النظام الجاهلي الوثني الكائن في المنطقة الإبقدر ما كانوا يعلمون عن الدين من علم سطحي ، بل إنهم شوهوا صورة الإسلام بعد، أن صورته العلماء والمجاهدون العرب بصورته الحقيقية، ولم يؤثروا في عقائد البراهمة الراسخة تأثيراً ملحوظاً، ولم يحدثوا تغييراً مدهشاً كما أحدث العرب المسلمون في البلدان التي بلغوا أهلها كلمة التوحيد وفتحوها ثم سكنوها وعمروها، فما كان يهمهم من الغزو والقتال إلا التوطيد دعائم مما لكهم ، ولو إعتنى هؤلاء الفاثحون من الأتراك والأفغان والمغول بدعوة الإسلام معشار ما إعتنوا بحطام الدنيا لكان للإسلام شأن في بلاد البراهمة غير شأنه اليوم .

نعم إن هؤلاء قد نشروا الإسلام وأدخلوا جما غفيراً من المواطنين في الدين الحنيف وعملوا على بناء المساجد والمعاهد ، وأقاموا دوراً للضيافة وغير ذلك من الخدمات التي قد تكون منفعتها لصالح الإسلام ، ولكنهم لم يتوصلوا إلى الهدف المنشود ، بل فشلوا في أمر الدعوة ونشرها بين المواطنين ، الذين دخلوا في الإسلام ولكن الأمراض مازالت موجودة

(١) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص ٤ ، دار العربية ، لاهور .

فى قلوبهم ، وعاداتهم الشركية والجاهلية لم تمح آثارها كما يجب •
وفى هذا الصدد يقول الأستاذ مسعود الندوى: " والذين أسلموا من سكان
البلاد ودخلوا فى دين الله من تلقاء أنفسهم أو بجهود الصوفية والوعاظ
لم تكن الحكومات المسلمة بتعليمهم وتنقيفهم، فكانت النتيجة أن الآلاف المؤلفة
من الذين أسلموا ما إنفكوا عاكفين على شعائرهم الدينية القديمة، متسكعين
فى ضلال الشرك والوثنية غير مترشحين عما كانوا عليه فى جاهليتهم(١) •

وللتعليم أثر عميق فى نمو الفرد والمجتمع دينياً وفكرياً وحضارياً
وتقافياً فنجد المجتمع المسلم فى شبه القارة بعد إسلامه لم يستفد شيئاً
من تعاليم الإسلام التى من شأنها قوام الأمة وبقاؤها، وعملها من أجل عمارة
الأرض وإصلاح الإنسان، ودفع الظلم والعدوان ولكن حكام المنطقة إهتموا
فى تعزيز سلطاتهم وتقوية نفوذهم أكثر مما كانوا يهتمون ناحية تعليمه وثقافته،
وللمناهج التعليمية الذى جرى العمل به فى عصر الحكومات الهندية المسلمة
يد عظيمة فى بقاء الآلاف المؤلفة من المسلمين الجدد على عقائدهم الباطلة
وعاداتهم الممتزجة بخرافات الوثنية فإنهم لم يعيروا التعليم الدينى حقه
من العناية ولم يهتموا أصلاً بتنقيف الناشئة المسلمة تنقيفاً دينياً (٢) •

ومن نتيجة ذلك الإهمال إمتزج دين التوحيد الخالص بالعقائد الوثنية

(١) مسعود عالم الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ٨ •

(٢) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٠ •

وأوهام المتصوفة البرهمية ، وإنحصر الدين فى كتب الفقه التى ألفها المتأخرون من الفقهاء ، كما كان خلفاء وعلماء الدولة العثمانية يعارضون فتح باب الاجتهاد أو قيده فى دائرة التراث المأثور عن فقهاء الحنفية السابقين وفى الوقت الذى كان الفقه فيها جامداً كانت الحياة حسب سنة الله جارية متطورة (١) ، وقد دب فى عقولهم داء التقليد الجامد ديبب الديدان فى صفحات الكتب ، فاعتقدوا كتب المتأخرين من الفقهاء واتخذوها أصل الدين وملاكه دون الكتاب والسنة (٢) .

وأى عجب إذا مسح دين الله مسخاً فى بلاد البراهمة ، وحامت حوله أوحام وأقاويل لا أصل لها فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وبلغ من تغلغل تلك العقائد الباطلة فى نفوسهم وامتزاجها بلحومهم ودمائهم أن يتعصبوا لها ويدافعوا عنها دفاع من يذب عن حمى الإسلام وشعائره .

وفى هذا الصدد كان من الجدير أن نذكر أن هؤلاء الملوك الذين كان همهم توسيع رقعة الأرض وكسب الأموال وجذب النفوس، وأخصهم بالسلطان تيمور وأمبراطور أكبر، وهما من أسرة المغول التى حكمت الهند كلها زهاء قرنين من الزمن، وهذا تيمور (٥٨٠٧هـ - ١٤٠٤م) كبير أسرة المغول حينما تولى السلطة أعلن للناس دواعى تولى السلطة وحملته على الهند

(١) سفر بن عبد الرحمن الحوالى : العلمانية ص ٥١٢ .

(٢) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة ص ١٦ .

وقال: "والغرض من حملتى على الهند وتجشم عناء السفر ينقسم إلى نوعين :
الأول مقاتلة عبدة الأوثان الذين هم أعداء الإسلام وثانى اثنين يتعلق
بحطام هذه الدنيا الدنيئة وهو أن يدخر الجيش الإسلامى مايتيسر له بنهب
أموال عبدة الأوثان وسلبهم إياها (١) .

ولقد تشدق تيمور فى إحدى ملفوظاته بأنه لم يسق جيوشه الحرارة
إلا لقتال المشركين وعبدة الأصنام ، ولكنه وجنوده لم يفرقوا فى سفك الدماء
وانتهاب الأموال بين الوثنيين وجيرانهم المسلمين (٢) .

والواضح من هذه الاقتباسات أن هؤلاء الملوك والفاثحين لم يهتموا
بشؤون المسلمين ولم يعتنوا بتطوير أوضاعهم وحياتهم من الوعى الإسلامى
فيما بينهم وإصلاح عقائدهم ، بل كان همهم توسيع دائرة الفتوحات
وبسط النفوذ وجمع الأموال والثروات وبحبوحه الحياة والإسراف والتبذير
من أموال الشعب .

وأمامافعله أمبراطور أكبر بعد الاستيلاء على العرش فى الهند فمعروف
لدى الجميع .

ويعد المؤرخون المسلمون عصره عصر الضلال والإنهيار للأمة
المسلمة فى شبه القارة ، وعندما ماتبوا " أكبر " عرش الحكومة المركزية

(١) راجع مقالة الكاتب الهندى س، ن ، شين : الزنادقة المسلمون والهندوكين المنشور فى

كتابه Studies in Indian ص ٥١٦ .

(٢) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ٤٨ .

بالهند بعد وفاة والده همايون بن بابر سنة ٩٦٤هـ - ١٥٥٨ م إنقلابت الأرض ظهر البطن ، وتنكرت وجوه الأعيان والأمراء للدين الحنيف وطمي سبل الإلحاد وطنى ونجم قرن الفتنة وطال ، فكانت فتنة عمياء وداهية ذهبت بكثير من العلماء والمشايخ فى سيلها الجارف " (١) .

وكان أكبر وأسرته وحواشييه ممن قدموا من الفرس إلى الهند كانوا رافضة (٢) ، وانتشر التشيع فى البنغال وسائر أقطار الهند فى عصر هذه الأسرة المغولية "وعندما ضعفت بنية الحكم المغولى فى الهند ، سرعان ما دخل إلى الهند جحافل من الجنود الشيعة من إيران لدعمه وتقوية نفوذه فى الهند ، حاملين معهم الأفكار الشيعة والتصوف الإيراني ، وأخذت تلك الأفكار تنتشر تدريجياً فى سائر الأنحاء .

ومن هنا نجد كثيراً من الأمراء والحكام الذين تم تعيينهم من قبل الحكام المغول فى البنغال وغيرها من المناطق الأخرى معظمهم كانوا شيعة (٣) .

وكان أمبراطور أكبر الذى تولى العرش لايتجاوز عمره من الثالثة عشرة، قليل الفهم والإدراك وأمياً لايعرف القراءة والكتابة ، نشأ على حب الاستطلاع يجمع حوله جمع من العلماء والمتقنين من نزعات شتى وأفكار مختلفة ، من السنة والشيعة والصوفية والبراهمة واليهود والنصارى

(١) مسعود النوى : تاريخ الدعوة الإسلامية ص ٥٩ .

(٢) د / انعام الحق : الأدب البنغالى المسلم ص ٢٨٥ - ٢٨٦ .

(٣) انعام الحق : الأدب البنغالى المسلم ص ٢٨٦ .

ويستمع منهم إلى المناقشات والمناظرات فى المسائل التى تتعلق بالأديان والعقيدة والخلافات الفقهية ولكنه لا يستطيع الاقتناع منها كما لا يستطيع الاستفادة إلا الاستلذاذ والاستمتاع من تلك المناقشات وما كان يدور فيها من تنقيص الشأن ، ومظاهر التغلب على الآخر ، وتسابق فى الجدل والبراهين وتبادل إتهام الكفر بين العلماء السوء خاصة (١) لغرض الحصول منه المال والمتاع ، " فكان من ثمرات تنازلهم وجدالهم فيما بينهم أن الملك " أكبر " بدأ يجنح شيئاً فشيئاً إلى عدم التدين بدين الحق وأخذ يركن إلى ما كان يلقنه نواب الطوائف الأخرى من آرائها ومعتقداتها المتضاربة ، ومما غض من شأن الدين وحط من كرامة أهله فى عين الملك وحاشيتهم أعمال علماء السوء المزرية بالدين ، وهؤلاء العلماء السوء قد ساعدوا " أكبر " فى استباحة أشياء قد حرمتها الشريعة الإسلامية وإستحداث لأمر لا أصل لها من الدين ، وجعلوها من الدين " (٢) .

بالإضافة إلى نقدهم الشديد إلى العلماء الصالحين والهجوم عليهم

(١) مثل عبدالنبي الكنكوى (٩٩٣هـ) ومخدوم الملك الملا عبدالله سلطان بورى (ت ٩٩٠هـ) ومن نحا نحوهما من أقرانهم وأحزابهم ممن الذين استكانوا وأذلوا ، وبلغوا الغاية فى حب المال واكتناز الذهب وادخاره واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً .

راجع : The Religious of the maghul Emperors. Sir Ram

Sharma.p21.Tndia 1943

(٢) نفس المصدر والصفحة .

وإصدار الفتاوى على كفرهم وضلالهم ، وهذه الأشياء ساعدت " أكبر " على خطته وشدت عضده في مهمته المشؤومة ، وترعرعت في ظل حكمه البدع والخرافات وزحف سيل التصوف ، وانتشرت إلى أنحاء المنطقة ، وأعلن ديناً جديداً مناوئاً للدين الإسلامى الحنيف تحت مساندة هؤلاء .

وأول ما عمل به الأمبراطور " أكبر " فى مملكته أنه فتح باب الارتداد عن الدين وأباح للمسلمين الجدد بالذات أن يعودوا إلى ديانتهم الأولى التى كانوا عليها قبل الإسلام ، وأزال الحائل الذى يمتاز به الإسلام عن الأديان الأخرى .

ثانياً : إنه يتلقى مساعدات ويستفتى علماء الإسلام والصوفية والهندوس والبوذيين وغيرهم فى شأن من شئون المملكة ، وبذلك فإن فى مملكته تتناول الأديان كلها حقوقها الكاملة .

ثالثاً : ماكان للتشيع وجود فى المنطقة وفى عهده فتح للشيعه الأبواب لكي يدخلوا إليها من إيران .

رابعاً : وبالتشيع دخل أيضاً جمع غفير من علماء التصوف من إيران وغيرها من المناطق الفارسية ، وهؤلاء العلماء نشروا التصوف فى أنحاء المنطقة حيث إن المسلمين وقعوا فى الانحرافات العقائدية والفكرية والسلوكية فى ذلك الحين .

خامساً : منع المسلمين من تزوج بنات العم والعمة والخالة .

سادساً : منعهم من الختان .

سابعاً : أصدر أمراً ملكياً بمنع تعليم اللغة العربية وأجبر عليهم تعليم الفارسية ، وبالغ في تطهير الفارسية من الكلمات العربية الخالصة .
ثامناً : ومن أكبر المنكرات التي فشت في عهد "أكبر" سجدة التحية للملك ، فكان العلماء والمشائخ والصوفية والأمراء والأعيان كلهم يخرون للملك سجداً كلما دخلوا عليه الباب ، ومن البلية أن علماء السوء الذين يترددون على مجالسه جعلوا يؤلونها ، وأرادوا أن يستروا وراء كلمات سجدة التحية (زمين بوسى) أى تقبيل الأرض .

تاسعاً : حظر على الناس أن يصوموا في شهر رمضان .
عاشراً : منع الناس من أداء فريضة الحج وبلغ الأمر في ذلك عام ١٠٠٤هـ أن كان يعاقب من اجتراً على ذكره بأشد أنواع العقوبة .

حادى عشر : تعطلت أعياد المسلمين وانقطع الاحتفال بها في عصره .
ثانى عشر : غير أسماء النبی صلى الله عليه وسلم والصحابة (رضى الله عنهم) التى يتسمى بها المسلمون عامة، واستبدل بها أسماء أخرى غيرها، ليشفى بعض ما فى صدره من بغض وحقد وعناد للإسلام والمسلمين (١) .

ثالثة عشر : أصدر مرسوماً على عصمة الملك " أكبر " ، وإعلانه أنه خليفة الله وظل الله فى الأرض ، وفى سبيل هذا المرسوم أصدر فتوى

(١) راجع : دكتور شرما : The religious policy of The Mughul Emperers page 37 - 50

من قبل علمائه السوء الذين كانوا حواشي في ديوانه لصالح الإعلان، وإليكم مقتطفات نص المرسوم بعد التعريب " ومن حيث إن الهند العزيزة - وقاها الله شرور الدهر - أصبحت اليوم في غاية الدعة والأمن ويكاد يضرب بها المثل في العدل والكرم ، قد نزع إليها عدد غير قليل من رجال العرب والعجم ، العامة منهم والخاصة ، وفيهم من تبوأ ذروة المجد العلمي وصار قصب السبق في مضمار البحث والتحقيق، نزحوا إليها وتوطنوها بعدما هاجروا من بلادهم وفارقوا منابت عزهم ، والآن جمهور العلماء من الذين تزلعوا من العلوم النقلية وفاقوا أقرانهم في الفنون العقلية وعرفوا بالورع والأمانة وصدق الطوية ، يعلنون بعد ما تدبروا معاني الآية الكريمة " أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ (١) .

وأمعنوا في مغزى الأحاديث الشريفة:

" إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة إمام عادل " (٢) .

" ومن يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني " (٣) .

(١) النساء : ٥٧ .

(٢) رواه الترمذي في باب الاحكام .

(٣) رواه مسلم في كتاب الإمارة .

فإذا عرضت مسألة من المسائل التي تضاربت فيها أقوال الأئمة المجتهدين ، وأراد الملك أن يعزز جانباً أو يرجح رأياً ، مستنداً إلى ذهنه ونضوج رأيه ، إذا عرضت مسألة كهذه وقطع الملك فيها بشئ تسهياً للعامة وتحسيناً لإدارة الملك ، وجب على الجميع الخضوع لأمره والعمل به... وقد كتب هذا المرسوم "إبتغاء مرضاة الله" وأعلاء كلمة "الدين" وهانحن علماء الإسلام في هذا العصر قد زكيناها وصدقناها ، وذلك في رجب سنة ٩٨٧ هـ (١) .

هذه بعض المقتطفات حول ازدراء أمبراطور "أكبر" وكيده بالدين الإسلامي ، وفي ضوء ما قلنا عنه يتضح أن هذا الملك المغولي كان فاقد العلم والوعي والحنكة وعدواً لدوداً للإسلام ، قد أتى إلى شبه القارة الهندية غازياً لها لنشر أفكاره الضالة ومعتقداته الباطلة بين المواطنين المسلمين ولك أن تقول كما يقوله المؤرخون المسلمون: إن عصره كان عصرًا مظلماً قد كثرت فيه الفتن والشرور ، وطغى الصوفية والشيعة في صفوف المسلمين ووضعوا في مجتمعاتهم أفكاراً إستمدها من الأفكار الهندوسية والبوذية والمزدكية واليهودية والنصرانية ، وهذا الداء المعضل الذي نشأ في عصره قد عم المجتمع الإسلامي في سائر مناطق الهند وما زال أثره مما يعانيه المسلمون حتى هذا اليوم .

المبحث الثالث

فـ

دور علماء التصوف في انتشاره و الرعونة إليه .

لقد أسلفنا فيما سبق البيان لسلوكيات حكام المسلمين وقاداتهم ومعاملتهم مع المواطنين الذين اعتنقوا الإسلام وإهمالهم جوانب هامة تتعلق بالعقيدة الصحيحة وترسيخها في نفوس هؤلاء الناس وإنقاذهم من براثن الشرك والبدع ومن حطام الجاهلية ، ومساندتهم للفرق الضالة كي تلعب دوراً في المجتمع الإسلامي في بث الإلحاد والشرور والفتن .

إضافة إلى ذلك هناك طائفة أخرى من الناس لها نشاطات في نشر أفكار التصوف وما يترتب منها من البدع والعادات السيئة في ذلك المجتمع ، بل إنهم كانوا أكثر فعالية في هذا المجال من القادة والعلماء المسلمين وأقصد بها طائفة العلماء السوء أو الذين تلقبوا بأهل العلم ، وفي الحقيقة هم دونه بكثير .

فالعالم الصحيح هو الذي يكون مصداقاً للعلم الديني الأصيل ، يخاف الله تعالى في أداء أمانة العلم ، وعمله يكون مطابقاً لعلمه وأن يكون قدوة في امتثال أوامر ربه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، كما ورد في الحديث الشريف ، قال النبي صلى الله عليه وسلم : " إن مثل العلماء في الأرض

كمثل النجوم في السماء يهتدى بها في ظلمات البر والبحر ، فإذا طمست
النجوم أوشك أن تضل الهداة " (١) •

فالعلماء أداة إصلاح للناس كافة ، وفي أقوالهم وتوجيهاتهم ومواعظهم
صقل للنفوس ، وجلاء لما علق من عوالق الشر والفساد ، فأعانوا الناس
على شياطينهم حينما ذكروهم ببرهم وأبعدوهم عن كل سبيل يؤدي بهم
إلى الهلاك ، فالناس بلا علماء في جهالة عمياء تعصف بهم رياح الباطل
من كل حذب وصوب ، وتتخطفهم شياطين الأنس والجن ، وإذا غاب المخلصون
عن ساحة الإصلاح تسود الفوضى وتعظم الفتن وتحل المصائب •

هذه مكانة العلماء والمشائخ في الإسلام وهذا دورهم الذي يطلب منهم
أداؤه في المجتمع الإسلامي ، ولكن لو نظرنا إلى علماء المسلمين في الهند
وأحوالهم، نجد أنهم ماكانوا على ماكان عليه أسلافهم من الدعاة والعلماء
العرب الذين جاءوا إلى المنطقة في الفترة الأولى من تاريخ دخول الإسلام
فيها ، ولم يكونوا علماء وعملاً بمثل ماكان عليه العلماء السابقون ، بل معظم
هؤلاء لم يكن لهم نصيب من العلم والسنة ، كما كانوا أيضاً مقتصرين
على كتب فقهية لا تروى الغليل ولا تشفى العليل •

وأما المتصوفة منهم الموجودون فيها سابقاً كانوا منحرفين عن السنة النبوية
الشريفة وواقعين بتهافتهم في مزاعمهم الباطلة البعيدة عن الكتاب والسنة •

(١) رواه الإمام أحمد في مسنده ١٥٧/٣ ، والمنذر في الترغيب والترهيب ١٠٠/١ - ١٠١ •

فالعلماء والمشائخ الذين كانت مسئولية الدعوة على عاتقهم لم يحملوها بل إنشغلوا في أمور تافهة تحط بهم إلى الهاوية ، وكان جلهم يهتمون بالفقه والأصول ، ودب في عقولهم داء التقليد الجامد دبيب الديدان في صفحات الكتب ، وإعتقدوا كتب المتأخرين من الفقهاء واتخذوها أصل الدين وملاكه ، دون الكتاب والسنة (١) .

وتعدوا عنه

وبذلك أهملوا جوانب هامة من عقيدة الإسلام وتصحيحها في نفوس المواطنين المسلمين ، الذين تركوا ليغرقوا في الكفر والإلحاد وفي العقائد المختلطة بأوهام المتصوفة ، والهندوكية والبوذية ، كما أن هؤلاء لم يقوموا بإصلاح قادة المسلمين وأمرائهم من عقائدهم الباطلة وسلوكياتهم الفاسدة ، كما لم يقدموا لهم نصائح طيبة ، بل تركوهم على حالهم للحصول على رضاهم والتقرب إليهم للمنافع المادية والمناصب العالية ، بالإضافة إلى أن هؤلاء العلماء انشغلوا في المناظرات والمجادلات في المسائل الفقهية الفروعية التي كان ينبغي عليهم تجنبها ، حتى ظن الناس أن مهمة هؤلاء ليست إلا المناظرات والمجادلات والسب والشتم وتنقص شأن بعضهم البعض ، ولك أن تقدر عدم إعتنائهم بأصل الدين ومبادئه وبعدهم عن الكتاب والسنة بما جرى بين العلماء والشيخ الصوفي المعروف والمسمى نظام الدين (توفي سنة ٧٢٥ هـ) في مسألة السماع ، وقد عقدوا مجلساً خاصاً لتحقيق

(١) سيد مسعود الندوي : تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص ١٦ .

هذه المسألة ، ولما عرض عليهم الشيخ حديثاً مستدلاً به على شئ مما ادعى قالوا: لانسلم بهذا الحديث فإنه حديث إستدل به الشافعى وهو عدو مذهبنا (١) .
وفى هذه القصة نستطيع أن نتعرف عن مدى انحطاط مستوى العلماء العلمى والعصبية المقيتة فى حق الأئمة الفقهاء الأربعة ويتبين جمودهم فى مذهب التقليد الأعمى، وعدم إكترائهم للحديث .

ذكر المؤرخ " فرشته "

التفت القاضى ركن الدين إلى الشيخ " نظام الدين " ما دليلك على جواز السماع والغناء ؟ فاستدل الشيخ بما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : السماع مباح لأهله (٢) ، فأجاب القاضى : مالك والحديث ، أنت رجل مقلد تقتدى بأبى حنيفة ، فأنت بقول من أقواله حتى نراه فقال الشيخ : سبحان الله العظيم ، أنا أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وتطالبنى بقول من أقوال أبى حنيفة ؟ (٣) .

هذا نموذج من نماذج لو تعد لاتحصى ، فلو كان علماء فى ذلك العصر مخلصين فى الدين وجادين فى عمل التبليغ والدعوة وغير متهاونين

(١) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٦ - ١٧ .

(٢) والصحيح أن هذه المقولة ليست حديثاً وإنما هذه للإمام الغزالى ذكرت فى كتابه إحياء

علوم الدين ، ولعل صاحب تاريخ فرشته قد أخطأ حيث عده حديثاً .

(٣) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند ص ١٧ .

فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لما وصلت الأمة إلى هذا الحد من الضلال والفساد والاتحلال ، ولكن الحقيقة التى لا يمكن إنكارها أنهم ما قاموا بما كان عليهم من واجب الدعوة وبث محاسن الدين المبين وتطهير عيونه الصافية من أدران الجهل والبدع والتصوف والخرافات ، وذلك لعدم وجود علماء المسلمين المحققين والمضطلعين بعلوم الكتاب والسنة •

وحينما نتكلم عن العلماء والمشائخ ودورهم فى مجال الدعوة فى المناطق الهندية فأنا لأقصد إحتواء العلماء كلهم فى مورد النقد فيهم وبيان السلبيات ، بل هناك علماء آخرون قد أدوا واجباتهم فى سبيل نشر الإسلام ودعواتهم إلى الناس فى المنطقة ، وإن خدماتهم الهائلة مازالت موجودة بآثارها فى جميع أراضى الهند فى المدونات (١)

(١) للتفصيل راجع تاريخ علماء هند : ذوالفقار أحمد قسمنى ، وتاريخ دعوت وعزيمت لأبى

الحسن الندوى ، وعلم الحديث فى الهند وباكستان / للدكتور محمد إسحاق •

كان سبب إنشائه وإدعائه هو تصرفات العلماء الذين كانوا حواشيه في بلاطه وكان الملك " أكبر " يجمعهم في بلاطه ويستضيفهم للاطلاع على حقيقة الإسلام ومبادئه وعقائده ، ولكنهم بدأوا يتشاجرون فيما بينهم ويتهافتون على حطام الدنيا ، ويعيبون بعضهم البعض ويسبون ويشتمون ، فأصبحوا من أجل هذه السلوكيات موقع الضحك والسخرية أمام الناس ، ولم يكن هذا الخلاف منحصراً في دائرة الفروع ، بل وبالأسف كانت آراؤهم ومذاهبهم متضاربة ومتشعبة في أصول الدين أيضاً ، ومما يسيل له القلب حزناً ودمماً من أمر علماء السوء أولئك ، أن أول نزاعهم بين يدي الملك كان على تبوء المقاعد والدنو من مجلسه ، كل منهم يود أن يكون من الملك قاب قوسين أو أدنى ولا يكاد يرضى أن يؤثر غيره عليه (١) .

ومن الطامة الكبرى أن هؤلاء العلماء ماكانوا يستحيون باستباحة أشياء قد حرمها الله ، وتحريم أشياء قد أحلها الله تعالى (٢) فحطوا أمانة علمهم وازدروا بمكانتهم ، ويذكر أن العلماء والمشائخ في عصر الملك " أكبر " كانوا عندما يدخلون البلاط يطأطئون رؤوسهم ويخرون له سجداً ، ويؤولون ذلك العمل الشنيع بأنه ليست سجدة العبادة له وإنما هي سجدة التحية ، بنس

(١) مسعود الندوى : تاريخ الدعوة ص ٦٢ .

(٢) للمزيد عن العلم في هذا الموضوع راجع كتاب: Cultural Fellowship p25-50 By Atulnada , India.

ماحرفوا الكلم عن مواضعه وقد أفتى بجوازه العالم الكبير فى عصره تاج الدين الدهلوى (١) .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى هناك جماعة من العلماء كانوا يلتزمون الصمت إزاء هذه المنكرات ، مستقرقين بأنفسهم فى العبادات والذكر جالسين فى الحجرات والزوايا بعيدين عن متاهات الدنيا وما يجرى فيها من المنكرات والبدع والخرافات، كما قال الله تعالى فى شأن بعض بنى اسرائيل ﴿وَإِذْ قَالَتِ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُلْكُكُمْ أَوْ مَعْذِبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَبْنَا الدِّينَ يَتَّهِونَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعِدَابٍ يَنْبَغِي بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (٢) .

وهم طائفة المتصوفة التى إختارت الأمان والاستقرار فى العزلة والخوانق . ولهذه الأسباب إمتزج دين التوحيد الخالص بالعقائد الوثنية وأوهام الصوفية البراهمة ، وتغلغل فى المجتمع الإسلامى بالمنطقة تلك العقائد الباطلة ، والعادات البالية والتقاليد الجاهلية مما جعل الأمة مصابة بمرض خطير ليس لها أمل بالشفاء إلا بعد بذل جهد جهيد يتمثل بإعادتها إلى أصل الدين ودعوته الصحيحة ، هذا المرض هو مرض البدعة والهوى .

(١) كان يلقب بتاج العارفين ، كان على طريقة الصوفى المعروف بإبن عربى ، ولم يكن

يتقيد بأوامر الشرع .

أنظر: كتاب الشيخ بليونى : منتخب التاريخ فى الهند ط ٢ ص ٢٥٨ .

(٢) الاعراف : ١٦٤ - ١٦٥ .

المبحث الرابع

فـ

أثر اللغة الفارسية

من الواقع أن الحقد والتعصب العنيد تجاه هذا الدين نشأ في المجتمع البنغالي المسلم نتيجة لعوامل عديدة بعضها خارجية وبعضها داخلية ، ثم إن تلك العوامل تتعلق بعضها بالسياسة أو بالاجتماع أو بالثقافة ، إلا أن الثقافة لها دخل كبير في زعزعة العقيدة ونفور الطبائع من مبادئ الدين في المجتمع المسلم ، وإذا قلنا إن للثقافة دور كبير في هذا المجال ، وأعطى بها الثقافة الفارسية وأدبها ، فليس من المبالغة ، ففي المرحلة الثانية والثالثة من الدعوة في المنطقة أصبحت الفارسية لغة الديوان والبلاط ولغة الشعب والمجتمع ، وهذه اللغة كما إحتلت فيها بمثابة اللغة الرسمية فيها كذلك أثرت بما فيها من معتقدات فارسية وعاداتها في الشعب البنغالي المسلم ، فكيف نجحت هذه اللغة في تحويل عقول المسلمين وما دورها في إنحرافهم ، ماذا عملت في سبيل تشويه الإسلام ومسخ صورته ، وللإجابة على هذه الأسئلة ينبغي أن نلقى الضوء على الحقائق التالية :

١ - ومن المسلم لدى الجميع أن محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه الله تعالى في هذه الدنيا رسولاً إلى كافة الناس ، وهو من البشر كسائر الناس إصطفاه الله تعالى منهم للعمل في الدعوة والتبليغ ، وهو من جنس البشر كسائر الناس يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ، وقد بين الله

هذه الحقيقة فى كثير من الآيات القرآنية ، كقوله تعالى ((قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌ وَاحِدٌ)) (١) وقوله تعالى أيضاً ((فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)) (٢) وقال تعالى أيضاً ((وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ)) (٣) .

مما هو يدل على أن محمداً عليه الصلاة والسلام ماكان إلا من جنس البشر ، وليس من جنس الملائكة ، ولا مما هو فوق ذلك ، ولكن لما سطت الشعوب الفارسية على المجتمع البنغالى وجاء الأدباء والشعراء الفرس أدخلوا فى الناس فكرة جديدة " وهى أن محمداً ليس بشراً خلق من تراب و إنما هو دونه ومكانته مثل مكانة الله تعالى " .

وقالوا: " محمد بشكل عرب أمده - عين را حذف كن كه رب أمده (٤) ترجمته : جاء محمد بشكل عرب ، فإن حذفت العين صار هو بمنزلة الرب ، ويقول البريلوى : (٥)

وهى جو مستوى عرش تها خدا هوكر - أتربرامدينة مين مصطفى هوكر (٦) .

(١) الكهف آية ١١٠ .

(٢) يونس آية ١٦ .

(٣) الفرقان آية ٢٠ .

(٤) تاريخ المجتمع البنغالى ص ١٥٣ .

(٥) مؤسس البريلوية : أحمد رضا خان بريلوى .

(٦) إحسان الهى ظهير : البريلوية عقائد وتاريخ ص ١٠٥ .

ترجمته : أى إن الذى كان مستوياً على العرش لصورة الإله هو الذى
نزل فى المدينة بصورة المصطفى •

وهذه الفكرة تؤدى إلى الشرك الصريح باعتبار أنه صلى الله عليه وسلم
ليس من جنس البشر ، بل هو نور من أنوار الله تعالى فهو جزء من الله
تعالى ، وتؤدى أيضاً إلى الاعتقاد بأنه ليس له ظل ولا فى كظل الإنسان ،
وكذلك إنه حى لا يموت يعلم الغيب والشهادة كما أنه حاضر وناظر •

ويقول البريلوية : "إن الله تعالى خلق نبينا محمداً من نوره وفتق
الأنوار منها من لمعات ظهوره ، فهو صلى الله عليه وسلم نور الأنوار
وممد جميع الشموس والأقمار سماه ربه فى كتابه الكريم نوراً وسراجاً منيراً
فلولاه لما استنارت شمس " (١) •

ونقل من أئمة البريلوية : أن ظله كان لا يقع على الأرض وأنه كان
نوراً فكان إذا مشى فى الشمس أو القمر لا ينظر له الظل ، أما بالنسبة لكونه
حاضراً وناظراً فيستنبط البريلويون والمبتدعة من فكرة الفرس من أن
الرسول ليس بشراً وأنه حاضر فى كل مكان وناظر كل شئ ، ويقولون :
"لا يخلو مكان ولا زمان إلا والرسول صلى الله عليه وسلم موجود فيه " (٢)

(١) أحمد رضا بريلوي : نفى الفئ عن أنار بنوره كل شئ مندرجة فى مجموعة رسائل

ص ١٩٩ نقلاً عن كتاب إحسان الهى ظهير : البريلوية ص ١٠٤ •

(٢) أحمد سعيد الكاظمي : تسكين الخواطر فى مسألة الحاضر والناظر : ص ٨٥ •

ولهم في هذه المسألة خرافات أخرى تجعلهم في أعداد المشركين (١) .
وفي شأن النبي يوسف عليه السلام أنه ما كان أيضاً بشراً ، ولكن
الشاعر الفارسي الملاجامي في إحدى منظوماته قال عنه :
جوان بی جون درین جون کرده آرام * بی رویوش کرده یوسفش نام
ترجمه: فلما لزم الذات عديم المثال الراحة * أراد أن يخفي نفسه فظهر
بصورة يوسف (٢) .

٢ - كلمة " محمد " و " أحمد " اسم للرسول صلى الله عليه وسلم ،
وكلتا الكلمتين قد وردتا في القرآن الكريم ، ولكننا إذا نظرنا بعض الأبيات
الفارسية التي تتلى في مجالس المولد أو غير ذلك من المناسبات الأخرى .
وهم يقولون فيها إن " أحمد " كان في الأصل أحداً ، فلما جاء في هذه
الدنيا صار أحمداً وهكذا قد حرفوا في القرآن فقد ورد فيه " قل هو الله أحد " .
وهذا أيضاً من الشراكيات التي أدخلها شعراء الفارسية ، وهذا شبيه ماقلناه
من كلمات البريلوية : الذي كان مستوياً على العرش بصورة الإله ، هو
الذي في المدينة بصورة المصطفى ، وقد قال الله تعالى الرحمن على
العرش المستوى .

وقال شاعر الفارسي آخر :

فهمین در شریعت کامین صاف کهدون * خدا خود رسول خدا بن کی یا

(١) للتفصيل راجع : إحسان الهی ظهر : البريلوية ص ١٠٦ - ١٠٨ .

(٢) المجتمع البنغالي المسلم ص ١٥٥ .

ترجمة : أنا أقول صراحة ولست بخائف * إن الله بنفسه جاء إلى الدنيا
بصورة رسوله •

وقال غيره :

محمد كو حو جو بيدان كرتا قسم هي خداكي خدائي نه هو تي
إن لم يخلق الله محمداً فاقسم بالله لم يظهر بصورته الإلهية

قال الشاعر الصوفي العطار :

ما مقيمان كوني ولد ريام رخ به دنيا ودين نمي آرم
ترجمة: نحن نعيش في زقاق معشوق فلم أستطع أن أنظر إلى دين ودنيا
فإن العطار في مثل هذه الأبيات يبدي عقيدته بوحدة الوجود أو الحلول
التي يتبناها الصوفية •

ويقول الشاعر الصوفي " الرومي " جلال الدين " :

من زقرآن مغز را برداشتيم استخوان بيش سكان انداختيم
ترجمة: إنني أخذت الأصل من القرآن وتركت العظام للكلاب

وفي هذا الشعر يبدي تصوره بأن للقرآن معنى ظاهر وباطن ، أي
الحقيقة والشريعة ، وهذا التصور قد أخذها الصوفية من الباطنية والشيعة ،
كما أنه في مثل هذه الأبيات يضع التفريق بين المتصوفة وأهل الفقه •

وقال الشاعر الفارسي في إحدى الأبيات يبدي بها عقيدة وحدة الوجود والحلول :

خود كوزه وخود كوزه كر وخود كل كوزه وخود رند سبوكش
خود برسر آن كوزه خريدار برآمد بشكست وروان شد

ترجمة: هو إبريق وهو صانعه ، وهو طين (يصنع به الإبريق) وهو أيضاً
شارب الخمر، ثم هو بنفسه صار مشترياً لهذا الإبريق ثم قام بتكسيده وذهب .
وقال شاعر فارسي آخر : مدرسة تها يادريتها ، كعبة تها يابتخانه تها
هم سبهي مهمان تهي ايك توهي صابخانه تها
ترجمة : سواء أكانت مدرسة أو معبدًا ، أكانت كعبة أم صومعة نحن كلنا
ضيوف لصاحب الدار ، وقال الحافظ الشيرازي :

حافظا كر وصل خواهي صلح كن باخاص زوعام

بامسلمان الله الله بابرهمن رام رام (١)

أي حافظ : إن كنت تريد الغناء فصالح مع أهل الخاص والعام

فقل الله الله مع المسلمين وقل رام رام مع الهنـدوس

ومما يجدر بالذكر أن حكمة الله تعالى اقتضت أن تكون لغة العربية
هي لغة الدعوة الإسلامية ، وأن تكون هي الوسيلة المباشرة الأولى لترجمة
معاني القرآن الكريم والأحاديث النبوية وإبلاغهما إلى الناس كافة ، ولو أمعنا
في خصائص اللغة العربية وقارنا بينها وبين اللغات الأخرى لوجدنا أن اللغة
العربية تمتاز بكثير من الخصائص التي يعز وجودها في اللغات الأخرى
فأجدر بها أن تكون لغة المسلمين الأولى في مختلف ربوعهم وبلادهم .
لم يكن المسلمون وقاداتهم يهتمون باللغة العربية، بل إنهم قصرُوا في حقها

(١) راجع : د/ انعام الحق : أثر الفارسي على المجتمع البنغالي ص ٧٢ .

تقصيراً عظيماً لا يغتفر، وكان من الواجب لهم أن ينشروا الدين باستخدام هذه اللغة ، فلم نجد في عصرهم أى كتاب دينى قد ألف بالعربية أو ترجم باللغة البنغالية ليتعرف المسلمون على حقائق الإسلام ويتبصروا فيها بمنظار الواقع " وكان المسلمون آنذاك والعلماء منهم يعدون ترجمة معانى القرآن الكريم باللغة المحلية بدعة مستحدثة فى الإسلام ، حتى إن بعضاً منهم قد أفتوا بالخروج عن الملة الإسلامية إذا قام أحد بترجمته " (١) .

أضف إلى ذلك أنه فى الفترة الثانية والثالثة تدفقت آلاف من الكتب الصوفية نحو المنطقة ومعها مجموعة من القصص والحكايات والمواعظ والارشادات وآيات الحكم ، وكل هذه جاءت من المناطق التى تنطق بها اللغة الفارسية ، مثل كلستان ، وبوستان ، وبندنامه ، ومثنوى وغيرها معظمها مشتملة بالفلسفات الصوفية وأقوال علمائهم ، ونجد المسلمين كانوا يعتبرون تلك الكتب ، المصادر الأساسية الإسلامية أى المستنبطة من القرآن والسنة ، وكثير منهم يفضلون قراءتهم ويجعلونها باعث الأجر والثواب .

ومازال هذا التأثير موجود فى أواسط العلماء والمشائخ حتى فى المعاهد الدينية تدرس الفارسية فى المناهج كمقرر أساسى لهذه المعاهد (٢) .

(١) تاريخ المسلمين فى الهند: ويليم هنتر ص ١٢٨ كلكتا ، الهند ١٩١٥ ، وأيضاً أكرم خان :

تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص ٧٥ .

(٢) مناهج تعليمية للمدارس العربية النظامية ١٩٩٢م الصادرة من هيئة وفاق المدارس

العربية ، دكا ، بنغلاديش .

المبحث الخامس

بين التأثير والتأثر

لقد إختار الله تعالى الدين الإسلامى خاتماً لديانات السماء وجعله مهيمناً على سائر الأديان وجعل له الغالبية المطلقة على الجميع، فالإسلام يعلو ولا يعلى، وقال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ (١) .

وفى سبيل تحقيق مطالب هذا الدين جاهد المسلمون وصابروا وصبروا حتى حقق الله تعالى لهم النصر العظيم على سائر الأديان كلها ، وبعد فترات من الزمن تقاعس المسلمون عن أداء مهمتهم ، وإبتعدوا عن منهج الله تعالى وخصوصاً أن العلماء منهم لما ركنوا وتقاعسوا عن التبليغ وأهملوا فى إنتشال الأمة من براثن الجاهلية والشرك والبدع إنقلبَت النصر إلى الهزيمة وبدأ الانحطاط فى صفوفهم ، وتغلغل أعداء الإسلام الذين كانوا متربصين منذ زمن فى المجتمع الإسلامى مستغلين الفرصة الثمينة ، ولا يزال هؤلاء يشنون حملاتهم الشرسة عليهم حتى يومنا هذا ، فأصبحت هذه الأمة بأعدادها الهائلة غثاء كغثاء السيل ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها ، قالوا أم من قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال بلى إنكم كغثاء السيل " (٢) . وهذا الغثاء لا يحتاج إلى مجرد موعظة وإرشاد ، وتقديم حقائق الإسلام

(١) الصف آية ٩ .

(٢) أخرجه أبو داود فى مسنده عن ثوبان ٤٨٣/٤

إليه فى الدروس الدينية سواء فى المسجد أو الإذاعة أو الكتاب أو المحاضرة وإنما يحتاج إلى إنتشاله من الجاهلية التى تحيط به وتضغط على جسمه بتقل " الأمر الواقع " وتنشأته نشأة جديدة على حقائق الإسلام ، ليعيشه بالفعل ، لا " ليتحدث " عنه أو " يفكر فيه " أو " يعجب به " أو يتمناه " وهو قاعد عن العمل لتحقيقه (١) .

فإذا رجعنا إلى تطور وضع المسلمين فى شبه القاره الهندية وفى منطقة البنغال بالذات، وجدنا عقائدهم مختلطة بأوهام المتصوفة والأعمال المدنسة بأنواع الشرك والبدع والخرافات ، والسبب يرجع إلى جهل الناس بالكتاب والسنة ، لأن الكتاب الذى جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم لهداية البشرية كافة قد نبذه أتباعه وراء ظهورهم ، وجعلوه زينة لصناديقهم وخزائنهم ، وكذلك السنة المطهرة ، ونجد أن العلماء المسلمين قد أخفقوا فى أداء مهمتهم تجاه نشر الإسلام وتصحيح عقائد المسلمين ، ورأينا أن المسلمين الذين دخلوا حديثاً فى الإسلام لم يزيلوا العقائد الوثنية والمعتقدات السائدة فيهم قبل ظهور الإسلام فى المنطقة (٢) .

فنرى المسلمين حكاماً وأدباء ومتقنين كانوا متأثرين بالديانات الموجودة فى هذه المنطقة والكتب التى تتعلق بعقائدها ، وقام هؤلاء المسلمون بقراءتها والعكوف على ما جاء فيها من المواعظ والحكم ، وتعجبوا

(١) محمد قطب : واقعنا المعاصر : ص ٣٠ .

(٢) الإسلام فى بنغلاديش : محمد عبد المنان طالب ، ص ١٠٢ ، دكا .

منها ، وأحبوا أن ينقلوها إلى المجتمع الإسلامى ، وفى سبيل هذه المحاولة ألفوا كتباً حول هذا الموضوع ، ونقلوا بعض كتبهم إلى اللغة البنغالية أو الفارسية ، وذلك نتيجة لإهمال المسلمين شؤون الدين الحنيف ، وعدم الإهتمام باللغة العربية ، ويقول الكاتب الإسلامى محمد أكرم خان " وأن الفراغ الهائل التى تركته اللغات الأجنبية كالفارسية ، وعدم الإهتمام باللغة العربية أوجد للهندوس فرصاً سانحة لغرس معتقداتهم ولتأثير عاداتهم وتقاليدهم فى المجتمع الإسلامى من خلال نشر الأدب الهندوسى وهو ذو طابع دينى هندوسى ، بالإضافة إلى عدم التطابق السلوكى للأسر الحاكمة بالمنهج الإسلامى " (١) .

ومن خلال تصفحنا كتب التاريخ المتعلق بالمنطقة نجد بعضاً من القادة المسلمين كانوا أكثر إهتماماً بالكتب الهندوسية التى تحظى بالقداسة عند الهندوس ، من متابعة القرآن والسنة والكتب الفقهية (٢) . ومما تجرح به القلوب وتدمع العيون مما جاء فيها أن كتاب "مهابهاراتيا" (٣)

-
- (١) محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص ٧٥ .
 - (٢) محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص ٧٥ .
 - (٣) ملحمة الهند الكبرى ، تشبه الاللياذة والادويسة عند اليونان وهى من الكتب الهندية القليلة التى يعرف مؤلفها ، ان اسمه " وياس " وهو ابن العارف الكبير " برسرا " وقد أملئ " وياس " هذا النشيد المقدس على " كينت " الذى دونه ، وهذا الكتاب يحتوى صفة الحرب بين أمراء أسرة ملكية واحدة / والحكايات والقصص والحياة الإنسانية وغايتها راجع أحمد شلبى : مقارنة الأديان ج ٤ ص ٧٧ .

و "راماينا" (١) وغير ذلك من الكتب الهندوسية المقدسة عند الهندوس ونقلت معانيها إلى اللغة البنغالية بمساندة بعض الحكام المسلمين آنذاك ، ويذكر أن فى عهد السلطان ناصر الدين خان (١٣٢٥م) نقلت "مهابهاراتيا" إلى البنغالية بأمره ونفقته الخاصة ، كما أن السلطان حسين شاه (١٥١٨م) أحد حكام البنغال نقل كتاب " راماينا " إلى البنغالية (٢) وكان هذا الحاكم يتأثر ببعض المعتقدات الهندوسية مثل الحلول والتناسخ ، ويعتبر " شرى شوتنو " (١٥٣٣م) " رجل الدين الهندوسى فى القرن السادس عشر ميلادى " رمزاً لتجسيد الإله ومظهراً لوجوده تعالى (٣) .

هناك بعض الشعراء المسلمين أثناء كتابة أشعارهم حاولوا التقريب بين الهندوس والمسلمين ، وادعوا من أجل ذلك بتوحيد الأديان وإزالة الحائل الذى يفصل بين الإسلام والهندوس لتحقيق الوحدة القومية الهندية ، وهذا ما لم يجترأ أحد من الهندوس أن يقولونه علناً ، ويعنى هذا أن هؤلاء الشعراء يدعون عقيدة وحدة الوجود والحلول والاتحاد (٤) .

-
- (١) كتاب قديم لا يعرف مؤلفه ولا تاريخ تأليفه بالضبط ، راماينا يعنى بالافكار السياسية أو الدستورية للحياة الهندية ، فهو يتحدث عن تكوين مجالس الشورى وطرق إختيار الملوك وولاية العهود ، راجع أحمد شلبى : مقارنة الأديان ج ٤ ص ٩٣ .
- (٢) د/ انعام الحق : حقائق عن الصوفية ص ٣٦ .
- (٣) محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص ٩٨ .
- (٤) إن فلسفة وحدة الوجود التى بناها ابن عربى الصوفى المعروف لم تتوقف خطورتها على الدين الإسلامى فحسب، بل على الأديان كلها وذلك بما يتولد عنها من قضية خطيرة ===

وهذه العقيدة استمدوها من الهندوس (١) فقال الشاعر محمد
أكبرخان " إن الهندوكية والإسلام إسمان لشئ واحد لافرق بين هذا وذلك
فى أمور اعتقادية كالذات والصفات والنبي والملائكة وغيرها ، ثم يقول :
" الله للمسلمين وللهندوس " ايشر "
الحواء للمسلمين وللهندوس " كالى "
"الصحابة " للرسول عند المسلمين وعند الهندوس " الحراس الثانى عشر "
القرآن عند المسلمين وعندهم " الفيدا "
كما أنه جعل "شرى شوتنو" (٢) فى مكان النبي محمد صلى الله عليه وسلم

==== جـداً وهى قضية وحدة الأديان إنطلاقاً من النظر إلى كل معبود كمجلى للحق سبحانه
وتعالى " ويقول ابن عربى إن الأديان واحدة ، مستنداً على ذلك بقول أن الدين دينان ،
دين عند الله وعند من عرفه الحق ، ومن عرف من عرفه الحق ، ودين عند الحق وقد
اعتبره الله ، راجع : ابن عربى " نصوص الحكم " ٩٤ ، تحقيق أبى العلاء العفيفى ، دار
الكتاب العربى ، بيروت ط ٢ ، ١٤٠٠ / ١٩٨١ م .

(١) يذكر الكتاب الهندوس المعروف المقدس لديهم " الفيدا " أن الإله براجاباتى هو خالق وفى
نفس الوقت خلق ، لأنه كان فى أول الأمر واحد فاشتاق إلى التكثر وتمناه ، فلم يكن من
بقية الآلهة إلا أن أجابوه إلى سؤاله ، فضحوه وقطعوه أرباً ، ونشروا أجزائه فى جميع
البقاع فتكون العالم كله من هذه الأجزاء ، ولكن أفراد هذا العالم المتباعد لا تزال تشتاق
إلى قربها ، راجع : محمد غلاب الفلسفة الشرقية ص ٩٤-٩٥ مكتبة الانجلو المصرية
ط ٢ بدون تاريخ .

(٢) محي المذهب " الفشنو " الهندوسى

(العياذ بالله) (١) •

وقال أحد الشعراء البنغال متأثراً بالمعتقدات الهندوسية :
" أقدر النبي " صلى الله عليه وسلم " وعلياً (رضى الله عنه) ولكنى مع ذلك
لن أتساهل فى تعظيم آلهة الهندوس وأمكنتهم المقدسة (٢) •
وهناك الشاعر المسلم المسمى محمد يوسف قال فى احدى أبياته :

أنا أسجد بيت الله فى مكة - قبلة المسلمين
وتحياتى فى صميم قلبى لكل الهندوس والمسلمين
ولكنى أسجد لآلهة الهندوس قبل السجود للبيت
ليس فرق بين الهندوس والإسلام (٣)

وفى القرن السادس عشر تقرر عقد المناقشة بين الهندوس والمسلمين
وكان ذلك فى عهد السلطان على مروان خان ، حاكم البنغال فبدأت المناقشة
بين عالم إسلامى معروف آنذاك الشيخ القاضى ركن الدين سمر قندى من
جانب المسلمين وبين رجل الدين الهندوسى ، وجرى بينهما تبادل الآراء
والدلائل ، فتأثر الهندوكى من المناقشة العلمية ودخل فى الإسلام ، وبعد ذلك
بدأ يكتب عن الإسلام بمنظار رجل دين برهمى ، لأنه اعتنق الإسلام متأثراً

(١) محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص ٨٥ •

(٢) Gowdhal of the Asiatique Society of Bengal .p143-51 1917

Tndia .

(٣) نفس المرجع والصفحة •

بالمناقشة ، ولم يتعمق في العقائد الإسلامية والشريعة ، ولكن العلماء في ذلك العصر إنبهروا فيما كتبه عن الإسلام وفلسفته حتى أسندوه على كرسى العلم ، وهذا الكتاب يسمى " امرت كوندو " (الحياة الأبدية) ، وهذا الرجل البرهمي المسلم حديثاً ألف هذا الكتاب لغرض نشر المعتقدات الهندوسية في المجتمع من التقشف ، والتبتل ، وأفعال القلوب وحركات الأنفاس والرياضة البدنية وغير ذلك من الأفعال التي كانت سائدة في المجتمع الهندوسي ويحتوى الكتاب بالموضوعات التالية :

- ١ - العلم عن الكون .
- ٢ - العلم عن عالم الصغار
- ٣ - معنى النفس وحقيقتها
- ٤ - المجاهدة وطريقتها
- ٥ - العلم عن الأنفاس وكيفية استعمالها
- ٦ - العلم عن أصل النطفة وحقائقها
- ٧ - العلم عن الإرادة
- ٨ - الموت وعلاماته
- ٩ - استعمال الطاقات الروحية
- ١٠ - الأبدية والأزلية واجب الوجود والممكن (١) .

(١) محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالى المسلم ص ١٥٨ .

فقام القاضى ركن الدين سمر قندى بترجمة هذا الكتاب باللغة الفارسية والعربية أيضاً ، ثم حاول قراءة الكتب الهندوسية ومعرفة ما ذكر فيها من تعاليم مجاهدة النفس والتفكر و الروح والنفس والعيش فى الغابات والحياة فى المنفى والزوايا ، ثم بدأ يحاول تطبيقها على حياته ، وفى فترة غير قصيرة أثر هذا الكتاب وسلوك " الشيخ " سمر قندى فى المجتمع المسلم البنغالى (١) .

هناك بعض المعتقدات تسود فى المجتمع البنغالى المسلم أخذها المسلمون من الهندوس متأثرين بهم ومن البيئة التى يعيشون فيها،حتى تلاشت تلك المميزات والمقومات التى تفصل بينهما ، ولنضرب هنا بعض الأمثلة للمزيد من الوضوح كزيارة القبور للأولياء والعكوف عليها والاستغاثة بهؤلاء بزعمهم أنهم المقربون إلى الله،فلا يصل إليه شئ من الأعمال والدعاء إلا بواسطة هؤلاء الأولياء وتقديم الأضاحى إلى الأضرحة (٢) .

ومن عادات الجاهلية التى أخذها المسلمون أيضاً من الهندوس الاحتفال بالمولد والأعياد بمناسبات عديدة أخرى ، والرقص بين الرجال والنساء وشرب الخمر فى تلك المناسبات معتقدين بأن هذه الأمور تفرح أرواح أصحاب القبور وتسبب لنجاتهم من عذاب النار ، وكذلك بناء القبة الخضراء تشبه قبر الحسن والحسين فى يوم عاشوراء وتمثيل قبر نبينا

(١) د / انعام الحق : حقائق عن التصوف ص ٧٩ .

(٢) د / عبد الحى : تاريخ الألب البنغالى ص ٧ .

محمد صلى الله عليه وسلم فى الثانى عشر من ربيع الأول ، وأخذة المسلمون من الهندوس الذين ينحتون أصناماً فى ذكرى ألتهم " دورغا " وفى آخر يوم يرمونها فى البحيرات (١) تقريباً إلى الله .
كما أن هناك بعض المصطلحات ومفهومها يتقارب مع مفاهيم هندوكية وذلك مثل :

عند المسلمين	عند الهندوس
إعظام المشايخ والأولياء	عبادة الكبار بالسجود لهم
الاحتفال بالمولد والعرس	إعتكاف حول المعابد والاحتفال بها
اللقاء مع الخضر فى مياه البحر	العبادة لإله البحر
الانس بالحيوانات المفترسة والركوب عليها	كذلك لدى الهندوس حيوانات مفترسة ويتباركون بها
النور فى أيام الكسوف والخسوف	الاستعانة ببعض الآلهة عند إصابة العين والأمراض المعدية (٢) .

وذكر الشيخ عند السفر فى البحر

إن هذه العادات قد أثرت فى المسلمين بصفة عامة نتيجة للاختلاط والاحتكاك بين الهندوس والمسلمين ، كما هو واضح فى البيان العالى .
و توضيحاً للحقيقة التى أوردناها آنفاً نذكر مقالته الدكتور شلبى فى كتابه مقارنة الأديان " ويمكن القول أن عامتهم إنحرفوا بالاسلام ،

(١) د / عبد الحى : تاريخ الأدب البنغالى ص ٨ .

(٢) د / انعام الحق : حقائق عن التصوف ص ٨ .

فجعلوه إسلاماً فيه اتجاهات هندوسية ، ويعد من الإنحراف بعض اتجاهات الاسماعيلية ، وبعض اتجاهات الأحمدية واتجاهات أتباع معين الدين شيشتى (١) .

ثم يقول المؤلف: "هناك وثيقة تجعل زيارة ضريح هذا الشيخ (شيشتى) تتوب عن الحج إلى بيت الله الحرام ، وتقرر أن الطواف حول ماسماه ابن الشيخ " الروضة الشريفة " كالطواف حول الكعبة، ويسمى الباب المؤدى لساحة الضريح " باب الجنة " (٢) وهناك بعض شائعات أن هؤلاء الذين سيعبرون باب الجنة إلى الروضة ستفتح لهم أبواب الجنة بعد موتهم (٣) وإذا نظرنا إلى الهندوسية نجد أن الاحتفال بالمزارات وتقديسها وتقديم القرابين لها موجود فيها ، ويصف كتاب Hinduism وصفة رائعة للاحتفالات بالمعبودات الهندية ، حيث جاء فيه: إن أهم الشعائر الدينية أن يعد التمثال أحسن إعداد وأن يقام في المعبد ويعامله عباده كأنه حي يسمع ويعى ، ويدهنون بالزيوت ويضمخونه بالطيب ويكسى بأحسن اللباس ويزين بالجواهر واللؤلؤ ويوضع أمامه أحسن طعام وأشهى شراب وتطوف به الجماعات منحية ضارعة على أنغام الموسيقى ، ودخان البخور

(١) د / أحمد شلبى : مقارنة الأديان ٩٧/٤ .

(٢) والمعروف أن مايسمى " باب الجنة " موجود عند ضريح فريد الدين شكرعنج فى ولاية

بنجاب بباكستان ويسمونه بهشتى دروازة .

(٣) د / شلبى : مقارنة الأديان ٩٧/٤ .

• وأصوات الغناء •

ويستمر هذا الكتاب فى بيان بعض المراسيم الهندوسية التى يحتفون بها عند العبادة مثل أن بعض الهندوس يرون فى التمثال آلهتهم ويراه الآخرون رمزاً للآلهة ويخضع العابد إلى شعائر دقيقة لتقبل توسلاته وعباداته (١) •

وإذا كنا تحدثنا عن قضية التأثير والتأثير وما يترتب عليهما من نتائج خطيرة من التطرف والانحراف عند المسلمين بالبنغال ، وبُعدهم من تعاليم الإسلام الصحيحة ، فإننا نشير إلى جانب آخر مساهمته فى نشر التصوف فى المنطقة ، فهناك أناس نشأوا فى العزلة والغابات والصحراء متأثرين من حياة زعيم البوذية غوتا وأتباعه المنتشرون بأعداد كبيرة فى سائر المنطقة ، فلما نظروا إلى تلك المظاهر التى فى الصوفية ومشايخها وإلى سلوكياتهم ونشاطاتهم التى تتمثل بالديانة البوذية والهندوسية فى الهند ، أحبوا أن ينشئوا ديناً جديداً يجمع فيه المسلمون والهندوس وغيرهم ، ويعيشون تحت مظلة الأمن والاستقرار كأمة هندية واحدة ، إذ أن تاريخ الهند منذ قديم الزمان ملئ بالصراعات الفكرية والقومية و الحروب بينهم كانت مستمرة لعدة سنين ، وللإستفادة من التجارب المريرة الماضية قرر هؤلاء تطور دين جديد و حاولوا التقريب بين المواطنين المنقسمين بين الديانات الرئيسية فى الهند (٢)

(١) نفس المرجع والصفحة •

والهندوكية والبوذية، و بذلك تركوا أثراً سيئاً في المجتمع الإسلامي وعملوا عملاً شنيعاً في إنحراف الشريعة ، ومن بين هؤلاء الناس " كبير " و " رام موهن " المصلح الهندوكي و " غرونانك " المؤسس الأول لمذهب السيخ ، وأما أكبر (الامبراطور المغولي) الذي ذكرناه سابقاً (١) .

يقول الدكتور عبد المنعم الشرقاوي عن هذه الظاهرة : " ولا تختلط الهندوكية بالاسلام إختلاطاً جغرافياً فحسب ، بل يتداخلان ثقافياً أيضاً ، حقاً أن الدينين يختلفان إختلافاً واسعاً من عدة وجوه ، فالاسلام دين وحدانية ، على حين أن الهندوكية تعترف بعبادة عدد من الآلهة وتؤمن بالأصنام ، بينما يدعو الإسلام إلى اخوة عالمية بين كل الذين يتبعونه ، تقوم الهندوكية على نظام الطبقات والتفاوت بينها ، ومع كل هذا استعار كل دين من الآخر أشياء وتأثر به وعقائده ، فقد استبق الهنود المسلمون بعض عقائد الهندوكية ، إذ أن التحول إلى الدين الإسلامي نادراً ما كان تحول أفراد ، بل كان دائماً تحول أسر أو مجموعات من الأسر جلبت معها عاداتها الاجتماعية الخاصة بالزواج وبالوراثة وغيرها " .

ومن جهة أخرى أثر الاسم في نظام الطبقات الهندوكي . . . ولم يقف التأثير عند حد المظاهر بل تأثرت العقيدة في صميمها ، فمما استعاره المسلمون من الهندوكية التصوف وتقديس الأولياء تقديساً يكاد

(١) راجع الفصل الأول (دور القادة المسلمين في نشر التصوف) من هذا الباب ص ١٥٣

يرفعهم إلى مرتبة التأليه ، وقد قوى الإسلام من جهة فكرة الإله الواحد في الهندوكية التي وجدت دائماً في هذه العقيدة ، رغم تعدد الآلهة من الذكور والإناث ، وقد أدى هذا إلى أن يظهر بين الهنادكة من يدعون إلى إله واحد كما حدث في السيخ ، بل هناك من رجال الدين من يدعيه العقيدتان ، مثال ذلك " كبير " الشاعر الصوفي الذي عاش في القرن الخامس عشر (١) .

وهذا الخلط بين الدين الإسلامي وبين الهندوكي نتج عن التأثير وعن الأخذ والرد فيما بينهما ، ونجم عنه فئة ثالثة حاولت التقارب بينهما فشتان ما بين الإسلام والهندوكية فبئس المحاولة ، ويقول غوستاف لوبون في هذا الصدد: " فالحق أن كثيراً من الهندوس المسلمين يؤلهون محمداً ، ثم أخذوا يؤلهون صهره علياً ، وإن أبناء طبقات المسلمين يؤلهون كثيراً من الأولياء ، فيخالطونهم بالآلهة البرهمية القديمة ، وخلط بين المعتقدات كهذا الخلط المؤدى إلى أسخف الخرافات وإلى الوثنية .

ذلك " كبير " الذي ظهر في القرن الخامس عشر ، فثار على القرآن والويد (الفيدا) فجذ في إقامة ديانة روحية واحدة مقامهما ، وكذلك أمر " نانك " مؤسس مذهب السيك (السيخ) ، وكذلك أمر " رام موهن "

(١) د / عبد المنعم الشرقاوى : ملامح الهند والباكستان ص ١٥٢ ، دار المعارف بمصر ط

الذى مارس ديانة مقتبسة من النصرانية والإسلام والبرهمية (١) .
 أما " رام موهن " فقد حاول إزالة التطرف الذى يوجد فى الهندوكية ،
 وإصلاحها على أساس أنها دين هندوكى يدعو الناس إلى التسامح وعدم
 التفريق بين الشعوب وحاول هدم الجدار الذى أنشئ تحت ستارة نظام
 الطبقات ، وأما " غرونانك " زعيم المذهب السيخى الذى تشعب من الديانة
 الهندوكية ، وهو أيضا مؤسسه (٢) ، أما الرجل الثالث وإسمه " كبير " فله
 دور كبير فى ذوبان الشخصية الإسلامية فى الكيان الهندوكى كما قال ذلك
 رجال التاريخ فى الهند ، وشأنه كشأن عبدالله بن سبأ اليهودى الذى دخل فى
 المجتمع الإسلامى لاستئصاله من الجذور (٣) .

-
- (١) غوستاف لوبون : حضارة الهند ص ٢٢٦ ، تعريب عادل زعيتر ، دار إحياء الكتب
 العربية ، القاهرة ط١ ، ١٣٦٨ هـ ١٩٤٨ .
- (٢) وقد ولد " نانك " فى القرن الخامس عشر ، ولما شب دعا لمذهبه الجديد ناس كثيرون .
 راجع : د/ أحمد شلبى : مقارنة الأديان ١٠١/٤ .
- (٣) رام موهن RAMMOHON ROY (١٧٧٢-١٨٣٣م) الملقب " بابي الهند " فقد كان
 رجلا معروفا فى عصر رجال مرموقين ، درس الفارسية والعربية ، كما أتقن الانجليزية
 أثناء عمله فى خدمة شركة الهند الشرقية ، أحد المصلحين الدينيين الهندوس ومؤسس
 فرقة براهمو سماج ، ولد فى البنغال ، ونشر عام ١٧٩٠م كتابا ضد الوثنية ، وفى عام
 ١٨٢٨م كون رامموهن جمعية " براهموسماج " من مجموعة مثقفى البنغال كانت تتجمع
 اسبوعيا لقراءة " الليوباتشاد " وتلاوة المواعظ والانشيد والتراتيل الدينية .
 راجع: المعتقدات الدينية لدى الشعوب، مجلة عالم المعرفة ص ١٨٩، العدد ١٧٣، الكويت .
- * مذهب السيخ (Sikhism) " غرونانك " (Guru Nanak) مؤسس هذا المذهب ،
 ويعتمد المذهب على ثلاثة عناصر أولية: أولا: النظام الدينى الذى علم للناس
 فى البنجاب خلال العقود المبكرة من القرن السادس عشر .
- =====

فقد جاء في دائرة المعارف الإسلامية أن كبير (١٣٩٨ - ١٤٤٨ م) صوفي معروف بالهند في القرن الخامس عشر الميلادي ، يعتقد عنه كل من المسلمين والهندوس أنه مرشد لهم ، أما تاريخ حياته فغامض ، يقال : إنه كان مسلما ، تبناه بعد إسلامه رجل ذو مهنة رخيصة ، ثم تتلمذ على مصلح

== ثانيا : بنية المجتمع في البنجاب ولاسيما في المجتمع الريفي البنجابي .

ثالثا : حقبة التاريخ البنجابي التي تمتد من زمن المعلم الروحي " نانك " حتى يومنا الراهن ، ومذهب " السيخ " لا يتوحد تماما مع التراث الهندوسي ولا يتميز تماما عنه . تعرض تعاليم المعلم الروحي " نانك " في العادة على أنها مزيج من تراب الهندوس وإيمان المسلمين وقد وجدت على عهده مجموعة متنوعة من الإيمان الديني يشار إليها الآن بإسم " نرجونا سميرانديا " Nirguna Saampradaya

ويعبر " نانك " عن فهمه لله بعدد من المصطلحات المكررة من قبل المصطلح الأول هو نرنكر Nirankar ، أي مالا شكل له ، ومن أبرز ما يوصف به الله أنه هو الواحد الذي لا شكل له والصفة الثانية لله هي " أكال " أي " الازلي والثالثة هي " الخ " Alakh أي مالا يوصف ، كيف يمكن للمرء أن يعرف الله ؟ الجواب الأول للمعلم " نانك " أن المرء لا يستطيع أن يعرف الله لأن الله في تمامه يجاوز كثيرا فهم الموجودات الفانية ، غير هناك إجابة ثانية : تقول إذا كان الله في تمامه لا يمكن معرفته ، فليس عدم إمكان معرفته تماما ، ذلك لأنه أيضا هو إله النعمة الذي بعث بوحي يمكن للإنسان العادي محدود العقل فهمه وهو الوحي الذي يتجلى في الخلق ، فالله " حاضر في كل مكان " (ساراب فيباك) Sarab Viapak هو محايث في كل مخلوقاته ويمكن لعين الشخص اليقظ روحيا أن تراه في كل مكان ، ولهذا الوحي العام بؤرة مركزية معينة هي القلب البشري ، ولا بد للمرء أن يكون قادرا على الرؤية بعينه الخارجية ولا بد له ، كذلك ، أن يكون قادرا على الرؤية بعينه الداخلية ، وللوحي المتجلى في الخلق أهمية بالغة عند المعلم نانك إذ يمكن عند هذه النقطة أن يتم الاتصال بين الله وبين الموجودات البشرية راجع : المعتقدات الدينية لدى الشعوب : مجلة عالم المعرفة عدد ١٧٣ ص ٢٠١-٢٠٣

هندوسى " رامانندا " وكان يحب مجالسته والالتزام به فى مدينة " بنارس الهندية " ، كما كان الحضور فى المناقشات الفلسفية والعقائدية ويشاركه فيها عدد كبير من المتصوفة المسلمين ورجال الدين الهنادكة ، ويحكى عنه أنه كان يعارض بشدة موقف الإفراط والتفريط فى أى من الدينين الإسلامى والهندوكى ، كما أنه يردد كلمات الصوفية المسلمين التى يرددونها فى مايسمى بذكر الله تعالى ، ويؤمن بالتوحيد والثناء للبارى عزوجل .

فكثير من الناس إختلفوا فى الديانة التى اعتنقها " كبير " أكان مسلما أم كان هندوكيا ومازالت القضية مبهمة ، ذهب مؤلفان إنجليزيان هما: ولسن والسيد آر، بى ، جى بهندكرا إلى أنه كان أصلا هندوسى ، وذهب الآخرون مثل السيد ج ، هـ ويست كوت و غريرسون أنه كان مسلما (٢) وهو الرأى الصحيح .

ومن أقواله : خلونى أن أقوم بتحلية نفسى ، دعونى أركب على مطايا العشق الالهى " ويقال: إنه كان داعيا لنشر عقيدة الآلهة الهندوكية فى الهند ، كما أنه يستعمل لفظ الجلالة فى " رامانندا " و " هريرام " و " على " كما أنه

(١) دائرة المعارف الإسلامية (اردو) ج ١٧ ص ٩٣ - ٩٤ ، جامعة بنجاب لاهور ط١

١٩٧٨ م .

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (اردو) ج ١٧ ص ٩٣ - ٩٤ ، جامعة بنجاب لاهور

ط١ ١٩٧٨ م .

كان معارضا لمبادئ القرآن وزيارة بيت الله في الحج وعملية الختان ويدعى أن الله موجود في كل مكان ، وكذلك كان يقول: "العشق فقط يكفي للتقرب إلى الله ، ولا يحتاج له مراسيم العبادات كالصلاة والصيام وغيره (١) .

ومن خلال دراسة حياته يتبين أن " كبير " تربى في بيت هندوكى ونشأ فيه وعند الهندوس كان رجلا زاهدا في الدنيا ومحبا لحياة العزلة، مع ذلك كان ميالا إلى المطالعة عن كثب في الدين الإسلامى وعقائده، ولكنه مع كونه منفتح القلب كان ناقص العقل ومضطرب النفس ، لذا فإنه كان يتردد بين حين وآخر في مجالس البراهمة والكهنة الهندوكية والمتصوفة المسلمين ، ومن خلال هذه الزيارات استطاع إبراز شخصيته عند كلا الجانبين حتى تمكن من جذب النفوس إليه وإبراز مكانته فيهم كما أننا نؤكد أن كبير من خلال ممارسته بالتصوف استطاع تحويل التصوف إلى صورة مشبوهة وأدخل في الدين الإسلامى المعتقدات الهندوكية وفلسفاتها والبدع والخرافات ، فضعف شأن الإسلام والمسلمين بسبب التفاف العلماء المتصوفة حوله والاستماع منه لكلماته وأبياته التى تثير مشاعر الناس نحو العيش في الزوايا والغابات والصحراء . . . وتعذيب النفس والرياضات الروحية لينالوا بها الحياة السعيدة ، وفي ذلك العصر الذى عاش فيه ظهر التصوف في الهند بصورة غريبة مزيجة بالأفكار والفلسفات الهندية بعيدة عن الدين الإسلامى الصحيح، والأمر الذى ظهر في المجتمع الإسلامى والذى سبب إنحراف الناس عن عقائد الدين كما هو الحال في عقيدة وحدة الوجود والحلول ، وأصبحت هذه العقائد شائعة في اوساط المتصوفة في سائر البنغال ، فنظرا لخطورة الوضع الذى ينتج عنها نود أن نعرض هذه القضية المثيرة في العالم الإسلامى (٢) .

(١) دائرة المعارف الإسلامية ، نفس الصفحة ، وكذلك راجع حقائق التصوف في البنغال

لسيد غلام تقيين ص ٥٧ .

(٢) راجع ص ٢٤٢ من هذه الرسالة

المبحث السادس

فـ

دخول المتصوفة في منطقة البنغال

إن العلماء والمشائخ الذين توافدوا إلى منطقة البنغال وإلى أقطار شبه القاره الهندية في المرحلتين الأخيرتين معظمهم من سكان بلدان فارس وأفغانستان وتركيا والبصرة وكوفة ، وهي المناطق التي نشأ بها التصوف والتشيع (١) وإن عقلانية الفرس وثقافتهم كانت مهيمنة عليها ، فهؤلاء العلماء والمشائخ لم يسلموا من المؤثرات الفارسية وعقلانياتها لسبب ارتباطهم فيها ومشاركاتهم في تقلبات سياستها وحضارتها وثقافتها ، لذا نجد نقصهم في العلم والدين والعقيدة الصحيحة ، وخاصة أنهم في الفترة التي عاشوا فيها قد كثرت الفتن وازدادت الفرق وانتشرت الاضطرابات السياسية (٢) التي تعم المسلمين عوامهم وخواصهم ، الشيء الذي أصاب المسلمين بإصابة خطيرة هو فتنة التصوف والتشيع وظهور البدع والخرافات وانتشارها في جميع أنحاء المنطقة ، فإنهم تعلموا الدين والعقيدة والشريعة بما هو معروف في تلك المناطق الفارسية ، ونظروا إليها بمنظار الفرس وعقلانيتهم ، فأنى يجدون العلم الصحيح للدين والعقيدة والشريعة التي أنزلها الله على رسوله الكريم وشرحها علماء السلف الصالحين .

ولنا وقفة قصيرة في هذا النقطة كي نتعرف على طبيعة المناطق الفارسية ونتعرف على الوضع الذي يسود فيها ، ليتضح لنا مدى تأثيرها في

(١) السيد وليام هنتر : تاريخ مسلمي الهند ص ٨٥ .

(٢) دكتور غلام ثقلين : الصوفية في بنغلاديش ص ٤٦ .

المجتمع الإسلامى وخاصة فى البلدان التى فتحها الغزاة المسلمون الفرس ، وأخصها شبه القارة الهندية ونشأت فيها من أجل ذلك التأثيرات الصوفية وغيرها من الانحرافات والالحاد فى الدين .

ففى المرحلة الثانية والثالثة من الدعوة الإسلامية فى منطقة البنغال كانت الأراضى الفارسية وما يجاورها من البلدان العربية لها صلة كبيرة مع شبه القارة الهندية ، فرجال الفرس كانوا يتاجرون معها ويتبادلون مع الهنود السلع التجارية وبهذه المناسبة كانوا يلتقون بعضهم بعضا ويتناقشون القضايا الثقافية والأدبية والعلمية ويتبادلون الآراء حولها .

وفى العصر العباسى كانت فارس وبغداد ملتقى للتجار العرب والهند (١) ومنطقة الأبله والبصرة كانت من أكبر الموانئ والمراكز التجارية الهندية والصينية (٢) .

فنظرا لملتقى التجار العرب والفرس والهنود كان الحكماء والأدباء والفلاسفة من المسلمين والمسيحيين واليهود والهندوس يتجمعون فى هذه المناطق ويناقشون فى موضوعات مختلفة ، ومن بينها الأمور العقائدية والفلسفية والأدبية ، وذلك فى ظل الخلفاء العباسيين ، وكان الحكام يباركون هذه الاجتماعات والمنتديات ، وبهذا صارت منطقة فارس وما يجاورها محور الالتقاء والتأثر فى الموضوعات التى تناقش فيها .

وعقلية الفرس ومن كان يعيش فى ظلهم تجاه الإسلام وتعاليمه كانت قائمة على الحقد والبغض والعناد ، ودخولهم الإسلام لم يكن كدخول

(١) انظر : دكتور أحمد شلبى : الفكر الإسلامى ومنابعه وآثاره ص ٨٠ ، مكتبة النهضة

المصرية / القاهرة ط ٦ ، ١٩٨٧ .

(٢) القاضى مباركفورى : العرب والهند فى عهد الرسالة ص ٨٤ ، الهيئة المصرية العامة

للكتاب ١٩٧٣ م .

غيرهم من العرب ومع أنهم كانوا مسلمين ولكنهم كانوا غير واعين للإسلام وعقائده ، وكانت معرفتهم به معرفة سطحية غير راسخة في نفوسهم كما كان حال العرب المسلمين ، و كانوا على العقائد الفارسية التي حصلوا عليها وراثتها من آبائهم وأجدادهم الذين اعتقدوها في المجوسية ، وما زالوا على تلك الأفكار التي كانوا عليها قبل تحولهم للإسلام ، يقول قاسم غنى :

" إن الإيرانيين (أى الفرس) بعد رضوخهم لسيف العرب إثر حروب القادسية وجلولاء وحلوان ونهاوند ، بذلوا استقلالهم وشوكتهم عن يد وهم صاغرون ، وسواء شاعوا أم أبوا دخلوا الإسلام بحكم غريزة المحافظة ، غير أن العرب الذين نظر إليهم الإيرانيون بعين الاحتقار من قديم لم يستطيعوا مع غلبتهم أن يحملوا الإيرانيين على مشاركتهم طراز التفكير والعقيدة السليقة والمنطق والآمال والمطالب الروحية ، لأن التباين كان عظيما في العنصر وطريقة المعيشة والأوضاع الاجتماعية ٠٠ الخ (١) .

ويقول أحمد أمين : " فلا تظن أن هؤلاء من الفرس الذين دخلوا في الإسلام من الأمم الأخرى ، فهموه بحذافيره كما فهمه العرب من المسلمين حتى المخلصون منهم في إعتناقهم للإسلام ، إنما فهمه كل قوم مشوبا بكثير من تقاليدهم الدينية القديمة " (٢) .

وكانوا يأخذون من الإسلام ماتشتهى شهواتهم وتتلذذ ألسنتهم ويرمون مايشعرون من كبت وضغط وثقل .

ويقول د ٠ سميح عاطف في شرح نفسيات الفرس والأعاجم ممن دخلوا الإسلام من رقعة إنتشاره إلى الآفاق :-

(١) انظر : كامل مصطفى الشبيبي : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٤٢-٣٤٣ ط ١

دار المعارف المصرية ١٩٦٩ م .

(٢) أحمد أمين : فجر الإسلام ص ٢٧٠ .

"ولكن ميراث المجوسية كان فى دماء بعض الأعاجم وأفكارهم ،ورواسب العادات والتقاليد الصوفية كانت فى أخلاقهم وطبائعهم ،وقد حال كل ذلك دون اجتلاء الإسلام الصحيح فى نفوسهم ،فأخذوا من تعاليمه ما يلائم طبيعتهم وألفوا قوانين ما يرون أذواقهم ، واصطنعوا فى ذلك من الأشكال والألوان ما يجدونه سهلاً على مداركهم ،ما يقيمون به جسراً ممتداً إلى القديم من معتقداتهم " (١) .

وإن اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن والحديث ولغة الدين والشريعة لها شأن عظيم فى الإسلام ، ويثاب من يتعلمها ويعلمها ويقوم بترويجها فى المجتمع الإسلامى (٢) وعندما نقلى النظر على عادات الفرس وثقافتهم ، نجدهم - مع كونهم من المسلمين ومع أنهم أعطوا ولائهم له - فهم قليلو الإهتمام باللغة العربية ، وبعبارة أخرى فإن اللغة لعدم الإعتناء بها كانت عاجزة عن القيام بثورة فيهم ، ولأنه من شأنها أن تؤثر فى كل قوم وفى كل فرد يؤمن بالدين الإسلامى اعتقاداً جازماً .

يقول أحمد أمين :

"دخل كثير من الفرس فى الإسلام وتعلم كثير منهم ، حتى كان منهم

(١) سميع عاطف الزين : الصوفية فى نظر الإسلام ص ٢٨ ، دار الكتب اللبنانى المصرى

ط ٢ ، بدون تاريخ .

(٢) كما ورد فى القرآن الكريم : "وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ

لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ " الشعراء : ١٩١ - ١٩٤ .

فى الجيل الثانى من يتكلم العربية كأحد أبنائها ، ولكنهم برغم هذا كله لم يصبحوا فى جملةهم مثل العرب (المسلمين) فى عقيدتهم ولا كالعرب فى مطامعهم وطموحاتهم ونزعاتهم ، ولا كالعرب فى عقليتهم ، بل اعتنقوا الإسلام فصبغوه بصبغة فارسية ، ولم يتجردوا من كل عقائد الدين القديم وتقاليده ، ففهموا الإسلام بالقدر الذى يسمح به دين قديم ، اعتقه قوم ونشأ فيهم ناشئهم وشب عليه ، كذلك تعلم الكثير منهم العربية ، ولكن لم يترك لخياله الفارسى ، ولم ينس لقومه من شعر أو مثل أو حكمة ، وكان من أثر ذلك طبيعياً أن تدخل تعاليم جديدة فى الإسلام ، ونزعات دينية جديدة وظهر أثرها فيما بعد وأظهرها فى الإسلام التشيع والتصوف (١) .

ولما كان الفرس يشغفون الفارسية أكثر مما سواها من العربية وغيرها ، كان من الطبيعى أن يتأثروا مما يكون تحتها من الأثرات والمنفعلات التى هى من وليد الفارسية وخصائنها ، إننا لو لاحظنا الثقافة الفارسية بالذات نجد أن لها دوراً عظيماً فى المجتمع الإسلامى ، وذلك فى إبعاد المسلمين عن أساس الدين وعن عقائده الصحيحة المستقيمة ، وفى زرع بذور الشقاق والافتراق بينهم ، وتصوير الإسلام أمامهم بصورة مشوهة ومسوخها عن الحقائق والواقع بخلق الشكوك فيها وإحداث أفكار ذات طابع فارسى مزدكى ومنحرف ، ولعب الفرس فى هذه المجالات دوراً هاماً عندما انتشر الإسلام

(١) أحمد أمين فجر الإسلام ص ٩٨ .

فى المناطق البعيدة وخاصة أيام العصر العباسى حيث نشطت حركة نقل العلوم العربية إلى الفارسية وبالعكس •

وفى ذلك العصر الذى يعتبره رجال التاريخ عصر الإزدهار العلمى والثقافى نشطت الحركات العلمية وتنقلاتها إلى لغات شتى وإلى انحاء متفرقة من العالم ، وكان الخليفة العباسى المنصور أول من وضع لبنة نقل الكتب العربية إلى اللغات كالفهلوية (١) والسريانية واليونانية فى العاصمة بغداد ، إذ جمع حوله لفيفاً من العلماء يجيدون الترجمة وشجعهم على نقل العلوم والآداب (٢) •

فلما إنتشر الإسلام وتوسعت الفتوحات الإسلامية حول العالم دخل الأعاجم فى الإسلام من أهل الملل والنحل وأخص منهم الفرس ومن كانوا يعيشون بجوارهم بدأوا يدخلون وينشرون بين الناس بعض العقائد الموروثة التى تؤدى إلى ذبذبة الرأى وبلبلة الفكر ، وإضعاف الوحدة والصف ، وشاعت فى الدين البدع والخرافات والشبهات ، وتعدى نقل العادات والتقاليد الأعجمية إلى محيط الإسلام ، وألصق بالدين ما ليس منه " وقد بلغ ذلك (الوضع) أقصاه عند تسلط الأعاجم على أمور الدولة وقاموا بتوجيه سياسة الأمة وثقافتها ، مما أيقظ فى الشعوب الأعجمية العصبية لأجناسها ،

(١) السنسكرتية : لغة الهندوس وهى لغة ديانتهم ، والفهلوية : لغة المجوس الفرس •

(٢) د / أحمد شلبى : الفكر الإسلامى ومنابعه وآثاره ص ٨٠ ، مكتبة النهضة المصرية

وجراها على منازعة العرب ومناوأة المسلمين (١) .

وكما أشرنا سابقاً إن عقلية الفرس قائمة على البغض والعناد للإسلام ، فهم بناء على عصبيتهم البغيضة كانوا يريدون التأثير بعقلياتهم وتراثهم على الإسلام بعقائده وصبغها الصبغة الفارسية ، ولعل السبب في ذلك عدم التفات المسلمين إلى هذه النوايا الخبيثة ، وتركهم دون محاولة التأكيد على ترسيخ العقائد الإسلامية في نفوسهم والوقوف ضد الموروثات القديمة التي كانت موجودة لديهم أو بعض الذين تقطعت قلوبهم حقداً وغيظاً على الإسلام .

ومن الطبيعي أن الهزائم التي ذاقها الإيرانيون من المسلمين العرب في الحروب العديدة أوجدت فيهم إنفعالات روحية وتأثرات معنوية على شكل صراع فكري ظهر في التاريخ الأدبي والمذهبي والاجتماعي والسياسي (٢) . واشتد ذلك الصراع حتى نجح الفرس في التأثير على العرب والمسلمين ومن هنا إنقلب الوضع لصالح الإيرانيين ، وكان التصوف والتشيع من أهم ردود الفعل الذي ظهر في المجتمع الإسلامي موروثاً من ذلك الصراع الفكري وقد أوضح د/قاسم غني هذه الفكرة بقوله : " ويجب أن نبين هنا أن رد الفعل هذا لم يأت عن عمد وإختيار وإرادة على خطة مرسومة يراد

(١) سميح عاطف الزين : الصوفية في نظر الإسلام ص ٢٥ .

(٢) د/ كامل مصطفى الشبيبي : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٣٤٢ .

بها الإنتقام ، بل كان أكثره متأثراً بحكم الإنفعال النفسى وتحت تأثير
العواطف والأحاسيس الخفية التى يعرفها علم النفس ، أى إن ذلك قد حدث
غالباً دون أن يجد له الناس علة واقعية ودون أن يحللوه ، ولكن ذهنهم كان
مسوقاً إلى هذا العمل بهذه الطريقة (١) .

ومن خلال التغيير السياسى والفكرى والاجتماعى نشأ التصوف
وترعرع فى المناطق الفارسية بما فى ذلك البصرة والكوفة وخراسان (٢) .
ولما ضعفت الدولة الفارسية فى الحكم فى البلاد الإسلامية ، وقام
الإنتهزيون باستغلال الفرص والاستيلاء على الحكم والسيطرة على الأمة
وتناسى المسلمون جوانب العقائد الإسلامية وقام شيوخ خراسان وبلخ (٣)

(١) قاسم غنى : تاريخ التصوف فى الإسلام ص ٨ .

(٢) خراسان : بلاد شاسعة الرقعة إلى الشرق من إيران تشمل الأراضى التى إلى الجنوب من
نهر جيحون وإلى الشمال من هندوكش ، والإقليم الذى يعرف باسم خراسان يضم أقل
من نصف خراسان القديمة ، أما بقيتها فتابعة لأفغانستان ، وكانت خراسان المعقل الذى
حشد فيه أبو مسلم الخراسانى ودعاة العباسيين الجيوش التى قضت على الخلافة
الأموية وكانت المنطقة هذه معقلاً للصراع بين المسلمين ونشوب الفتن .

انظر : دائرة المعارف الإسلامية ج ٨ ص ٢٨٢ ، دار الفكر ، أيضاً انظر القاموس
الإسلامى ج ٢ ص ٢٢٢ .

(٣) بلخ : مدينة قديمة تقع على نهر ضحل بهذا الاسم فى شمال أفغانستان ، كانت مركزاً
للبنوية ، كما أنها كانت مركزاً للديانة الزرادشتية ، غزاها العرب بقيادة قيس
بن الهيثم عام ٤٤٣ هـ .

ينادون بالتصوف على أنه من صميم الدين ، وأنه مذهب الصفوة المختارين متأثرين في ذلك بما كانوا عليه من العادات والطباع أجيالاً ، واختلطت التعاليم الإسلامية بالتقاليد الفارسية والهندية ، ومن هنا أى بسبب الاختلاط والامتزاج نشأ ما يسمى بالتصوف (١) .

ومن خلال مذكرناه في هذا الموضوع يتبين لنا أن الصوفية وعقليتها المنحرفة أو الذين يحاولون مسخ صورة الإسلام الأصيلة قد ترعرعت في العراق والمناطق الفارسية على وجه العموم ، وما نراه اليوم من إنتشار هذه الفرقة الصوفية إلى آفاق بعيدة من العالم قد نبع وترعرع من تلك المنطقة . والجدير بالذكر أن الكتب والمؤلفات التي تتعلق معظمها بالتصوف صُنفت في تلك المنطقة باللغة الفارسية ، كما كانت الحال في الكتب الشيعية ، باعتبار أن معظمها ألفت بتلك اللغة بسبب نشأتهما وتطورهما فيها ، واللغة الفارسية شأن عظيم في أداء دور كبير في إنتشار الفرق وخلق الفتن في المجتمع الإسلامي ، وفي تقديم الإسلام بصورة مشبوهة وممسوخة عن حقيقته وواقعه ، وما زال المسلمون الفرس يعانون حتى اليوم من تلك الفتن ، وإن العلماء الذين نادوا إلى التصوف ومعتقداته معظمهم كانوا

(١) انظر : د/سميح عاطف : الصوفية في نظر الإسلام ص ٢٤ دار الكتاب اللبناني

من أصل فارسي (١) مثل أبوزيد البسطامي (٢) ومعروف الكرخي (٣)، وجلال الدين الرومي (٤) وغيرهم من أكابر المذهب وشيوخه، مما يوحي أن التصوف تأثر بالفلسفات الإيرانية القديمة التي هي عبارة عن خلط الاتجاهات الفكرية لكل من اليونانية والمسيحية والهندوسية والمجوسية، ولذلك يقول :

- (١) فلو تتبعنا قوائم طبقات الصوفية نجد أن أكثرية شيوخ الصوفية من أبناء الفارس والهند : مثل أبي عبد الرحمن السلمي من خراسان (ت ٤١٢ هـ) وفضل بن عياض من خراسان (ت ١٨٧ هـ) بشر بن حامي (ت ٢٢٨ هـ) من بغداد وغيرهم من الطبقة الأولى وأبو القاسم الجنيد من نهاوند (ت ٢٩٣ هـ) وأبو الحسين النوري من خراسان وأبي عثمان الحيري النيسابوري من نيسابور من الطبقة الثانية، والحسين بن منصور الحلاج من أهل بيضاء فارس (قتل ٣٠٩) ببغداد وأبي حمزة الخراساني من أقران الجنيد (ت ٢٩٠ هـ) وأبي عبد الله الصبيحي من أهل البصرة من الطبقة الثالثة وأبي بكر الشبلي هراساني (ت ٣٣٤ هـ) من أصحاب الجنيد وأبي الحسين بن هند الفارسي من مشايخ الفرس ومحمد بن عليان النسوي من الطبقة الرابعة .
- (٢) أبو يزيد طبرقي بن عيسى بن سروشان ، كان جده سروشان مجوسيا فأسلم ، والبسطام بكسر الباء بلدة كبيرة بفومس على جادة الطريق إلى نيسابور (ت ٢٦٠) انظر طبقات الصوفية لأبي عبد الرحمن السلمي ، نور الدين شريعة ص ٦٧ ، أيضاً : الرسالة الفشيرية ج ١ ص ٨٠ أيضاً حلية الأولياء ١٠ ص ٣٣ .
- (٣) معروف الكرخي هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي ، كان أستاذاً للسري السقطي (توفي ٢٠٠ هـ) وقبره في بغداد ، يستشفى منه ويتبرك بزيارته ، أسلم على يد علي بن موسى الرضا ، انظر : طبقات الصوفية ص ٨٥ ، الرسالة الفشيرية ج ١ ص ٦٠ ، حلية الأولياء ٨/٣٦٠ .
- (٤) جلال الدين الرومي : صوفي مشهور تنسب إليه الطريقة الجلالية أو المولوية ، ويلقب بالبلخي الرومي نسبته إلى بلاد الروم التي كانت قونية إحدى المدن الإسلامية الكبرى (ت ٦٧٢ هـ) انظر : القاموس الإسلامي ٢/٦٢٠ .

المستشرق غولديهر"إن بعض الاصطلاحات التي عرفت في التصوف الإسلامي قد وردت للتفكير الإسلامي من هذه الثقافات أي الثقافات المسيحية والهندوسية والفيثاغورية ، وذلك مثل الفناء والطريقة والمراقبة والكرامة وغيرها " (١)، فأصبحت هذه الاصطلاحات شائعة في أوساط المتصوفين، وعقيدة الإسلام وتعاليمه بريئة من كل هذه المصطلحات .

بعد هذا العرض الطويل نعود إلى حديثنا حول موضوع دخول المتصوفة في البنغال خاصة وفي شبه القارة الهندية عامة ، فنقول: إن الذين قاموا بغزو البنغال من المسلمين ليسوا من الهند ، بل إن معظمهم كان من أصول فارسية وتركية وأفغانية ، ينطقون باللغة الفارسية باعتبارها اللغة الأم ، فهؤلاء الدعاة والعلماء والمشايخ

قرأناروا طريق الحق والهداية والحياة السعيدة ، مع كل هذه الخدمات النافعة إلا أنه يؤخذ عليهم أنهم أهملوا جانباً مهماً هو العقيدة الإسلامية الصحيحة من التوحيد ، وحقيقته أفراد العبادة لله وحده، وإبطال الشرك والبدع وما يترتب عليها من المهالك والمخاطر التي لها أثر سيئ في حياة الإنسان ذلك لأن الإسلام دين شامل يصلح لكافة الناس ولكل زمان ومكان ، ولذا أمرنا الله تعالى أن نعود إلى الإسلام وندخل فيه جملة ، قال تعالى :

(١) نقلاً عن د / أحمد شلبي : الفكر الإسلامي في منابعه وآثاره ص ١٧١ .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ﴾ (١) .
وقال أيضاً: ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْمَقْذُودِ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ
كُلِّهِ ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي
وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (٣) وفي ضوء هذه الآيات المباركة فإنهم لم يكونوا
على مستوى صحيح في أخذ العلوم الشرعية ، وما أخذوا منها إما كانت
ناقصة أو مزيجاً بالافكار الفارسية أو العادات التي كانت سائدة فيها ، فقاموا
بنشر الإسلام وتعاليمه وفق ماكانوا يتلقونه من تعاليمه
في بلادهم الفارسية بنقص وعيب ، وهذا ماسنعرفه من خلال دراسة
نشاطاتهم في منطقة البنغال .

وكانوا يكتفون بدعوة الناس إلى الإسلام بإقامة مجالس الوعظ والإرشاد
والحفلات الدينية بالمناسبات المعروفة لديهم ، و يجذبون عواطفهم ببعض
خرق العادات أو ما يسمى بالكرامات التي كانت تظهر في أيديهم بالاضافة
إلى زهدهم عن متع الحياة الدنيا وركنهم في التكايا والخوانق (٤) .
نتيجة لتلك الأعمال الدعوية والخدمات الدينية نجد كثيراً من الناس
تأثروا بهم ، واعتنقوا الإسلام بمجرد مشاهدة تلك الخوارق والسلوكيات
الزاهدة كما أشرناه في الفصول السابقة ، وأما الجوانب الأخرى من الإسلام

(١) البقرة : ٢٠٨ .

(٢) الصف : ٩ والتوبة ٣٣ .

(٣) المائدة : ٣ .

(٤) عبد المنان طالب : الإسلام في سجنوديش . ص ٨٣

التي لابد من بيانها لكل إنسان مثل تبيان الحقائق للناس عن الشرك والبدع وإبطالها بالبراهين القاطعة وإفهامهم العقيدة الإسلامية الصحيحة ، ومساعدتهم في حل مشاكلهم الاجتماعية والإقتصادية والسياسية التي كانوا بحاجة إلى تغييرها من الجذور وفق ما شرعه الله سبحانه وتعالى ، إننا نلاحظ أنهم كانوا يبتعدون عن الناس وعن المعاشة معهم ، ويفضلون الانزواء بالزوايا والحجرات ، أما البعض منهم فكانوا يتمسكون بتدريس علوم الدين في المعاهد فقط ، مما يؤكد أن هؤلاء العلماء والمشايخ كانوا من الجماعة المتصوفة ، ورغم انتمائهم إلى التصوف إنه لمن الواقع أن الإسلام قد انتشر بهم وبهذا الوضع وبهذه الصورة في البنغال ، وأسرع في إنتشاره إلى حد لم يتصوره أحد من قبل ، وهذا الخلل ما زال قائماً على ما كان قبل ذلك .

وفي المرحلة الثانية والأخيرة من نشر الإسلام في المنطقة تباطأت حركة العلماء في نشر الدعوة ، وتوقفت نشاطاتهم بشكل بطيء وخاصة في الفترة التي فيها ازداد العلماء والمشايخ من بلدان فارس وأطرافها إلى أراضي البنغال " وان ازدياد هم بهذا الشكل الرهيب وإنتشارهم في المنطقة في حين كان الهند تحت سلطات أباطرة المغول ، وفي تلك الأيام كانت إيران تشغل في الاضطرابات السياسية الشديدة " (١) فاضطر كبار العلماء

(١) د/ انعام الحق : الأدب البنغالي المسلم ص ١٨٦ .

المتصوفة إلى ترك أوطانهم والهجرة إلى أماكن تصلح لاستقرارهم وتؤمن لهم ممارسة نشاطاتهم فيها ، وما كان لهم من بد إلا أن يرتحلوا إلى الهند كمنطقة آمنة ومستقرة بعد أن أصبحت كلها تحت قيادة مغولية، يقول المودودي " لقد امتدت آثار التصوف بسرعة خاطفة من العراق وإيران إلى الهند حيث وجدت تربة خصبة هناك ، وأصبحت أرض الهند مأوى لعدد ضخم من الأولياء رجالاً ونساءً ، حيث تحولت مقابرهم بعد موتهم إلى مزارات وأضرحة يؤمها المسلمون والهندوس معاً (١) ولقد وجد هؤلاء المتصوفة في أراضي الهند موقعاً ممهداً وفرصة مواتية لنشر أفكارهم كما وجدوا ميداناً شاغراً فتقدموا لملء الفراغ .

(١) أبو الأعلى المودودي : تجديد الدين وأحيائه ص ٩٢ .

وأيضاً للتفصيل : راجع د/ مصطفى حلمي ، التصوف والاتجاه الفلسفي ص ٢١٣ .

إستقرار التصوف فى البنغال :

بدأ التصوف وأثره ينتشر شيئاً فشيئاً فى البنغال منذ القرن الحادى عشر الميلادى ، عندما إنتشر الإسلام بفتوحات المسلمين الأتراك لطول المنطقة ، أصبح طريق الاتصال بين الهند وبين بلاد فارس وسمر قند وبخارى سهلاً وميسوراً ، وبعد أن لقوا أراضى الهند كلها خصبة تصلح لنمو الإسلام وإنتشار دعوتها على نهج التصوف •

فعلماء التاريخ تعرضوا لصعوبات فى جمع المعلومات الواقية عن الرعيل الأول من المتصوفة المنحرفين الذين دخلوا المنطقة ، ولكننا بعد البحث العميق فى هذا الموضوع والوقوف الطويل على المصادر والمراجع بغية الوصول إلى المعرفة الصحيحة وجدنا أسماء بعض الذين قدموا من بلاد فارس وما يجاورها من المناطق الأخرى إلى الهند أولاً ثم إلى البنغال ثانياً ومنهم الصوفى السلطان الرومى (ت ١٠٥٣ م) والشيخ سيد نثارشاه (ت ١٠٣٩ م) ويقال إنه أول من دخل فى الهند بأفكار التصوف وأنظمته وطرقه، والشيخ على الهجویری (ت ١٠٧٢ م) ويقول بعض الناس: إنه كان من العلماء المتصوفة الذين حملوا معهم أفكار التصوف وأنظمته فى أراضى الهند ، وهؤلاء يعتبرونهم من الرعيل الأول (١) •

Etymology

Encyclopedia of Religion and / Edited by Games Haslings . (١)

ثم توالى الصوفية بدهم بأعداد كبيرة ، ولم يمكنوا فى مكان معين ، بل تجولوا المناطق كلها وإنتشروا حيث أرادوا وشاءوا وفى خلال مدة قليلة ذاعت شهرتهم وأصبحوا ذا مكانة وتقدير بين المواطنين الهنود ، واستقر معظمهم فى المناطق الجبلية وهضبتها الممتدة من الغرب إلى الشرق مثل بنارس والبنغال وكشمير ، ومن بين المتصوفة المشهورين الذين قدموا إلى الهند فى هذا القرن، الشيخ معين الدين خشتى (١١٤٢ - ١٢٣٦ م) المؤسس لطريقة الخشتية فى الهند / توفى فى أجمير بالهند ، ومقبرته مازالت موجودة بها ، وكثير من أتباعه يأتون إليها للزيارة والحصول على المراد عندها ، وبعد قدومه جاء إليها الشيخ بهاء الدين زكريا (١١٦٩ - ١٢٤٠ م) الذى يعتبر أول من حمل الطريقة السهروردية فى أراضى الهند (١) .

ومن القرن الثالث عشر حتى بداية القرن الخامس عشر توقف تحرك الصوفية نحو الهند سوى عدد ضئيل منهم إستمر وصولهم إليها ، ومن خلال فترات التوقف استحكمت طائفتى الصوفية الخشتية والسهروردية فى المنطقة ، واحتلت مكانة مرموقة لدى المواطنين الهنود (٢) .

(١) . Ain -e- Akbari .vol.3. p- 363.Colnel H.S.jerratt.col 1894

(٢) تذكرة أولياء هند (اردو) ١٨/٣ ، مطبعة دىلى ، الهند .

الميردى

وفى بداية القرن السادس عشر بدأت الصوفية فى الهند تظهر بثوب جديد بواسطة طائفة من المتصوفة القادرية التى أسسها الشيخ عبد القادر الجيلانى (١٠٧٨-١١٦٦م) هذا الشيخ لم يأت إلى الهند قط فى حياته، والذى جاء بالقادرية إليها رجل من سلالته ويسمى محمد غوث شاه الجيلانى (١٤٨٢-١٥١٧م) وتوفى فى مدينة راجيوتانة بشمال الهند (١).

وفى أواخر القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر للميلاد دخلت الطريقة النقشبندية المنطقة وتوالت بعدها طرق أخرى من الأدهمية، والبكتاشية والقاندريية والبالوية (٢) لاستغلال الأرض الخصبة لتوسيع التصوف وأفكاره فيها .

وهذا التطور الذى نلاحظ عند تدفق هؤلاء المتصوفة نحو المنطقة لم يكتب له الدوام ، بل حدث فيه مد وجزر، حسب الظروف والتطورات السياسية فى تلك البلدان التى غادروها نحو البنغال والمناطق الهندية ، رغم إنتشار التصوف فى سائر الأطراف فى أنحاء البنغال لم يكن الوضع مستقراً ، فبعد أيام قلائل من ممارستهم الدعوية فى المنطقة عادوا من حيث أتوا ، والأمر الذى عملوه خلال إقامتهم فيها أنهم نجحوا فى غرس البذور الصوفية وتأسيس قواعدها فى أرض لم تؤت ثمارها ولم يجنوها فى حياتهم

(١) فريد الدين عطار : تذكرة الأولياء ١٨/٣ .

(٢) حقائق عن تاريخ التصوف : الدكتور غلام تقيين ص ٣٦ .

إذ لم يتوفر لديهم عدد كاف من المريدين يكفى لتغطية المنطقة، وذلك بسبب نقص العلم فى علم التصوف وعدم تكافؤهم فى الرياضة الروحية وتعذيب النفس والممارسات البدنية التى يمارسها المتصوفة، وهذا لا يدل على أن أفكارهم وآثارهم قد محيت من المنطقة محواً تاماً، كما لم تكن هناك قوى معارضة للصوفية يخشى عليها، بل كانت الظروف والأوضاع ملائمة لهؤلاء، لأن الأصل والأساس ما دام ثابتاً ومادام البذور قد تم غرسها فى عمق الأرض وتصل إليها كل ما يغذيها، فلا بد من تلك البذور أن تثبت وتكبر وتثمر وتنفع الناس فيما بعد، وإن طال الوقت لجنى الثمار منها •

وقد ضرب أحد الكتاب البنغاليين مثلاً رائعاً لهؤلاء المتصوفة والوضع السائد فيها، حيث إنه يقول: " إن مثلهم كمثل العنديلين والطيور ذات أصوات جميلة وتخرج من أعشاشها لتغنى وتبشر الناس بقدوم الربيع ثم تعود إلى أعشاشها، الربيع لم يأت بعد لتتفتق فيه الزهور، ولم يحن الآوان لتخضر الأغصان والأوراق، وهكذا فإن هؤلاء الصوفية قد أتوا إلى المنطقة ليبشروا الناس بنسيم التصوف وجماله ومحاسنه، ولكنهم فى أيام قلائل عادوا من حيث توافدوا، إلا أن آثار هؤلاء مازالت باقية فيها، وإن

الخدمات التي قدموها للشعب البنغالي موجودة في أتباعهم من أهل البنغال •
وفي القرن السادس عشر الميلادي قام أتباع هؤلاء المتصوفة من
بعدهم بدفع حركاتهم ونشاطاتهم الصوفية بين أبناء الوطن البنغاليين (١) •

ومن بداية هذا القرن إلى نهاية القرن السابع عشر بدأ زحف المتصوفين
نحو البنغال وبعدد كثير كالسيل الجارف فأغرقت بهم البلاد، وإن الصوفية
اليوم التي نراها في أرض البنغال وسائر المناطق الهندية والباكستانية لهي
أثر لهؤلاء المتصوفة القادمين من بلاد ما وراء النهر ومن بلاد الفرس
والبلاد المجاورة منها ، فأصبحت بنغلاديش تعرف اليوم ببلاد المتصوفة ولم
أبالغ في ذلك ، فلا توجد شبر من أرضها تخلوا من المتصوفة وآثارهم ، مما
يدل على أن هؤلاء الدعاة والمشائخ الصوفية الذين غرسوا بذور التصوف
وغذوها لتنمو وتزدهر، وقد أينع غرسهم وبدأت ثمارهم في المجتمع البنغالي
ونحن سنرى في الباب التالي آثار ذلك التصوف في المجتمع الإسلامي
البنغالي الذي نستطيع أن نصفه بالمجتمع المصاب بالمرض المعدي ، ولا
يرجى شفاؤه إلا أن يتخذ له تدابير حكيمة لإصلاح المسلمين وإعادةهم إلى
الدين الأصيل الذي جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم •

(١) دكتور/ إنعام الحق : تاريخ التصوف في البنغال ص ٧٢ •

المبحث السابع

فـحـ

عقيدة وحدة الوجود

نظرية وحدة الوجود خيال يقوم على أن هذا العالم المختلف في أشكاله ليس سوى مظاهر متعددة لحقيقة واحدة هي الوجود الإلهي (١) والواقع أن التصوف الإسلامي بعد نشأته الأولى أخذ يتقدم شيئاً فشيئاً " نحو التسوية بين كون الله في العالم وبين الفكرة التي تقول: بأن القوى والخصائص الإلهية قائمة في الأشياء المادية والأشخاص ، ثم حاول أن يوفق بين هذه الفكرة وبين فكرة وجود إله خالق منزه متعال ، وذلك بأن يضع بدل وجود الله في العالم ، فكرة وجود العالم في الله وبالتالي على أن كل الأشياء المادية تجليات له " (٢) .

فعقيدة وحدة الوجود من المسائل المعضلة التي يقولها المتصوفة ، وهي التي جردتهم عن المجتمع الإسلامي وجعلتهم أسرة ذات كيان مستقل ، وهي أخطر عقائدهم على الإطلاق ، والقاتلون بها ليسوا من القدامى فحسب بل إن عدواها قد سرت في تعاليم الصوفية في كل عصر وفي كل جيل .

(١) د: عمر فروخ : التصوف في الإسلام ص ١٧٣ ، دار الفكر ، بيروت ١٩٨١ م .

(٢) هاملتونجب : دراسات في حضارة الإسلام ص ٢٨٠ ، ترجمة عباس ورفاقه

ووحدة الوجود ، هذه الكلمة تعنى فى العقيدة الصوفية أنه ليس هناك موجود إلا الله ، فليس غيره فى الكون ، وما هذه الظواهر التى نراها إلا مظاهر لحقيقة واحدة ، هى الحقيقة الإلهية **﴿تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً﴾** هذه الحقيقة التى تنوعت موجوداتها ومظاهرها فى هذا الكون المشاهد ، وليس هذا الكون - فى هذه العقيدة الباطلة - إلا الله فى زعمهم ، ولقد استمرت هذه العقيدة معلومة عند أناس مخصوصين فقط ممن بلغوا النهاية فى الطريق الصوفية ، ولكنهم لا يعبرون عنها إلا بتعبيرات ملفوفة غامضة لا يفهمها إلا من سار على نهجهم وسيرتهم وذاق ذوقهم وكشف غوامض كلامهم .

ولكن القرن السادس الهجرى شهد فى آواخره ، وبداية القرن الذى يليه رجلاً عجباً استطاع أن يصوغ هذه العقيدة صياغة كاملة ، ويضرب لها آلاف الأمثلة ، ويبنى عليها فروعها المختلفة فى الإعتقاد والتصور ، ذلك الرجل هو محى الدين ابن عربى المتوفى سنة ٦٣٨ هـ (١) .

(١) ابن عربى أبو بكر محمد بن على بن محمد بن أحمد الحاتمى الطائى المرسى الاندلسى ثم الدمشقى ، ويلقب بمحى الدين والشيخ الأكبر والكبرىيت الأحمر ذو المحاسن التى تبهر وسلمان العارفين وخاتم الأولياء والوارثين ، العارف المحقق الكامل المدقق ، برزخ الحكيم الإلهى ابن أفلاطون ويعرف بابن عربى بالتنكير عند أهل المشرق ، تميزاً له عن القاضى ابن العربى .

ولد بمدينة مرسية ليلة اثنين ١٧ رمضان ٥٦٠ هـ فى عهد خلافة المستنجد بالله ، ولما

ولعل أخطر كتاب يدعو إلى هذه العقيدة هو كتابة فصوص الحكم ، فهذا الكتاب من ألفه إلى يائه ليس إلا صوراً هزيلة لهذه العقيدة الضالة ، وإن فلسفة ابن عربي الصوفية تدور حول نظرية في وحدة الوجود ، وفي رأى أنه لم يكن لهذه النظرية قبل ابن عربي صورتها الواضحة، فهو رائدها والواضع لأسسها والمبين لمعانيها ومراميها ، فقد رأى ابن عربي أن الحقيقة الوجودية واحدة في جوهرها وذاتها (الحق) متكررة بصفات وأسمائها وظهورها في أعيان الممكنات (الخلق) .

ويدعى ذلك الرجل الصوفي أن مقاله في كتابه الفصوص قد نقله بلازيادة ولا نقصان عن الرسول الذي أمره بتبليغ ذلك للناس حيث يقول : " أما بعد ! فإني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مبشرة رأيته في العشر الأواخر من المحرم سنة سبع وعشرين وستمئة بمحروسة دمشق ، وبيده صلى الله عليه وسلم كتاب فقال لي : " هذا كتاب

==== بلغ الثامنة من عمره إنتقل إلى اشبيلية مع أهله ف قضى فيها أطول حياة في المغرب إلى أن رحل عنها إلى مشرق سنة ٥٩٧ هـ ولم يعد إلى وطنه ، وفي أيام حياته تلقى العلوم عند العلماء والفقهاء الصوفية والمدارس الباطنية وتجول أثنائها كل من المغرب وتونس ومراكش ومكة المكرمة والمدينة المنورة ومصر والخليل وبيت المقدس وبغداد والموصل وإلى بلاد الأناضول وفوتيه، توفي في دمشق ٢٨ ربيع الآخر سنة ٦٣٨ ودفن فيها بصفح جبل قاسيون .

راجع : ابن الملقن : طبقات الأولياء ص ٤٦٩ ، الطبقات الكبرى للشعراني ١/ ١٦٦ .

فصوص الحكم ، خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به ، فقلت السمع والطاعة لله ولرسوله ولأولى الأمر منا كما أمرنا " .

ثم يقول: "فحققت الأمنية وأخلصت النية وجردت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حده لي الرسول صلى الله عليه وسلم من غير زيادة ولا نقصان " (١) ، يبدأ ابن عربي في بيان مذهبه بالعبارة الآتية :

" لما شاء الحق سبحانه ، حيث أسماؤه الحسنى التى لا يبلغها الاحصاء أن يرى أعيانها ، وإن شئت قلت أن يرى عينه فى كون جامع يحصر الأمر كله لكونه متصفاً بالوجود " (٢) .

ومن أبرز الأسس التى قام عليها مذهب وحدة الوجود - كما وضعه ابن عربي - هو أن العالم كله بمثابة شبح لاروح فيه أو كالمرآة القابلة للصور ، ويصبح بذلك عملية الخلق عنده فيضاً دائماً ، وحتى لا يقر بالاثنيونية فإنه جعل العالم يفتقر إلى الحق فى وجوده ، لأنه يسرى فى الموجودات بالصور وبالمثل فإن الحق مفتقر إلى الأعيان الثابتة وهى أشبه بالصور الأفلاطونية .

يقول ابن عربي :

الرب حق والعبد حق ياليت شعرى من المكلف

(١) ابن عربي : فصوص الحكم ص ٤٧ بتعليق أبى العلاء عفيفى .

(٢) ابن عربي : الفتوحات المكية ج ١ ص ٢ .

إن قلت عبد فذاك ميت أوقلت رب فأنى مكلف (١)
ويقول أيضاً :

فالحق خلق بهذا الوجه فاعتبروا وليس خلقاً بها الوجه فاذكروا
جمع وفرق فإن العين واحدة وهى الكثيرة لا تبقى ولا تذر (٢)
ويقول أيضاً : فسبحان من أظهر الأشياء وهو عينها ، وأنشد :
فما نظرت عيني إلى غير وجهه ولا سمعت أذنى خلاف كلامه (٣)
ويعتقد ابن عربى أن الذوات بأسرها كانت ثابتة فى العدم، فذاتها أزلية،
حتى ذوات الحيوان والنبات والمعادن والحركات والسكنات ، وإن وجود
الحق أفاض عليها ، فوجودها هو وجود الحق ، وذواتها ليست ذوات الحق ،
فهو يفرق بين الوجود والثبوت (٤) ، يقول ابن العربى تأييداً لموقفه
فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَمَا مِنَّا إِلَهٌ مِّثْلُ مَا مَعْلُومٌ ۚ ﴾ (٥) ، وهو ما كنت
به فى ثبوتك ظهرت به فى وجودك ، هذا إذا كان لك وجود ، فإن ثبت
أن الوجود للحق ، لالك ، فالحكم لك بلا شك فى وجود الحق (٦) .

-
- (١) ابن عربى : الفتوحات المكية ج ١ ص ٢ .
 - (٢) ابن عربى : فصوص الحكم ج ١ ص ٢٦ .
 - (٣) ابن عربى : فصوص الحكم ج ١ ص ٢٦ .
 - (٤) ابن تيمية : مجموعة الرسائل ج ١ ص ١٧٢ .
 - (٥) الصافات الآية ١٦٤ .
 - (٦) ابن عربى فصوص الحكم ج ١ ص ٨٣ .

ثم يقول: وإن ثبت أنك الموجود ، فالحكم لك بلا شك ، وإن كان الحاكم الحق ، فليس له إلا إفاضة الوجود عليك ، والحكم لك عليك ، فلا تحمد إلا نفسك ، ولا تذم إلا نفسك ، وما يبقى للحق إلا حمد إضافة الوجود ، لأن ذلك له لا لك ، فأنت غذاؤه بالأحكام وهو غذاؤك بالوجود (١) .

تلك هي أقوال يتقولها ابن عربي في مؤلفاته ، مخالفة صريحة لما ذهب إليه العلماء السلف من أهل السنة والجماعة ، يفسر الآيات القرآنية والأحاديث الشريفة دون نهج صحيح ودون أساس مستقيم ، وما يدعيه من الكشف والالهام في موضوع وحدة الوجود ماهو إلا زيف وأباطيل .

ويهاجم العلامة ابن تيمية (رحمه الله) ابن عربي وأعوانه وأتباعه وينقدهم نقداً شديداً ، ويضعهم في مصاف الزنادقة المتشبهين بالعارفين أتباع فرعون والقرامطة الباطنيين . (الرد على ابن عربي)

لأن أهل الكذب - كما يخبرنا القرآن الكريم - ينزل عليهم الوحي أيضاً بواسطة الشياطين ، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ (٢) ، ولأن ابن عربي بهذا القول - أي وحدة الوجود - يهدم مبادئ الإسلام ويعطل إرادة الإنسان ويوقف تفكيره ويمنع التفرقة بين الخير والشر والتمييز بين الثواب والعقاب ، فماذا

(١) ابن عربي : فصوص الحكم ، ص ٨٣ .

(٢) الأنعام : ١٢١ .

بقي من إسلامه ودينه من قال هذا القول، وإن مسألة توحدة الوجود تدور حول فكرة أن الوجود واحد ، ومن ثم فإن عبادة قوم موسى للعجل ، هي عبادة لله تعالى أيضاً ، وهكذا يساوى بين عبادة الأصنام وعبادة الله تعالى .
ويحتج القائلون على وحدة الوجود بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ﴾ (١) ، فأجاب ابن تيمية رحمه الله على قولهم : بأن لفظ " مع " لا يقتضى فى لغة العرب أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر ، كقوله تعالى :
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ ﴾ (٣) .
ولفظ " مع " جاءت فى القرآن عامة وخاصة ، فالعامة فى آية المجادلة
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ فَيَكُونُ مَا يَكُونُ مِنَ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ
وَأَيُّهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا
كَانُوا ثُمَّ يُنْزِلُهُمْ فِي مَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (٤) .
فافتتح الكلام بالعلم وختمه بالعلم ولهذا قال ابن عباس ، والضحاك
وسفيان الثوري وأحمد بن حنبل : هو معهم بعلم .

(١) الحديد : ٤

(٢) التوبة : ١١٩ .

(٣) الفتح : ٢٩ .

(٤) المجادلة : ٧ .

وأما المعية الخاصة ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (١) ، وقوله تعالى لموسى: ﴿إِنَّهُ مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزِنِ إِنَّ اللَّهَ مَغْنَمٌ﴾ (٣) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر رضى الله عنه ، فالله تعالى مع موسى وهارون دون فرعون ، ومع محمد صلى الله عليه وسلم دون أبى جهل وغيره من أعدائه ومع الذين اتقوا والذين هم محسنون دون الظالمين المعتدين ، فلو كان معنى المعية أنه بذاته فى كل مكان تناقض الخبر الخاص والخبر العام ، بل المعنى انه مع هؤلاء بنصره وتأيده دون أولئك، فهو سبحانه مع الخلق بالعلم والقدرة والسلطان ، ويخص بعضهم بالإعانة والنصر والتأييد (٤) .

هناك فرق بائن بين الخالق والمخلوق فلا يمكن الاتحاد والتوافق بينهما فشتان ما بين الخالق وبين مخلوقه ، وقد حصر الإمام ابن تيمية الفروق بينهما حيث يقول :

- ١ - إنه سبحانه وتعالى أغنى بنفسه عما سواه ، فالله تعالى ليس مفتقراً إلى غيره بينما تحتاج المخلوقات إلى غيرها حاجة ضرورية .
- ٢ - إنه سبحانه يحب الأعمال الصالحة وتوبة المذنبين ، لكنه تعالى

(١) النحل : ١٢٨ .

(٢) طه : ٤٦ .

(٣) التوبة : ٤٠ .

(٤) ابن تيمية : الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، ص ٩٦ بيروت ١٤٠١ هـ .

هو الذى يخلقها وييسرها ، فلم يحصل ما يحبه ويرضاه إلا بقدرته ومشيئته ، وقد حصل المخلوق على ما يحبه ولكن بفعل غيره .

٣ - إنه سبحانه وتعالى أمر عباده بما يصلحهم وبما فيه خيرهم ونهاهم عما يفسدهم وما فيه ضررهم ، أما المخلوق فإنه يأمر غيره بما يحتاج إليه هو وينهاه بخلافه .

٤ - إنه سبحانه أنعم على البشر بالرسول والكتب السماوية ، كما أنعم عليهم بالحواس وبالقدرة وبكل ما يحصل به العلم والعمل الصالح ، وهو الذى أنعم عليهم بالهداية ، فلا حول ولا قوة إلا به ، أما المخلوق فلا يقدر على شئ من ذلك

٥ - إنه سبحانه وتعالى أنعم على عبادة بنعم لا تحصى، وأن ما يقوم به المخلوق من عبادة لا يقوم بشكر قليل منها ، فكيف والعبادة من نعمته أيضاً . من هنا كان تقصير العباد وإحتياجهم إلى عفو الله ومغفرته حتى يدخلوا الجنة ، لهذا فقد ضل كل من ظن أنه يدخل الجنة بعمله ولا يحتاج إلى مغفرة الله لقوله صلى الله عليه وسلم " لَنْ يَدْخُلَ أَحَدُ الْجَنَّةِ بِعَمَلِهِ قَالُوا وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : وَلَا أَنَا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ فَضِّلَ " (١) .

فجماهير المسلمين يميزون بين الخالق والمخلوق ، ويعتبرون الخلق

(١) ابن تيمية : قاعدة جلية فى التوسل والوسيلة ص ٥٩ - ٦٠ ، المكتب الإسلامى

فعل الخالق ، والمخلوق مفعولُه " فقد ثبت بالأدلة العقلية والسمعية أن كل ما سوى الله تعالى مخلوق محدث كائن بعد أن لم يكن " (١) .
إلى جانب هذا فإن لعقيدة وحدة الوجود مفسد كثيرة تترتب عليها ،
وأهمها :

أولاً : إبطال كل مافى الأديان السماوية وتكذيبها ، إذ أن الأديان السماوية كلها تدعو إلى عبادة الله تعالى بصورة بسيطة تتقبلها العقول ، أما القائلون بوحدة الوجود فلا عبادة عندهم ولا طاعة لأنهم من سيعبدون وإلى من سيتوجهون بالطاعة والعبادة ، فإن عبدوا فإنهم فى الحقيقة لايعتبرون غير ذاتهم ، والإله لا يكلف بشئ ولا يفرض عليه شئ .

ثانياً : إبطال التكاليف الشرعية المتضمنة بالأوامر والنواهي التى هى مناط الثواب والعقاب ، ولاشك فى ضلال هذا القول وبطلانه لأنه يتصادم مع الشرائع التى أنزلها الله تبارك وتعالى .

ثالثاً : وقد تولدت عن عقيدة وحدة الوجود عقيدة خطيرة جداً وهى وحدة الأديان ، وهذه العقيدة تصوب كل الأديان قديماً وحديثاً سماوياً وغير سماوى ومؤلفاته فى هذا الباب واسعة لا يحتاج إلى البيان ، وعند ملاحظة كلامه

(١) ابن تيمية : فتاوى ٢٣٠/٦ .

المنثور والمنظوم نجد أنه يعاتب نفسه عندما كان يؤمن ويعتقد بدين واحد
ويكفى عما سواه من الأديان ، أما أنه فيما بعد صار قلبه قابلاً لأي دين بأى
صورة كانت •

وقضية وحدة الوجود أصابت الأمة الإسلامية فى العالم بصفة عامة
ومسلمى شبه القارة الهندية بصفة خاصة ، فالآلاف منهم يعتقدون بصحتها
ويحبذون توسيعها ، وتجد جمعاً غفيراً من العلماء المسلمين والحاذقين فى
العلوم الشرعية خدموا تلك العقيدة بترجمة كتاب ابن عربى وشرحه مفصلاً
ومبسطاً وهم بذلك يشعرون بالسعادة ويترقبون الأجر فى الدنيا والاخرة (١) •

(١) للمزيد من الاطلاع على ذلك راجع الملحقات فى آخر الرسالة •

الحلول والاتحاد عند المتصوفة :

تطورت فكرة وحدة الوجود لفكرتى الحلول والاتحاد ، لأن الذات الإلهية إذا كانت تقبل الحلول فى الخلق أو الاتحاد معهم ، فليس هناك ما يمنع أن يكون هذا الحلول والاتحاد فى جميع الكون ، بحيث لا يكون شئ من هذا الكون الله ، بحيث " إن الحقيقة الوجودية واحدة فى الذات ، وهى متكررة بصفات وأسمائها لاتعدد فيها إلا بالاعتبارات والنسب والاضافات ، فإذا نظرنا إلى الحقيقة الوجودية من حيث هى ذاتها قلنا هى " الحق " وإذا نظرنا إليها من حيث صفاتها وأسمائها أو من حيث ظهورها فى المخلوقات قلنا هى الخلق والعالم ، فهى الحق والخلق الواحد والكثير ، القديم والحادث ، الأول والآخر ، الظاهر والباطن ، وغير ذلك من التناقضات (١) .

إذا فهذا العالم بكل ما فيه هو التجلى الإلهى الدائم الذى كان ولايزال ، فالموجود واحد هو الله تعالى عين المخلوقات ، فكل شئ هو الله واختلاف الموجودات هو إختلاف الصور والصفات مع الوحدة فى الذات ، وهذا ما تعنيه مفهوم وحدة الوجود ، ولكى نتعرف على هذه الفكرة ، كان من الضرورى أن نتحدث عن معانى الحلول والاتحاد وموقف الصوفية منهما .

(١) د: محمد جلال شرف : دراسات فى التصوف الإسلامى ص ٤٣٨ ، دار الطباعة الجامعية ،

قال الصوفي الحلاج (١) :

" من هذب نفسه بالطاعة ، وصبر على اللذات والشهوات إرتقى إلى مقام المقربين ، ثم لا يزال يصفو ويرتقى في درجات المصافات حتى يصفو عن البشرية ، فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ ، حل فيه روح الإله الذي حل في عيسى بن مريم ، ولم يرد حينئذ شيئاً إلا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل الله (٢) .

ويقول أيضاً :

مزجت روحك في روحى كما تمزج الخمر في الماء الزلال
فإذا أمسك شئ مسنى فإذا أنت أنا في كل حال (٣)

(١) الحلاج : أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج ، اختلف في أصله فقيل إنه من أصل عربي يتصل بأبى أيوب الأنصارى الصحابى الجليل رضى الله عنه ، وقيل إنه حفيد مجوسى من أهل فارس يرجع أصله إلى مدينة البيضاء بفارس ، وقيل إنه من خراسان ، وقيل من نيسابور ، حفظ القرآن وهو فى سن العاشر وأظهر ذكاء خارقاً ، تردد على قلة ، وصحب جماعة من الصوفية كالجنيد وعمرو المكى ، واتصل بالشبلى وسهل بن عبدالله التستري ، اعتقد الحلول وقيل : ادعى النبوة ثم ادعى الألوهية والربوبية ، صرح بحلول اللاهوت فى الناسوت ، قتل مصلوباً فى بغداد بأمر الخليفة المقتدر بالله سنة ٣٠٩ هـ . (راجع : طبقات الصوفية للسلمى ص ٣٠٧ - ٣١١ ، طبقات الأولياء لابن الملتن ص ١٧٨ - ١٨٨) .

(٢) عبد القادر طاهر البغدادى : الفرق بين الفرق ص ٨٢ ، دار المعرفة ، بيروت .

(٣) د / عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية فى الإسم ص ٣٥٨ ، دار الفكر العربى ١٩٦٦ م .

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته وإذا أبصرته أبصرتنا (١)
وقال فريد الدين عطار : فى معنى الحلول " أقول لك السر اعلم ياأخى
النقش هو النقاش ، أنا الحق ، أنا الله " (٢) .

قال الشاذلى : " الحلول هو ظهور تجلى الحقيقة الإلهية ،
إذا تجلى للحقيقة الإنسانية مما منها ثانوية الناسوت وأثبتت فيها فردانية
اللاهوت " (٣) .

أما الاتحاد فهناك أقوال لبعض الصوفية منها :
قال النقرى : انتقب بى كما انتقب بك ، تسرى إلى كل عين فلا ترى
عندك وتسرى إليك ، فإذا أسرت فلا ترى عندك سوى .

قال أبويزيد البسطامى : للخلق أحوال ، ولا حال للعارف ، لأنه محيت
رسومه وفنيت هويته بهوية غيره ، وغيب آثاره بآثار غيره (٤) .

-
- (١) د/ عبد القادر محمود : الفلسفة الصوفية فى الإسم ص ٣٥٨ ، دار الفكر العربى ١٩٦٦ م .
(٢) جمال الدين الشاذلى : قوانين حكم الاشراق ص ١٦ مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة
ط ١ ، ١٩٦١ م .
(٣) محمد عبد الجبار النقرى : كتاب المواقف وكتاب المخاطبات ص ٥ ، مكتبة الخانجي ،
القاهرة ط ١ ، ص ١٩٥١ .
(٤) الفشيرى : الرسالة القشيرية ٤١ .

وروى عن أبي يزيد البسطامي : حيث يقول :

رفع بي مرة حتى قمت بين يديه، فقال : أبا يزيد ، إن خلقي يحبون أن يروك ، قلت : يا عزيزي وأنا أحب أن يروني ، فقال : يا أبا يزيد إني أريد أن أريكهم ، فقلت : يا عزيزي ! إن كانوا يحبون أن يروني وأنت تريد ذلك وأنا لا أقدر على مخالفتك ، قربني بوجدانيتك ، والبسني ربانيتك ، وارفعني إلى أحديتك ، حتى إذا رأي خالقك ، قالوا : رأيناك ... فيكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك ، ففعل بي ذلك فأقامني وزيني ورفعني ، ثم قال : اخرج إلى خلقي فخطوت من عنده خطوة إلى الخلق خارجاً، فلما كان من الخطوة الثانية غشى على ناداني ردوا حبيبي ، فإنه لا يصبر عني ساعة " (١) .

وروى ابن الجوزي عنه مقولته أيضاً : " سبحاني ! ما أعظم سلطاني ، ليس مثلي في السماء يوجد ، ولا مثلي صفة في الأرض تعرف وأنا هو وهو أنا وهو هو " .

هناك إتجاهان في تحديد معنى الحلول والاتحاد :

الاتجاه الأول : خلط بين الحلول والاتحاد وجعلهما مترادفين ، بحيث أصبح الفرق بينهما لفظياً ، لأن كلا منهما لا يتحقق إلا إذا اتصفت الذات الإنسانية بالصفات الإلهية بعد تجردها من الصفات البشرية ، وبذا تصبح الذاتان ذاتاً واحدة ، كما قال هاشم معروف الحسيني : " الاتحاد يعني اتحاد

(١) ابن الجوزي : تلبس إبليس ص ٣٤٥ - ٣٤٦ .

مع شئ آخر بنحو يصبح الإثنين شيئاً واحداً" (١) وهذا الرأي يشبه رأى
الحلاج لمعنى الحلول .

الاتجاه الثالث: فرق بين معنى كل من الحلول والاتحاد، وقال بتغايرهما .
فالحلول: هو حلول الذات الإلهية فى أجساد طائفة مختارة من البشر
وامتزاجها بها بحيث تصبح ذاتان ، ذاتاً واحدة .

وأما الاتحاد : فهو اتحاد الخالق والمخلوق مع احتفاظ كل منهما
باستقلالية ذاته ، بحيث يبقى الخالق خالقاً، والمخلوق مخلوقاً، فيكون الاتحاد
بهذا المعنى والمفهوم معنوياً روحياً لا حقيقياً جسدياً .

هذا مفهوم الحلول والاتحاد لدى الصوفية ، استمدوه من الديانات
اليهودية والنصرانية و المجوسية والهندية والفلسفة اليونانية والرافضة ،
ومزجوها بالعقائد الإسلامية ، ومما لاشك فيه أن هذه الفكرة ، مخالفة لعقيدة
الإسلام الصحيحة ، " وقد حكم العلامة أبو منصور عبد القاهر على قائلها
بالكفر والإلحاد ، وقال : بأن الهدف من هذه العقيدة إفساد عقيدة المسلمين
بالتوحيد ، كما أفتى فقهاء الشريعة فى زمن المقتدر بالله بإباحة
دم الحلاج " (٢) .

(١) هاشم معروف الحسينى : بين التصوف والتشيع ص ٨٤ .

وراجع سميح عاطف : الصوفية فى نظر الإسلام : ص ١١٩ .

(٢) محمد بن عبد الوهاب : كتاب التوحيد . تعليق : الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ

ص ٣ ط ١٤٠٨ هـ .

وعقيدة الحلول والاتحاد تعارض عقيدة التوحيد لله عز وجل ، وآيات القرآن ونصوص الحديث في التوحيد كثيرة وأجلى من وضوح الشمس ، فقال الله تعالى : " وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا " (١) .

هذه الآية وأمثالها تبين أن العبادة يجب أن تكون خالصة لله تعالى ، فإن سبحانه قرن الأمر بالعبادة التي فرضها بالنهاي عن الشرك الذي حرمه وهو الشرك في العبادة فدللت الآية على أن إجتئاب الشرك ، شرط في صحة العبادة ، فلا تصح بدونه أبداً .

(١) النساء : ٣٦ .

الفصل الثانى

فى

الطرق الصوفية فى بنغلاديش

ويشتمل على ثلاثة فصول

المبحث الأول : الطرق المشهورة

المبحث الثانى : أهم الطرق التى تتواجد فى البلاد

المبحث الثالث : الطرق غير المشهورة

**

المبحث الأول

في

الطرق المشهورة

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول : معنى الطريقة

المطلب الثاني : ظهور الطريقة

المطلب الثالث : مقام الشيخ في الطرق



المبحث الثاني

فد

أهم الطرق التي تتواجد فد البنغال

ويشتمل على أربعة مطالب

المطلب الأول : الطريقة السهروردية

المطلب الثاني : الطريقة الجشتية

المطلب الثالث : الطريقة القادرية

المطلب الرابع : الطريقة النقشبندية

**

المبحث الثالث

في

الطرق غير المشهورة

ويشتمل على ثلاثة مطالب

المطلب الأول : القلندرية

المطلب الثاني : الأسمعية

المطلب الثالث : التخليق على الطرق الصوفية



المبحث الأول

فـ

مهند الطريقة

من الأمور التي شغلت الأمة الإسلامية اليوم ، الصوفية والطرق التي يسلكونها ، فاصبحت هذه البدعة شائعة في المجتمع ، فما من بلد من البلدان ومنطقة من المناطق في العالم الإسلامي إلا وهي مصابة بهذا المرض ، وهذه الظاهرة ما كان لها وجود في القرون الأولى من الإسلام ، بل هي مستوردة من أعداء الإسلام ، وهذه الطرق التي من مظاهرها المراقبة وحلقات الذكر الخاصة بالقوم والاحتفالات بما يسمى الدينية وغيرها التي تعم البلاد ، وضعها الأغيار لصرف المسلمين عن متابعة الشريعة الإسلامية ، ولئن قلنا إن الطرق التي يهتم بها المتصوفة في أحيان كثيرة تخدم الإستعمار وأصحاب الأهواء والمناصب في الدول المستعمرة ، فلسنا بمبالغين ، إذ أنه في معظم تلك الدول الإسلامية كان موقف الصوفية في مواجهة الإستعمار مشيناً ، وكان موقفهم في مواجهة الاستعمار الصمت فقد قعدوا من اتخاذ التدابير لإنقاذ المسلمين من الانحطاط والانحلال فكرياً وخلقياً وعقائدياً واجتماعياً ، ومن صور ذلك يحكى أنه كان لأحد مساجد القاهرة خطيباً وكان موضوع الخطبة الحكم الجائر (الاستعمار) والأوضاع الفاسدة وسكوت الرأي العام الذي تخلف عن واجبه ، وبعد أن انتهى من صلاته أتى إليه شيخ ... وأخذ - في أسلوب لين - يعترض موضوع الخطبة وهو يقول: ما علينا إلا أن نسلم بكل وضع ، لأن مشيئة الله تقتضى ذلك ، وليس في الإمكان

أبداع مما كان " دع الملك للمالك والخلق للخالق والدين للديان " (١) •
هناك شواهد أخرى لمواقفهم في البلدان الإسلامية نجدها في كتب
التاريخ، كموقفهم من الاستعمار الإنجليزي ، وقبل ذلك في العهد المغولي كان
نفس الموقف الذي كان في مصر والدول الإفريقية ، أما ما حدث في تركيا
عند سقوط الخلافة الإسلامية بأيدي العلمانيين فليس عنا ببعيد •

قال الجرجاني : " الطريق هو ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه إلى
المطلوب ، والطريقة معناها هي السيرة المختصة بالسالكين إلى الله تعالى
من قطع المنازل والترقى في المقامات " (٢)، فهي أسلوب خاص بالسالك
ينفرد عن غيره من الجماعة الصوفية ، بحيث إنه يلزم المتابعة لصاحبها في
السلوك من الذكر والمراقبة والمجاهدات الروحية وتزكية النفس ، فكل من
أهل الطريقة أسلوب يجب الاتباع والالتزام به وعدم التعدي منه حتى لا يلزم
له الخروج على الشيخ •

يقول ابن خلدون في مقدمته : وصار علم التصوف في الملة علماً
مدوناً بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط ، وكانت أحكامها إنما تتلقى من
صدور الرجال كما وقع في سائر العلوم التي دونت بالكتاب من التفسير
والحديث والفقه والأصول وغير ذلك ، ثم إن هذه المجاهدة والخلة والذكر

(١) محمد فهر شققة : التصوف بين الحق والباطل (الهامش) ص ٢٣٥ •

(٢) الجرجاني : التعريفات ص ٧٥ ، الدار التونسية للنشر ١٩٧١ م •

يتبعها غالباً كشف حجاب الحس والاطلاع على عوالم من أمر الله ، ليس لصاحب الحس شئ منها " ثم يقول ابن خلدون " ثم إن قوماً من المتأخرين انصرفت عنايتهم إلى كشف الحجاب والمدارك التي وراءه ، واختلفت طرق الرياضة عنهم في ذلك باختلاف تعليمهم في إماتة القوى الحسية وتغذية الروح العاقل بالذكر حتى يحصل للنفس إدراكها الذي لها من ذاتها بتمام نشوتها وتغذيتها، فإذا حصل ذلك زعموا أن الوجود قد انحصر في مداركها حينئذ وأنهم كشفوا ذات الوجود، وتصوروا حقائقها كلها من العرش إلى الطش" (١) .

وبما أن أعمال الصوفية تتعلق بالقلب والباطن للوصول إلى معرفة الله وإدراك حقيقته وأسراره ، ولأجل الحصول على الهدف المطلوب " فإنهم وضعوا قواعد وتعاليم خاصة يتميزون بها عن غيرهم ، وهذا في إصطلاح الصوفية يسمى " الطريقة " أو " الخانودة " أو " السلسلة " مثل شجرة الأنساب، وهذه الطريقة عبارة عن سلاسل الشيوخ الصوفية والتي تنتهي إلى علي رضي الله عنه ومن ثم إلى النبي صلى الله عليه وسلم (٢) .

ويقول الصوفية : إن الطريق الموصل إلى الله تعالى نوعان :

النوع الأول : ماجاء بالوحي بواسطة النبي أو الرسول .

(١) ابن خلدون : المقدمة ص ٤٦٩ ، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات ، بيروت ، بدون تاريخ .

(٢) د/ شوري شمس الرحمن : حقائق عن أسرار التصوف ص ٨٤ جمعية الأبحاث

النوع الثانى: ما يأخذه الأولياء بواسطة الالهام أو الكشف (١) .
يدعى الصوفية أن مشائخ الطرق يتلقون تعليماتهم مباشرة أو إشارة
من الرسول (ﷺ) ولهذا السبب فهم يحبذون أصالة نسبتهم إلى الرسول (ﷺ)
، ثم إن طريقتهم تنصب إلى علي (رضي الله عنه) قبل إنتهائها إلى الرسول (ﷺ) ،
ماعدا البكتاشية والنقشبندية والبسطامية ، وهذه الطرق تنصب إلى أبى بكر
الصديق (رضي الله عنه) وهؤلاء يفضلون علياً (رضي الله عنه) لكونه أعلى مرتبة فى العلم
والحكمة ، وقد حصل عليها من الرسول (ﷺ) " بقوله (ﷺ): أنا مدينة العلم
وعلي بابها " (٢) .

ولذلك يقول علي الهجویری فى شأن علي (رضي الله عنه) بأنه كان أعلى
مرتبة وأفضل مكانة على سائر الصحابة ، وهذه الفكرة معارضة لرأى أهل
السنة والجماعة ، لأن أفضل الصحابة بعد رسول الله (ﷺ) أبو بكر
الصديق (رضي الله عنه) ، ولكن الشيعة الإمامية والباطنية يفضلون علياً (رضي الله عنه)
على الجميع ، يقول صاحب الطحاوية " ونثبت الخلافة
بعد رسول الله (ﷺ) أولاً لأبى بكر الصديق (رضي الله عنه) تفضيلاً له ، وتقديماً
على جميع الأمة ، أما الرافضة فيقدمون علياً (رضي الله عنه) "

(١) الشاه ولی الله : التفهيمات الإلهية ٢/٢٨ ، المجلس العلمی دهابیل ، الهند ١٩٦٣ م .

(٢) وهذا الحديث موضوع ، ذكره ابن الجوزى القرشى فى الموضوعات ، راجع ابن

الجوزى القرشى الموضوعات ج٣ ص ٣٥٤ ، دار الفكر ، بیروت ج ١ ، ١٩٦٦ م .

على أبي بكر الصديق وعمر وعثمان بل التبرؤ من هؤلاء الثلاثة أمروا ب (١) ونحن لا نتبرأ من أحد من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .
ونستطيع الجزم على أن هناك ارتباط وثيق بين التصوف والشيعة في أخذ نظام الطريقة والاهتمام بها " فالشيعة يرون أنه ليس أفضل من علي بن أبي طالب ، وهم يدعون أن علياً في مذهبهم صاحب السلطة الروحية والزمنية في وقت واحد بعد النبي (ﷺ) وهو كذلك عند الصوفية فجعل الطرق الصوفية تعود في إنتسابها إليه ، فهو بناء على ذلك الرئيس الروحي بعد النبي صلى الله عليه وسلم ، والحديث الذي يدعونه " أنا مدينة العلم وعلي بابها " الذي يشير إشارة مباشرة إلى دور علي (رضي الله عنه) في الباطنية الإسلامية مقبول لدى الشيعة والسنة والصوفية (والقصد منها الصوفية) (٢) .

وقد إتضح من النص أن الصوفية يستندون على أفكار التشيع في مذهبهم وبملازمة الشيوخ وقولهم بالطرق بالذات ، مما هو مخالف صريح لمسلك أهل السنة والجماعة .

وهناك شخصية أخرى تحتل مكانة مرموقة بعد علي (رضي الله عنه)

(١) على بن أبي المعز : شرح العقيدة الطحاوية ص ٣٦٠ ، مطبعة العاصمة .

(٢) للتفصيل انظر : د/ سيد حسين نصر ، كمال خليل اليازجي ، الصوفية بين الأمس

واليوم ، ص ١٢٦ .

يوصل الصوفية شجرتهم إليها وهي الحسن البصري (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) (١) وإن الطرق المعروفة في أوساط الصوفية تشعبت من الإمام الحسن البصري وتلميذه ، أحدهما المسمى : خواجه عبد الوحيد بن زيد والثاني : حبيب الأعظمي ، ولكل منهما طريقة ، الطريقة الزيدية والطريقة الحبيبية ، وتفرعت من الزيدية أربع طرق ومن الحبيبية ثمانى طرق (٢) .

هناك رأى آخر فى أول من قال بالطريقة ، فقالوا : إن معروف الكرخى أول من شرع فى التصوف طريقة كما كان أول قائل بالولاية ، وهو الصحيح والمرجح (٣) ، ومعروف الكرخى هذا كان تلميذا للإمام على الرضا ومولاه .

يقول الحاج معصوم على : إن معروف أخذ عن حضرة إمام العالمين وقطب دائرة الامكان على الرضا الغيظ ، ومنه تعلم الطريقة وعنه تسلم منصب مشيخة المشايخ .

يقول الدكتور الشيبى : فالإمام على الرضا قد سلم الطريقة إلى معروف الكرخى واختص بها فانتقل القسم الباطن من العقيدة وتأويل النصوص إلى المعروف والمتصوفة (٤) ، ويتضح بهذا أن سلاسل سند التصوف يلتقى مع دائرة الشيعة من هذا الرجل وكان قبره أقدم مقام صوفى يزوره الناس ، ويتبركون به ، يقول القشيري : قبر معروف تزيق مجرب (٥) .

(١) د/ شمس الرحمن شودرى : حقائق عن أسرار التصوف ص ٨٣ .

(٢) نفس المصدر والمرجع .

(٣) د/ كامل الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ١٤٢/١ .

(٤) نفس المصدر والمرجع .

(٥) القشيري ٦٥/١ .

المبحث الثاني

فـ

ظهور الطرق عند الصوفية

يرى بعض الناس أن ظهورها كان في القرن الحادى عشر الميلادى ،
" وأن أول من وضع نظام الطرق هو الصوفى الإيرانى محمد أحمد
المهمى (المتوفى سنة ٤٣٠ هـ) والمعروف بإسم أبو سعيد ، فقد أقام فى
بلدته نظاماً للدراويش وبنى خاناً بجوار منزله للصوفية ، وجعل نظام تسلسل
الطريق عن طريق الوراثة " (١) .

وفى هذا القرن إنتشرت الطرق وتشعبت منها طرق عديدة ، ولكن
الحقيقة التى يميل إليها معظم الصوفية أن ظهورها والتفرع فيها حصل قبل
القرن الحادى عشر وحصول ذلك ليس صدفة بل تدريجياً حسب تطور
المذهب ونشأته ، يقول الأستاذ مكدونالد فى كتابه " ثيولوجيا " : كان المسلمون
فى أوائل العصر يعيشون فى خشية من عذاب الله تعالى بزعمهم أن الدنيا
دنيئة ورذيلة ، وأصل الحياة للإنسان فى الآخرة ، فتركوا الدنيا وفضلوا
الآخرة عليها ، ومن أجل الحصول عليها لجؤوا إلى العزلة فى الغابات
والأماكن المهجورة والزوايا ، وذلك خشية من الدنيا وملابساتها ، وبدأ

(١) عبد الرحمن عبد الخالق : الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة ص ٣٤٩ ، مكتبة إبن

نسيم ، الكويت ط ٣ ، ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م .

الصغار يلتفون حول كبار الصوفية ، ليتلقوا منهم الوعظ والارشاد ، فافترق هؤلاء الشيوخ وافترق معهم تلاميذهم بطوائف ، ولكل منهم طريقة خاصة تتميز عن غيرها ، وأول ماظهر عند القوم الطريقة الجنيدية (١) ، والكرخية (٢) والسقطية (٣) وكان ذلك قبل القرن الحادى عشر الميلادى تقريباً وقبل الخامس الهجرى تقريباً ببضع سنين (٤) .
وقد إنتشرت وتوسعت الطرق الصوفية فى أنحاء العالم .

المبحث الثالث

فد

مقام الشيخ لدى الصوفية وسلطته

وعند الحديث عن الطرق الصوفية كان لا بد من الحديث عن مقام الشيخ وسلطته لدى الجماعة الصوفية ، لما له من علاقة وطيدة بالموضوع ، ولذلك نقول: إن للصوفية فى تصور الشيخ "مقام كبير" وهو المقام الذى لا يكون فوقه مقام ، ربما يجعلونه فوق مقام النبوة إن لم أكن مبالغاً ، ويزعم المريـد

(١) نسبة إلى : الجنيد البغدادى (توفى ٩٧٠ م) .

(٢) نسبة إلى : معروف الكرخى (توفى ٨١٥ م) .

(٣) نسبة إلى : حسن سرى سقطى (توفى ٨٦٧ م) .

(٤) انظر : د/ شمس الرحمن شوبرى ، حقائق عن أسرار التصوف ص ٨٤ .

أنه من الواجب عليه أن يعتقد للشيخ سلطة مطلقة على كل شؤون المريد ، وله حرية كاملة للتصرف في أمور تتعلق به ، فلا يجوز للمريد أن يتصرف بنفسه في أمر من الأمور إلا إذا أذن له الشيخ في ذلك ، حتى إن التحركات والسكون والتفكير والقصد والإرادة محظور مالم يوافق عليها الشيخ ، كما يجب أن يكون هواه تبعاً لما جاء به الشيخ ، معتقداً بأن له الفضل العظيم عند الله سبحانه وتعالى بسبب ما يحصل له من العلم الباطني والدني ، وبهذا الكمال ربما يصل إلى الله تعالى تقرباً ، ثم إنه يوصل الآخرين من المريدين له إليه سبحانه وتعالى ، بل على الأقل يكون في دور الوسطة بين المريد وبين الله تعالى ، كما يزعمون أن مجرد العلم الشرعي غير كاف لهذا الاتصال ، بل لابد من اللزوم بالشيخ وجعله واسطة بين المريد وبين الرب (والعياذ بالله) لكونه معاوناً للقاء والقربى والشوق ، كذلك من الضروري للمريد مصاحبة شيخه وملازمته دائماً ، وهذا عند بعض الناس فرض ، لوجود فوائد كثيرة فيها من تطوير الروح وتركيز النفوس التي بسببها يصل السالك إلى التقرب إلى الله سبحانه وتعالى ، قال علي الهجویری : " ملازمة الشيخ ومصاحبته فرض على المريد (١) ، وقال أبو طالب المكي : " لابد من مجالسة عالم بالله ، وعلامة ذلك إثاره على ماسواه (٢) فمن لم يلتزم بالمصاحبة كاد أن يقع في إغواء الشياطين ويضل عن السبيل المستقيم ،

(١) علي الهجویری : كشف المحجوب ص ٢٩٠ (فارسي) لاهور ١٩٧٨ م .

(٢) أبو طالب المكي : قوت القلوب ١/١٤١ .

ومن ثم يعد من عبدة النفس ، فلا ينال النجاح والسعادة قطعاً (١) وقال الغزالي: " فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طريقه لامحالة (٢) ، ومن الشروط التي وضعها الصوفية للمريدين أن يتخلّى عن جميع العلوم إن كان عالماً بعلم ما حتى يكون قلبه صافياً منها ، ثم يستجيب لما يقوله الشيخ ، فتصور الشيخ بدون ذلك يكون إثماً عظيماً ، ولذلك يقول الجنيد: المريد المخلص من كان مجرداً من العلم الذي يتلقاه من العلماء (٣) وذكر السهروردي في كتابه المعروف العوارف آداب المريد مع الشيخ فيقول: "ومن أدب المريد مع الشيخ أن يكون مسلوب الاختيار لا يتصرف في نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره (٤) كذلك ينبغي للمريد الالتزام بالسكوت والخمود والجمود (٥) وكلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام (٦) وهناك آداب أخرى اخترعوها بغير ما أنزل الله ، فمن شاء أن يطلع عليها فليراجع الكتاب (٧) .

-
- (١) انظر : الفشيري : الرسالة القشيرية ص ٢٣٨ .
 - (٢) ابو حامد الغزالي : احياء علوم الدين ج ٣ ص ٦٥ د ١٣٣٤ هـ القاهرة .
 - (٣) راجع : الرسالة القشيرية بتصرف ص ١٢١ .
 - (٤) عبد القاهر بن عبد الله السهروردي : عوارف المعارف ص ٤٠٣ ، دار الكتاب العربي بيروت .
 - (٥) نفس المرجع ص ٤٠٥ .
 - (٦) نفس المرجع ص ٤٠٩ .
 - (٧) عوارف المعارف (الباب الحادي والخمسون) ص ٤٠٣ - ٤١٤ .

يقول الصوفية: إن من حق شيخ الطريقة أن يكون نائباً للرسول كما ورد في كشف المحجوب " الشيخ في قومه كالنبي في أمته " (١) ومن هنا يدعون أن البيعة في يد الشيخ نيابة من الرسول صلى الله عليه وسلم ومن تهافتهم على المريد النطق بالشهادة عند البيعة وإستبدال كلمة " محمد رسول الله " باسم الشيخ الذي يأخذها عنده ، كما فعل الصوفى " شبلى " لحق المريدين له بأن يذكر اسمه عند النطق بالشهادة (٢) .

ويقال: إن معين الدين جشتى وافق لأحد مريديه على البيعة حينما نطق بالشهادة أن لا إله إلا الله جشتى رسول الله (٣) وهم يزعمون أن المريد حينما ينطق بها تتجلى أمامه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدث ذلك في واقعة شبلى في حق المريد ، ويذكر أن أحد مريدى الشيخ أشرف على تهانوى ، يذكر في رسالة بعث بها إليه الحلم الذى رآه ، بأنه مهما يحاول النطق بالشهادة ينطق فى لسانه بعد كلمة " لا إله إلا الله " بأشرف على رسول الله (٤) فيرده الشيخ تهانوى ، أن مارأيته فى المنام لا يدل إلا على عمق المحبة بى ونتائجها .

(١) الهجویری : كشف المحجوب ص ٤٦ .

(٢) فريد الدين غنج شکر : فوائد السالکین ص ٢٣ ، دلهی ١٣١٠ هـ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) مجلة البرهان (اردو) فبراير ١٩٥٢ م ص ٧ .

هذا ما حدث فى المنام وتعبير الشيخ له ، وأما فى اليقظة فإن ذلك
المريد لما أراد أن يقرأ الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فيسبق على
لسانه اللهم صل على سيدنا ونبينا ومولانا أشرف على مرتجلاً دون قصد •

وعندما سمع ذلك قال الشيخ تهانوى وهو يسليه: إن ذلك يدل على أنك
تحب إتباع السنة (١) فماذا بعد الحق إلا الضلال •

(١) مجلة "رسالة تهانبيهون" شوال ١٣٣٥ ص ٣٤ دلهى •

المبحث الثاني



أهم الطرق التي تتواجد في البنغال

لم تكن منطقة البنغال مكاناً لنشأة التصوف ، والتصوف الموجود فيها اليوم تسرب إليها بأيدي الصوفية الموجودين في شمال الهند القادمين معظمهم من الفرس - كما أسلفنا - ففي القرن الثالث عشر الميلادي بدأ تدفقهم منها نحو المنطقة ، في حين كانت البلاد تحت إمارة المسلمين الأتراك وسرعان ما انتشروا في سائر أقطار البنغال ، وصارت ضفتي نهر " الكنكا " الذي يشق طريقه بين شطري البنغال الغربي والشرقي مكتظة بهؤلاء الوافدين من الصوفية ، ولم تبق إمارة الأتراك فيها سوى بضعة عقود من الزمن ، ولكن آثار التصوف فيها بقيت في نفوس المواطنين لفترات طويلة .

وقد عرفنا أن التصوف الموجود حالياً في المنطقة كان وافداً دخلت به جحافل الصوفية بشمال الهند ، وغرسوا فيها قواعده غرساً بحيث لا يكاد تمحو آثارها حتى يومنا هذا ، وكان لهؤلاء القوم من الصوفية خططاً لنشر أفكارهم في المنطقة منذ القرن الثاني عشر الميلادي .

ولكنهم بعد مرور قرن من الزمن نجحوا في تحقيق خططهم ، وفي تذليل جميع العقبات وإزالة كافة الصعوبات التي كانوا يواجهونها للحيلولة دون

الوصول إلى المنطقة •

وهكذا دخل في البنغال عدد كبير من الصوفية لنفس الغرض وعلى رأسهم تلاميذ خواجه معين الدين جشتى (١١٤٤-١٢٣٥ م) والشيخ خواجه قطب بختيار كعكى (١١٤٢-١٢٣٦ م) وشيخ فريد الدين شكركنج (١١٧٦-١٢٦٩ م) والشيخ نظام الدين ، ويسمونه بشيخ المشايخ (١٢٣٦-١٣٢٥) وشرف الدين المعروف بعلى شاه قلندر (المتوفى ١٣٢٤ م) وبديع الدين المعروف بشاه مدار (١٣١٥-١٤٣٦ م) وشيخ أحمد سرهندي والذي يلقبه أهل الهند من المسلمين بمجدد ألف ثانی (١٥٦٣-١٦٢٤ م) وغيرهم من كبار علماء التصوف الذين لهم باع طويل في نشر أفكار التصوف •

والذين زرعوا بذور الطرق بشتى الأنواع والألوان ومعهم مئات الآلاف من تلاميذ هؤلاء الذين قضوا حياتهم في نيل العلوم والمعرفة الصوفية ساعدوهم في بث التصوف وإشاعته بين المواطنين البنغاليين ، وتلك الطرق بعضها نالت شهرة كبيرة ووصلت إلى مواقع النفوذ في المجتمع وبعضها اضمحل حتى أضحى من النوادر، محصوراً في دوائر محدودة ، ونحن بصدد الحديث عن تلك الطرق ومدى نفوذها في المنطقة فيما يلي :

المطلب الأول

الطريقة السهروردية

تنسب هذه الطريقة إلى مؤسسها الحقيقي شهاب الدين أبو حفص عمر السهروردي البغدادي (توفي سنة ٦٣٢هـ الموافق ١٢٣٤م) وجاء في الموسوعة الميسرة : " كان له مجلس الوعظ والطريقة الصوفية تعرف باسم السهروردية نسبة إليه " (١) وتعد هذه الطريقة ضمن أشهر الطرق الصوفية في القرن السادس والسابع الهجري، ويقال: " إن شيخ السهروردي السيد عبد القادر الجيلاني يعتبر هو المؤسس الأول والحقيقي للطرق الصوفية المنظمة بشكلها الجماعي المتفاعل مع الذكر المجرد القائم على أساس جمع المريدين

-
- (١) ولد بسهرورد ونشأ بها إلى أن بلغ تقريباً ستة عشر سنة ، ثم توجه إلى بغداد لنيل العلوم والمعرفة ، وسهرورد كما جاء في المصادر فهي بلدة قريبة من " زنجان " بالعراق ، تقع على طريق بين همذان وزنجان في جنوب سلطانية ومن مشائخه عمه أبو النجيب السهروردي (٤٩٠-٥٦٣هـ) وعبد القادر الجيلاني (٤٧١-٥٦١هـ) شيخ الطريقة القادرية أو الجيلانية ، كما أنه زار أحمد الرفاعي في أم عبيدة ، وكان شاباً ، ويشره بالفتح الناجح والعز ورفعة الجاه ودوام الصيت ، وكان شهاب الدين السهروردي كثير الترحال ، فقد سافر إلى كل من الشام والبصرة ومكة المكرمة وبغداد ، وفي سنة وفاته يختلف المؤرخون ولكن الأرجح أنه توفي سنة ٦٣٢ هجرية .
- (راجع دكتورة عائشة يوسف المناعي : أبو حفص عمر السهروردي حياته وتصوفه ص ٥٤-٦٠ ، دار الثقافة الدوحة ١٩٩١ م .

وارتباطهم بشيخ ومرشد (١) وهذه الطريقة توجد في شبه القارة الهندية وبلدان شرق آسيا وبعض الدول العربية .
ومن المعلومات التي إستقيناها من كتب التاريخ لصوفية البنغال ، تفيدنا أن أول طريقة دخلت المنطقة هي السهروردية .

١ - وأول من جاء بها إلى شبه القارة الهندية هو خواجه بهاء الدين زكريا ملتاني (١١٦٩ - ١٢٦٦ م) ويعدونه مؤسساً لهذه الطريقة في شبه القارة الهندية (٢) وكان له زميل في الطريقة اسمه مخدوم جلال الدين تبريزي ، ذهب إلى البنغال وهو يحمل معه السهروردية لنشرها هناك ، وجلال الدين قد سبق له العيش مع بهاء الدين في مكنان (٣) ثم ذهب إلى دلهي قبل وصوله إلى البنغال ، ثم إنتقل إليها ، وكان قدوم جلال الدين إلى البنغال في وقت كان " لكهمن شين " الهندوسي حاكماً لها، فلم تمض أيام قلائل إلا وسقطت سلطته عندما استولى عليها المسلمون (٤) وبعد أن وصل

(١) جعفر صادق سهيل : عبد القادر الجيلاني ومذهبه الوفي ، رسالة الماجستير بكلية دار

العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٥ م ، ونقلته من كتاب عائشة المناعي : أبو حفص عمر السهروردي ص ٢٨ .

(٢) آئين أكبري ، ألفه أبو الفضل أحد وزراء أمبرطور "أكبر" بأمره ، نقله إلى الانجليزية

الكاتب الانجليزي اس ام زيربط ٣/٣٦٦ ، وأيضاً راجع : عبد الحى الحسنى الندوى :

الثقافة الإسلامية في الهند ص ١٨٣ ، دمشق ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

(٣) مدينة في بنجاب الباكستانية .

(٤) آئين أكبري ٣/٣٦٦ .

تبريزى إليها أنشأ فيها أول زاوية للسهروردية، وأنشأ داراً لضيافة النزلاء ليتلقوا منه التعاليم الصوفية ، ويحكى أن الشعب البنغالى قد تأثر بكثير من "كراماته" ومنها أنه هدم كثيراً من المعابد الهندوسية بمجرد الإشارة باليد ، وأنشأ محلها مساجد ومعاهد دينية (١) .

وكانت دائرة عمله فى مدينة " بندوه " بمحافظة مالداه فى إقليم البنغال الغربى (الهند) حيث توفى هناك بعد ذلك وأقيمت على قبره قبة بيضاء ، ولا يزال المسلمون المحبون له يزورونها ويعكفون حولها (٢) .

٢ - مخدوم جهانيان جهان كشت (١٣٠٧-١٣٨٣ م) :

ومن كبار مشائخ السهروردية فى البنغال مخدوم جهانيان جهان كشت (سائح فى العالم) اسمه الأصلى سيد جلال الدين و " جهانيان " اسم مستعار ، حتى أصبح معروفاً به دون اسمه جلال الدين ، ويذكر أنه كان ميالاً إلى السياحة والتجوال ، خاصة فى البلدان التى يتمركز فيها التصوف ، وزار منطقة البنغال ، ثم أقام هناك بقية حياته ، إلى أنه فارق الحياة ، ودفن فى مدينة " بندوه " وفى أثناء سفره إلى محافظة "رنكبور" بالجزء الشرقى من البنغال و بعض المناطق الأخرى منها ، وتقديراً لقدومه

(١) د/ انعام الحق : أثر التصوف فى البنغال ص ١٠٣ .

(٢) نفس المصدر ونفس الصفحة .

فإن أهالي المحافظة أنشأوا مزاراً بمكان إقامته فيها ، حيث إنهم مازالوا يحتفلون بما يسمى العرس (١) ومن العجيب أن الرجل هذا مدفون في "بندوه" وبينها وبين محافظة رنكبور كالبعد بين المشرق والمغرب .

٣ - شاه جلال المجرد (توفي سنة ١٣٤٦ م) :

هو في الأصل من اليمن ، ولم يعرف تاريخ ميلاده ، ويذكر أنه نشأ في اليمن وترعرع هناك ، ثم ذهب إلى البنغال ، ولكن قبل ذهابه هناك أقام في دلهي لفترة قصيرة ، ولما غزا السلطان فيروز شاه (٢) منطقة شرق البنغال بما فيها مدينة سلهت سنة ١٣٠٣م صاحبه شاه جلال ، وبعد ما عاد السلطان إلى دلهي بقي شاه جلال في المدينة ، والرحالة ابن بطوطة أثناء رحلته إلى شرق الهند ذهب إلى سلهت لزيارته ، وقبره مازال موجوداً بها ، و معظم أهالي البنغال يعتبرونه مقدساً ، يأتون إليه للزيارة والحصول على البركة ، وإيفاء النذور هناك ، والاستغاثة به وغير ذلك من الشراكيات والبدع، ويعظم هؤلاء الآلاف من الحمام الموجود حول قبره ، حيث يعتقدون إنه حرام عليهم صيدها، وأكل لحومها، كما أن هناك حيتان في الحوض المجاور للقبر، يعتقدون أنها ذات قداسة ، ويجب إحترامها (٣) .

(١) فريد الدين عطار : تذكرة أولياء الهند ١٤٧/٢ (اردو) دلهي ١٩٦٠ م .

(٢) أحد الملوك في السلطنة الهندية .

(٣) د/ انعام الحق : أثر التصوف في البنغال ص ١٠٤ .

الذكر عند السهروردية :

أهمية الذكر : والذكر عند السهروردية مكانة عظيمة في طريق الوصول إلى معرفة الله ، وهو أكمل الفضائل وأعظم الوسائل العملية لهذا الطريق •

" وهو ركن قوى في طريق الحق سبحانه وتعالى ، بل هو العمدة في هذا الطريق ولا يصل أحد إلى الله إلا بدوام الذكر " (١) •
يذهب السهروردي إلى أن الذكر نوعان : ذكر بالجنان وذكر باللسان ، والأفضل عنده الجمع بين الذكرين ، وإذا لزم التخيير بين أحدهما فهو يفضل ذكر القلب •

تلقين الذكر لدى السهروردية :

أهمية تلقين الذكر : من شيخ ناصح ، يقول السهروردية تلقين الذكر تلقين باطن المريد الصادق بنفس الشيخ الصديق ، وإنما يصح هذا التلقين من شيخ كامل ذي قلب تام النور •

طريقة تلقين الذكر : وهو إغماض المريد عينيه ليسمع من شيخه لفظ الذكر وهو يكررها ثلاث مرات ، ثم يعيدها المريد ويسمعها شيخه وتكون أيضاً ثلاث مرات •

(١) القشيري : الرسالة القشيرية ٤٦٥/٢ •

الذكر المفضل هو " لا إله إلا الله " قال سهل بن عبد الله : إذا قلت " لا إله إلا الله " مد الكلمة وانظر إلى قدم الحق فأثبتته وابطل ماسواه (١) .
ولإتمام الذكر وحسن أدائه يجب مراعاة الشروط التالية :

أ - التصديق : فمن لم يكن له تصديق فهو منافق

ب - التعظيم : ومن لم يكن له تعظيم فهو مبتدع

ج - الحلاوة : فمن لم تكن له حلاوة فهو مرء

د - الحرمة : ومن لم تكن له حرمة فهو فاسق (٢)

يجب أن يكون الذاكر عند الذكر في الخلوة ، ولها أساس في بداية الطريق إلى الله ، إذ بها تتضح مجاهدة المريد ورياضته لنفسه ، وقبل دخول المريد الخلوة يجب أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة ، طالبا رضا الله وصلاح قلبه (٣) كما يجب أن يتخذ مكانا بعيدا عن الخلق ويغتسل غسلا كاملا ، ويصلى ركعتين بنية الدخول في الخلوة وأن يكون المكان ضيقا ولا يدخل فيه شعاع الشمس ولا ضوء القمر ، وأن تكون مدة الخلوة أربعين يوما (٤) وتخصيص الأربعين لدى الصوفية السهـروروديين ليزول عن المريد كل يوم حجاب ، وعلى قدر زوال الحجب ينجذب المريد ويتخذ منزلا في القرب من الحضرة الإلهية " فإذا تمت الأربعون زالت الحجب وانصبت إليه العلوم والمعارف انصبابا (٥) .

(١) السهروردي : عوارف المعارف ص ٢٠٤ .

(٢) السهروردي : جذب القلوب إلى مواصلة المحبوب ص ٩ ، مطبعة البهاء ، حلب

ج ١٣٢٨ هـ

(٣) عائشة يوسف المناعي : أبو حفص عمر السهروردي ص ١٤٢ .

(٤) نفس المرجع والصفحة ١٤٥ .

(٥) السهروردي : عوارف المعارف ص ١٩١ .

المطلب الثاني

الجشتية / الخشتية

ومن الطرق التي توسعت شهرتها وكثر إنتشارها في البنغال هي :
" الجشتية " (١) بل نستطيع القول: أنها كانت أكثر تأثيراً في الشعب البنغالي من السهروردية والطرق الأخرى في المنطقة، رغم أن السهروردية كانت معاصرة للجشتية و تزامنا في وصولهما للمنطقة، ولكنها كانت قليلة التأثير في الشعوب .

لذا نرى أن مراجع ومصادر السهروردية والكتب الأخرى حولها قليلة ، وصعب الحصول عليها ، بينما المعلومات حول الجشتية في الكتب والمدونات كثيرة تتداول في المكتبات والأسواق .

وتنسب هذه الطريقة إلى عالم صوفى، معين الدين حسن السنجرى (٢)
الجشتى (١١٤٢-١٢٣٦م) وجشتى نسبة إلى قرية أحد شيوخه (٣) ذهب منها إلى دلهى عام ١١٩٣م ، بعد أخذ الإجازة من المشايخ في أفغانستان ،

(١) (مخطوط) The Contributions of the Geography and History of Bengal . p69 and p 85 Calcutta .

(٢) منطقة تقع على جنوب أفغانستان .

(٣) الثقافة الإسلامية في الهند ، عبد الحى الحسنى ص ١٨٠ .

ثم ذهب إلى " اجمير " وأقام بها إلى آخر حياته ، فعلم الناس هناك التصوف وطريقته، وقام بتزكية النفوس ونشر تعاليمه إلى آفاق الهند، بما فيها البنغال وتوفي جشتى فى " اجمير"، وما زال مدفوناً بها ، حيث تجد آلافاً من المسلمين يقدمون إلى قبره من كل فج عميق طالبين منه البركات والفيوضات ، وأصبحت مقبرته مكاناً للحج.

وحينما نلاحظ السهروردية والجشتية ونشاطاتهما فى المنطقة بالذات وفى المناطق الهندية على وجه العموم، نجد أن كلا منهما قد تأثرت بالبيئة الهندوكية الشائعة فى شبه القارة الهندية آنذاك ، والذى لعب دوراً هاماً فى إلتقاء التصوف مع التقاليد الهندية هو رجل مشبوه الهوية يسمى " كبير " وقد المحنا عن ذلك فى الفصل الأول من هذا الباب (١) رغم أنه حسب إدعاءات الهندوس كان تلميذاً لـ (رمانندا) - أحد البراهمة فى الديانة الهندوكية- ويدعى المسلمون أنه كان تلميذاً للمدرسة الجشتية (٢) وأخذ الحرفة من أحد المشايخ لها .

ولهذه الطريقة التى إنتشرت فى جميع أراضى الهند شعبتان :

(١) راجع : ص (١٨٧)

(٢) راجع A History of Persia Language and Literature V.1 m.d.Abdul

Ghani pp 121-127 . calceutta .

النظامية : المنسوبة إلى الشيخ نظام الدين البدايوني •
والصابرية: المنسوبة إلى الشيخ علاء الدين على أحمد الصابر •
أما النظامية فلها شعب كثيرة منها :
الكيسودرازية :

المنسوبة إلى السيد محمد يوسف الحسيني الدهلوي، المدفون بـ (كبرك)
وأستاذه تلميذ نظام الدين ، إسمه نصير الدين محمود •
الحسامية :

المنسوبة إلى الشيخ حسام الدين المانكبوري، الذي أخذ عن الشيخ نور الحق عن
أبيه الشيخ علاء الحق عن الشيخ سراج الدين عن الشيخ نظام الدين المذكور •
الصفوية :

المنسوبة إلى الشيخ صفى الدين سائبوري ، أخذ عن الشيخ سعد الدين
عن الشيخ محمد مينا وعن نظام الدين المذكور •
والفخرية : المنسوبة إلى مولانا فخر الدين الدهلوي ، وهو أخذ عن
الشيخ نظام الدين (الوالد) عن الشيخ كلیم الله . . . عن نظام الدين •
وأما الصابرية: فلها شعبة واحدة من جهة الشيخ عبدالقدوس كنكوهي
وهو أخذ عن الشيخ محمد بن أحمد العارف بن الشيخ أحمد عبدالحق
الردولوي وهلم جراً إلى أن وصل إلى علاء الدين الصابر (١) •

(١) محمد عبدالحی الحسینی : تاریخ الثقافة الإسلامية فی الهند ص ١٨١ •

وأول من نشر هذه الطريقة في شبه القارة الهندية عامة وفي منطقة البنغال خاصة هو :

١- فريد الدين كنج شكر (١١٧٦-١٢٦٩م) :

ويعد من قدامى أهل الطريقة الذين قاموا بنشرها في البنغال كما عرفنا ذلك من خلال بعض المخطوطات والآثار القديمة المتعلقة بها ، وقد زار المنطقة وخاصة في محافظة "تشيتاكونج" و"فريد بور" لهذا الغرض ، وفي تشيتاكونج عين جارية ، أصبحت مورداً لمعتقديه من الرجال والنساء يشربون منها الماء ويحملونه معهم للحصول على التبرك ، ويقال : انفجرت مياهها بفضل كراماته ، كما أن محافظة "فريدبور" سميت باسم فريد الدين مما يدل على أنه كان يعيش بها لفترات طويلة ، وفي محل إقامته أنشأوا مزاراً ، معتقدين أنه مدفون في ذلك المكان ، ولكن الواقع أنه مدفون في "باكبتن" بالبنجاب في باكستان (١) .

٢ - عبدالله الكرمانى :

وتاريخ ميلاده ووفاته مجهول ، ولكن قد ورد عنه أنه كان أحد تلاميذ خواجه معين الدين جشتى (١١٤٢-١٢٣٥م) البارزين وركز عمله ونشاطاته في غرب البنغال في حين كان فريد الدين كنج شكريعمل في شرق البنغال (٢) والطريقة الكرمانية المتفرعة من الجشتية منسوبة إليه ،

(١) The Preaching of Islam . T.W.Arnold Page 67 . Calcutta .

(٢) فريد الدين العطار : تذكرة أولياء هند ج ١ ص ١٠٣ .

وتوجد فى المناطق بغرب البنغال التى كانت فى دائرة عمله وهو مدفون فى
محافظة : بيربوم " فى شرق الهند (١) .

٣ - أخى سراج الدين بديوانى (المتوفى ١٣٥٧ م) :

يعتبر من كبار مشائخ الطريقة الجشتية ، الذين نشروا التصوف فى
أنحاء البنغال ، وكان تلميذاً لنظام الدين الدهلوى (١٢٣٦ - ١٣٢٥ م) وبعد
الحصول منه على الإجازة والخرقة ، ذهب بأمره إلى البنغال ليعمل هناك ،
وكان نظام الدين يلقبه بـ (آئينه حق) أى مرآة الحق بالهند .

ولم يتمكن أخى سراج الدين من الوصول إلى البنغال إلا بعد وفاة
أستاذه (٢) وكان محلاً للإحترام والتقدير عند كل من المسلمين والهندوس
حتى يقال : إن السلطان شمس الدين الياس حاكم البنغال ومعه كبار رجال
الدولة والأعيان تتلمذوا عليه وأخذوا الجشتية منه وساعدوه فى نشرها فيما
بعد ، وهو مدفون فى منطقة " غور " بالبنغال الغربى (٣) .

٤ - علاء الدين علاء الحق (المتوفى ١٣٩٨ م) :

وعلاء الدين هذا كان تلميذاً لأخى سراج الدين ، وكان والده معروفاً فى
الثروة والغناء إلا أنه بعد أن تتلمذ أنفق جميع ما حصله منه من الإرث،

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) نفس المصدر : ج ١ ص ١١٢ .

(٣) Contribution of Geagrophy and History of Bengal . page 52

Culcutta .

• وهو مدفون في منطقة " غور " في البنغال الغربى (١) .
انتقل علاء الدين علاء الحق من غرب البنغال إلى " سوناركاون " العاصمة القديمة لبنغلاديش و هي تبعد حوالى أربعين كيلو متراً من مدينة " دাকা " العاصمة الحالية ، وأقام هناك عامين لنشر التصوف ، ثم عاد إلى بندوه " غرب البنغال ، وتوفى بها وقبره ما زال موجوداً هناك .

٥ - ومن كبار رجال الطريقة الجشتية نور الدين قطب العالم توفى ١٤١٦م وقطب الدين لقبه ، حيث سماه بهذا اللقب المواطنون البنغاليون ، وكان ذا نفوذ في البنغال ، يقال : كان المسلمون في البنغال تحت قهر السلطة الهندوسية آنذاك ، فقام نور الدين بإنقاذهم من بطشها وعدوانها (٢) وله عدد كبير من التلاميذ الذين عملوا من أجلها في شطرى البنغال (٣) .

الذكر عند الطريقة الجشتية :

والذكر عند أصحاب هذه الطريقة نوعان : جلى وخفى ، ولكل منهما أسلوب خاص في الرياضة الروحية وتدريب النفس حتى يصل بها السالك إلى التقرب إلى الله تعالى .

فإذا أراد الشيخ أن يلحق تلميذه ، أمره أن يصوم يوماً ، فإن كان يوم

(١) Memonries of Gaur and Pandua (govt . of ١٨٦٣ : Bengal)

(٢) د/ إنعام الحق : حقائق عن التصوف في البنغال ص ٩١ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

الخميس فهو أولى ، ثم يأمره بالاستغفار عشر مرات ، والصلاة والسلام على النبي محمد صلى الله عليه وسلم ، عشر مرات ، ثم يقول : إن الله تعالى يقول في كتابه : ﴿ الْحَرِيرُ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ۝ ﴾ (١) فاجتهد ، وأن لا يأتى عليك زمان إلا وأنت ذاكر ، واعلم أن قلبك موضوع تحت ثديك الأيسر بأصبعين على صورة زهرة الصنوبر ، وله بابان : باب فوقاني وباب تحتاني ، أما الباب فوقاني ففتحه بالذكر الجلى ، وأما الباب التحتاني ففتحه بالذكر الخفى (٢) .

فإذا أردت الذكر الجلى ، فينبغى أن يتجلى قلبك من أفكار الدنيا وما يتعلق بها ، بل يكون خاشعاً وخاضعاً لله تعالى (٣) ثم اجلس متربعا وجذ العرق الذى يسمى "كيماس" بإبهام قدمك اليمنى والتي تليها - وسمعت سيدى الوالد يقول : هو عرق فى بطن الركبة يهبط من حاجز الفخذ وأخذه بهذه الكيفية يفيد نفى الخواطر ويجمع الهمة ويسخن القلب تسخيناً عجيباً - ثم اجلس جلسة الصلاة مستقبل القبلة ، واطفىء النور أو المصباح إن كان المحل الذى أنت فيه مضاءً ، ثم اتبع مايلى :

أولاً : توجه إلى قلبك ، ثم تصور أن قلبك يتوجه إلى الله تعالى بواسطة

(١) آل عمران : ١٩١ .

(٢) شاه ولي الله الدهلوى : شفاء العليل ص ٨٠ .

(٣) مرآة التصوف ص ١٥١ .

قلب شيخ الطريقة ، وذلك للحصول على الفيوضات والبركات التي تصل إلى الإنسان من الحى القيوم •

ثانياً : قل لا إله إلا الله بالشدة والمد ، واخرجها بقوة من داخل القلب واخرج لفظة " لا " من السرة ومددها إلى المنكب الأيمن ، ثم اخرج لفظة " إله " من أم الدماغ ، ويتصور عند ذلك الأداء أن جميع الحب لما سوى الله قد زال من قلبك ، فتنفس نفساً آخر فاضرب " إلا الله " فى القلب بالشدة والقوة ، ويلاحظ المبتدئ نفى العبودية عن غير الله ، والمتوسط نفى المقصودية والمنتهى نفى الوجود •

والشرط الاعظم فى هذا الذكر ، جمع الهمة وفهم المعنى وينبغى لصاحب الذكر الجلى أن لا يقلل الطعام جداً ، بل يكفيه أن يخلى ربع المعدة ، كما ينبغى أن يأكل شيئاً من الدسم لئلا يشوش دماغه ، وإذا أردت بأس أنفاس (مراقبة الانفاس) فكن مستيقظاً واقفاً على أنفاسك ، فكلما خرج النفس فقل مع خروجه " لا إله " كأنك تخرج محبة كل شئ سوى الله من باطنك ، وإذا دخل النفس فقل مع دخوله " إلا الله " كأنك تدخل وتثبت محبة الله فى قلبك (١) •

(١) انظر : شاه ولي الدهلوى : شفاء العليل ص ٨١ - ٨٢ •

أما الذكر الخفى : فهم يقولون : لايجوز الذكر الخفى إلا إذا مارس قبله الذكر الجلى ، فإنه عند الذكر الجلى قد يحصل له نور خاص ينفعه ويساعده فى ممارسة الذكر الخفى ، كما يجب عند البدء به تصور الشيخ بحيث إن صورته منقوشة فى قلبه وأن لا يتغيب عنه أبداً .

والذكر الخفى عبارة عن الذكر بالنفس دون التلفظ باللسان ، أى أن السالك حينما يقوم به، يذكر الله بالنفس عند أخذه ولفظه ، بحيث يأخذ نفسه ويقول : " لاإله " ثم يطلقه بقول " إلا الله " دون صوت (١) .

(١) مرآة التصوف : ص ١٥٢ .

المطلب الثالث

القادرية

تنسب طريقة القادرية إلى الصوفي المعروف في أصقاع الهند وباكستان وبنغلاديش الشيخ عبد القادر الجيلاني (١٠٧٨ - ١١٦٦م) (١) .

يقول المؤرخون: إن الطريقة القادرية دخلت شبه القارة الهندية في القرن الخامس عشر للميلاد بواسطة السيد محمد غوث (المتوفى ٩٢٣هـ) .

(١) هو أبو محمد محي الدين عبد القادر بن موسى بن عبدالله ، ويعرف جده بالإسم الفارسي (جنلكي دوست)، ولد في جيلان سنة ١٠٧٨م ، وهو إقليم فارسي ، يقع في الجنوب الغربي لبحر قزوين ، ويرويه نهر يعرف بهذا الإسم ، وتقع بالقرب من قسبة مدينتي (رشت و بهلوي) .

انتقل عبد القادر إلى بغداد عام ١٠٩٥م في خلافة المستظهر بالله العباسي ، وتوفي سنة ١١٦٦م ، ودفن هناك .

راجع أحمد عطية : القاموس الإسلامي ج ١ ص ٦٨٨ ، مكتبة النهضة المصرية .

ويقول عبد القادر الجيلاني باللطائف : العشرة تكمن في كل إنسان وهي : القلب ، والروح ، والسر ، وخفي ، وأخفى ، والنفس ، والماء ، والنار ، والتراب ، والهواء .

فالقلب مكانه يسار الصدر ، والروح مكانه يمينه ، والسر في وسطه ، والخفي ومكانه في الجبهة ، والأخفى في الرأس ، والنفس عند السرة .

وأما العناصر الأربعة الأخيرة وهي : الماء والنار والتراب والهواء ، فمكانها في سائر الجسد . انظر : مرآة التصوف ص ٥٨ .

الذى قدم إليها عام ١٤٢٨ م لنشر هذه الطريقة (١) ، واستوطن بمدينة " اوج " وبه إنتشرت القادرية فى أنحاء القارة ، ومعظم البدع والخرافات والأساطير التى تهيمن اليوم على المجتمع قد أتت بواسطة هذه الطريقة ورجالها يصعب عددهم واحصائهم لكثرتهم، منهم بهاء الدين الجنيدى (٩٢١هـ) والذى أخذ عن أبى العباس أحمد بن الحسن بن موسى بن على بن محمد بن الحسن بن محمد أبى النضر بن أبى صالح بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلانى هلم جراً ، ومنهم الشيخ قميص بن أبى الحياة (توفى ٩٩٢ هـ) ابن محمود بن محمد بن أحمد بن داود بن على بن أبى صالح النضر بن عبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر المذكور عن أبيه وهلم جراً ، ومنهم كمال الدين الكيتهلى (توفى ٩٧١هـ) أخذ عن فضيل عن كدا رحمن عن شمس الدين العارف عن كدا رحمن بن أبى الحسن عن شمس الدين الصحرانى عن عقيل عن بهاء الدين عن عبد الوهاب عن شرف الدين القتال عن عبد الرزاق عن أبيه عبد القادر الجيلانى المذكور (٢) .

و أول من قدم بالطريقة القادرية إلى البنغال هو شاه قميص (٣) من سلالة شيخ الطريقة ، واستوطن فى مدينة مرشد آباد فى البنغال الغربى ،

(١) د/ شوبرى شمس الرحمن : حقائق عن التصوف ص ٩١ .

(٢) عبد الحى الحسنى : تاريخ الثقافة الإسلامية فى الهند ص ١٨٥ .

(٣) تذكرة أولياء الهند ص ٢٧ ، ج ٣ .

وساعده غير قليل من تلاميذه في نشر هذه الطريقة في سائر المناطق ، وأشهرهم الشيخ عبد الرزاق حيث احتل مكانة بعد وفاة شاه قميص ، وبعد الشيخ عبد القادر لا يوجد تاريخ أسلافه من الطريقة القادرية (١) إلا أن لهذه الطريقة أثر عميق في المجتمع الإسلامي في الهند وبنغلاديش ، وإن كثير من البدع والخرافات كاحتفال العرس في القبور وبناء الصخور والقبب على المزارات وحفل الموسيقى وشد الرحال إلى مزار عبد القادر الجيلاني وإلى مناطق الهند وباكستان لزيارة أكابر الصوفية كعلي الهجویری ، فريد الدين العطار ، وفريد الدين كنج شكر في لاهور ونظام الدين ومعين الدين جشتی، كل هذا خرج من تحت عباءة هذه الطريقة .

الذكر عند القادرية :

قال الشاه ولي الله الدهلوی في كتابه شفاء العليل :
" في أشغال المشائخ الجيلانية (القادرية) وهم أصحاب إمام الطريقة الشيخ أبي محمد محي الدين عبد القادر الجيلاني ، فأول ما يلقنونه للمريد الجهر بذكر الله ، والمراد بهذا الجهر هو غير المفرد ، ولا منافاة بينه وبين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢) حيث قال : اربعوا على أنفسكم ،

(١) تذكرة أولياء الهند ٢٧/٣ .

(٢) الشاه ولي الله : شفاء العليل : ٤٩ .

فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً... الحديث (١) فمنه اسم الذات إما بضربة واحدة ، وصفته أن يقول " الله " بالشد والمد والجهر بقوة القلب والحلق جميعاً ، ثم يلبث حتى يعود إليه نفسه ، ثم يفعل هكذا وهكذا .
وإما بضربين ، وصفته أن يجلس جلسة الصلاة ، ويضرب لفظ الجلالة مرة في الركبة اليمنى ومرة في القلب ، ويكرر ذلك بلا فصل ، وينبغي أن يكون الضرب لاسيما القلبي بقوة وشدة ليتأثر به القلب ويجتمع الخاطر .

وإما بأربع ضربات ، وصفته أن يجلس متربعا فيضرب مرة في الركبة اليمنى ومرة في الركبة اليسرى ومرة في القلب ومرة أمامه .
ولكن الرابع أشد وأجهر ، ومنه النفي والإثبات ، وهو كلمة " لا إله إلا الله " وصفته أن يجلس جلسة الصلاة مستقبلاً القبلة ويغمض عينيه ويقول : " لا " كأنه يخرجها من سرتة ثم يمدّها حتى يبلغ إلى المنكب الأيمن فيقول : " إله " كأنه يخرجها من أم دماغه ، ثم يضرب " إلا الله " بالشدّة والقوة ، ويلاحظ نفى المعبودية أو نفى المقصودية أو نفى الموجود من غير الله تعالى وإثباتها له تعالى .

ومن واطب على ذكر اسم الذات في كل يوم وليلة أربعة آلاف مرة مع تقديم الشروط التي أسلفناها واستمر على ذلك شهرين أو نحواً من ذلك فإنه

(١) صحيح البخارى : ٢٧٥/٤ عمه ابى موسى الأشعرى في باب غزوة خيبر و
كتاب المغازى هـ

يشاهد فيه الأثر لامحالة سواء كان غيباً أو ذكياً .
وأما الذكر الخفى: فمنه إسم الذات مع أمهات الصفات ، وصفته أن
يغمض عينيه ويضم شفتيه ، ويقول: بلسان القلب " الله سميع " " الله بصير "
" الله علیم " كأنه يخرجها من سرته إلى صدره ، ومن صدره إلى دماغه ثم
إلى العرش، ثم يقول: " الله علیم " " الله بصير " " الله سميع " هابطاً على
تلك المنازل كما صعد عليها ، فهذه دورة واحدة ثم يفعل هكذا وهكذا .
ومن أهل الشأن من يزيد " الله قدير " ومنه النفى والاثبات ، وصفته
إما كذكرنا فى الجهر ، وإما أن يكون مستيقظاً مطلعاً على أنفاسه ، فإذا
خرج النفس بطبيعته من غير قصده وإرادته قال مع خروجه " لا إله " بلسان
القلب ، وإذا دخل قال مع دخوله " إلا الله " قال الأكابر: وهذا حبس أنفاس
وله أثر عظيم فى نفى الخواطر وزوال حديث النفس (١) .
أسلوب المراقبة فى هذه الطريقة :

وقبل الاشتغال بالذكر لابد من السالك لهذه الطريقة أن يمر بالمراحل الآتية :

أولاً : أ - الاستغفار .

- ب - قراءة الفاتحة مع البسملة ثلاث مرات .
- ج - سورة الإخلاص ثلاث مرات .
- د - الصلاة والسلام على النبى صلى الله عليه وسلم ، عشر مرات .

(١) الشاه ولي الله : شفاء العليل ص ٥٠ - ٧٠ .

هـ - إيصال الثواب أولاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وأهله ثم إلى شيخ الطريقة عبد القادر الجيلاني ومن ثم إلى جميع أتباع هذه الطريقة .
و - الدعاء إلى الله تعالى طالباً منه حبه والعلوم والمعرفة .
ثانياً :

أ - التوجه إلى القلب ، بحيث يقول السالك: إني أتوجه إلى قلبي ، وقلبي متوجه إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بواسطة شيخ الطريقة ، ثم يقول يارب : ارزقني زيارة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وحبه .
ب - الصلاة والسلام على النبي خمسمائة مرة ، وذلك كل يوم دبر صلاة العشاء دون توقف ، ومضمونها " اللهم صلى على سيدنا محمد معدن الجود والكرم ، وعلى آله وسلم " .
ثالثاً :

والصلاة والسلام على النبي كل يوم مائة مرة عقب صلاة الفجر وذلك بعد أن يقول: أتوجه إلى قلبي ، وهو متوجه إلى قلب شيخ الطريقة عبد القادر الجيلاني بواسطة قلب شيعي ، ثم يقول: يارب أسألك حب النبي ومشاهدته .
ومضمون الصلاة والسلام: اللهم صلى على سيدنا محمد سيد المرسلين وعلى أرشد أولاده الشيخ عبد القادر إمام الطريقة والأولياء الكاملين (١) .

(١) أبو بكر الصديق : مرآة التصوف ص ١٨٥ .

المطلب الرابع

النقشبندية

ومن أشهر الطرق الصوفية في البنغال و أقدمها النقشبندية ، نسبة إلى الشيخ بهاء الدين محمد نقشبندی البخارى (١) (١٣١٨-١٣٨٩م) ولد في قرية تسمى قصر عارفان بمدينة بخارى (٢) يقال : إنه كان يقوم بعمل التطريز في الملابس والأقمشة ونقشها ، ومن ثم لقب " نقشبندی " (٣) وهو حجة عظيمة عند النقشبنديين بل وأساس الطريقة ، فهم يمتدحونه ويعظمونه أشد توقير ، ويقول عنه الشيخ الكردي " هو غوث الأعظم وعقد جيد المعارف الانظم ، إنزاحت بأنوار هدايته أعيان الأغيار وعادت الأشرار ببركة أسرارهم من أخيار الأعيان وأعيان الأخيار " (٤) .

وللطريقة النقشبندية شعبتان مشهورتان في بلاد الهند:

إحدهما: الباقية : وتنسب إلى رضى الدين أبى المؤيد عبدالباقي بن

عبدالسلام النقشبندی الدهلوى .

(١) عبد الحى الحسنى : الثقافة الإسلامية في الهند ص ١٨٢ .

(٢) د/ شمس الرحمن شودرى أسرار التصوف ص ٩٢ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) عبد الرحمن دمشقية : النقشبندية : عرض وتحليل ص ٢٥ دار طيبة للنشر والتوزيع

الرياض ج ١ ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م .

وثانيهما : العلائية : المنسوبة إلى الأمير أبي العلاء بن أبي الوفاء
النقشبندى الأكبر آبادى •

وأما الطريقة الباقية : فهي أشهر الطرق ببلاد الهند ، ولها شعبتان :
المجددية و الأحسنية :

أما المجددية ويقال لها الأحمدية : وهي للشيخ أحمد بن عبد الأحد
السرهندى الذى أخذ الطريقة عن عبدالباقى المذكور ، ثم أفاض الله سبحانه
وتعالى عليه الطريقة الجديدة بعرضها وطولها ، فألقاها ولديه : محمد سعيد
ومحمد معصوم ، ومن ثم شاعت طريقته فى مشارق الهند ومغاربها •
وانشعبت من المجددية طرق أخرى ، منها :

الطريقة الزبيرية : للشيخ زبير ابن أبى العلاء بن محمد نقشبند بن محمد
معصوم المذكور •

والمظهرية : لشمس الدين حبيب الله جانكانان العلوى الدهلوى •
أما الأحسنية : فهي منسوبة إلى آدم بن اسماعيل البنورى والذى أخذ عن
أحمد السرهندى وعن بعض خلفائه ، ومنها انشعبت طرق أخرى :

- كالطريقة العلمية : لعلم الله بن فضيل البريلوى •
- و الولى الالهية : لولى الله بن عبدالرحيم الدهلوى •
- و المحمدية : لأحمد عرفان البريوى الشهيد (١) •

(١) محمد عبد الحى الحسنى : الثقافة الإسلامية فى الهند ص ١٨٣ •

هذه بعض الطرق الصوفية التي انشعبت من النقشبندية الأم ، ووصلت النقشبندية إلى المنطقة بواسطة الشيخ أحمد السرهند الملقب بـ (مجدد الألف الثاني ١٥٦٣ - ١٦٢٤م) وقد سبق ذكره في الفصول السابقة ، وبما أنه عرض النقشبندية بلباس جديد خاص به وبأسلوب مميز ، فاشتهرت بالنقشبندية المجددية ، ومن الرجال الذين أسهموا في نشر هذه الطريقة من البنغال تلميذه الخاص " الشيخ حميد دانشمند " البنغالي الأصل (١) .

وفي " المكتوبات الربانية " التي ألفه السرهندي جاء فيها بعض المكاتبات التي بعث بها إلى " حميد دانشمند " في البنغال .
ودفن حميد في " منغول كوت " بمحافظة " بردهمان " بغرب البنغال ،
وبجوار قبره مسجد قد شيده الأمبراطور " شاه جهان " في عام ١٦٥٧م (٢)
تخليداً لذكراه ولما قدمه من الخدمات في نشر هذه الطريقة .

وثم ما ذا بعد موته هل قام أحد بمتابعة عمله ؟
إننا لم نعثر على شيء يؤكد لنا ذلك ، نعم لقد كان هناك أتباع كثيرون غير معروفين ممن بذلوا الجهود في إحيائها ونشر

(١) أحمد السرهندي : المكتوبات : ج ١ ص ١٩٢ (المكتوب) ٢٢٠ طبع استانبول ، تركيا .

(٢) د/ إنعام الحق : الصوفية في البنغال : ص ١١٦ .

تعاليمها بين المواطنين ، ولكنهم بعد مرور الزمن تقلص عددهم بحيث لم يعد حال دعوته كما كان عليه من قبل ، وذلك للحركات النشطة التي قامت بها الطرق الجشتية والقادرية وغيرها •

وعدد النقشبنديين اليوم قليل جداً وفي دائرة محدودة ، وتجمعات النقشبندية توجد اليوم في محافظة " راج شاهى " بينغلاديش (١) •

المطلب الأول

فـ

الطريقة القلندرية

الطريقة التي دخلت في البنغال بعد الطريقة الجشتية والقادرية والسهروردية هي الطريقة " القلندرية " نسبة إلى رجل صوفي هندي معروف اسمه شرف الدين بو علي قلندر (المتوفى ١٢٢٤م) في منطقة " بانى بت " بجنوب الهند، بعض الناس يقولون: إنها فرع للطريقة الجشتية، ولا يوجد دليل على صحته ، والحق إنها طائفة صوفية مستقلة بكيانها وتشخصاتها .

والقلندرية هذه من قدامى الطرق الصوفية ، وهي إحدى الطريقة " الملامتية " (١) .

وقال صاحب العوارف : إن القلندرية واللامتية اسم لطائفة صوفية

(١) الملامتية : قال البعض : الملامتى هو الذى لا يظهر خيراً ولا يضر شراً ، وشرح هذا هو أن الملامتى تشربت عروقه طعم الإخلاص وتحقق بالصدق ، فلا يجب أن يطلع عليه أحد على حاله وأعماله ، فاللامتية لهم اختصاص بالتمسك بالإخلاص ، يرون كتم الأحوال والأعمال ، ويتلذذون بكتمها ، حتى لو ظهر أعمالهم وأحوالهم لأحد لاستوحشوا من ذلك كما يستوحش العاصى من ظهور معصيته .

قال السهروردي: " فمن أولئك القوم يسمون نفوسهم قلندرية، تارة و ملامتية تارة أخرى .

راجع : السهروردي : عوارف المعارف ص ٧١ - ٧٢ .

لكن هناك فرق بسيط بين هاتين الفئتين هو أن يعمل في كتم العبادات ،
والقلندري في تخريب العادات ، والملامتي يتمسك بكل أبواب البر والخير
ويرى الفضل فيه ، ولكن يخفي الأعمال والأحوال ، ويوقف نفسه موقف
العوام في هيئته وملبوساته وحركاته وأموره ، وستراً للأحوال لئلا يفطن له
، وهو مع ذلك متطلع إلى طلب المزيد ، باذلاً مجهوده في كل ما يتقرب به
العبيد .

والقلندري لا يتقيد بهيئة ولا يبالي بما يعرف من حاله ، وما لا يعرفه ،
ولا ينعطف إلا على طيبة القلوب وهو رأس ماله (١) .
فأما القلندرية: فهي إشارة إلى قوم ملكهم سكر طيبة قلوبهم ، حتى خربوا
العادات ، وطرحوا التقيد بآداب المجالس والمخاطبات ، وساحوا في ميادين
طيبة قلوبهم ، فقالت أعمالهم من الصوم والصلاة إلا الفرائض ، ولم يباليوا
بتناول شيء من لذات الدنيا من كل ما كان برخصة الشرع (٢) .

فإن هؤلاء يخفون عباداتهم عن أعين الناس ، ولا يهتمون باللباس
والمظهر ، ولا يبدون اهتماماً في أن يطلع الآخرون على باطن حالهم
أو لا يطلعون على ذلك ، وهم يحلقون رؤوسهم ولحاهم حتى
الحواجب والشوارب .

(١) السهروردي : عوارف المعارف ص ٧٧ - ٧٨ .

(٢) السهروردي : العوارف ص ٧٨ .

لقد بدأ إنتشار الطريقة القلندرية فى مناطق بنغالية بأيدى تلاميذ بو على قلندر ، بعد وفاته مباشرة ، وفى القرن السادس عشر والسابع عشر للميلاد إنتشرت بسرعة خاطفة وبصورة مؤثرة على الناس ، حتى أن المغول قد تأثروا بها كثيراً وساعدوها بدعم من المال ، ويقال : إن هؤلاء هم سموها بـ (القلندرية) (١) .

وكان شرف الدين بو على قلندر يعتقد أنه يجب على أتباع طريقته أن يتركوا الدنيا ومتاعها، وأن يتخلوا تماماً عن مشاغل البيت والأسرة ، ويتعدوا عن الناس، وعن العلاقة بالمجتمع إن كان غرضهم الحصول على مرضاة الله والتقرب اليه ، وكان يقول : لا يجوز لإنسان أن يكون غرضه وهدفه الدنيا والآخرة معاً ، ومستحيل أن يجمع النقيضان فى مكان واحد وأن واحد ، ويقول لأتباعه: كيف يمكن أن تعيش مع عائلتك وأنت طالب مرضاة ربك ؟ ذلك وهم وخيال ، بل إنه جنون محض (٢) .

والقلندريون يؤدون الأعمال التى أوجبها الشريعة الإسلامية كالصلاة والصوم ولايجيزون الزيادة عليها، كما لا يقيدون أنفسهم بأحكامها التى تكون شديدة عليهم -حسب زعمهم- ولا يرتضون لأنفسهم الإفراط فى جمع الأموال وحطام الدنيا، وأما الشئ الذى يهتم به هؤلاء فهو صفاء القلب لله (٣) .

(١) د/ أنعام الحق : الصوفية فى البنغال ص ٢٨٦ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) تعليمات بو على قلندر فى كتاب د/ أنعام الحق : الصوفية فى البنغال ص ١١٣ .

وأشهر التلاميذ الذين مدوا يد المساعدة في سبيل تأسيس القلندرية في أرض البنغال هو: شاه شفيح الدين (المتوفى ١٢٩٠ م) وبدأ بعمله أولاً في مدينة " بندوة " غرب البنغال ، ثم توسع بدعوته إلى أنحاء المنطقة بعد جولات عديدة وجهد متواصل .

توفي في مدينة " بندوه " ولا زال قبره موجوداً هناك وأصبح مزاراً يؤمه الناس، وبعد وفاته توقفت حركة القلندرية هنيهة ، ثم استأنفت نشاطاتها من قبل بعض أتباعها، إلا أننا لم نجد المعلومات المفصلة عن هوية هؤلاء، لكنهم موجودون اليوم في البنغال، معظمهم يعيشون في الصحراء والغابات، ينتقلون من مكان إلى آخر ، كحياة البدو ، ويصطحبون معهم الحيوانات الأليفة مثل: الحمار والبقرة والقطعة (١) ، وهناك احتفال سنوي باسم " بوعلی قلندر " يقام في كل من بنغلاديش وباكستان والهند رسمياً ، حيث يجتمعون في مكان وينشدون الأبيات التي كتبها " بوعلی " بالفارسية والأردية بالطبول والمزامير ، ويرقصون رجالاً ونساءً .

على الرغم من أن بوعلی مات في " بانى بت " ودفن بها ، ولكن أتباعه صنعوا مقابر خيالية في تلك البلدان لكي يقوموا بالاحتفالات عند تلك القبور (!!)

(١) د/ إنعام الحق : الصوفية في البنغال ص ١١٣ .

المطلب الثاني

فـ

الطريقة الألهية

تنسب هذه الطريقة إلى صوفى معروف المسمى بـ (إبراهيم الأدهم) من بلخ ، وأتباع هذه الطريقة بالمنطقة يحبذون إيصال نسبتهم إلى " الخضرية " (١) وتاريخ وصولها إلى المنطقة غير معروف ، لعدم توافر المعلومات المفصلة حولها ، إلا أننا بعد البحث والتمحيص فى الموضوع ، نستطيع أن نؤكد أن هذه الطائفة قد نشأت فى المناطق الشمالية للهند بأيدى بعض الصوفية القادمين من مدن فارس ، ومن ثم إنتقلت إلى البنغال مؤخراً (٢) وما زال أتباع هذه الطريقة يعيشون فى دوائر محدودة من شرق البنغال وغربها ، وخاصة بالمناطق الساحلية من خليج البنغال ، ويزعمون أن لـ (الخضر) سلطات موسعة فى عالم البحار ، حيث إنه يقدر على إنقاذ السفن و من بداخلها من الغرق أو من الحوادث المائية ، مثل إله " نيردا " (NEREIDS) لدى الهندوس (٣) ، عنده المعلومات عن المغيبات والأسرار والرموز (٤) ، ويدعون

(١) نسبة إلى الخضر عليه السلام الذى ذكرت قصته فى القرآن الكريم بما جرى من الحوار

بينه وبين النبی موسى عليه السلام فى سورة الكهف .

(٢) د/ إنعام الحق : الصوفية فى البنغال ص ٢٨٧ ، (البغالية) .

(٣) " نيردا " مجموعة من حوريات البحر ، تزعم الأسطورة الإغريقية إنهن من بنات إله

البحر نيروس ، انظر : مجلة عالم المعرفة " المعتقدات الدينية لدى الشعوب "

ص ٤٠٨ ، العدد ١٧٣ ، ذى القعدة ١٤١٣ هـ ، الكويت .

(٤) د / انعام الحق : الصوفية فى بنغلاديش ص ٢٨٧ .

أن " الخضر " مازال حياً ، و قد وضعوا مجسمات رمزاً لحياته وتصرفاته في عالم البحار وسائر الكون و يقيم عشاق الخضر عندها عرساً سنوياً ويسمونه إحتفال " بيرابهاسون " (١) أى الرجل المنقذ العظيم ، وكان أباطرة المغول في الهند يحتفلونه رسمياً، ويقال: إن صوبيدار (٢) مكرم خان (١٦٢٧م) كان شديد الاهتمام بمثل هذا الإحتفال معتقداً أن الخضر يقدر على الاغاثة من الغرق والهلاك ، ولكنه في الواقع لما مات غرقاً في إحدى البحيرات لم يستطيع " الخضر " أن يلبي دعواته لينقذه من الغرق ، وكذلك الآخرون من الحكام البنغاليين كمرشد قلى خان (١٧٢٧-١٧٠٤م) وغيره يمجّدون تلك المجسمات للخضر ، و يقيمون عندها عرساً سنوياً (٣)

-
- (١) د/ انعام الحق : الصوفية في بنغلاديش ص ٢٨٧ .
 - (٢) لقب لحكام البنغال الذين يتم تعيينهم من قبل الاباطرة .
 - (٣) هكذا إعتقاد بعض الصوفية في شأن الخضر ، حتى أصبح لديهم ذو مكانة مرموقة ، إذ يعتقدون بولايته ، لابنوته ، وإنه لازال حياً يرزق ، وهم يعطيهم الاوامر والنواهي ، وبعض الناس يقولون أنه يسير سائر الكون في كل يوم ، ويصلى عصر يومه في المدينة المنورة ، لايعرفه أحد غير السالكين إلى طريق الله ، وإنهم أحياناً يتتاجون به ويتشاورون معه و يستفهمون منه الحاضر والمستقبل من الغيبيات وغير ذلك من الأساطير التي لابرهان لها ، وقد أراد الصوفية بنشر هذه العقيدة عن الخضر أغراضاً منها إثبات الولاية للخضر و أن الولي أعلم من النبي ، مادام أن موسى عليه السلام تقدم إلى الخضر ليتعلم منه،وقد علمه بالفعل أموراً كثيرة ، ويرون إثبات الحياة الابدية له كما يرون أن له القدرة على الكون وعلى عالم البحار، تلك القدرة لم يعطاها الله لأحد سواه ويقول : الإمام ابن تيمية " إنه لاجبة في قصة الخضر(أى للمتصوفة) بوجهين :====

وهذا غاية الفساد والضلال .

وعند الشاه ولي الله الدهلوى تفسير غريب للذكر لم يقل به أحد من السلف ، حيث يقول : " ومن الأمور التى تحققت بعد المشاهدة والتجارب أنه إذا قرأ أحد لفظ الجلالة ، و رده باللسان من أ كثر من مرة وداوم عليه ، فإنه يرسم فى قلوب الملائكة القائمين على ذكر الله صورة الجلالة بشكل نورانى ، ثم فى قلوب الملائكة الذين هم أعلى مرتبة من الملائكة القائمين على ذكره ، وكلما كثر فى ترديده يصعد شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى العرش الكريم وهو منقوش عليه ، ومن ثم يلحق بنور من أنواره سبحانه وتعالى

==== أحدهما: أن موسى لم يكن مبعوثاً إلى الخضر ولا كان على الخضر إتباع موسى ، فإن موسى كان مبعوثاً إلى بنى اسرائيل ، ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جميع الثقلين فليس لأحد الخروج عن مبايعته ظاهراً وباطناً ولا عن متابعة ما جاء من الكتاب والسنة فى دقيق ولا جليل لافى العلوم ولا فى الأعمال .
والثانى : أن قصة الخضر ليس فيها مخالفة للشرعية ، بل الأمور التى فعلها تباح فى الشرعية ، إذا علم العبد أسبابها كما علمها الخضر ، ولهذا لما بين أسبابها لموسى وافقه على ذلك ، ولو كان فيها مخالفة للشرعية لم يوافقه عليه .

ثم إنه لم يثبت فى الكتاب والسنة استمرار حياة الخضر ، والإنسان مهما كان شأنه لا يخلد فى الأرض وإنما الخلود لله عز وجل ، قال الله عز وجل " وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ " سورة الأنبياء الآية ٣٤ " كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ " سورة القصص الآية ٨٨ ، ولو كتب لأحد من الأنبياء الخلد لكان جديراً بالنبى الخاتم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه خاتم الأنبياء وكتابه خاتم الكتب .

راجع : ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ٦٧/٤ .

والتي هي بمنزلة قلب الذاكرين (١) .

والله سبحانه وتعالى يقول : ﴿إِنَّهُ يَنْظُرُ الْكَلِمَ الطَّيِّبَ وَالْعَمَلَ الطَّالِحَ يَوْمَهُ﴾ (٢) فكل فعل من الأفعال وعمل من الأعمال ، يرفع ويصعد إلى السماء ، إن كان ذلك موافقاً للشرعية الإسلامية ، يستحق الأجر وشرف القبول عند الله تعالى ، وإن كان مخالفاً للكتاب والسنة ، فلا يصعد ولا يستحق الأجر والثواب ، بل إنه يعاقب عليه .

وأما ما ذكره الشيخ الهندي / شاه ولي الله الدهلوي من نقش صورة لفظ الجلالة في قلوب الملائكة ثم في العرش الكريم ، ثم في نور من أنوار الله ، فهذا أمر لم يثبت في القرآن والسنة ولا في كتب علماء السلف الصالحين ، بل إنه أمر خيالي وافتراضي ، فإن الملائكة الكرام لا تدركهم أبصار الإنسان في هذه الدنيا ، فإنهم فوق طاقات الأبصار ، فكيف يستطيع إنسان أن يقول شيئاً يتعلق بملائكة الله تعالى وهو بعيد عن رؤيتهم وإدراكهم .

(١) شاه ولي الله الدهلوي : همعات ص ٢١ ، إسلامي بريس تحفه محمديّة ، دلهي .

(٢) فاطر : ١٠ .

المطلب الثالث

فد

التعليق على الطرق الصوفية والذكر

ومن شواهد تأثير التصوف بالتشيع وعلائمها أن سلاسل التصوف و طرقها تنتهي إلى علي (عليه السلام) دون سائر أصحاب رسول (ﷺ) ، وفي طرق إسنادها إلى علي (عليه السلام) أسماء أئمة الشيعة المعصومين - حسب زعمهم - من أولاد علي (عليه السلام) ، دون غيرهم ، وإن رؤساء هذه العصابة يذكر لهم إتصال وثيق ، وصلات وطيدة مع أئمة القوم ، كما يذكر في تراجمهم و سيرهم وأحوالهم •

هذا وكان في أصحاب رسول الله (ﷺ) زهاد آخرون ، ولكن المتصوفة لم ينهوا سلسلة سندهم إلا لعل بن أبي طالب (عليه السلام) مثل الشيعة الذين يجعلونه أول إمام لهم ، ومن المسلم فيه أن أبابكر (عليه السلام) كان أزهد الناس بعد رسول الله (ﷺ) ، ثم عمر الفاروق (عليه السلام) ، ثم عثمان بن عفان ذو النورين (عليه السلام) ، ثم تأتي مرتبة علي (عليه السلام) ، وهذه عقيدة أهل السنة والجماعة •

قال العلامة ابن تيمية رحمه الله عليه: " أزهد الناس بعد رسول الله (ﷺ) - الزهد الشرعي - أبوبكر (عليه السلام) وعمر (عليه السلام) ، وذلك أن أبابكر ، كان له مال يكسبه فانفق كله في سبيل الله ، ولقد تلا أبابكر (عليه السلام)

عمر (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) في هذا الزهد، وكان فوق علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) في ذلك ، يعنى في إعراضه عن المال واللذات (١) .

ومع تفضيل أبى بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم على علي (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وعلى سائر أصحاب رسول الله (ﷺ) ، يفضل الصوفية علياً كما يفضلهم جماعة من الشيعة .

قال الهجويزى عن الجنيد: " شيخنا فى الأصول والبلاء علي المرتضى ، أى أن علياً بن أبى طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) هو إمام هذه الطريقة فى العلم والمعاملة ، فأهل الطريقة يطلقون على علم الطريقة إسم الأصول ، ويسمون تحمل البلاء فيها بالمعاملات (٢) .

ويقول أبو العباس المرسى تلميذ الشاذلى : " طريقتنا هذه لا تنسب للمشاركة ولا للمغاربة ، بل واحد عن واحد إلى الحسن بن علي بن أبى طالب (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وهو أول الأقطاب (٣) .

هناك أمر مهم نراه فى المتصوفة ، وهو تصور الشيخ وشيخ الشيخ إلى أن يصل إلى منتهى السلاسل عند الذكر ، بل عند تأدية أية عبادة من عبادة الله وحده ، كما نلاحظ فى بيان الذكر عند أهل الطرق ، مما هو واضح أنه أيضاً من الأمور المستحدثة التى أخذوها من الشيعة ، نتيجة لغلوهم فى

(١) ابن تيمية : منهاج السنة النبوية ج ٤ ص ١٢٩ .

(٢) على الهجويزى : كشف المحجوب ص ٢٧٤ .

(٣) إحسان إلهى : التصوف - المنشأ و المصادر - ص ١٥٣ .

تقديس وتوقير المشائخ الصوفية ، وقد ظنوا أن الذكر من الأذكار حينما يردده المسلم ، لا يصل إلى الله قطعاً إلا بتوسط على من بويعت يده واستسلم أمامه إستسلاماً كاملاً .

وذكر الدكتور الشيبى فى هذا الصدد : ^{روى} لقد الشيعة عن الإمام الثامن - وهو الشيخ معروف الكرخى عندهم - أنه أوصى ^{بين} المريذ قبل أن ينطقوا بتكبيرة الإحرام فى الصلاة أن تذكر رسول الله (ﷺ)

واجعل واحداً من الأئمة نصب عينيك ، وهذه هى مراقبة الذكر حيث أن من شروط الذكر حضور صورة أى صور الشيخ الروحانية النورانية التى هى هيكـل رسول (ﷺ) ومظهره (١) ولذلك قال الإمام جعفر الصادق : " ومن لم يكن له قرين مرشد تمكن عدوه من عنقه (٢) ولا شك أن هذه الفكرة تدعو إلى توسل بالمشائخ الذين هم فى مرتبة الأئمة عند الشيعة ، وهذه نفس الفكرة الإسماعيلية الباطنية فى حق الأئمة عندهم ، إذ يقولون : " فأخبر جل ثناؤه أن مغفرته لمن ظلم نفسه ، لا تكون إلا من قبل أوليائه ، إذ هم أبواب رحمته وأسباب مغفرته لعباده ، ومن استشفع بهم شفع ومن استرحم بهم رحم ومن توسل بهم وصل ، والذي جعل الله عز وجل من ذلك لرسوله (ﷺ) وآله فهو لمن وصل طاعته بطاعة الأئمة

(١) انظر : د/ كامل الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٣٧ .

(٢) نفس المصدر والصفحة .

من أهل بيته ولولم يكن ذلك لانقطعت رحمة الله عزوجل عن عباده ،
وارتفعت مغفرته لخلقه وسدت أبواب التوبة دونهم ، وعدموا عفوه عنهم (١) .
وقد ذكرنا فيما قد سبق السلاسل الموجودة في أوساط المتصوفة ، كما
ذكرنا أن لكل واحد منهم شجرة نسب لشيوخه تصل إلى علي (عليه السلام) ثم إلى
النبي (صلى الله عليه وآله) ، وهم يثبتون السلاسل/ للتعرف على قرب المشايخ الذين ينتمون
إليهم ولتحقيق غرضهم ومعرفتهم الكاملة وتحديد اتجاهاتهم الصحيحة ، وليس
من المستبعد أن يكون أصل هذه البدعة من الشيعة ، وهي لم تكن في عصر
النبوة ولا في عصر من بعدهم من الصحابة والتابعين والسلف الصالحين ،
وإنما قالها المتصوفة مستمدين ذلك من أقوال الشيعة ومتأثرين بهم .
فقد نقل الحاج معصوم علي عن المرحوم ميرزا محمد تقى ، الملقب
بمظفر على شاه (المتوفى سنة ١٢١٥ هـ - ١٨٠٠ - ١٨٠١ م) ومن متصوفة
الطريقة النعمة الالهية في كتابه " بحر أسرار " أنه قال : لقد جرت الطريقة
الحقه بواسطة أربعة أولياء من الشيعة المختصين بأهل البيت ، وانتشرت
بين العباد والبلاد .
أولاً : من مولانا أسد الله الغالب أمير المؤمنين عليه السلام بواسطة
كميل ابن زياد .

(١) احسان الهى ظهر : الاسماعيلية : ص ٣٧٣ ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ط ١

ثانياً : من سيد الساجدين (يعنى على بن الحسين) بواسطة السلطان
إبراهيم بن أدهم .

ثالثاً : من مولانا الإمام جعفر الصادق بواسطة أبى يزيد .

رابعاً : من مولانا شمس الشموس أبى الحسن على بن موسى عليه
السلام المدفون بأرض طوس بواسطة الشيخ كامل معروف الكرخى (١) .

وذكر الواسطى (المتوفى سنة ٧٧٤-١٣٧٢) فى سلاسل الطريقة
الرفاعية إتصالها بعلي من ثلاث طرق ، أولها عن الحسن البصرى
والأخرى عن طريق معروف الكرخى ثم على بن موسى الرضا فأبائه
إلى علي ، والثالثة عن طريق جابر الأنصارى (٢) .

ثم يقول الدكتور الشيبى فى نهاية الحديث عن السلاسل: "ويتضح من هذه
السلاسل التى أوردناها أن التصوف قد اعتمد فى جملته على الأخذ عن
طريق معروف الكرخى الذى أخبر المتصوفة على إختلاف مشاربهم
باتصاله بالإمام الثامن علي بن موسى الرضا ، وذلك ينبئ باتصال التصوف
بالتشيع ، ذلك الاتصال الظاهر الذى تكرر فى هذه الرسالة (٣) .

(١) د/ الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٤٠ .

(٢) راجع د/ الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٤١ .

(٣) نفس المصدر ص ٤٤٢ .

فكما علمنا من أن التسلسل الصوفي مستورد من منابع التشيع ولم يكن الإسلام منبعاً لها قطعاً ، كذلك الحال في الطرق الصوفية التي وصفها الدكتور / فليب حتى بالهيئات المنظمة (١) وما جعلوها من نظم وقواعد - ذكرناها سابقاً - لا تستقيم على أساس ، بل إنها ممثلة بالغموض والتعقيدات ، كل منهم يقومون بتفسيرها حسب مفهومه الخاص وتعبيره الذاتي .

فمهما يكن من أمر الطرق الصوفية ، فقد كان أول من نادى بها وأسسها الشيخ/عبد القادر الجيلاني الذي ينقل الشعراني له نسباً علوياً (٢) سواء صح هذا أم لا ، لكن الأمر الواقع أن الطرق الصوفية بكل نوع من أنواعها ، لها علاقة وثيقة بالإمامة الشيعية ، فقد أخبر توفيق البكري : أن المتصوفة من تلك الطرق الصوفية - التي في السودان - يعتقدون في إمام يخرج آخر الزمن ، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً (٣) وهذه من أهم العقائد الشيعية وهي عقيدة الإمام الغائب عند الشيعة والغلاة، كذلك الحال لجميع الطرق الصوفية التي تتوسع في أقطار العالم تصل أسناد مشائخها

(١) د/ فليب حتى : تاريخ العرب ج ٢ ص ٥٢٥ .

(٢) الشعراني: الطبقات ج ١ ص ١٠٨ ، نقلاً من كتاب الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٤٣ .

(٣) إن الشيعة الإثنا عشرية يزعمون أن محمد المهدي قد اختفى في سرداب دار أبيه وأنه لا يزال مختفياً وسيعود فيما بعد . (أحمد أمين : ضحى الإسلام ج ٣ ص ٢١٢ دار

الكتاب العربي ، لبنان د ١) .

بالأئمة الشيعية (١)، كما ورد أن الطريقة المولوية التي يتزعمها جلال الدين الرومى والتي هي أحد الفروع للقادرية ، تعتقد بالإمامة الشيعية ، كما أن البكتاشية يدينون بإمامة الأئمة الإثنا عشرية وسائر تفاصيل العقيدة الشيعية المذكورة ، وهكذا نستطيع أن نجزم أن الطرق التي يتبناها المتصوفة مستمدة من غلاة الشيعة والباطنيين ، وليس لها علاقة بالدين الإسلامى ، وهذا أمر خطير بالنسبة للمسلمين لأن الشيعة بقولهم العصمة للأئمة يجعلونهم فوق مرتبة الأنبياء والمرسلين ، كما قال ذوالنون المصرى : ليس مريداً البتة من لم يكن أطوع لأستاذه من ربه ، وكان أبوعلی الدقاق يتساءل " هل يحتمل أن يكون مقام النبى الذى يبعثه الله فوق مقام شيخه ؟ •

والواقع أن تلك الكلمات التي يقولونها تأتي من الثقة العمياء فى الشيخ وفى عصمته التي تجعل له مقام الشرح والتأويل فى النصوص الشرعية ، لما قد يفهمها المرید فهماً خاطئاً ، فالمرید لا يستطيع بنفسه أن يفهم ما أراده الله بأسرارهِ وآياتهِ ، ولكن الشيخ يفهم ، ولذلك يجب على المرید أن يطيعه تلك الطاعة التي لاطاعة فوقها ، والصلة بين هذا المقام ومقام الإمام المعصوم الصادر عن الله واضحة جداً (٢) ولذلك كانت طاعة المرید للشيخ فوق طاعته للرب (٣) •

(١) للتفصيل راجع : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٤٥ - ٤٤٧ •

(٢) الرسالة القشيرية ص ١٧٣ - ١٧٥ •

(٣) د/ الشيبى : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٣٦ •

إذا فنظام الطريقة الذى أوجده الصوفية والذى ألزموا به أنفسهم يخالف الكتاب والسنة كما يخالف علماء السلف والأئمة الكرام ، إنه بدعة أحدثها الروافض من الشيعة وأدخلوها فى المجتمع الإسلامى لغرض خلق الفتن واضطرب قوى الأواصر والمحبة بين المسلمين وإبعادهم عن مبادئ الدين الأصيلة ، كما ذكر أن الصوفى الشيعى أحمد المهيمى (المتوفى سنة ٤٣٠هـ) والمعروف باسم أبى سعيد هو أول من قام بإيجاد الطريقة (١) وإن أول طريقة أسست بنظام خاص بها فى منتصف القرن السابع الهجرى وما زال لها أتباع إلى اليوم وهى طريقة " بكتاشية " (٢) منسوبة إلى خنكار الحاج محمد بكتاش الخراسانى النيسابورى، وهى طريقة شيعية قلباً وقالباً .

و نحن المسلمون مأمورون بإتباع كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ)، وكل

ما يخالفهما فهو مردود .

قال العلامة ابن تيمية : " فلم يبق طريق إلى الله إلا بإتباع محمد (ﷺ) "

فما أمر به من العبادات أمر إيجاب أو إستحباب فهو مشروع ما رغب فيه وذكر ثوابه وفضله ، فأما الفعل الذى لم يشرعه لنا هو لنا ،

ولا أمرنا به ولا فعله فعلاً سن لنا أن نتأسى به فيه فليس من العبادات

(١) عبد الرحمن عبد الخالق : الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب و السنة ص ٣٤٩ .

(٢) نفس المرجع ص ٤٣٢ .

(٣) ابن تيمية : مجموع الرأى والمأىل ج ٢ ص ١٣٤٩ ط ١

والقرب ، فاتخاذ هذا قرابة مخالفة له صلى الله عليه وسلم (١) . فأمر الله تعالى ورسوله أساس لصحة الأعمال ورضا الله تعالى والمثوبة عنده، وهذه الطريقة وأنظمتها من أفعال الناس ومن نتائج أعمال المغرضين الذين يستهدفون الإسلام والشريعة الإسلامية ، وفي الأمة أناس يتبعون أهوائهم، ويحبون الإتياع لها دون الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) .

وقد زين لهم الشيطان أعمالهم ، فهم يعتبرونها من العبادة وهي ليست منها ، إن مثل هؤلاء الناس كما قال العلامة ابن تيمية : " وأهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات ويبغض إليهم السبل الشرعية حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث ، فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولاذكره " (٢) والطريق الأسلم هو ماكان عليه النبي (ﷺ) وصحابته الكرام وعلماء السلف .

إن ذكر الله تعالى أمر مشروع في الإسلام ، إنه سبب للتقرب إلى الله وإطمئنان القلب ، والحصول على الترغيب إلى العمل الصالح والمداومة عليه ، وهذا إذا كان ذلك موافقاً للشريعة ، فإن خالفها فلا يقال إنه ذكر .

(١) ابن تيمية : مجموع الرسائل والمسائل : ٩٥/٥ ن مطبعة المنار ط ١ ١٣٤٩ هـ .

(٢) ابن تيمية : مجموعة الرسائل والمسائل ٩٨/٥ .

فالذكر نوعان : مشروع وغير مشروع :

أما الذكر المشروع : فهو كما ورد في القرآن والسنة ، وينبغي للمؤمن التأسى بهما ليكتب عند الله من الذاكرين ، وقد أمرنا الله تعالى بذكره دوماً وبكثرة العدد ، يقول الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ اللَّهِ أَصْلاً ۝ (١) وَقوله تعالى : ﴿ فَادْكُرُوا اللَّهَ أَذْكُرْكُمْ وَأَشْكُرُوا لَهُ وَلَا تَكْفُرُوا ۝ (٢) وَقوله تعالى : ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ۝ (٣) ۝

وقد ورد في الحديث القدسي : ((مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي ، وَمَنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْهُ)) (٤) ۝

وأيضاً في الحديث : ((لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشَّتْهُمُ الرَّحْمَةُ ، وَنُزِلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِيمَنْ عِنْدَهُ)) (٥) ۝

وفي الحديث أيضاً : ((إِذَا رَأَيْتُمْ رِجَازَ الْجَنَّةِ فَارْتَحُوا فِيهَا ، قِيلَ لَهُ ، وَمَا رِجَازُ الْجَنَّةِ ؟ فَقَالَ : مَجَالِسُ الذِّكْرِ)) (٦) ۝

-
- (١) الأحزاب ٤١ ۝
 - (٢) البقرة ١٥٢ ۝
 - (٣) العنكبوت ٤٥ ۝
 - (٤) رواه البخاري في كتاب التوحيد ، ومسلم في الدعوات والترمذي الحديث رقم ٣٥٩٨ ، وابن ماجه في الأدب ك ٣٣ ۝
 - (٥) رواه مسلم و ابن ماجه والترمذي ۝
 - (٦) رواه الترمذي ، الحديث رقم ٣٣٧٥ ۝

وهذه النصوص التي ذكرناها والتي لم نذكرها تدل على أن الكتاب والسنة وآثار السلف الصالح تتفق على الذكر المشروع ، ثم يكون هذا الذكر : كلاماً تاماً مفيداً مثل : " لا إله إلا الله " ومثل : " الله أكبر " ومثل : " سبحان الله والحمد لله " ومثل : " لا حول ولا قوة إلا بالله " ومثل : " تبارك اسم ربك ، وتبارك الذي بيده الملك ، وسبح لله ما فى السموات والأرض ، تبارك الذى نزل الفرقان •

فإن لم يكن تاماً ، بل مقطوعاً ، بحيث لا يفهم الذاكر مفهومه ومراده ، فإنه حينئذ يكون مكروهاً ، كذكر الله باسم المفرد والمضمر واشغال النفس بالمد والخفض وتعذيب الأعضاء عند النطق باللسان أو بالقلب ، أو بكليهما وتخصيص التوقيت لأدائه والإهتمام بالمجلس وغير ذلك مما يفعله المتصوفة ، بدعة •

قال العلامة ابن تيمية : " فأما الاسم المفرد مظهراً مثل : " الله " " الله " أو مضمراً مثل : " هو " " هو " فهذا ليس بمشروع فى كتاب ولا فى سنة ولا هو مأثور أيضاً عن أحد من سلف الأمة ولا عن أعيان الأمة المقتدى به وإنما نهج به قوم من ضلال المتأخرين •

وربما اتبعوا فيه حال شيخ مغلوب فيه ، مثلما يروى عن الشبلى أنه كان يقول : " الله " " الله " فقليل له : لم لا تقول : " لا إله إلا الله " فقال : أخاف أن أموت بين النفى والإثبات •

وهذه من زلات الشبلى التى تغفر له لصدق إيمانه وقوة وجدده وغلبة الحال عليه ، فإنه كان ربما يجن ويذهب به إلى المارستان ويخلق لحيته ، وله أشياء من هذا النمط التى لا يجوز الاقتداء به فيها (١) .

وقال رحمه الله أيضاً : وأما الإسم المفرد مظهراً أو مضمراً ، فليس بكلام تام ولا جملة مفيدة ، ولا يتعلق به إيمان ولا كفر ولا أمر ولا نهى ، ولم يذكر ذلك أحد من السلف ، ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يعطى القلب معرفة مفيدة ولا حالاً نافعاً ، وإنما يعطيه تصوراً مطلقاً ، لا يحكم عليه بنفى ولا إثبات ، فإن لم يقترن به معرفة القلب وحاله ما يفيد بنفسه ، وإلا لم يكن فيه فائدة ، والشرعية إنما تشرع من الأذكار ما يفيد ، لا ما تكون الفائدة حاصلة بغيره (٢) .

إن أفضل الذكر " أن لا إله إلا الله " مع العمل الصالح الذى يوافق الكتاب والسنة ، وهذا الذكر بمعناه الشامل يتضمن جميع الأعمال من الفرائض والواجبات والسنن ، مع الاجتناب من المحظورات والمنكرات ، ومثل هذه الأعمال تصعد إلى السماء ، كما قال تعالى : ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الطَّالِبُ يُوقَفُ ﴾ (٣) .

وأما الذكر الذى يقرره الصوفية وما يفترضونه على أتباعهم من أنواعه

(١) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى ج ١٠ ص ٥٥٦ - ٥٥٧ .

(٢) ابن تيمية : مجموعة الفتاوى ج ١٠ ص ٢٢٦ - ٢٢٧ .

(٣) فاطر ١٠ .

ومستلزماته لم يوافق الشرع ولم يعمل به أحد من الصحابة أو التابعين أو تابعي التابعين رضوان الله عليهم أجمعين ، وعلماء السلف رفضوا ذلك لأنه بدعة أحدثه الخلف والمبتدعون .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " لم يذكر ذلك أحد من سلف الأمة ولا شرع ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم " (١) ، وعنده لا تطلق كلمة الذكر على الاسم المفرد ، والمفرد لا يفيد المعنى ، والعرب لا يسمون المفرد ذكراً ، لعدم إكمال الجملة والكلام الذى يعطى المفهوم الصحيح ، ولذلك قال : " إن العرب يحكون بالقول ما كان كلاماً ، لا يحكون به ما كان قولاً ، فalcول لا يحكى به إلا كلام تام أو جملة إسمية أو جملة فعلية " (٢) .

وإنه رحمه الله قال : " إن الذكر باسم المفرد أو باسم الضمير الذى جعله المتصوفة خاصة لهم ، ماهو إلا بدعة وضلالة لم يشرعها الإسلام ، فقال : " الذكر باسم المضمرة المفرد أبعد عن السنة وأدخل فى البدعة وأقرب إلى ضلال الشيطان ، فإن من قال : ياهو ياهو ، أو هو هو ونحو ذلك ، لم يكن الضمير عائداً إلا إلى ما يصوره قلبه ، والقلب قد يهتدى وقد يضل (٣) .

(١) إن تيمية : العبودية ص ١٥٧ ، بيروت ١٣٩٢ ن هـ .

(٢) ابن تيمية : العبودية ص ١٦٠ - ١٦١ .

(٣) نفس المصدر ص ١٥٩ .

وقال رحمه الله أيضاً : وأما الاختصار على الاسم المفرد مظهراً أو مضمراً فلا أصل له فضلاً عن أن يكون من ذكر الخاصة والعارفين ، بل هو وسيلة إلى البدع والضلالات وذريعة إلى تصورات وأحوال فاسدة من أحوال أهل الإلحاد وأهل الاتحاد " (١) .

ثم إن ما ذكرنا من الطرق الصوفية وأنظمة الذكر لكل منها وما يستلزم منها من تعذيب النفس وأعضاء الجسم ، والالتزام في الخلوة والعزلة وقراءة الأوراد وغيرها التي يوجبها الصوفية على أنفسهم وعلى أتباعهم ، تعتبر أموراً بدعية ، إنما جعلوها لأنفسهم نتيجة للتأثر البيئي ، وذلك لمخالطة المسلمين مع الهندوس والمعاشرة بينهم في المجتمع ، كأنهم أمة واحدة جمعهم لواء الوحدة القومية .

وهذه الأشياء المستحدثة أيضاً إنما أخذوها من الديانة الهندوكية والبوذية بسبب الاحتكاك و المداهنة لهم ، كنظرية وحدة الوجود والفناء ، واللطائف الأربعة وغير ذلك من المصطلحات التي يستعملونها .

كذلك الذكر لله عزوجل وإيجاد الأنظمة المختلفة والهيئات المتنوعة التي أوردناها في الطرق الصوفية المعروفة ، فهم أخذوها من الديانات الهندوكية والبوذية التي كانت منتشرة بين الناس ، فإن اللطائف وإشتغال

(١) ابن تيمية : العبودية ص ١٦٩ .

القلب عند النقشبندية وتعذيب الجسد والرياضة الشاقة للروح عند الخشعية والقادرية للإنسان والتي يقوم بها الصوفية عند أداء الذكر هو نفس الأسلوب الذى يتخذ الهندوس عند أداء الطقوس الهندوكية ، لأن الهندوس لهم ممارسات روحية عند طقوس العبادة لآلهتهم ، وبهذه الممارسة الروحية يشعر بأن نوراً أمامه ، يتجلى فيه جميع الرموز والأسرار ، ويكشف من الغيبيات (١) كذلك الصوفية عندما يمارسون الذكر - الجلى أو الخفى - كما يدعون أنه يسطع فى أعينهم نور بألوان شتى حسب القدر من بذل المجهودات ، يقول الشيخ السرهندى: " ثم بعد ذلك ظهر (لى) نور محيط بجميع الأشياء فظننته الحق سبحانه وتعالى ، وكان لون النور سواداً ، فعرضت عليه فقال الحق سبحانه وتعالى مشهود ، ولكن ذلك الشهود فى حجاب النور (٢) بذلك يذوب مع الذات البارى تعالى ، وينظر حقيقته فى كل الموجودات والمشهودات •



(١) ارنولد نيلكسون : The Mystic of Islam P. 17

(٢) السرهندى : المکتوبات ٣٣٣/١ (المکتوب ٢٩٠) •

الباب الرابع

في

دراسة تحليلية لآثار التصوف على المجتمع

ويشتمل على خمسة فصول

- الفصل الأول : أثر التصوف على الأخلاق والمجتمع
الفصل الثاني : أثر التصوف في البدع والخرافات
الفصل الثالث : أثر التصوف في تعطيل الجهاد الإسلامي
الفصل الرابع : حركات المقاومة ضد التحديات الصوفية وغيرها
الفصل الخامس : أهمية حركات البحث الإسلامي في العصر الحديث



الفصل الأول

في

أثر التصوف على الأخلاق والمجتمع

ويشتمل على خمسة فصول

المبحث الأول : تحويل الأضرحة إلى المغابد

المبحث الثاني : السماع والغناء

المبحث الثالث : خرق الشادات

المبحث الرابع : تشويه صورة الإسلام

المبحث الخامس : الكسل والبطالة

عن العمل

الفصل الأول

أثر التصوف على الأخلاق والمجتمع

امتألت ديار المسلمين اليوم بعناصر صوفية ، انضوت تحت مذاهب وطرق ، بعضها نقيض الآخر من حيث الممارسة وفن التعبير مما يسمى بالطريقة التي سبق ذكرها ، وذلك أن بعضهم لم يجدوا وسيلة للتعبير عن علاقته بربه ، بعد أن انطفأ نور العقل عندهم وقهرت الشريعة الإسلامية في حياتهم ، وأصبحوا نماذج افساد في مجتمعاتهم ، يمارسون الرقص والغناء وتبجيل المشايخ وتقديس قبورهم وتعذيب النفس والجسد وغير ذلك من العادات والطقوس ، وهذا النهج الفكرى الصوفى الذى أراد المتصوفة ، لايتفق مع القواعد الشريعة الإسلامية فى العبادات والمعاملات وغيرها ، وهو خروج عن نطاق الالتزام بعقيدة السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، وهذا مستهدف من الغزو الفكرى الذى تغلغل فى المجتمع الإسلامى، وهذا هو الدور الرئيسى للمنهج الذى قامت به المذاهب الصوفية وطرقها على امتداد ديار المسلمين ، حين عملوا على استقطاب أجيال المسلمين وحالوا بينهم وبين منهج وعقيدة أهل السنة والجماعة ، فهلم لنرى ما مدى الانحراف والفساد والتعطيل فى دين الإسلامى الذى سببته الصوفية وأيضاً تعالوا نشاهد عن مدى تأثير المسلمين منها •

وفى سياق الحديث عن أثر الصوفية فى المجتمع البنغالى ، كان من الجدير بالذكر أن عملية التأثير والتأثر وظاهرتها فى المنطقة قد بدأت منذ نهاية القرن العاشر الميلادى ، إلا أنها كانت بطيئة ومحدودة •

وفى القرن الثالث عشر عندما استولى الحكام الأتراك على مقاليد السلطة فى البنغال بالذات، اشتدت تلك الحركة باتساع رقعتها ونفوذها بين الناس (١) إذ دخل فى تلك الفترة جمهرة من المتصوفة بشمال الهند الذين كانوا قد أتوا إليها، ومكّنوا فيها من المناطق الفارسية حتى كانت منطقة شمال الهند تعرف آنذاك بالمجتمع الصوفي (٢) •

وكان لهؤلاء المتصوفة الأثر الكبير فى تأثير معتقداتهم وفلسفاتهم فى مسلمى البنغال ، وأخصهم بأولئك التلاميذ والمريدين الذين كانوا يتلقون منهم تعاليم التصوف ، وينشرونها فيما بين المواطنين ، ولهم دور عظيم فى ذلك التأثير ، ونحن بصدد ذلك نذكر بعضاً من تلك المؤثرات فى المجتمع فى خمسة مباحث تالية :

(١) د/ إنعام الحق : أثر الصوفية فى البنغال ص ١٨٧ •

(٢) نفس المرجع والصفحة •

المبحث الأول تحويل القبور والأضرحة إلى المحابد

يتعاطف المسلمون البنغاليون مع الصوفية الوافدين من المناطق البعيدة تعاطفاً شديداً لما يرونه فيهم من الأخلاق الفاضلة والمثل العليا والسلوكيات الطيبة التي تركت في نفوسهم أثراً عميقاً بحيث لا يكاد يحوها الزمان وانصرامه واشتد ذلك حينما علموا أن هؤلاء القوم تركوا أوطانهم وأهاليهم وقدموا إليهم لنشر الدين وتعاليمه ولإصلاح أحوال المواطنين، لا يطلبون منهم جزاءً ولا شكوراً، وأيضاً عندما شاهدوا فيهم بعض العادات والطقوس الغريبة التي يمارسونها أثناء العبادات والرياضات الروحية من العزلة والخلوة والرقص والغناء ، وظنوا أن هذه الأشياء تساعد الإنسان في تسكين القلوب وتخليصهم من المصاعب والمتاهات التي كانوا يعانونها منذ فترات طويلة وعندئذ توجهوا إلى هؤلاء المتصوفة وال دراوشة ، وطرقوا أبوابهم معتقدين أنه لا سبيل للخلاص من تلك المتاعب والمتاهات إلا باللجوء إليهم وباعتبارهم أولياء الله المقربين ، ولهم مكانة خاصة عنده لا يمكن الوصول إليه لأى عبد من العباد الآخرين دون واسطة هؤلاء كما ذكر ذلك العلامة الشهرستانى ، حيث يقول: " ومن أهل الهند جماعة أثبتوا متوسطات يأتونهم بالرسالة من عند الله عز وجل في صورة البشر من غير كتاب ، فيأمرهم بأشياء وينهاهم عن أشياء ، ويسنُّ لهم الشرائع ويبين لهم الحدود، وإنما يعرفون صدقه بتزهرهه عن حطام الدنيا واستغنائه عن الأكل والشرب

والبعل " (١) فأصبح هؤلاء القوم من المتصوفة المسيطرين على عقول الناس كوابيس على رؤوسهم لا خلاص لهم إلا بأخذ أيديهم طوعاً أو كرهاً وإلا قد يواجهون الهلاك والضياع ، فأى شخص ، سواء كان ذكراً أو أنثى ، صغيراً أو كبيراً ، غنياً أو فقيراً ، صحيحاً أو سقيماً - إلا ماشاء الله منهم - همومه الأخذ بأيدي الشيخ أو الولي ، سواء أكان حياً أم ميتاً ، فإن أصابه مرض ، أو نقصان ، أو لحقه ضرر أو أية مشكلة من المشاكل التي يواجهها عندها لا بد له من الاسراع إلى هؤلاء أو إلى قبورهم ، فيطلب الناس منهم الإغاثة والعون ، وهكذا جعلوهم شركاء لله تعالى ، وتركوا معبودهم الحقيقي الذي خلقهم ورباهم ورزقهم ، فصار هؤلاء الأولياء والمتصوفة وقبورهم قبلة للمسلمين يعبدونها ويركعون لها ويعتكفون حولها ، وفي بنغلاديش اليوم حوالى الألفين من تلك القبور والأضرحة (٢) جعلوها مزارات مقدسة .

فإنك لو سافرت إلى تلك البلدة تجد هذه المزارات مكتظة بالسواد الأعظم ، يذهبون إليها قاصدين الأمن والاستقرار والخلاص ، وإطمئنان القلب ، ويقضون فيها أياماً معدودة ، ويبذلون عندها أموالاً باهظة ويزعم المتصوفة في هذا الصدد أن الفيوض والبركات تأتي إلى الناس من مقام " الشيخ " حياً كان أم ميتاً .

(١) الشهرستاني : الملل والنحل ج ٢ ص ٢٥٦ ، دار المعرفة - بيروت ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م

(٢) حسب الإحصائيات الحكومية : انظر : صحيفة انقلاب البنغالية الصادرة في دكا ٣٤ يونيو ١٩٨٢م

يقول العالم الهندي المسلم: "شاه ولي الله الدهلوى" هناك عوامل كثيرة لاتخاذ القبور مساجد أو لجعلها مزارا يلتف حولها العوام من المسلمين ، منها وأهمها : هناك اعتقاد فى أوساط الصوفية أنه تحصل الفيوض والبركات مباشرة من شيخ الطريقة أو الصوفية ، سواء كان ذلك الشيخ حيا أو ميتا ، وهذا الإعتقاد موجود عند أهل الطريقة الجشيتية ويزعم أصحابها أن تسلسل الفيوض والبركات يستمر ولا ينقطع من الشيخ ولو كان مدفونا فى المقابر ، وللحصول على ذلك يجب العكوف عليها ، والجلوس حولها مستدبر القبلة ومستقبل المقابر ثم تلاوة بعض الآيات القرآنية ، ثم يقول: " ياروح " عدة مرات ، ثم يقول " ياروح الروح " وبهذا الشكل من المجاهدة والعمليات تتحرك الفيوض من المقابر نحو قلب الطالب (١) وللعالم الهندي كتاب المسمى " فيوض الحرمين " ومن محتوياته مجموعة من المناجات والمحادثات التى جرت بين مؤلفه وبين الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد ألفه وهو واقف فى المدينة المنورة وبين يدي روضة الرسول عليه الصلاة والسلام، مدعيا أنه تلقى العلوم منه مباشرة عن طريق اتصال الروح بالروح كما أنه استشاره ببعض الأمور التى يصعب فهمها فهما صحيحا (٢) .

هكذا أصبحت تلك المزارات أمكنة للعبادة والسجود وطلب المدد والإغاثة ، هناك بعض المتصوفة المتطرفين المنحليين يفضلون تلك المقابر على المساجد ، فنجدها مليئة بالرواد ولكن حاضري المساجد قليلون ، فأى ضلال بعد هذا .

(١) شاه ولي الله : القول الجميل ص ٤٩ ، وهمعات ص ٢٦ .

(٢) للقراءة كتاب للشاه عبد العزيز الدهلوى : " فيوض الحرمين " أصل الكتاب بالفارسية

نقله إلى العربية بعض علماء الهند ، مطبعة عزيز ، دلهى .

المبحث الثاني

فـ

السماع والغناء

يعتبر الشعب البنغالي من عشاق الصوت الجميل من الأغاني والطبول والمزامير، فأصبحت هذه من طابعهم كجزء من الحياة اليومية، كما قال أحد الأدباء المعاصرين: فمن قرأ الأدب البنغالي - القصص أو الشعر البنغالي الرقيق من الأصل - أحس في قلبه اهتزازاً عنيفاً، وترنحاً كأرجوحة ومن سمع الشعر البنغالي بغناء حلو لم يملك على نفسه (١) فالمتصوفة في البنغال كانوا يجذبون قلوب الناس بتلك النغمات، تلك وسيلة من الوسائل التي يستعملونها في جذبهم نحو الصوفية، وأهل التصوف من الطريقة الجشتية والسهروردية وكذلك الصوفية الباولية يحبون السماع والأغاني عند العبادات ويهتمون بترويجها بين الناس، ومعظم الأبيات التي يرددونها أثناء السماع تتعلق بالحب والعشق بحيث أنهم يحبون الغناء في تصور الذات وفي حالة السكر والوجد وتتردد تلك الأبيات والأشعار التي نظمت معظمها باللغة الفارسية، كالشاعر الصوفي لالن شاه (٢) والشاعر حسون راجا (٣)

(١) الأديب سلطان ذوق الندوى: العلاقة بين اللغة العربية والبنغالية، مقالة كتبها في

الصحيفة السعودية " المدينة " ٨/مارس/١٩٩٤ م .

(٢) شاعر معروف في مقاطعة راحشاهي، له كتب عديدة، كلها منظومة بالحب والغناء.

(٣) شاعر معروف كان ملكاً هندوسياً، ثم تصوف متأثراً بالرياضة الروحية التي كان يمارسها الصوفية في عصره في مدينة سلهيت، ولا تزال أغانيهم تتردد في الحفلات الدينية والإذاعات والتلفزيون في كل المناسبات .

والشاعر جلال الدين رومى صاحب " المثنوى " وكتاب " بندگانامه " رسائل نصحية لفريد الدين عطار ، و " جلستان وبوستان " للشيخ سعدى وغيرها من الكتب المنظومة والمنثورة التى تتعلق بالتصوف ، فإنك لو قمت بزيارة المناطق البنغالية من المدن والأرياف ، وحضرت فى المزارات ومقابر الأولياء والصالحين ، تستطيع أن تستمع لتلك الأغاني والرقص ، وترى فيها كيف تهتز مشاعر الحضور وكيف يطرأ عليهم الوجد والسكر رجالاً ونساءً ، ثم يلقون أنفسهم على الأرض هامدين جاثمين ، فاقدى الوعي وهذا القرار والسكون الذى كانوا يطلبونه ويريدون حصوله ، يجدونه فى ممارسة لمثل هذه العمليات ، والله سبحانه وتعالى يقول فى محكم كتابه : ﴿ لَا يَذْكُرُ اللَّهَ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (١) أضف إلى ذلك هناك مواسم ومناسبات تقام فيها الحفلات والعرس ومجالس المولود والذكر ، يجعلون فيها السماع والغناء والرقص، زينة لها وبواعث الخير والسعادة، ويراعون لها الآداب (٢) التى وضعها المتصوفة .

يقول السهروردي : " فموضع الفهم محل المحادثة والمكالمة وهو سماع

(١) سورة الرعد ٢٨ .

(٢) كآبى حامد الغزالي الذى يستبجح الغناء والسماع ووضع الآداب له مثل مراعاة الزمان

والمكان والإخوان ، حضور القلب ، الالتفات إلى الجوانب وغير ذلك . للتفصيل : راجع :

د/ زكى مبارك : الأخلاق للغزالي ص ١٨٧ ، دار الكتاب العربى بمصر .

وقلب ، وموضع المشاهدة بصر القلب ، وللمسمع حكمة وفائدة " ثم يقول : " لأن الفهم مورد الإلهام والسماع ، والإلهام والسماع يستدعيان وعاءً وجودياً (١) .

هكذا صار الناس يعبدون الله تعالى بأدوات الغناء والسماع من مجموعة لهو الحديث الذي يسببه لإعراض عن ذكر الله ، قال تعالى : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِكُ لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِطُّهَا هُزُولاً ، أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ (٢) .

وقال عامة المفسرين : إن معنى " لهو الحديث " الأغاني وما يستلزمها . وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : أما السماعات المشتعلة على الغناء والصفارات والدفوف المصلصات ، فقد اتفق أئمة الدين أنها ليست من جنس القرب والطاعات ، بل ولو لم يكن ذلك كالغناء والتصفيق باليد ، والعزب بالقضيب والرقص ونحو ذلك (٣) .

وللسماع آثار سيئة للغاية بالنسبة للقائلين به ، وتلك الآثار لا يعرفها إلا عباد الله الصالحين المخلصين كالإمام الشافعي رحمه الله إذ يقول : فإن القلب إذا تعود سماع القصائد والأبيات والتلذذ بها ، حصل له نفور

(١) السهروردي : عوارف المعارف ج ١ ص ١٥٧ ، مطبعة السعادة .

(٢) سورة لقمان ٦ .

(٣) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١١ ص ٥٣١ .

عن سماع القرآن والآيات ، فيستغنى بسماع الشيطان عن سماع القرآن (١) .

فالنبي (ﷺ) والصحابة والتابعون وتابعوهم من السلف الصالحين رضوان الله عليهم أجمعين، يحبون تلاوة القرآن ويتلذذون بها ، وهم بذلك يشعرون بها السكون والاطمئنان ، قال تعالى ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ الرَّسُولَ تَوَّاهُمْ أَعْيُنُهُمْ تَفِيضٌ مِّنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِّنَ الْحَقِّ﴾ (٢) .

(١) ابن تيمية : مجموع الفتاوى ٥٣٢/١١ .

(٢) سورة المائدة آية ٨٣ .

المبحث الثالث

في

خرق العادات أو ما يسمى بالكرامات

كانت منطقة البنغال قبل قدوم الصوفية والفاطحين لها من المسلمين تحت نفوذ السحرة والكهان والمنجمين من الهندوس ، وهؤلاء بممارسة هذه المهنة الخبيثة، يحاولون السيطرة على عقول المواطنين وبسط نفوذهم عليهم فظلت تلك الممارسات أمراً شائعاً في كافة المناطق ، وفي القرن الثالث عشر الميلادي ومابعده توافدت جماعة الصوفية من الشمال إلى البنغال ، وقد سبق أن هؤلاء قد شاهدوا تلك الخوارق للعادات في بلدانهم الفارسية وفي الأماكن التي تكثر فيها " الكرامات " فلما وصلوا إليها أجازوا تلك العمليات وقبلوها مما وجدوا من الهندوس وجعلوها وسيلة من وسائل نشرهم الصوفية في المنطقة ، ورأوا في اختيار خرق العادات أو ما يسمى " بالكرامات " مصالح كبرى لجذب المواطنين إلى الإسلام وتقريبهم له حسب مزاعمهم ، لكن نجد كثيراً من صوفية القوم جعلوها هدفاً أصلياً ، حيث إن مئات الألوف من الناس يتقربون إليهم ويلتفون حولهم متأثرين بها ، وقد ذكرنا نموذجاً من ذلك في التمهيد عند حديثنا عن خدمات العلماء في نشر الإسلام ، ومدى تأثير الناس بهم ، سواء كانت تلك الكرامات صحيحة في الواقع أم أنها أسطورة أو خيال محض ، إننا نتأكد أنها مازالت المسيطرة على العقول ومازال الناس

يذكرونها عند قراءة الكتب التاريخية المتعلقة بها ، ويظنون أن هذه الكرامات يجب تصديقها وأن الإيمان بها باعث لنيل السعادة والثواب، وفي إنكارها أو عدم الإعتناء بها ما يسبب نزول البلاء والمصائب ويستدعي غضب الله وسخطه ، كما يزعمون أن الأولياء الميتين هم أحياء في قبورهم وذو سلطات في تصرف شئون الناس من نزول العذاب وإيصال الضرر والنقصان كظنونهم في شأن الأولياء الذين مازالوا على قيد الحياة، حتى قالوا: إن من ليس عنده كرامة وخرق للعادات فلا يستحق أن يكون ولياً مهما يصل عمله ، ومن عنده كرامه ثابتة فيما بين الناس فهو ولي ولو كان تاركاً للصلاة والصوم ومخالفاً للشرعية ، ومن الغريب أن هناك بعض مختلى العقل من المجانين يمشون على الطرق والشوارع وهم عراة تماماً كما ولدوا من بطون أمهاتهم ، يتبرزون ويبولون يأكلون ويشربون أمام أعين الناس ، طويل الأشعار واللحي والشوارب، تفوح منهم رائحة كريهة، يعتبرونهم أولياء وأصحاب كرامة .

فكثير من الناس رجالاً ونساءً يتقربون إليهم ويجلسون حولهم ، ويقدمون لهم المأكولات والمشروبات ويقومون إحتراماً لهم عندما يمشون أو يقفون ، بزعمهم أن هؤلاء قد طرأت عليهم الحال ، نتيجة إنشغالهم في الحب العميق لله تعالى ، فإهانته إهانة لله وإكرامهم إكرام لله ، فمن أكل الضرب أو اللطمة من أيديهم يعتبرونه سعيداً تناله السعادة .

ويحكى أنه كان عالماً معروفاً في الستينات ، شاهد مجنونا عاريا يمشى على إحدى الطرق ، فنزل من المركب ووقف إحتراما له إلى أن غاب عن نظره ، فإذا كان هذا موقف عالم من مثل هؤلاء المجانين فكيف بموقف العوام من المسلمين منهم ؟ وهكذا أصبح الجهلة والدجالة هم المسيطرون على عقول المسلمين .

و الكرامة والخارقة للعادة التي ربما تظهر على أيدي بعض الأولياء قد لا تكون دليلا على مصداقية الولاية ، وقد تكون شعوذة أو شطحات كاذبة أو فتنة شيطانية كما عبر عنها العلامة ابن الجوزي في كتابه " تلبيس إبليس " (١) فالكرامة قد تكون صحيحة إذا كانت تظهر على أيدي رجال صالحين متقين ومتبعين للكتاب والسنة ممن هم على عقيدة السلف ومنهجهم السليم .

ومن المؤسف أن كثيرا من العامة لهم ولع وإيمان بالخوارق التي يظنونها كرامات وقد تكون حيلة ، وقد تكون إمدادا من الشياطين ليتمادوا في ضلالهم وغيهم كما رأينا سابقا ، فإذا وجدوا شيئا منها من مشيختهم دهشوا وآمنوبهم واستسلموا لهم وأطاعوا أوامرهم مهما كانت مخالفة للشريعة ومهما كان هؤلاء تاركين للصلاة ومرتكبين للموبقات وما أحسن ما قاله الإمام الشافعي رحمه الله :

" إذا رايت أحدا سار على الماء أو طار في السماء فلا تغتر به حتى تزن عمله بميزان الكتاب والسنة " (٢)

وقال الشاطبي : " طلب الكرامات ليس عليه دليل ، بل الدليل خلاف ذلك فإن ما غيب عن الإنسان ولا هو من التكليف لا يطالب به " (٣) .

(١) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ص ٣٨٠
(٢) تبيين الصغائر
(٣) الإمام الشاطبي : الموافقات ٢/٢٨٣

المبحث الرابع

فـ

تشويه صورة الإسلام

إن الكرامات وخرق العادات التي تتجلى بأيدي صوفية البنغال عبر القرون ، والتي شوهت صورة الإسلام ، ونتج عنها البدع والخرافات و بعض الشراكيات ، لها أسباب وعوامل منها :

أ - قبول الإسلام كمذهب جديد في أراضيهم : على أيدي متصوفة وافدة من بلاد الترك والفراس وبخارى وغير ذلك من المدن الفارسية ، والتي تأثرت بالحضارة الفارسية ، وهؤلاء المواطنون لم يتأثروا بمحاسن الإسلام وتعاليمه ، وإنما تأثروا بسلوك الصوفية والوعاظ وما ظهر على أيديهم من بعض خرق العادات ، وبما أنهم لم يتعرفوا على الإسلام بصورته الحقيقية ، لذا بقى فيهم بعض خرق العادات التي كانوا عليها قبل الإسلام ، وبعد دخولهم في الإسلام صارت تلك العادات كما هي تُعرَّف بالبدع والشراكيات ، ولم يَقم أحد باقتلاعها وتطهير نفوسهم منها ، وهكذا ظلت تلك العادات في المجتمع كجزء من أجزاء الإسلام .

ب - أثر العادات الهندوكية المحيطة بالمسلمين هناك : ولقد عاش المسلمون بعد قبولهم للإسلام في مجتمع يحيط بهم أمة الهندوس بما فيها من العادات والتقاليد والطقوس الهندوكية ، ولم يوفق المسلمون لاجتناب

المؤثرات الهندوكية ، فأثرت فيهم تلك العادات الهندوكية فنرى بعض المسلمين سواء كانوا مقيمين أو وافدين إلى المنطقة ، قد أقاموا العلاقات الزوجية مع العائلات الهندوكية وتقبلوا تلك الطقوس التي توجد في الديانة الهندوكية في حفلات الزواج وفي العبادات الهندوكية وغير ذلك ، وإن الذين تأثروا نتيجة من ذلك الإختلاط بشكل عام هم المسلمون وحدهم ، بينما الهندوس يعتبرون أنفسهم من المحافظين على ديانتهم دون تأثر من البيئة والمجتمع المناهض لهم ، والمسلمون الجدد وإن كانوا قد دخلوا في الإسلام إلا أنهم قد حرموا من الدعوة الإسلامية الصحيحة ، والمعرفة عن الإسلام الصحيحة ، فبقوا على العادات الهندوكية .

وهذه البدع والخرافات التي نراها اليوم في الأراضي البنغالية بل و في شبه القارة الهندية ، قد تمكنت فيهم وذابت في دماهم بحيث إنه لو قام أحد اليوم بإصلاح هؤلاء ، فإنه يعرض نفسه للهلاك .

الحاج
واصبح العمل في الدفاع عن الإسلام أمراً شاقاً قد يعود بالضرر على

صاحبه .

المبحث الخامس

فـ

البطالة والكسل عن العمل والانحلال الخلقة

فـ المجتمع

كان أوائل الصوفية أصحاب مجاهدات وعبادات ، صادقين مع أنفسهم وإن كانت بعض أعمالهم فيها تعمق وتشدد ومخالفة للسنة كصوم الوصال وقد ورد فعله عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، وكالصلاة على السطح في الليلة الباردة ووردت من صفوان بن سليم ، لئلا يجيئه النوم ، وكالجهد النفسى فى الصوم والصلاة والعبادات كما روى عن أسود بن يزيد بن قيس ، حتى يصفر وجهه منها (١) ثم ظهر بعد ذلك أجيال بنوا التكايا والزوايا وهى فى الحقيقة دكاكين البطالة إن صح التعبير عنها ، مستريحين من كد المعاش ، متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص ، يطلبون الدنيا من كل ظالم ، مع أن بناء الزوايا والخوانق ولو للتعبد والحياة العزل، بعيدة عن المجتمع والمتاهات، هذه الأمور بدعة أحدثها الصوفية، فأصبحت هذه شائعة فى أنحاء المنطقة البنغالية، وجعلت مجموعة كبيرة من الناس متعطلة عن العمل

(١) محمد العبدى وطارق عبد الحليم : الصوفية نشأتها وتطورها من ١٦ - ١٧ .

وعن المشاركة فى الخدمات العامة وقد ترك الزواج أفرادها من أجل التزامهم بالزوايا والتكيا ومتابعتهم لأعمال شاقة ومعظمهم هجروا الأسر والعائلات ، وابتعدوا عن كسب المعاش ، طائنين أنهم متوكلون على الله ، وأنهم يرزقون بدون كد وجهد ، والحقيقة أن هؤلاء ليسوا متوكلين بل هم متواكلون ، قد عطلوا أعضاء الجسم عن العمل والحركة والنشاط وينتظرون من يقدم لهم الأرزاق والملابس •

كان الأوائل من الصوفية يمتنعون عن الزواج تشدداً وتعمقاً ، ثم تطور الأمر بالمتأخرين منهم إلى مؤاخاة النساء ، واعطاء الطريقة للمريدين وحفلات الذكر المختلطة وإقامة الأعراس عند القبور مما يشعر بدنوهم من مذهب الإباحية عند الباطنية •

وفى المناطق البنغالية عدد كبير من الأبنية والقصور الخيرية ، قديمة وحديثة ، والزوايا الصوفية والمقابر والمساكن المجانية قد أنشئت لتلك الأغراض ، يسكن فيها مئات الألوف من الرواد وعشاق التصوف ومشائخ الصوفية ، يقدم لهم الطعام والشراب مجاناً ، وأكبر مراكز الصوفية اليوم فى بنغلاديش توجد فى " أت روشي " وضريح بايزيد " وشاه جلال " و " خورم بور " حيث توقد فيها النار ويطبخ الطعام على مدى الأربع وعشرين

ساعة ثم يوزع بين هؤلاء النزلاء ، ويسمون الطعام " شيرنى " وهى كلمة مصطلحة عند المواطنين تعنى الطعام الذى تحمل البركة ، ويستشفى به من الأمراض وتدفع منه البلايا والمصائب، كما تذبح فيها كل يوم الأبقار والجواميس والأغنام ، ويصرف لهم الأطنان من الأرز والدقيق ، كل ذلك يقدمها الناس باسم أصحاب القبور وما يسمونهم بالأولياء والمشائخ .

والإسلام يأبى البطالة و القعود عن العمل لكسب الرزق الحلال ، وبالتالي فإن التواكل طلب الرزق دون الكد للعيش وهذا مرفوض ، فالزهد ترك مافى أيدي الناس والإستغناء عنه ، وليس الزهد الحصول على مافى أيدي الناس تنطعاً ، وقد قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الطَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، وَادْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ فَأَمْشُوا فِي مَنَاكِبِكُمْ وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُور ﴾ (٢) .

وآيات كثيرة تدل على العمل وبذل الجهد والسير فى الأرض لطلب الرزق الحلال وكسب المال الحلال .

وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن السؤال ومد اليد للرزق بل هو أمرنا بالاكْتِسَاب والعمل باليد فقال النبى (ﷺ) :

« لَأَنْ تُحْتَزِمَ أَحَدُكُمْ حِزْمَةً مِنْ حَطَبٍ عَلَى ظَهْرِهِ ، فَيَبِيعَهَا خَيْرٌ مِنْ أَنْ

(١) سورة الجمعة ١٠ .

(٢) سورة الملك ١٥ .

يسأل رجلاً فيعطيه أمر يمنعه)) (١) •

وقال (عليه السلام) : ((اليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى)) (٢) •

فعرفنا من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية أن الإسلام ضد البطالة ، والجمود والتقاعس ، بل إنه يحث على العمل في شتى الميادين وعلى طلب الرزق الحلال ، ولكن رجال الصوفية لما ركنوا إلى العزلة والتزموا الزوايا، وجعلوها بمكانة المسجد والعبادة ، صار معظم الناس منشغلاً عن أصل الدين وعن عمارة الأرض ، وقد كلف الله عباده القيام بعمارة الأرض وإصلاح أحوال الناس •

(١) رواه النسائي ٩٣/٣ ، باب الزكاة •

(٢) رواه النسائي ٦٠/٣ •

الفصل الثاني

فـ

أثر التصوف في البدع والخرافات وأسبابها

ويشتمل على مبحثين

المبحث الأول : البدعة ومعناها لغة واصطلاحاً
أسباب البدع ،

المبحث الثاني : إتياع المتشابهة

: إتياع الموهـوـ

: التقليد الأعـمـ

xxxxxxxxxx

xxx

الفصل الثاني

أثر التصوف في البدع والخرافات

ما زال المسلمون في خير وسعادة ماداموا متمسكين بالكتاب والسنة وملتزمين بطاعة الله وإتباع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ، وهم قائمون على الخط السليم وعلى منهج الدين الحنيف ، ولكنهم وقعوا في الهلاك لما انحرفوا عن مبادئ الإسلام وابتعدوا عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة واتخذوا لأنفسهم طريق الكفر والضلال .

والحقيقة أن المجتمع عندما يصل إلى هذا الحد من الضعف والانحطاط ومن البؤس والشقاء، يبحث عن السعادة في مكان آخر غير الدين الإسلامي ، وعند أقوام آخرين مناوئين لأهل الإسلام والإيمان ، ويلجأون إليه ، وإن محاسن الإسلام وشريعته التي أعطاها الله له، لم يكدرها بسبب فقدانه البصر والبصيرة وتأثره بالدعوات الكاذبة والباطلة ، ومن هنا ظهرت البدع والعادات الجاهلية في الأمة الإسلامية ملمعة معسولة ، وسرعان ما أقبلت إليها ووقعت في مصيبتها ، بحيث لاتجد منفذاً للخلاص منها ، فكيف تجد طريقاً لها إن عميت وفقدت بصيرتها .

هذا هو الوضع الراهن للأمة الإسلامية في العالم ، فالبدع والخرافات التي جاء بها المتصوفة في العالم الإسلامي، أصبحت اليوم مهيمنة على الأفراد والمجتمع وأحاطت العالم الإسلامي مثل سحاب الظلام الحالك

لا يوجد الأمل للشعاع ولا النور الذى ينير لهم الطريق المستقيم ، وقبل أن نخوض فى صلب الموضوع نود أن نتحدث عن العبادة فى الإسلام ومشروعيتها ، وعن العبادة البدعية التى يتخذها المتصوفون •
هناك نوعان من العبادة : الشرعية ، والبدعية :

فالعبادة الشرعية هى : التى منزلة من عند الله بوحيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيفية أدائها وفق الوحي والسنة المطهرة ، فهذه الشريعة هى المطلوبة لكل المكلفين ، وعليها يترتب الثواب والعقاب وأما مادونها فهو العبادة البدعية التى هى مخالفة للكتاب والسنة ومتابعة للهوى •
قال الله تعالى : ﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ تَمَّ جَهَنَّمَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبَعْنَاهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الدِّينِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢) •
وهنا ينطبق معنى العبادة مع دلالة اللفظ اللغوية ، فالعبادة هى التعبد وهو التذلل و الخضوع والطاعة •

ويرى العلامة أبو الأعلى المودودى استناداً إلى الإستعمال اللغوى لمادة ع - ب - د : أن مفهوم العبادة الأساسى أن يذعن المرء لعلو أحد وغلبته ثم ينزل له عن حرите واستقلاله ، ويترك إزاءه كل مقاومة وعصيان وينقاد له انقياداً وهذه هى حقيقة العبودية والعبودية ومن ذلك

(١) الزخرف : ٢٤ •
(٢) الجاثية : ١٨ •

إن أول ما يتمثل في ذهن العربي لمجرد سماع كلمة العبد والعبادة ، هو تصور العبد والعبودية ، وبما أن وظيفة العبد الحقيقية هي طاعة سيده وأمثاله أو امره ، فحتماً يتبعه تصور الطاعة ، ثم إذا كان العبد لم يقف به الأمر على أن يكون قد أسلم نفسه لسيده اطاعه وتذلاً ، بل كان مع ذلك يعتقد بعلائه ويعترف بعلو شأنه ، وكان قلبه مفعماً بعواطف الشكر والامتنان على نعمه وأياده ، فإنه يبالغ في تمجيده وتعظيمه ، ويتفنن في إبداء الشكر على آلائه (١) .

والعبادة الشرعية عند شيخ الإسلام ابن تيمية : أن تكون خاضعة لله تعالى مع غاية الحب له ، فهو ينظر إلى العبادة نظرة أعمق وأوسع ، فهو يحل معناها إلى عناصره البسيطة فيبرز إلى جوار المعنى الأصلي في اللغة - وهو غاية الطاعة والخضوع - عنصراً جديداً له أهمية كبرى في الإسلام وفي كل الأديان ، عنصراً لا تتحقق العبادة كما أمر الله إلا به ، وذلك هو عنصر الحب ، فبغير هذا العنصر العاطفي والوجداني لا توجد العبادة التي خلق الله لها الخلق ، ويعيش بها الرسل وأنزل الكتب (٢) .

وهناك نوع آخر من الأمور التي يسميها الصوفية بالعبادة ، هي

(١) المودودي : المصطلحات الأربعة في القرآن : ص ٩٧ دار الكتاب العلمي مصر

١٩٧٣ م .

(٢) للتفصيل : راجع ابن تيمية : العبودية ص ٣٨ .

خارجة عن دائرة الشريعة ومخالفة لما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم ابتدعوها من عند أنفسهم وفق أهوائهم ، وهى عبارة عن القيام ببعض الأعمال والطقوس وأدائها وقد حصلوا عليها من المشاهدات والتجارب الروحية ، وجعلوها فوق العبادات الشرعية ، والتي تؤدى إلى إسقاط التكاليف ، ووضع الفرائض المكتوبات فى مرتبة ثانية مثل الذكر بأساليبهم الخاصة التى ذكرناها فى بيان الطرق الصوفية ، والأوراد المختلفة ، وما يسمونه من ختام ، مثل ختم الشفاء ، ختم خواجكان ، ختم يونس ، وشد الرحال إلى المزارات ، واستجابة الدعوات بواسطة المشايخ وغيرها التى أصبحت الآن هى أداة العبادة ، فهذا إنحراف جلى عن دائرة المنهج الدينى ، ومما يهتم به الصوفية فى مجال العبادات هو بعض أعمال القلوب التى لم تنتقل عن الصحابة والتابعين ، وهذه الأعمال فى نظرهم فوق الأعمال التى تتعلق بالجوارح ، وهذا من نتائج فصل الشريعة عن الحقيقة ، والإعراض عن العلوم الفقهية ، لأن هذا اللون من الأداء الصوفى ، يمارس على أنه عبادة أو ما يسميه البعض لوناً من ألوان الفنون •

فمن السهل على العامة الجاهلة أن تعتنق عقائد وتنتمى لجماعات لا تكلفها من أعباء الإيمان والإنضواء تحت لواء الجماعة إلا هذا العبث ، وهذا هو البلاء (١) •

(١) د/صابر طعيمه : الصوفية معتقداً ومسلماً ص ٢٩٠ •

إن التوحيد أساس هذا الدين ، فهو أول دعوة الرسل ، وأول منازل الطريقة وأول مقام يقوم فيه السالك إلى الله تعالى ، وأول واجب على المكلف : شهادة أن لا إله إلا الله ، وعليه تترتب الأمور الشرعية من العبادات والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمعاملات والسلوكيات وغير ذلك ، فإله سبحانه وتعالى واحد لا شريك له ، المستحق لسائر العبادات ، المنزه عن العيوب والنقائص ، هو الرب والخالق والعليم والقادر والمحي والمميت ، واحد في الذات والصفات ، وتحقيق الإيمان ونيل السعادة في الدارين هو ممن تمسك بعقيدة التوحيد ، وقد ثبت من الكتاب والسنة وإجماع الأمة .

رغم ثبوت هذه العقيدة وجلاء حقائقها بكل وضوح لدى الجميع ، فإن في المجتمع البنغالي المسلم بعض الأمور الشركية والبدع والخرافات التي تناقض الدين والإيمان ، فكثير من المسلمين ، رغم إقرارهم بربوبية الله تعالى ، وتصديقهم بها ، لا يؤمنون بألوهيته إيماناً كاملاً ، إذ يتقربون لبعض الرجال من أولياء الله تعالى يبتغون عندهم الزلفى ، فيستغيثون بهم ، ويطلبون منهم الشفاعة والتوسل ، كما يقولون : لأن هؤلاء يملكون النفع والضرر ، وتستجاب دعواتهم وبزعمهم أنهم أحياء في قبورهم ، كحياة الأنبياء ، ولا يطرأ عليهم الموت إلا لثوان ولحظات ، كخطف البصر ، ثم ترجع إليهم أرواحهم ، ويحيون حياة دنيوية مع الأبدان يسمعون ويجيبون ، يقومون

ويجلسون، ينامون ويستيقظون (١) وهم بهذه العقيدة يقدسون قبور هؤلاء كقداسة بيوت الله ، إذ يعتكفون حولها، ويسجدون لها وينفقون لها أموالا باهظة ويقدمون لها الذبائح ، ويقومون بالاحتفالات السنوية التي يسمونها " العرس " وغير ذلك من الطقوس الدينية التي أخذوها من الهندوسية والبوذية ، ثم جعلوها من الإسلام ، أصبحوا يعتقدون أن مثل هذه الأعمال ما هي إلا وسائل للتقرب إلى الله والحصول على رضوانه وجناته ، فصارت القبور والمزارات ، مساجد ومعابد فوقنا بالذي منعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم منه بقوله : ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإنا أنهاكم عن ذلك)) (٢) ويشدون الرحال ، قاصدين لها مهما بعدت المسافات ، وكثرت الأشواط ، كرحلتهم إلى بغداد لزيارة قبر عبدالقادر الجيلاني ، وإلى أزمير في الهند لزيارة قبر معين الدين خشتي ، ونظام الدين الذي يسمى رئيس الأولياء وأمثالها العديد من المزارات المتناثرة في أرض بنغلاديش ، لا يمكن إحصاؤها على وجه التحديد ، والتي أصبحت اليوم أوكارا للبدع والخرافات والشركيات (٣) .

(١) إحسان إلهي ظهير : البريلوية عقائد وتاريخ ص ٢٢١ ادراج ترجمان السنة لاهور ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن جندب بن عبدالله البجلي .

(٣) مثل تجصيص القبور ، وبناء القباب عليها ، وتعليق الكسوة الخضراء عليها وإيدالها كل

سنة ، وتنويرها بالشموع وتحنيطها بالبخور والعطور ، وتقديم الهدايا لها من ذبح ===

وسنعمل قريباً بقدر الإمكان على إحصائها بإذن الله تعالى .
وقد دحض الإسلام هذه الخرافات وحذر الأمة منها ، فقد ورد في
الموضوع آيات قرآنية وأحاديث نبوية ، منها : قول الله عز وجل : ﴿ وَمَنْ
أَظْلَمُ مِمَّنْ يَتَعَفَّى مِنْ كُفْرِهِ ثُمَّ إِذَا دُخِلَ فِي السَّاعَةِ قَالَ لِصَاحِبِهِ مَا
كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْوَعْدِ أَفْعِلْ أَمْ تُلْهِى الْأَعْيُنُ عَنْ رِجَالِهِ يُؤْخَذُ الَّذِينَ
كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴾ (١) .

وقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴾ (٢) .
قال العلامة ابن كثير في تفسير هذه الآية الكريمة : يقول الله تعالى
أمراً عباده أن يوحده في مجال عبادته ، ولا يدعى معه أحد ولا يشرك به .
وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ ﴾ (٣) .
فقد ذكر في أحد التفاسير : " أى إن فعلت ذلك الذى دعوك إليه ،
وخطاب النبي صلى الله عليه وسلم بهذا مع كونه منزهاً عنه ومعصوماً منه

==== الأبقار والأغنام والدجاج والأرز والغلل الأخرى ، والاحتفال " بالقوالى " أى الأناشيد
بالطبول والمزامير ، وحشد الرجال والنساء فيه ، والرقص فيما بينهما ، ورفع الأعلام الخضراء
والحمراء على سطوحها ، والطواف حول القبور مثل طواف بيت الله فى الحرم المكى وغير ذلك
من الشراكيات ، وليس من الغريب أن فى المنطقة كثير من المزارات يحتفلون بها العرس السنوى
رسمياً يشترك فيها كبار الموظفين فى الدولة ، و الناس يستوردون الإبل والأبقار وغيرها من
البلدان الخارجية ويتبركون من ألبانها وأبوالها .

(١) سورة الأحقاف ٥ .

(٢) سورة الجن ١٨ .

(٣) سورة الشعراء ٢١٣ .

لحث العباد على التوجه ، ونهيه عن شوائب الشرك ، وكأنه قال : أنت
أكرم الخلق وأزهدهم عندي ، ولو اتخذت معي إلهاً لعذبتك ، فكيف بغيرك
من العباد " (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ، فَإِنْ فَعَلْتَ
فَأِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴾ (٢) .

وقال أيضاً : ﴿ هُوَ الْحَكُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعْهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الْكُفْرَ الْحَمَقُ
لِلَّهِ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣) .

فهذه الآيات توضح لنا أن توقير الأولياء الذين ماتوا وتعظيم قبورهم
واللجوء إليهم والدعاء عندهم وطلب الحاجات منهم شرك ، فكل مسلم يؤمن
بالله وحده لا شريك له يجب الامتناع من هذه الأمور ومن شوائبها .

وهناك أحاديث كثيرة تدل على تحريم رفع القبور وتعظيم الأموات ، فقد
روى عن ابن عباس رضى الله عنهما فى تفسير قوله تعالى فى قصة نوح
عليه السلام : ﴿ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنَكَ وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالَهُ وَوَلَّكُهُ
إِلَّا خَسَارًا ۝ إِلَى قَوْلِهِ : وَيَعْبُوهُ وَيَسْتَرْأَوْنَ ﴾ (٤) .

(١) صديق حسن خان فنوجى : تفسير فتح البيان فى قصص القرآن ج ٦ ص ١٧١ طبع جديد

١٩٦٥م ، القاهرة .

(٢) سورة يونس ١٠٥ .

(٣) سورة الغافر ٦٥ .

(٤) سورة نوح ٢١ - ٢٣ .

يقول ابن عباس رضى اله عنه : إنهم كانوا قوماً صالحين من بنى آدم ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا ، قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة ، إذا ذكرناهم ، فصوروهم ، فلما ماتوا ، وجاء آخرون ، دب إليهم إبليس ، فقال إنما كانوا يعبدونهم وهم يسقون المطر ، فعبدوهم ثم عبدتهم العرب بعد ذلك (١) .

ومن المعلوم أن رفع القبور وتوقير أصحابها يؤدى بالناس إلى الشرك بالله وإلى الخرافات التى تخرجهم عن دائرة الإسلام ، لذلك فقد حرم الله تعالى هذه الأعمال الخرافية .

ففى صحيح مسلم عن جندب بن عبدالله البجلي (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) قبل أن يموت يقول : ((ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد ، فإنا أنها كمر عن ذلك)) (٢) .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله (ﷺ) : ((لعنة الله على اليهود والنصارى فقد اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))

(١) راجع صحيح الإمام البخارى ٤٣٨١ فى الصلاة ، أيضاً فى الجنائز ، باب هجرة الحبشة وفى مسلم رقم ٥٢٨ ، فى المساجد ، باب النهى عن بناء المساجد على القبور والنسائى ٤١/٢ ، ٤٢ فى المساجد باب اتخاذ القبور مساجد .

(٢) صحيح الإمام مسلم رقم ٥٣٢ ، باب النهى عن بناء المساجد على القبور .

محذر ماصنعوا)) (١) وعن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : ((من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد)) (٢) .

وهذه صورة من صور البدع والشركيات التي أصابت الأمة خاصة تلك المنطقة ، وللإطلاع على جميع أشكال البدع الموجودة فيها علينا أن ندرس معنى كلمة البدعة ومفهومها في الشرع الإسلامي ومهلكاتها ، حتى يتضح لنا بشكل واضح موقف الإسلام منها ، ومن ثم نستطيع اتخاذ الوسائل الكفيلة ضدها .

(١) رواد البخاري : ٢٠٣/٢ في الجنائز ، باب ما جاء في قبر النبي صلى الله عليه وسلم .

(٢) رواد أحمد في مسنده ١٩٥/١ ، ٤٥٤ .

المبحث الأول

فد

البدعة ومعناها لغة وإصطلاحاً

فالبدعة لغة : من مصدر " بدع " وفي معجم مقاييس اللغة تقول:
يبتدع فلان الركي ، إذا استتبطه ، أى ابتداء الشئ وصنعه لاعن مثال (١) .
أو بمعنى آخر: إحداث شئ لم يكن له من قبل خلق ولا ذكروا معرفة .
وفى الصحاح : أبدعت الشئ اخترعته لاعلى مثال ، والله بديع
السموات والأرض .

والبدعة : الحدث فى الدين بعد الإكمال (٢) .

كما جاء فى القرآن الكريم ﴿ قُلْ مَا كُنْتُ بِكُمَا مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَطْرُقَ مَا يَنْفَعُكُمُ
بِدْ ﴾ (٣) أى ماكنت أول من أرسل، وكما ورد فيه ﴿ وَهَبْنَانِيَّةً ابْتَدَعْنَاهَا ﴾ (٤)
فالخلاصة أن كلمة البدعة تدور حول معنى الإحداث والإختراع والخروج
على حد القانون والمعانى .

وفى الإصطلاح : البدعة طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية

(١) ابن الفارس : مقاييس اللغة ٢٠٩/١ .

(٢) الجوهري : الصحاح ٨٣/٣ ، ١١٨٤ .

(٣) الأحقاف : ٩ .

(٤) الحديد : ١٢ .

يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى أو العمل بالذى لادليل عليه في الشرع .

هذا على رأى من لايدخل العادات فى معنى البدعة ، وإنما يخصها بالعبادات ، وأما على رأى من أدخل الأعمال العادية فى معنى البدعة فيقول: " البدعة طريقة فى الدين مخترعة تضاهى الشرعية ، يقصد بالسلوك عليها مايقصد بالطريقة الشرعية (١) .

ويتجلى من معانى البدعة لغة وإصطلاحاً أن البدعة هى إختراع شئ لاسابق لها ولا مثيل ، وفى الاصطلاح إدخال شئ فى الدين بعد أن أكمله الله تعالى بوحي منزل على رسوله الكريم محمد صلى الله عليه وسلم فهو بدعة بقوله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ۚ ﴾ (٢) ولم يترك فيه شئ يحتاج إلى التكميل أو التغيير ، فهو دين كامل متكامل إلى أن تقوم الساعة .

فالناس مأمورون فى إطاعة هذا الدين فى كل حال من الأحوال وفى كل زمان من الأزمنة ، فالله سبحانه وتعالى قد أكمل الدين ليبقى إلى أن تقوم الساعة، وأكمله ببعثة الهادى الأمين محمدرسول(ﷺ) وأذن ببقاء نبوته إلى أن تقوم الساعة ، فالذين يستحدثون فى الدين ، ويتبعون

(١) راجع للتفصيل : على محفوظ : الإبداع فى مضار الابتداع : ص ٢٦ ، المكتبة العلمية

بالمدينة المنورة ط ٥ / ١٣٩١هـ

(٢) سورة المائدة ٣ .

البدع إيمانهم بالدين الإسلامى ناقص ، بل قد يكون فى بدعهم ما هو خروج على الملة الإسلامية ، ولذلك كان الرسول (ﷺ) يحذر الناس من البدعة واستحداث الأمور فى الشريعة ، وهذا نوع من الغلو فى الدين ، لذلك بعض العلماء إستحلوا دماء المبتدعين •

قال أبو قلابة " ما إبتدع رجل بدعة إلا استحل السيف (١) •
وكان أيوب السختياني يسمى أصحاب البدع خوارج ويقول:
إن الخوارج اختلفوا فى الاسم واجتمعوا على السيف (٢) •
قال شيخ الإسلام :الفرق الثانى فى الخوارج وأهل البدع : أنهم يكفرون بالذنوب والسيئات ، ويترتب على تكفيرهم بالذنوب ، استحلال دماء المسلمين وأموالهم ، وأن دار الإسلام دار الكفر، و دارهم هى دار الإيمان(٣)
ثم يقول شيخ الإسلام رحمه الله : طريقة أهل البدع يجمعون بين الجهل والظلم ، فيبتدعون بدعة مخالفة للكتاب والسنة وإجماع الصحابة ويكفرون من خالفهم فى بدعتهم (٤) •

فالشريعة الإسلامية جامعة لكل ولاية وعمل فيه صلاح الدين والدنيا ،
فهى ما جاء من الكتاب والسنة وما كان سلف الأمة فى العقائد والعبادات

-
- (١) رواه الدارمى ٤٤/١ باب اتباع السنة •
 - (٢) رواه الدارمى ج ١ ص ٤٥ ، ٤٦ •
 - (٣) إبن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١٩ ص ٨٨ •
 - (٤) إبن تيمية : مجموع الفتاوى ج ١٩ ص ٧٢ •

والسياسات والأحكام والولايات والعطيات (١) فمن خالفها واتبع سبيل غيرها ، فكأنه انسلخ من الدين الإسلامى ، والمسلمون المؤمنون بمأمورون باتباع أمر الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، قال تعالى : " مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا " (٢) ومخالفة أمرهما ، فسق وغلو فى الدين شجبه الإسلام واستكره .

وقد عالج الرسول (ﷺ) بعض مظاهر الغلو فى عصره ، وهذا عرض لبعضها :

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : ((جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبی صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادته ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا أین نحن من النبی صلى الله عليه وسلم ، فقد غفرا لله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فقال أحدهم : أما أنا فأصلى الليل أبداً ، فقال الآخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، فقال آخر : أنا أعتزل النساء ، فلا أتزوج أبداً فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكنى أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني)) (٣) .

(١) راجع نفس المرجع والمصدر ج ١٩ ص ٣٠٨ .

(٢) الحشر : آية ٧ .

(٣) رواه البخارى ٢/٧ كتاب النكاح ، مسلم ١٠٢٠/٢ كتاب النكاح .

فاستكر النبي (ﷺ) فعل أصحابه وغلوهم في العبادة وجعله خروجاً عن سنته وهديه ، ومثل ذلك أحاديث كثيرة قد زجر فيها إنشغالهم فيما لا يعينه الإسلام ، كذلك الحال في شأن البدع ، وقد ذمها الرسول (ﷺ) في أحاديث صحيحة متناً وإسناداً منها :

مارواه أنس بن مالك (رضي الله عنه) الذي ذكرناه آنفاً ، فقد جاء في آخره :
« إن لكل عمل شراً ، ثم فرة فمن كانت فطرته إلى بدعة فقد ضل ومن كانت فطرته إلى سنة فقد اهتدى » (١) .

وعن أبي هريرة الأسلمي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) :

« إنما أخشى عليكم بعد بطونكم وفروجكم ومضلات الأهواء » (٢) .

قال حذيفة (رضي الله عنه) : " يا معشر القراء ، استقيموا فقد سبقتكم سبقاً بعيداً

، ولئن أخذتم يمينا أو شمالاً لقد ضللتكم ضلالاً بعيداً " .

وعن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : عليكم بالاستقامة والأثر ، وإياكم

والتبدع (٣) ، بالإضافة هناك أحاديث كثيرة وردت في ذم البدع والابتداع .

(١) راجع مسند الإمام أحمد ٤/٤٠٩ .

(٢) رواه أحمد في مسنده ٥/٤٠٩ .

(٣) للتفصيل راجع : سعيد ناصر الغامدي ، حقيقة البدع وأحكامها ١/٧٣ ، مكتبة الرشيد

كما روى عن عائشة رضى الله عنها فى صحيح البخارى عن
النبي (ﷺ) قال : ((من أحدث فى أمرنا ما ليس منه فهو رد)) وفى رواية
لمسلم : ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) (١) .

قال الشوكانى : هذا الحديث من قواعد الدين ، لأنه يندرج تحته من
الأحكام ما لا يأتى عليه الحصر (٢) فالبدعة بأية نوع كانت مذمومة فى
الشريعة وإن قال البعض عنها بأنها تنقسم إلى حسنة وسيئة (٣) لما روى
فى الحديث الشريف قال (ﷺ) فى إحدى خطبه : ((أما بعد فإن أحسن
الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدى محمد صلى الله عليه وسلم وشر
الأمور محدثاتها ، وكل بدعة ضلالة)) (٤) فكلمة " كل بدعة ضلالة " تحتم
رفض البدع كلها بأى شكل من الأشكال .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية فى شرح هذه الكلمة من الحديث الشريف :
" لم يرد به كل عمل مبتدأ ، فإن دين الإسلام ، بل كل دين جاء به الرسل
فهو عمل مبتدأ ، وإنما أراد ما ابتدئ من الأعمال التى لم يشرعها هو
- محمد (ﷺ) - " (٥) .

-
- (١) رواه البخارى .
 - (٢) على محفوظ البدع ص ٥٠ .
 - (٣) راجع للتفصيل كتاب البدع ص ٣٧ .
 - (٤) رواه مسلم ، عن جابر بن عبد الله .
 - (٥) ابن تيمية : الفتاوى ٣١٧/١٠ .

ومما لاحظنا من تعريف البدعة في البحث نستطيع أن نلخص فيما يلي:

البدعة :

- ١ - كل معارض السنة من الأقوال أو الأفعال أو العقائد •
- ٢ - كل أمر يتقرب به إلى الله تعالى وقد نهى عنه الشرع •
- ٣ - كل أمر لا دليل عليه من الشرع مما يلحق بالعبادات أو العقائد •
- ٤ - كل عبادة أطلقها الشرع وقيدها الناس ببعض القيود كقيد الزمان أو المكان أو الهيئة •
- ٥ - كل أمر لا يمكن أن يشرع إلا بالنص و ما لا نص عليه فهذا ابتداع إلا ما كان عن صحابي •
- ٦ - مائنص على استحبابه بعض العلماء سيما المتأخرين منهم ولا دليل عليه •
- ٧ - الغلو في العبادة •

فهذه الأمور كلها تدخل في معنى البدع ، ولو تتبعنا أحوال الأمة المسلمة في العالم الإسلامي ، وخاصة بالمناطق التي وصل إليها الإسلام بعد عشرات السنين، نجد الكثير من البدع بأشكالها وأنواعها فيها ، فأصبحت هذه البدع تحدياً كبيراً يواجه مستقبل الإسلام ، فقد استطاعت البدع والخرافات اليوم في كثير من بلاد المسلمين أن تحتل مكاناً كبيراً في المجتمع •

لماذا يتبع الناس ؟

هناك عوامل كثيرة ومتعددة تدعو الناس إلى الأخذ بالبدع والسلوك بها بل إن هذه العوامل أكثر من أن تحصى وتحصر ، لأنها تتجدد وتتغير وتظهر وتخفى ، ولا تكاد تتضح إلا بدقة التحري والإمعان في البحث ، والطريق الأسلم الذي يجب على المسلمين أن يسلكوه هو اتباع الصراط المستقيم واجتناب ما سواه ، فقد قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (١) .

فعندما يتخلى المسلم عن الطريق الحق المستقيم ، ويتخذ غير ذلك سبيلاً يقع في الهلاك والضلال .

و ورد عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : ((خط لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم خطاً ، فقال : هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله ، ثم قال : وهذه سبل ، على كل سبيل منها شيطان ، يدعو إليه ، ثم تلا)) : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ ... الآية ﴾ (٢) .

وهذه الآية وهذا الحديث الذي يوضح معناها يصور بتصوير محسوس طريق الإستقامة وطريق الحق المبني على اتباع القرآن والسنة ، كما أوضحت إنه طريق واحد واضح ومستقيم لا عوج فيه ، وأطلقت

(١) سورة الأنعام ١٥٣ .

(٢) رواه أحمد في مسنده ج ١ ص ٤٣٥ .

طرق الضلال ووسائل الخروج عن طريق الحق بلا حصر ولا تحديد .
ولا شك أن كل إنحراف إلى طريق من طرق الضلال ، لابد له من
سبب ، وكل خروج إلى وسيلة من وسائل الباطل ، لابد له من باعث وسبب ،
ويمكن حصرها في الأمور الآتية :

أولاً : القول في الدين بغير علم ، وقبول ذلك من قائله ، لقد حذرنا
الشرع من القول بغير علم ، والعمل به ، بل جعل ذلك من المحرمات ، قال
تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ ذِيكَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ
، وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ

عِلْمٍ ﴾ (٢) .

وقال أيضاً : ﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣)

هنالك أحاديث نبوية شريفة ، وردت في ذم القول بغير علم وإصدار

الفتاوى بغير دليل ، قال النبي (ﷺ) : « (من أفتى بغير علم كان إثمه على من

أفتاه » (٤) .

(١) سورة الأعراف ٣٣ .

(٢) سورة الأنعام ١٤٤ .

(٣) سورة البقرة ١٦٩ .

(٤) رواه أبو داود ج ٣ ص ٣٢١ والحاكم في مستدركه ج ١ ص ١٢٦ .

وقال رسول الله (ﷺ) : ((القضاة ثلاثة : واحد فى الجنة واثنان فى النار ، فأما الذى فى الجنة ، فرجل عرف الحق ، فقاضى به ، ورجل عرف الحق فجار فى الحكم ، ففى النار ، ورجل قضى للناس على جهل ففى النار)) (١) .
ويتضح منها أن القول فى الدين بغير علم إضلال ، وإن على من أضل
إثم من وقع فى الضلال بسبب فتواه بغير علم ، فإذا مارس الجاهل العلم
وأفتى فى الدين ، وقع فى البدعة ، قاصداً أم غير قاصد ، إذ أنه مبتدع
بإدعائه العلم وبما استحدثه مما يخالف الشرع بعد ذلك .

قال عليه الصلاة والسلام : ((إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من
العباد ، ولكن يقبض العلم يقبض العلماء ، حتى إذا انمى عا لم يحذ الناس
دروساً جهالاً ، فستلوا فأفتوا بغير علم ، فضلوا وأضلوا)) (٢) .
وهذا الجهل بالدين له ألوان كثيرة منها :

الجهل باللغة العربية وأساليبها ، لأن العربية لغة القرآن والحديث ،
وكان النبى (ﷺ) عربياً فصيح اللغة واللسان ، عندما يتكلم أو يتحدث تخرج
من فيه الفصاحة والبلاغة ، لأنه نشأ وتربى فى بيئة عربية أصيلة ، فليس
من الممكن أن يتحدث عن الدين وعن الشريعة

(١) رواه أبوداود ج ٣ ص ٢٩٩ ، وابن ماجه حديث رقم ٢٣١٥ .

(٢) رواه البخارى ج ١ ص ٢٠ ورواه الترمذى فى صحيحه رقم الحديث ٢٧٩٠ وقال :

حديث حسن .

• دون إمامه باللغة العربية •

قال تعالى : ﴿ وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون

من المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ (١) •

ومنها الجهل بالسنة النبوية الشريفة : ويشمل ذلك الجهل بقانون التمييز

بين الصحيح والضعيف ، والمقبول والمفروض ، فالجاهل باللغة فمن الممكن

أن يقع فى الكذب على الرسول (ﷺ) •

وقال النبى (ﷺ) : ((من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار))

(٢) ، فإنه حينئذ يقبل كل ما يأتى إليه من الحديث ، بغض النظر عن صحته

أضعفه أو وضعه ، لا يفرق بينهما ، وهذا أيضاً ضلال مبين ، فهو يتحدث

بالرأى الذى هو مشحون بالضلالة ، وبذلك ينشئ البدع فى المجتمع •

(٢) سورة الشعراء ١٩٢ - ١٩٥ •

(٣) رواه البخارى ج ١ ص ٢٧ •

المبحث الثاني

فـ

إتباع المتشابه

ومن بواعث نشأة البدع في المجتمع، ابتغاء الفتنة من العلماء المبتدعين ،
وابتغاء تأويله من الجهلة المتعاليين •

قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ
وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ
وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ، وَالْأَسْخُوفُ فِيهِ الْغُلَمُ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ ، كُلٌّ مِنْ
عِنْدِ رَبِّنَا ، وَمَا يَذَكِّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ (١) •

وقد حثنا الشرع على اجتناب المتشابهات، لما في اجتنابه من مصلحة
للمؤمنين، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((الحلال بَيْنٌ والحرام يَمَنٌ))،
وبينهما أمور مشبهات أو مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى
الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام
... الحديث)) (٢) •

(١) سورة آل عمران ٧ •

(٢) رواه البخاري ج ١ ص ١٦ و مسلم رقم ١٥٩٩ وأبو داود ج ٢ ص ٨٣ •

المبحث الثالث

فـ

إتباع الهوى

وتطلق كلمة الهوى على ميل النفس وإنحرافها نحو الشيء ، ثم استعملت

• في الميل المذموم والانحراف السيئ .

وقد ذم الإسلام أهل الأهواء ، لأنهم يعبدونها ويتبعونها ، ولم يأخذوا

• الأدلة الشرعية مأخذاً أصيلاً لهم .

والأصل في الإسلام أن لا يأخذ المسلم شيئاً من الأحكام الشرعية، إلا ما

ثبت في الكتاب والسنة أو الاجتهاد في حدود ما أشار إليه النبي (ﷺ) ، عند

• عدم وجود نص محدد في الواقع .

وفي ذم أصحاب الهوى قال الله تعالى ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ، وَأَضَلَّهُ

اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ ، وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ ، وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً ، فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ

• بَعْدَ اللَّهِ ، أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ ﴾ (٢) .

(١) سورة الجاثية ٢٣ .

(٢) سورة النجم ٢٣ .

وقال أيضاً : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ، وَاتَّبَعُوا

أَهْوَاءَهُمْ﴾ (١) •

ولكن أصحاب البدع لم يتبعوا الكتاب والسنة ، ولم يعتنوا بها ، بل كل منهم تمسك بنظرية معينة أو فكرة خاصة ، ثم جعلوها من الدين ، وأدخلوها على الناس ، دون الرجوع للمَصْدَرَيْنِ الأساسيين ، وهذا هو معنى اتباع الهوى الذى ذمه القرآن ، وشجب أصحابه ، قال رسول الله (ﷺ) : ((الكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ ، وَلِحَاجِ زُمْرٍ اتَّبَعَ هَوَاهُ ، فَنِيَ عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي)) (٢) •

(١) سورة محمد ١٦ •

(٢) رواه الترمذى ، رقم الحديث ٢٥٧٢ وحسنه •

المبحث الرابع

التقليد الأعمى

ويشتمل على اثنا عشر مطلباً

المطلب الأول : البـدع فى العبادات

المطلب الثانى : البـدع فى القبـور

المطلب الثالث : البـدع فى الأتـيم

المطلب الرابع : البـدع فى الأوسـام

المطلب الخامس : البـدع فى الأكل والشرب

المطلب السادس : البـدع فى النـسب

المطلب السابع : البـدع فى الأعياد

من شعبان

المطلب الثامن : البـدع فى المشيخة والمريضية

المطلب التاسع : البـدع فى المبايعة على يد الشيخ

المطلب العاشر : البـدع فى الوسيلة

المطلب الحادى عشر : البـدع فى الشـعر

والتعاوىذ

المطلب الثانى عشر : عقيدة النور المحمدي

المبحث الرابع

فـ

التقليد الأعمى

السبب الرابع فى نشأة البدع ، التقليد الأعمى ، فإلله عزوجل جعل لكل إنسان عقل وبصيرة ، ليعرف الحق والباطل ، ويفرق بين الطالح والصالح ، ويميز بين العالم والجاهل ، فالعالم هو الذى عنده نور العلم ، ويعمل بعلمه ، وهو قدوة حسنة ، وله المثل العليا وهوقائم على نهج السنة النبوية ، فهو يستحق أن يتبع ، ومن لا يملكها فلا يستحق أن يكون قدوة للآخرين ، ولكن الجهلة بالدين الذين فقدوا نور البصيرة والعلم ، لا يستطيعون التمييز بينهما ، فزين لهم الشيطان أعمالهم ، ويظنون بهم ظناً حسناً ، يسلكون مسلكهم ويمشون خلفهم ، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا ، والحقيقة أنهم ضالون ومضلون .

قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ، أَمْ هَلْ تُسَوَّىٰ الظُّلُمَاتُ

وَالنُّورُ ۚ ۝ (١)

وقال تعالى : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ، وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ، وَلَا الظُّلُمَاتُ

وَلَا الْحُزُوزُ وَلَا الْأَخْيَاضُ وَلَا الْأَمْوَاتُ ﴿١﴾

توضح هاتان الآيتان أن الله تعالى أمر الإنسان أن يختار فئة واحدة منها ،
دون الآخر، فإن كل نوع من الأنواع يتضاد الآخر، فهو مخير بهما .
والسؤال لماذا يشجب الشارع البدع ويذمها ؟ وللإجابة على ذلك أقول :
إن هناك أسباباً كثيرة، تعود مصالحها إلى الإسلام وشريعته، وحمايتهما من كيد
الكافرين ، ووضع المبطلين من أعداء الإسلام، ولكني أذكر هنا بعضاً منها:

أولاً : لأن البدع والأمور المستحدثة في الدين تفسده ، فلو تتبعنا سير
الأولين من أتباع الأنبياء والرسل ، نجد أن المبتدعة قد أفسدوا أديانهم
السموية بسبب البدعة وتحريف الشريعة والقوانين التي أنزلها الله على
أنبيائهم ، كما ورد في القرآن : ﴿ وَهَبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ
رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ﴾ (٢)

وإن الذين قاموا بإضافة هذه البدع وإدخالها إلى هذه الديانات، هم الأحرار
والرهبان الذين اتخذهم الناس آلهة وأرباباً عندما اتبعوهم فيما لم يرضه الله
عز وجل ، كما قال الله تعالى عنهم حيث يقول : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ
أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ (٣)

(١) سورة فاطر ١٩ - ٢٢ .

(٢) سورة الحديد ٢٧ .

(٣) سورة التوبة ٣١ .

وصاروا بذلك أرباباً لأنهم أعطوا لأنفسهم حق التشريع ، وهو حق خالص لله عزوجل ، وإن إضافة أى شئ إلى الدين ، هو تشريع بكل معنى الكلمة ، لأنه شئ لم يأذن به الله تعالى ، قال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ ﴾ (١) .

و الناس يتعاملون مع البدعة على أنها من صميم الدين المنزل من عند الله ، ولذلك فهم يتمسكون بها ، بل ويستमितون فى الدفاع عنها والانتصار لها ، فالبدعة تهدم الدين .

ثانياً : أن البدعة تعطل أو تلغى منهج الاتباع والتلقى السليم لهذا الدين لأن الإنحراف عن هذا النهج ، يؤدى إلى الزلل والحلل فى السير ، ويقودنا إلى الإنحراف عن صراط الله المستقيم ، وبذلك يكون المبتدع قد كدّر مقام الاتباع لرسول (ﷺ) ، الذى هو الترجمة الحقة والدليل الصادق على المحبة ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِيْ ، يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ (٢) .

فالمبتدع إذن يجعل لله نداً فى التشريع ، ويجعل للرسول (ﷺ) شريكاً فى الاتباع .

(١) سورة الشورى ٢١ .

(٢) سورة آل عمران ٣١ .

ثالثاً : ما تتركه البدعة من أثر سيئ في واقع المسلمين من اختلاف وتشتت وتحزب وتفرق وضياح ، فصار حالهم كما قال الله تعالى : ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ (١) •

فكل طائفة تزعم أنها على الحق وحدها ، وأن من سواها إنما يخوضون في الباطل خوفاً ، وقد حذر النبي (ﷺ) من خطورة ذلك كما جاء في حديث إفتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة ، وهي ما عليه هو وأصحابه •

رابعاً : أن البدعة تعطي فرصة لأعداء الإسلام لبث سمومهم وأهدافهم الخبيثة ، وقد بلى الإسلام بأمثال هؤلاء منذ فترة ماضية مثل عبدالله بن سبأ اليهودي الذي تظاهر بنصرة علي (عليه السلام) ، ثم استطاع أن يبذر بذور التشيع في صفوف المسلمين وهناك عشرات من أمثاله قد لعبوا دوراً كبيراً في إضلال المسلمين عند ما ^{نشرها} أفكاراً هدامه تضعف بنية الإسلام ، وتحدث الفرقة بينهم •

خامساً : موقف الإسلام الحاسم من البدع والمحدثات ، فالقرآن الكريم حذر المسلمين من الفرقة والاختلاف في الدين ، وهي أمراض تحدثها البدع وتنتج عنها

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ فَرَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْنَا مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ شَاكِرِينَ ﴾ (١) فالبدعة هي السبب في شرود الناس عن الصراط المستقيم ، والله تعالى أمرهم ألا ينحرفوا عن هذا الصراط ﴿ وَإِنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٣) وهناك أحاديث كثيرة تذم البدع والمبتدعين ، وقد ذكرناها في بداية هذا الفصل .

وفى ضوء ما تقدم من البيان عن معانى البدع وأقوال العلماء فيها وتحذير الشرع من مضارها وما ذكرناه ضمنا لهذا البيان من أثر البدع على الأمة المسلمة ينبغي أن نتحدث عن مؤثرات تلك البدع فى المجتمع البنغالى وفى سائر المناطق البنغالية ، فإنك لو سافرت إلى بنغلاديش وقمت بجولة تفصيلية فى مدنها وقراها ، تجد أثارا للبدع والخرافات تقشع منه الجلود ويرجف منه الفؤاد ، وأنت تشعر أن الناس أصبحوا تحت قبضتها وسيطرتها ، وهذه البدع والخرافات لم تظهر آثارها فى بداية العهد الإسلامى فى المنطقة عند دخول الإسلام إليها ، ولكنها دخلت رويدا رويدا بواسطة الصوفيين وأفكارهم المضلة وسلوكياتهم المنحرفة وقد زرعت بذورها بأيدى هؤلاء المتصوفة ، ثم نمت وكبرت واشتد قوامها واستقر أصلها ، بحيث أنها أصبحت جزءا متلاشيا فى تربة هذا الوطن الكبير ، فاختلط الأمر بين الحق والباطل ، وبين النور والظلام ، وظن الناس أن البدع والخرافات من أصل الإسلام ، ولا يمكن لأحد التمسك بالدين ، إلا بها ، فتعالوا ننظر المجتمع البنغالى عن مدى انحرافه عن الكتاب والسنة وإقباله إلى الأمور البدعية ، وذلك فى مطالب تالية :

- | | | |
|-----|-------------|-----|
| (١) | الأنعام آية | ١٥٩ |
| (٢) | الأنعام آية | ١٥٣ |
| (٣) | الحشر آية | ٧ |

المطلب الأول البدع في العبادات

: الجهر بالنية عند تكبيرة الإحرام للصلاة

: أداء النوافل جالساً ولو كانت له

المقدرة على القيام

: الذكر برفع الصوت عقب الصلوات

المكتوبة

: الدعاء جماعة بعد الصلاة مع الإمام

: قراءة الصلاة والسلام على الرسول الله

قبل الشروع بالأذان

: أحياء ليلة النصف من شعبان

: من البدع الفاشية قراءة القرآن جماعة



الفرع الأول : الجهر بالنية عند تكبيرة الإحرام للصلاة :

التلفظ بالنية لم يرد في الكتاب والسنة ولا هو ثابت من الصحابة الكرام والأئمة الأربعة الفقهاء ، ولكن المتصوفة جعلوا بعض الكلمات تخص للنية في الصلاة ، بحيث لا تجوز الصلاة إلا بها ، ولا تصح النية إلا بتلفظ تلك الكلمات المعينة ، وهذه الكلمات هي : " نويت أن أصلي لله تعالى . . . ركعات لصلاة الظهر أو العصر . . . فرض الله تعالى ، متوجهاً إلى جهة الكعبة ، خلف هذا الإمام . . . الله أكبر " هذا إذا كانت في الفرائض ، وإذا كانت من السنن أو النوافل ، فيذكر سنة رسول الله تعالى متوجهاً إلى الكعبة . . . الخ .

فأساس النية ومحلها القلب ، ولا يحتاج إلى التلفظ إلا ما ورد النص فيه كما في النية عند الإحرام لأداء الحج أو العمرة ، لبیک حجة أو عمرة ، و للتلفظ بالنية سلبات تؤثر في العبادات ، فمثلاً يأتي أحدهم ليدرك الإمام وهو في الركوع ، فالمشروع أنه يلحق بالإمام تكبيرة الإحرام ولكن المسكين في هذه الحالة مكلف بتلفظ الكلمات ، ثم يلحق به ، وبهذا التأخير تفوت له ركعة ، وهكذا .

الفرع الثاني : أداء النوافل جالساً ولو كان قادراً على القيام :

يقول بعض الصوفية إن الصلوات النافلة وخاصة التي تؤدي عقب المكتوبات يجب أن يؤديها جالساً تأسيساً لفعل الرسول صلى الله عليه وسلم

عندما كان فى آخر حياته يؤدى بعض النوافل ، فيظن الناس أن الجلوس واجب ، ولا تكون الصلاة صحيحة إلا إذا صلاها وهو جالس ، وهذه بدعة لم يعمل بها أحد من الصحابة ولا السلف الصالحين •
والواقع أن النبى (ﷺ) كان يؤدى جميع الصلوات وهو قائم إلا إذا أحس بالضعف أو المرض ، أو تعرض له أى عذر شرعى فيؤديها جالساً •

الفرع الثالث : الذكر برفع الصوت عقب الصلوات المكتوبة :

بحيث يقرء الإمام ثم المصلون يرددونه بالكلمات التى يرددها ، ومن السنة أن يقرأ عقب الصلوات المكتوبة أو فى غيرها الأدعية المأثورة عن الكتاب والسنة فرادى وبصوت منخفض •

الفرع الرابع : الدعاء جماعة بعد الصلاة مع الإمام :

إن الدعاء بهذه الكيفية واجب عندهم ، حتى يقولون إن الصلاة لا تقبل عند الله إلا بالدعوات الجماعية ، ولكن الشرع يحض الناس أن يدعوا الله تعالى بصوت خافت وبهيئة تضرع وخشوع •
ولا يتأتى ذلك إلا بالدعاء مفرداً ، والدعاء بالجماعة عقب كل صلاة لم يثبت فى الشرع ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ (١) •

(١) الأعراف آية ٥٥ •

الفرع الخامس : الصلاة والسلام على رسول الله قبل

الشروع بالأذان :

وذلك برفع الصوت وعلى مكبرات^{الصوت}، ويظنون أن الأذان للصلاة لا يرفع إلى السماء دون قراءتها ورفع اليدين بعده وتقبيل الإبهامين عند قول المؤذن " أشهد أن محمداً رسول الله " فمن لم يفعل هذه الأمور فإنه "وهابي" أو معادى للإسلام !!!

الفرع السادس : إحياء ليلة النصف من شعبان يسمونها

((شب برائت)) :

للسوفية ليالٍ كثيرة منها: ليلة المعراج وليلة العاشوراء العاشر من شهر المحرم ، وليلة الإثنين في آخر أسبوع مرض فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفاته ، ويسمونها ليلة " آخر جهار شنبه " كلمة فارسية معناها " الإثنين الأخير " وإحياء ليلة وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني ، فالمسلمون في بنغلاديش يهتمون بهذه الليالي اهتماماً خاصاً ، ويقومون بالاحتفالات الدينية ، حيث يكثرون من النوافل ويقرؤون القرآن ويسهرون بختم شبينه " تلاوة القرآن من أوله إلى آخره بمكبرات الصوت " ويوزعون الطعام والحلويات بين الفقراء والمساكين وينفقون المال بينهم ويصومون نهارها ويقومون بإضاءة القبور والمزارات والعمائر السكنية والحكومية وذلك

لنيل الأجر والثواب واهدائه إلى الموتى وأهل القبور ، ومن الغريب أنه في مناسبة هذه الإحتفالات تكون العطلة الرسمية في جميع الدوائر والمؤسسات الحكومية والخصوصية لكي يشارك فيها المواطنون ويستفيدون بفعل الخيرات ونيل البركات وسعة الرزق وطول العمر والحياة الرغدة . . . الخ .

الفرع السابع : ومن البدع الفاشية قراءة القرآن جماعة :

وهذا ما لم يفعله أحد من السلف الصالحين ، وذلك بمناسبة موت أحد من الأقرباء ، أو العلماء أو عند إفتتاح مكاتب أو محلات أو عمائر أو عند نزول البلاء أو المرض المعدي المتفشى في المجتمع أو عند مريض قل الأمل في شفاؤه أو عند وقوع في مصيبة .

المطلب الثاني

فد

البطع عند القبور

ويشتمل على ثلاثة فروع

الفرع الأول : الحرس عند القبور

الفرع الثاني : النظور عند القبور

الفرع الثالث : التمسح بالقبور

**

الفرع الأول : العرس عند القبور :

إن بدع القبور المتفشية في المجتمع الإسلامي كثيرة جداً ، ومن ذلك العرس أو الإحتفال عند قبور الأولياء الصالحين والمتصوفة ، واتخاذها موسماً من مواسمهم وعيداً من أعيادهم ، يشدون الرحال إليها كما تشد لزيارة بيت الله الحرام ، فهذا من أشد البلاء على المجتمع البنغالي ، وهذا يعم الكثير من بلاد المسلمين إلا من أكرمه الله بالوعى والفهم للإسلام ومعرفة التوحيد الخالص فابتعد عن مهالك الشرك والبدع •

ففي بلاد البنغال من ألف مزار أو قبر يسمونها ملاجئ الملهوفين والمضطرين ومساكن للقلوب وشفاء لما في الصدور ، وأصبحت هذه أوكاراً للشرك بالله تعالى ، والكفر والإلحاد ، فما من يوم من الأيام إلا ويحتفل المسلمون عرساً بهذه المزارات تخليداً لذكرى أصحابها ، وفي هذه المناسبة تغسل المزارات والقبور كغسل الكعبة المشرفة (العياد بالله) ثم تعلق عليها كسوة خضراء ككسوة الروضة الشريفة بالمدينة المنورة ، وتحنط ويطوفون حولها ، ويجلسون حولها ويعلقون بها الأمانى ويناجون أمامها خاشعين متذللين راكعين وساجدين ، ولا يأتون إليها وهم خالي الأيدي ، بل يحملون معهم ما استطاعوا من الجمال والأبقار والأغنام ، والأموال والحلويات والشموع وغير ذلك ، يقدمونها باسم أصحاب القبور للتقرب بهم إلى الله تعالى •

وعند بوابة المزارات تقف جماعة من الناس يسمونهم الخدمة توضع عندهم صناديق ليلقى فيها ما يكون بحوزتهم ثم يتقاسمها هؤلاء الخدمة ويأكلون ويشبعون منها كما يفعل البراهمة عند أداء مراسيم أعيادهم في معابدهم ، فهؤلاء المتصوفة يعيشون مع أفراد أسرهم بهذه الأموال الباهظة و يجنون منها ما فيه كفاية لمعاشهم في السنة ، و في قاعة تلك المزارات يقيمون الاحتفالات والمهرجانات والمعارض من ذبح المواشى وطبخ الطعام وحفلات الأغاني والرقص بين الرجال والنساء وتعاطى الخمر والمسكرات والمخدرات، جملة هذه الأعمال تسمى عرسا في عرف المسلمين هناك .

وقد نهى ربنا عن الشرك بجميع أشكاله وأنواعه وصوره، فإن الشرك ظلم عظيم والله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ، وروى أبو داود وغيره عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أنه قال: قال رسول الله (ﷺ) : ((لا تجعلوا بيوتكم مقابر ولا تجعلوا قبرى عبداً وصلوا على أينما كنتم فإن صلاتكم تبلغنى حيث كنتم)) (١) .

وإذا ثبت هذا بالنسبة إلى قبر النبي (ﷺ) وهو سيد القبور وأفضلها فقبر غيره أولى بالنهي كأننا من كان .
نعم إن زيارة القبور مذكرة للآخرة ، والموت والزهد فى الدنيا والإتعاظ بحال الميت ، إذا كانت موافقا للسنة الشريفة وإلا فهو حرام .

(١) رواه أبو داود بأسناد حسن ورواته ثقات ، قال الحافظ محمد بن عبد الهادى حديث حسن جيد قال شيخ الإسلام رحمه الله: العيد اسم لما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد عائدا إما بعود السنة أو بعود الأسبوع أو الشهر أو نحو ذلك .
وهناك حديث آخر عن علي بن الحسين رضى الله عنه أنه رأى رجلا يجرى إلى فرجة كانت عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم ، فيدخل فيها فيدعو فنهاه وقال : ألا حدثكم حديثا سمعته من أبى عن جدى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لا تتخذوا قبرى عبدا ولا بيوتكم قبورا وصلوا على فإن تسليمتكم يبلغنى أين كنتم رواها المختارة ، هذا الحديث رواه أبو يعلى والقاضى إسماعيل والحافظ الضياعى المختارة

الفرع الثاني : النذور عند المقابر :

هناك الألوف من المسلمين يقومون بالنذر لغير الله تعالى ، عند أهل القبور والمزارات ثم يوفون نذورهم عندها وهذا حرام في الإسلام بل هو شرك ، ويقول الناس شفى فلان من المرض مثلاً أو نجح في عمل كذا كذا فيذبح بقرة عند قبر فلان أو يقدم له مبلغاً من المال أو يوقد شموعاً فيه وما إلى ذلك من الدعوات لغير الله تعالى •

وقد نهى الشرع عن النذر لغير الله تعالى ، بل يجب أن يكون لله سبحانه وتعالى فقط •

قال تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا ﴾ وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله (ﷺ) قال : ((من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه))^(١) ، أي فمن نذر لله طاعة له ، بشرط يرجوه كإن شفى الله مرض فعلى أن أتصدق بكذا ونحو ذلك وجب عليه إن حصل له ما علق نذره على حصوله ، كما لا يجوز الوفاء بنذر المعصية •

(١) رواه البخاري في كتاب النذور •

الفرع الثالث : التمسح بالقبور:

ومعنى ذلك التمسح بتربة القبور وجدرانها وأبوابها وايضاً التمسح بأهل التصوف أو الأولياء أو العلماء ، وهذان النوعان من التمسح موجودان فى المجتمع الإسلامى فى البنغال ، ويعتقدون حصول البركة به و يرونه سبباً للحصول على مرضاة الله تعالى ومن هذا الاعتقاد الفاسد يتسابقون فى عملية التمسح على أيدى أو أرجل الأولياء والمتصوفة ، وهذا أيضاً نوع من الشرك ، فلم يرد فى جوازه نص شرعى ، وهذه الظاهرة قد أتت فى المجتمع الإسلامى من الهندوس بسبب الإحتكاك معهم ، فالهندوس يعكفون حول الأصنام ويتمتمون عندها ويلمسونها بأيديهم ويأخذون منها الأتربة ثم ينثرونها على سائر الجسد معتقدين بذلك أن من لم يتمسح يقع فى غضب الله ، فلو كان التمسح جائزاً فى الإسلام لكان الصحابة يتمسحون بأيدي الرسول (ﷺ) ولم يثبت هذا عن السلف الصالحين ، وهو قد يؤدى إلى الشرك بالله تعالى .

المطلب الثالث

في

الخواتيم

ويشتمل على ستة فروع

الفرع الأول : ختم شبينة

الفرع الثاني : ختم شفاء

الفرع الثالث : ختم جلال

الفرع الرابع : ختم يونس

الفرع الخامس : ختم تسمية

الفرع السادس : ختم خواجكان

الفرع الأول : ختم شبينة :

يعتقد الناس أن هناك أعمالاً يدفع بها البلى والآفات الدنيوية ويستشفى بها من الأمراض التى تشكل خطورة على الفرد والمجتمع ، ومن تلك الأعمال دعاء الله تعالى على أساليب غير شرعية وتسمى عند الناس " الختم " مثل ختم شبينة ، ختم شفاء ، ختم يونس وغيرها من الخواتيم ، وأصبحت تلك الخواتيم مكان العبادة .

وختم شبينه : عبارة عن استئجار بعض حفظة القرآن الكريم ، واستدعائهم إلى مكان ، ثم يقرأ كل واحد منهم جزءاً من القرآن الكريم حتى الثلاثين منه وعلى مكبر الصوت بدءاً من بعد العصر حتى طلوع الفجر وبذلك يختمون كتاب الله الكريم فى ليلة واحدة ، ثم يهبون أجراً إلى الأنبياء والرسل وسائر موتى المسلمين من الأقرباء والآباء والأجداد والأولياء ، ولهذه العملية مناسبات وأيام وظروف وأوضاع ، مثل ليلة النصف من شعبان (شب برات) أى ليلة البراءة ، ومثل ليلة القدر فى رمضان المبارك ، وليلة المعراج ، وليلة ميلاد النبى (ﷺ) وكذلك بمناسبة فتح محلات أو أسواق أو عمارة ، وكذلك عند الإصابة بمرض أو ضرر أو التعرض لمصيبة أو لأمر آخر .

الفرع الثانى : ختم شفاء ويسمى ختم التحليل :

ويعنى به قراءة كلمة " لا إله إلا الله " مائة وخمسين ألف مرة ، يشارك فيه جمع من الأفراد بصوت عال ، وذلك عند تعرض قوم أو أهالى قرية أو

(جري البطون)

مدينة لمرض وبائي كالقوليرا، أو الطاعون ، أو لرياح شديدة أو طوفان أوفيضانات، كما يزعمون أن بهذا الختم يصل الإنسان إلى ما يريده ويقصده

الفرع الثالث : ختم جلال :

يقول الصوفية إن أسماء الله تعالى ، تنقسم إلى نوعين: جمالي وجلالي ، ولكل منهما تأثيرات على من يرددها ، فلفظ الجلالة " الله " جلالي عندهم ، له تأثيرات في دفع البلايا والمصائب والنوائب ، وهذا الختم عبارة عن عملية خاصة وأسلوب معين ، يجب الالتزام بها إن أريد الوصول إلى المراد ، وهي الجلوس في مكان نظيف والجسم طاهر عن النجاسة والخبائث ، فيكتب لفظ الجلالة على الأوراق المتقطعة ، ثم يضعها في الرز المطحون ، ثم يقدمها للحيتان في الأحواض والبرك أو النهيرات ، ويتلفظه باللسان مائة وخمسة وعشرون مرة •

الفرع الرابع : ختم يونس ويسمى الختم الأعظم :

أخذوه من الآية القرآنية المعروفة في قصة يونس عليه السلام والتي قرأها وهو في ظلمات البحر ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنَّا كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ، فاستَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ ، وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿ (١) •

(١) سورة الأنبياء ٨٧ - ٨٨ •

ويقرأ هذا الختم عند إصابة أحد بمرض معد أو مرض خطير ،
لا يرجى له الشفاء أو عند تعرضه لمصائب أو أحزان ، فيجب على
المصاب أو أقاربه قراءة الآية الأولى والثانية مائة وخمسين ألف مرة ، ولكل
مائة آية أولى ، تقرأ الثانية مرة واحدة •

الفرع الخامس : ختم التسمية (بسم الله الرحمن الرحيم) :

ويقرأ البسملة مائة وخمس وعشرين ألف مرة عند تعرض للشدة •

الفرع السادس : ختم خواجكان :

وهو قراءة الكلمة التالية: " فسهل يا إلهي كل صعب بحرمة سيد الأبرار ،
سهل بفضلك يا عزيز (مائة مرة) ، ويجب أن يقرأ قبلها وبعدها سورة
الفاتحة (سبع مرات) ، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه
وسلم (مائة مرة) ، وسورة الانشراح (تسعة وسبعون مرة) ، وسورة
الإخلاص (مائة مرة) ، ثم يقول: يا قاضي الحاجات (مائة مرة) يا كافي
في المهمات (مائة مرة) يا دافع البليات (مائة مرة) يا مجيب الدعوات
(مائة مرة) يا رافع الدرجات (مائة مرة) يا غوث أغثنى وأمددنى (مائة
مرة) إنا لله وإنا إليه راجعون (مائة مرة) لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت
من الظالمين (مائة مرة) رب إني مغلوب فانتصر (مائة مرة) رب انى
مسنى الضر وأنت أرحم الراحمين (مائة مرة) •

وبعد قراءة هذه المجموعات يجب أن يقرأ الآيات القرآنية التي فيها كلمة

"الشفاء" وهى: ﴿يَشْفِ طُغْيَانُ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ (١)، ﴿وَشِفَاءُ لِمَا فِيكَ الطُّغْيَانُ﴾ (٢) ﴿فِيهِ شِفَاءُ لِلنَّاسِ﴾ (٣) ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٤) ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٥) ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ﴾ (٦) .
ثم يقرأ آيات "السلامة الست" وهى : ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رُحِيمٍ﴾ (٧) ﴿سَلَامٌ عَلَى الْيَاسِينَ﴾ (٨) ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾ (٩) ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (١٠) ﴿سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ﴾ (١١) ﴿سَلَامٌ هُوَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ﴾ (١٢) .

ثم يدعو الله تعالى ويسأله التوفيق والشفاء ، ثم يتوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم ثم بالعشرة المبشرين من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ثم بالشيخ بهاء الدين نقشبندى ، وأبويزيد بسطامى ثم بأبى منصور الماتريدى وأبى يوسف الهمدانى ثم بالسيد أبو البحر ثم خواجه أبو حسن الخرقانى ثم بالسيد عبد القادر الجيلانى (١٣) .

(١)	التوبة آية ١٤	•	(٢)	يونس آية ٥٧	•
(٣)	النحل آية ٦٩	•	(٤)	الإسراء آية ٨٢	•
(٥)	الشعراء آية ٨٠	•	(٦)	فصلت آية ٤٤	•
(٧)	ياسين آية ٥٨	•	(٨)	الصفات آية ١٣٠	•
(٩)	الصفات آية ٧٩	•	(١٠)	الزمر آية ٧٣	•
(١١)	الصفات آية ١٢٠	•	(١٢)	القدر آية ٥	•

(١٣) انظر : اسم المؤلف مجهول : مقصود المؤمنين : والملاحظة أن هذا الكتاب متداول

بين مسلمى البنغال ، ونال عندهم الفضل العظيم ، وأصبح زينة لكل بيت بعد المصحف الشريف ويفضلون تلاوته بين عشية وضحاها ، ولا يعلم أحد من الفه ، وهو كتاب مملوء بالأحاديث الموضوعة والكلمات غير المستندة والمخالف للشرع .

المطلب الرابع

فـ

دروود ولسلام

ويشتمل على خمسة فروع

الفرع الأول : دروود ولسلام

الفرع الثاني : دروود أكبر

الفرع الثالث : دروود هزاره

الفرع الرابع : دروود لكه

الفرع الخامس : دروود النجاة

**

الفرع الأول : درود وسلام :

وَيُعْتَنَى بِهَا الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ (ﷺ) وَيُسَمُّونَهَا " الْمَوْلُود " و هناك مفهومَان في شأن المولود أو الميلاد :

أولهما : إحتفال بالميلاد في يوم ولد فيه رسول الله (ﷺ) وهذا في شهر ربيع الأول من كل عام •

ثانيهما : قراءة الصلاة والسلام بمناسبات دون قيد ليوم أو تاريخ أو وقت، مثل قرائتها عند إفتتاح محلات أو عمائر أو عقب صلاة الجمعة أو التراويح أو عند التشفى من أمراض أو ••• أو ••••• ويزعم أصحابها أنها تجلب النفع والبركة وتدفع الضرر والشؤم ، وتكون القراءة مفرداً أو جميعاً ، ولكن قراءتها جمعاً وقياماً أنفع وأقرب إلى الله تعالى •

فبعضهم يقومون تعظيماً للنبي (ﷺ) معتقدين أنه حاضر في

المجلس (١) •

(١) وهم يدعون أن الرسول صلى الله عليه وسلم حضر في مجلس ذكر مولده ، فستقبله قائماً ثم ينشدون هذا البيت المشهور نذكر نصه باللغة الأربية :

دم يدم بره — درود حضرت بهی هین بهان موجود

ترجمة : ای صلوا صلوا على النبي فإنه حاضر وموجود هنا

وهذا الإعتقاد هنا باطل ويفضى إلى الشرك ، لأن الحاضر والناظر هو الله تعالى الذي

حي قيوم، فكيف يكون صفاتاً للرسول صلى الله عليه وسلم الذي مات في هذه الدنيا

=====

وانتقل إلى الرفيق الأعلى •

وبعضهم يقومون له إحتراماً لمجرد ذكر اسمه دون الإعتقاد بأنه حاضر .
ولقد وردت في الأحاديث الشريفة ، كيفية الصلاة والسلام على النبي
محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه ، يجب على كل مسلم الاتباع
لتلك الكيفية ، دون إفراط وتفریط ، حتى تكون عبادته صواباً ومقبولة عند
الله تعالى كالصلاة والسلام في التشهد الأخير أو في صلاة الجنائز
وغير ذلك من صور عديدة ، علمها رسول الله (ﷺ) أصحابه الكرام ، إلا أن
الصوفية وخاصة الغلاة منهم أوجدوا صفات الصلاة والسلام ، وألزموا
قراءتها على الناس ، وأصبحت شائعة لدى المجتمع ، نذكر بعضاً منها :

دروس تأج : يقولون في فضله أن من أراد أن يرى النبي (ﷺ) في
المنام ، فعليه أن يقرأها في بداية كل شهر مائة وثمانين مرة كما أن فيها
كلمات تدل على الشرك الواضح ، مثل : دافع البلاء والوباء والقحط
والمرض والألم ، فهذه أوصاف من صفات الله تعالى ، ولكنها تطبق على
النبي (ﷺ) .

==== وعلى الإفتراض لو كان حياً ، لما وجب القيام إحتراماً له ، فقد ورد في الحديث الشريف
عن أنس رضي الله عنه أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن شخص أحب
إليهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا ، لما يعلمون من
كراهية لذلك . رواه الترمذی ، وقال : هذا حديث حسن .

راجع إحسان إلهي ظهير : البريلونية ص ١٣١ ، إدارة ترجمان السنة ، لاهور ،
ط : ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .

الفرع الثاني : درود اكبر :

جاء ذكر فضائل هذا النوع من الصلاة والسلام ، فى أول قصيدة فارسية طويلة فقد جاء ما مفهومه : فالذى يريد الحصول على مرضاة الله تعالى والاستشفاء من الأمراض ، ورؤية الرسول (ﷺ) فى المنام ، ويستسقى الماء من يده الشريفة فى مورد الحوض ، فعليه أن يقرأه ثلاثمائة وستين مرة فى كل يوم إما بعد الفجر أو بعد العشاء فإن فعله فله من الأجر كأجر الحج الأكبر ، فمن يتعذر له القراءة فعليه أن يكتب فى الورق ويضعها تحت الوسادة عند النوم فإن ذلك سبب للنجاة فى القبر وفى يوم الحساب ، كما أنه سبب لدخول الجنة ، ومن قرأه بالدوام ، لا تمسه النار .

الفرع الثالث : درود هزارى :

يدعى الصوفية أن من قرأه فى القبور فى كل يوم ثلاث مرات ، دفع الله عذاب أهاليه لثمانين عاماً ، ومن قرأه عشرين مرة ، فكأنه أدى حقوق الوالدين الأموات ، ويبعث الله تعالى ألفاً من الملائكة على قبور والديه ، ويبقون فيها لحين قيام الساعة .

الفرع الرابع : درود لكهن :

يحكى أن السلطان محمود الغزنوى رأى يوماً رسول الله (ﷺ)

فى المنام وقال له يا محمود ! اقرأ على الصلاة والسلام ، كل يوم
عقب الفجر مائة ألف مرة ، فإنك تجد فى قلبك حلاوة الحب لى وتتلذذ ،
وكان يقرأه كل يوم بهذه الصورة حتى توفاه الله تعالى •

الفرع الخامس : درود النجاة :

يذكر أن رجلاً اسمه صالح موسى ، كان فى إحدى البواخر ، وفى وسط
البحر تعرض للغرق ، فإذا هو رأى رسول الله (ﷺ) فى المنام ، وقال له
رسول (ﷺ) : أن يقرأ كل من فى الباخرة " صلاة النجاة " إحدى
عشرة مرة ، لعل الله أن ينجيهم من الغرق ، فقرأوها ، فإذا أنجاهم الله من
الغرق بفضل تلك الصلاة (١) •

وصفته : اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع
الأهوال والآفات ، وتقضى لنا بها جميع الحاجات ، وتطهرنا بها من جميع
السيئات وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات وتبلغنا بها أقصى الغايات من
جميع الخيرات فى الحياة وبعد الممات ، إنك على كل شئ قدير •

(١) د / محمد عبد الحى : اسوة رسول أكرم صلى الله عليه وسلم " بنغالية " ٢٩١ •

المطلب الخامس

فـ

الصوم النافلة

إن الصوم المفروض من الرب سبحانه وتعالى على كل مسلم هو صوم رمضان المبارك ، إضافة إلى ذلك فهناك صيام مشروع على سبيل التنفل وقد ثبت عن رسول الله (ﷺ) مثل صيام التاسع والعاشر أو العاشر والحادي عشر من شهر محرم الحرام (١) .

وصوم يوم الوقوف بعرفات (٢) وصيام الإثنين والخميس من كل أسبوع (٣) .

-
- (١) أفضل الصيام بعد رمضان ، شهر الله المحرم ، رواه مسلم عن أبي هريرة .
 - (٢) عن أبي قتادة (رضي الله عنه) قال : " سئل النبي (ﷺ) عن صوم يوم عرفة ، قال يكفر السنة الماضية والباقية " رواه مسلم .
 - (٣) عن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، أن رسول الله (ﷺ) قال : " تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس فأحب أن يعرض عملي وأنا صائم " رواه الترمذي وقال حديث حسن .

وصيام أيام البيض (١) وستة أيام من شوال (٢) ولكن الصوفية في شبه القارة الهندية قد أحدثوا صياماً غير الصيام الذي ورد في الكتاب والسنة ، مثل صيام نصف شعبان ليومين أى الرابع عشر والخامس عشر أو الخامس عشر والسادس عشر منه ، وصوم يوم السابع والعشرين من شهر رجب وهو اليوم الذى أسرى فيه رسول الله (ﷺ) إلى المعراج ، والصوم فى ذكرى وفاة عبد القادر الجيلانى يسمون اليوم "قاتحه دوازدهم " أى الدعاء للميت المذكور فى الثانى عشر من كل شهر ، موافقاً لليوم الذى توفى فيه هو ، والصوم عند الذكر ، عند النقشبندية والقادرية .

(١) عن أبى ذر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) إذا أصبحت من الشهر ثلاثاً فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة "رواه الترمذى ، وقال حديث حسن ، وعن قتادة بن ملحان (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله (ﷺ) يأمرنا بصيام أيام البيض : ثلاثة عشرة ، أربعة عشرة ، وخمس عشرة "رواه ابو داود .

(٢) عن أبى أيوب (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر "رواه مسلم .

المطلب السادس

م

بدعة إحياء ليلة النصف من شعبان

ومن البدع الفاشية في المجتمع الإسلامي في المنطقة ، بدعة إحياء ليلة النصف من شعبان في كل عام ، وإقامة الإحتفالات في هذه المناسبة ، ويظنون أن هذه الليلة بمثابة ليلة القدر ، يفرق فيها كل أمر من شئون العالم يكتب الله تعالى لعباده فيها الأرزاق ، ويحدد لهم الحياة والموت ويعلن فيه البراءة من عذاب النار ، وأصبحت هذه البدعة تعم المسلمين فيها وتعلن لهذه المناسبة إجازة رسمية كي يشارك المسلمون في الإحتفالات على حد زعمهم فمن أين جاءت هذه البدعة وكيف إنتشرت فيها؟ العلم عند الله ، لكن الناس توارثوها من آبائهم وأجدادهم ، إلا أن هناك بعضاً من العلماء المتعاطفين مع الصوفية يقدمون للناس بعض الأدلة من النصوص في إثبات مشروعية الإحتفال بليلة النصف من شعبان .

منها الحديث الشريف الذي جاء فيه ((إن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا ليلة النصف من شعبان ، فيغفر لأكثر من شعر غنم بني كلب))
ومنها حديث ((إن الله عز وجل يطلع على عباده في ليلة النصف من شعبان فيغفر للمؤمنين ، وعلى الكافرين ويدعو أهل الحقد أن عتبتوا منه))

و حديث ((إذا كانت ليلة النصف من شعبان ، فقوموا ليلها وصوموا نهارها ، فإن الله ينزل فيها إلى سماء الدنيا ، فيقول ألا من مستغفر فأغفر له ألا من مسرور فأرزقه ، ألا من مبتلى فأعافيه ألا كذا ألا كذا حتى يطلع الفجر)) (١) .

فقضية الإحتفالات بمناسبة النصف من شعبان وأمثالها كقضية الإحتفالات بالمولد النبوى الشريف وكذلك الإحتفال بليلة الإسراء والمعراج وغيرها أصبحت قضايا تصيب الأمة المسلمة اليوم ، وصار الناس اليوم يعدونها جزءاً من الدين الإسلامى ، وبمرور الزمن والأيام تنتشر هذه الشعائر المزعومة فى جميع الأماكن التى يعيش بها المسلمون ، و مقاومتها اليوم أصبحت من المستحيل ، إلا إذا شاء الله تعالى أن يخرج هذه الأمة من تلك الأوهام الفاسدة والبدع والخزعبلات ، وننبه إلى أن ما يفعله المسلمون فى هذه المناسبة فى ليلة النصف من شعبان من أمر عجاب ، نذكر بعضاً منه :

١ - إحياء الليلة من غروب الشمس إلى طلوعها بالصلوات النافلة التى لا تقل ركعاتها عن مائة ، ولا حصر لها فوق ذلك ، ويجب أن تقرأ فى كل من الركعة الأولى فاتحة الكتاب ومعها سورة القدر ، وفى الثانية الفاتحة مع قراءة الإخلاص ثلاث مرات وهكذا فى كل ركعتين ، ولا يجوز قراءة غيرها من السور .

(١) انظر : على محفوظ : الإبداع فى مضار الإبتداع ص ٢٨٦ ، دار الاعتصام ط ٧ .

٢ - الصوم فى النهار : يعتبرونه وسيلة للتبرئ من النار ، ونيل الثواب ويهتمون به كما يهتمون بصيام رمضان من أكل السحور والإفطار •

٣ - إقامة حفلات " شبينه " : وهى كلمة فارسية ، ذات معنى خاص ، وهى عبارة عن اهتمام بقراءة القرآن الكريم باستئجار أفراد من الحفظة للقرآن الكريم لليلة واحدة ، وتعد لهم منصة يتلون القرآن ، وذلك بمكبرات الصوت بغض النظر عن يستمعون له أو تزعج أصواتها آلاف النائمين و القائمين والمرضى ... تبدأ من غروب الشمس إلى مطلع الفجر ، ويكون مسك الختام بالدعاء ، ثم توزيع التبريكات بين الناس •

٤ - إعداد الطعام الخاص بهذه الليلة : وهى عبارة عن طبخ أنواع من الحلويات والخبز ، ثم توزيعها بين الفقراء و المساكين ، ويتبادلونها مع الأصدقاء و الأقارب ، ويزعمون أن إطعام الطعام فى هذه المناسبة ، يسبب ثقل المقادير عند الله تعالى من الشر إلى الخير ، ومن الشقاوة إلى السعادة ، فإنه سبحانه وتعالى يقدر فيها للعباد أرزاقهم وحياتهم ومماتهم ، على حد تعبير هؤلاء لطول السنة المقبلة •

٥ - زيارة القبور : وخاصة مقابر الأولياء والدرأوشة وإنارتها بالقناديل والمصابيح ، وتقديم الذبائح لها ، وكذلك إقامة المعارض •

المطلب السابع

في

بدعة المولد النبوي

أصبحت بدعة المولد من البلايا العامة التي تعم العالم الإسلامي ، ويعنون به عيد ميلاد النبي (ﷺ) فيقيمون مجالس ويزينون به المحافل ويعدون القائمين به من الناجين ، والمنكرين له من الوهابيين المنتقسين شأن الرسول (ﷺ) (العياذ بالله) .

هذا العمل الذي يجعلونه مصدراً للثواب والخير ، لم يكن في عهد الصحابة ولا في عصر التابعين وغيرهم طيلة ستة قرون وربع قرن ، وإيمان أحدثه - كما صرح العلماء - هو مظفر الدين بن زين الدين ، صاحب الاريل ، كان ملكاً مسرفاً ، فأمر علماء زمانه أن يعملوا باستتباطهم واجتهادهم وان لا يتبعوا المذهب غيرهم ، حتى مالت إليه جماعة من العلماء وطائفة من الفضلاء ، وكان يحتفل بمولد النبي (ﷺ) في الربيع الأول ، وهو أول من أحدث من الملوك هذا العمل (١) حيث إنه كان ينفق كل سنة على مولد النبي (ﷺ) نحو ثلاثمائة ألف ، وكان معينه ومساعدته في هذه البدعة أبو الخطاب عمر بن دحية ، وهو أول من ألف كتاباً

(١) إحسان إلهي ظهير : البريلوية ص ١٢٩ ، ترجمان السنة ، لاهور ، نقله من كتاب القول

المعتمد في عمل المولد ، لأحمد بن محمد المصري .

إسمه : " التتوير في مولد البشير النذير " وقرأ عليه أى الملك مظفر ، فأجازه بألف دينار ذهباً (١) .

ومن طريف ما يعلم في هذا الشأن ، أن السيوطى ذكر في كتابه : " الحاوى " أن الملك المظفر - مبتدع بدعة المولد - قد أعد سماطاً فى أحد الموالد التى يقيمها ، ووضع عليه خمسة آلاف رأس غنم مشوى وعشرة آلاف دجاجة ، ومائة فرس ومائة زبدية ، وثلاثين ألف صحن حلوى ، وإنه أقام سماعاً للصوفية من الظهر إلى الفجر ، وكان يرقص فيه بنفسه مع الراقصين (٢) .

يقول علماء السلف : إن الإحتفال بذكرى المولد مستحدث فى الإسلام ، لأن أحداً من السلف لم يفعله ولم يستحسنه ولم يرو احتفال الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين بالميلاد، ولو كان ذلك الأمر مشروعاً ، لكانوا قد أتوا به، ثم ما تشتمل عليه هذا المولد من المفاصد المحرمة والمكروهة وغير ذلك من الأفعال المأجنة ، وفيه تبذير وإسراف فى الأموال ، وضياعتها وقد كلف الله تعالى الإنسان إنفاقها فى سبيل اللهوفى الأمور المشروعة ، وفى تلك الإحتفالات تستعمل آلات المزامير والطبل والسرود ، وتقام حفلات الغناء والرقص ، ويشارك فيها الرجال والنساء ، دون الإعتبار للأحكام الشرعية

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) أبوبكر الجزائري : الإنصاف فيما قيل فى المولد ص ٥٠ - ٥١ ، دار الطرفين ، الطائف .

والآداب والأخلاق والقيم الإسلامية ، ثم فيه إستهانة بكلام الله المجيد والسنة النبوية الشريفة ، عندما يتلى في تلك المجالس والمحافل ، ولم ينزل القرآن من أجل ذلك وإنما أنزله الله ليقرأ على الناس على مكث وترتيل وخشوع ، بحيث تعم مناقعهم على الناس وليتعضوا به ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (١) أما إحياء الذكرى للمولد بخروج الرجال والنساء في الشوارع وتنظيم المسيرات ورفع الأعلام الخضراء مماثلة بلون القبة الخضراء بالمسجد النبوي بالمدينة المنورة ، فهي من الأمور المحرمة ، التي أخذها المسلمون من الشيعة الرافضة .

ويقول القوم : إن الإحتفال بالمولد النبوي ، بدعة حسنة ، مشيراً إلى أن البدعة عندهم نوعان : حسنة وسيئة ، وقد أشرنا إلى هذا الموضوع في الحديث عن البدعة .

قال الحافظ ابن رجب الحنبلي : " من قسم البدعة إلى حسنة وسيئة ، فهو غلط ومخطئ ومخالف لقوله (ﷺ) : ((فإن كل بدعة ضلالة)) لأن الرسول (ﷺ) حكم على البدع كلها بأنها ضلالة " .

قال ابن رجب في شرح الأربعين : فقوله : " كل بدعة ضلالة " من جوامع الكلم ، لا يخرج عنه شيء ، وهو أصل عظيم من أصول الدين ، وشبيهه بقوله صلى الله عليه وسلم ((من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد))

فكل من أحدث شيئاً ونسبه إلى الدين ولم يكن له أصل في الدين يرجع إليه، فهو ضلالة، والدين برئ منه، وسواء في ذلك مسائل الاعتقادات أو الأعمال أو الأقوال الظاهرة والباطنة (١) .

فالاحتفال بالمولد لا أصل له في الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح و القرون المفضلة، وإنما حدث متأخراً بعد القرن السادس الهجري، أحدثه الفاطميون الشيعة .

قال الإمام تاج الدين الفakahاني : " أما بعد ! فقد تكرر سؤال جماعة من المباركين عن الاجتماع الذي يعمل به بعض الناس في شهر ربيع الأول ، ويسمونه المولد ، هل له أصل في الدين . . . ؟

فقلت وبالله التوفيق : لا أعلم لهذا المولد أصلاً ولا ينقل عمله عن أحد من علماء الأمة الذين هم القدوة في الدين ، المتمسكون بآثار المتقدمين ، بل هو بدعة أحدثها الباطلون ، وشهوة النفس المنتن بها الأكالون (٢) .

(١) صالح بن فوزان : محاضرات في العقيدة والدعوة ج ١ ص ١١٠ ، دار العاصمة للنشر والتوزيع ، الرياض / ط : ١٤١٣ هـ .

(٢) راجع نفس المرجع ص ٢١١ .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : وكذلك ما يحدثه بعض الناس إما مضاهاة
لنصارى فى عيد ميلاد عيسى عليه السلام ، وإما محبة للنبي (ﷺ) وتعظيماً
... من اتخاذ مولد النبي (ﷺ) عيداً مع إختلاف الناس فى
مولده ، فإن هذا لم يفعله السلف ، ولو كان هذا خيراً محضاً أو راجحاً ،
لكان السلف رضى الله عنهم أحق به منا ، فإنهم كانوا أشد محبة للنبي (ﷺ)
وتعظيماً له منا ، وهم على الخير أحرص ، وإنما كانت محبته وتعظيمه فى
متابعته وطاعته ، واتباع أمره وإحياء سنته باطناً وظاهراً ، ونشر ما بعث
به ، والجهاد على ذلك بالقلب واليد واللسان ، فإن هذه طريقة السابقين
الأوليين من المهـاجرين والأتـصـار ، والذين
اتبعوهم بإحسان (١)

(١) راجع نفس المسر ص ١٤٠

المطلب الثامن

فـ

بدعة المشيخة والمريديّة

ومن البدع التي أصابت الأمة الإسلامية هي المشيخة والمريديّة ، ويقال بالفارسية (البير) ومعناه الرجل المتقدم أي الذي يكون أمام الناس ، فالتابع يسمى المريد ، والمتبوع يسمى (بير) أو الشيخ ، وللشيخ عند المتصوفة مكانة عظيمة ، حتى يقول السهروردي في كتابه العوارف : " ورتبة الشيخ أعلى المراتب في طريق الصوفية ، ونيابة الرسول (ﷺ) في الدعاء إلى الله " (١) ثم يقول : " فالشيخ من جنود الله تعالى ، يرشد به المريدين ، ويهdy به الطالبين " (٢) .

وقال بعض المتصوفة: لو أن العبد قرأ ألف كتاب في العلم ولا شيخ له ، كمن حفظ كتب الطب مع جهله بالداء والدواء ، وإن كل من يسلك الطريق على يد شيخ ، حكمه ، حكم من يعبد الله على حرف (٣) .
قال القشيري : من لم يكن له أستاذ فإمامه شيطان (٤) .

(١) السهروردي : عوارف المعارف ص ٨٣ .

(٢) نفس المرجع ص ٨٤ .

(٣) حقيقة التصوف : محمد أبوبكر الصديق ص ٧٧ ، المكتبة الإمدادية / دكا .

(٤) القشيري : الرسالة القشيرية ج ٢ ص ٧٣٥ ، وعوارف المعارف للسهروردي ص ٩٦ .

وفى سبيل تأكيد هذه الفكرة قال الشعراني : " اعلم يا أخى ! أن أحداً من السالكين لم يصل إلى حالة شريفة فى الطريق أبداً ، إلا بملاقاة الأشياخ ومعانقة الأدب منهم ، ومن ادعى الطريق بلا شيخ، كان شيخه إبليس " (١) .

ولا شك أن فكرة المشيخة والمريديّة ، لم تكن فى عصر الصحابة ولا فى عصر التابعين أو تابعى التابعين ، وإنما أخذها المتصوفة من الشيعة ، حيث إنهم يلزمون على الناس معرفة الإمام الذى لا تخلو الأرض منه ، ومن مات ولم يعرف ذلك الإمام، فقد مات ميتة جاهلية، أو ميتة كفر وضلال (٢) .

فبدعة المشيخة والمريديّة شائعة فى كل المجتمع ، وفى جميع أنحاء البلاد ، وكثير من المعاهد الدينية من القومية والحكومية والجوامع والخانقاهات ، أصبحت مركزاً^{لها} ، وتوجد هذه الظاهرة بصفة خاصة فى كل من محافظة (سلمت) و (نشتاكونخ) و (داكا) و (مومن شاهى) وظلت اليوم مسيطرة على النفوس والعقول ، مما يجعلهم يظنون أن الإيمان لا يصل إلى الكمال إلا بمصاحبة الشيخ ، وأخذ البيعة على يده ، والتسليم الكامل أمامه ، كما يظنون أن من لم يؤمن بالمشيخة والمريديّة فهو ضال ومضلّ ، مهما يكن عالماً ومتقناً بالعلم الدينى ، ومهما وصلت براعة علمه وحذاقة فهمه .

(١) الشعراني : الأنوار القدسية ص ١٧٣ ، دار إحياء التراث العربى - بغداد .

(٢) إحسان إلهى ظهير : التصوف ٢١٦ .

وهذه الفكرة التى شاعت فى البلاد تسببت نشوء الإنحراف فى المجتمع الإسلامى ، وخلفت أثراً سيئاً فيه ، منها :

أولاً : الإجلال للشيخ :

إن كل الإجلال والتكريم والتعظيم المطلق ، لا ينبغى لأحد إلا الله عز وجل الذى له الملكوت وله كل شئ ، والذى أوجد كل الكائنات ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١) .

ولكن نرى فى المجتمع الإسلامى البنغالى أن كثيراً من المسلمين ، يربطون أنفسهم بالمشائخ ، ولكل منهم شيخ مستقل ، لا يجوز له أن يتخذ غيره ، ما دام ملتزماً به ، ومن هنا فإنهم يعظمونهم تعظيماً كبيراً ويبالغون فى التمجيد والتعظيم ، بما لا يليق إلا بالله عز وجل ، ويجعلونهم فى مرتبة مكافئة لما يليق بالله تعالى ، وهذا شرك كبير قد أصيبت به الأمة ولا بد من علاجه .

ثانياً : خطف الثروات والأموال من الناس :

لا يخلو بلد من البلدان ولا مدينة من المدن إلا وفيها مجموعة من الأثرياء وأصحاب القطاعات والإقطاعات ، ولكن مشائخ الصوفية فى بنغلاديش ربما قد سبقوا هؤلاء فى جمع الأموال واحتكارها واستثمارها لكسب الأرباح الباهظة ، حتى أصبح منهم أغنياء البلاد ، يخطفون تلك الأموال من المريدين بالحيل والاختلاس ، من أخذ الهدايا والنذور دون النظر

(١) سورة يونس آية ٦٥ .

إلى أن ذلك المال هل هو حلال أم حرام ؟ أو دون الاعتبار أن المرید هل هو قادر على دفع المال أم غير قادر على ذلك ، الملايين من الدولارات والتاكا مودعة فى البنوك المحلية والخارجية وفى حساباتهم الخاصة لا يعلم عدد ذلك إلا الله سبحانه وتعالى ، ولهم بنايات وعمائر فخمة يعيشون فيها فى بحبوحة الحياة وأصبحت هذه المحلات التجارية والدكاكين مكاناً لبيع صكوك الغفران وتذاكر لدخول الجنة !! كأنهم وسطاء بين الله وبين الناس •

ثالثاً : المعاشرة بالرجال والنساء :

هناك آلاف من المزارات والزوايا يتخذها المشائخ الصوفية لخلواتهم تسمى " المجلس الخاص " قد زينت بالزخارف والزهور والستائر الملونة بالإضافة إلى أنواع من الأنوار والمصابيح ، وفيها أوقات خاصة بالزوار والزائرات وأيام معينة يجلسون فيها مع الرجال والنساء ويتحدثون بهم دون تمييز بين الجنسين ودون أى حجاب • • يتصافحون مع النساء بهذه الخلوات ويأخذون منهن البيعة ، و بعض من أولئك المشائخ يقابلون النساء بالخلوة دون حضور الرجال حتى من أزواجهن أو أقاربهن ، ناهيك عما يجرى فى تلك الخلايا والزوايا من الاباحة والانحلال والفساد والفضائح ، وبعضها قد تنافلت الصحف والمجلات ، مع ذلك فالجهلاء بالدين يعتبرونها " بركة " ولا يعتبرونها فساداً •

والخلوة بالأجنبيات محرم فى الإسلام كما ثبت ذلك بالكتاب والسنة
والله حذر من هذه الأعمال وذكر فيها تهديداً وعقاباً شديداً ، فكأنى بهؤلاء
المشائخ يستبيحون ما حرمه الشرع الحنيف .

رابعاً : تلقيب المشائخ « بالقبلة »

وهذه الكلمة لا تستعمل فى الشرع إلا للكعبة المشرفة التى هى قبلة
لسائر المسلمين يؤدون صلاتهم نحوها ، كما ورد فى الآية المباركة:
﴿ فَاتَوَلَّيْنَاكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، قَوْلُ وَجْهِكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ (١) .

ولكن الصوفية الهنود يستخدمونها فى غير محلها ، ويقولون عند ذكر
أسمائهم " شيخ فلان قبلة " حضور قبلة " " حضرة قبلة " وذلك إجلالاً
وتقديساً لشأن مشايخهم ، كأنهم عند الناس محل تعظيم مثل تعظيم الكعبة
المشرفة - العياذ بالله - .

(١) سورة البقرة آية ١٤٤ .

المطلب التاسع

فـ

بدعة المبايعة على يد الشيخ

ومن الأمور البدعية التي شاعت في المجتمع البنغالي وصارت اليوم من صور العبادة البيعة والمبايعة على أيدي مشائخ التصوف ، قال أبو طالب المكي " لابد من مجالسة عالم بالغن ، وعلامة ذلك ايثاره على ماسواه (١) . يقول الصوفية : إن من يسلك بدون الالتزام بالشيخ ولا يعتنى بالنظم الصوفية وقواعدها فلن يفلح أبداً ، ويعده من عبدة النفس والهوى . قال الإمام الغزالي في هذا المقام : " فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طريقه لأمحالة " (٢) .

وبهذه المناسبة قال السهروردي " لا يكون هذا إلا لمريد حصر نفسه مع الشيخ وانسلخ من إرادة نفسه وفنى في الشيخ يترك اختيار نفسه (٣) يعني تسليم نفسه إلى الشيخ تسليماً كاملاً ، فالذي يختار شيخاً للسلوك فيلزم متابعته في جميع الأمور التي يأمره بامتثالها ولا يجوز الخروج عنه .

(١) أبو طالب المكي : قوت القلوب ١/١٤١ .

(٢) الغزالي : إحياء علوم الدين ٣/٦٥ .

(٣) السهروردي : عوارف المعارف ص ٥٣ .

ومن هنا يبايع على يديه ، وحينئذ ، يد الشيخ تكون بمنزلة يد الرسول (ﷺ) على حد تعبير الصوفية ، فتسلم نفسه إلى الشيخ ، كتسليمه إلى الرسول (ﷺ) (١) ، وأوامره تكون بمثابة أوامره (ﷺ) ، ويطبقون الآية القرآنية في التزام البيعة للناس وهو قوله تعالى ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ، ثُمَّ لَا يَخُوضُوا فِيهَا أَنْفُسُهُمْ فَخُجَا مِمَّا قُضِيَتْ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٢) .

ومن هنا أصبحت للبيعة والمبايعة مكانة مرموقة في المجتمع ، بحيث ما من مجمع أو مجلس للصوفية يتجمع فيه آلاف من الناس ، يلتفون حول شيخ الطريقة إلا و يقدمون أيديهم تجاههم لنيل البيعة دون فرق بين الرجال والنساء ، ويتسابقون فيها، فإن كان الجمع غفيراً، بحيث يصعب أخذ اليد ، فحينئذ يقدم للحاضرين قماشاً طويلاً مثل العمام ، ويمسك كل منهم أطرافه ويتمتمون مع الشيخ إما بالفارسية أو العربية ولا يفهمون مضمون الكلمات التي يرددونها معه ، فمن أخذ يده و ردد الكلمات معه ، صار مريداً وتلميذاً للتصوف ، وعبادته تكون مقبولة عند الله ويثاب ، ومن لم يتمتع بالبيعة ولا تتلمذ على أحد من شيخ الطريقة ، فعبادته قاصرة .

والبيعة التي وردت في القرآن الكريم أكثر من مرة ، كانت في عهد

(١) السهروردي : عوارف المعارف ص ٥٣ .

(١) سورة النساء ٦٥ ، هذه الآية الكريمة صريحة لتحكيم رسول الله صلى الله عليه وسلم

باعتباره مشرع وقوله فيصل .

رسول الله (ﷺ) مثل بيعة العقبة الأولى والثانية وبيعة الرضوان (١) وهى محتوية بإعلان الدخول فى الإسلام أمام رسول الله (ﷺ) وأخذ المواثيق والعهود على السمع والطاعة والإخلاص لدين الله ، والإنصياح لأوامر رسول الله (ﷺ) والدفاع عن الإسلام وعن رسوله (ﷺ) ، والجهاد فى سبيل الله .

ومثل هذه البيعة ، انتهت وظيفتها بعد وفاة رسول الله (ﷺ) بل إنها تخص به (ﷺ) ، لذا لم نجد أحداً من الخلفاء الراشدين والصحابه الكرام أخذوا البيعة من المسلمين ، فلما جاء دور التصوف وكثرت أنشطته ، التزم الصوفية هذه البيعة وأجازوها لأتباعهم .

قال الشاه ولى الله الدهلوى فى هذا الشأن : " وكانت بيعة الإسلام متروكة فى زمن الخلفاء ، أما فى زمن الراشدين منهم ، فلأن دخول الناس فى أيامهم كان غالباً بالقهر والسيف لا بالتأليف وإظهار البرهان ، ولا طوعاً ورجبة (٢) .

ثم كانت البيعة فى عهد الرسول (ﷺ) على التوحيد والعمل بكتاب الله وسنة رسوله ، والجهاد فى سبيل الله ، والدفاع عن الرسول (ﷺ) ، والتعاون فى أداء رسالته ، ولم تكن كما كانت مفهوماً عند الصوفية

(١) شهاب الدين أحمد النويرى : نهاية الأرب فى فنون الأدب ج ١٦ ص ٣١٣ ، وزارة الثقافة

والإرشاد القومى / مصر .

(٢) الشاه ولى الله : القول الجميل ص ٨ .

كما أنها لم تكن على الأسلوب الذى يفعله الصوفية اليوم .
قال الراغب فى مصطلح البيعة : بايع السلطان : إذا تضمن بذل الطاعة
له ، بما رضى له ، ويقال لذلك : بيعة ومبايعة (١) .

وهذا المفهوم نجده فى القرآن الكريم فى المبايعة ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ الدِّينَ
يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ ، يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ، فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ
عَلَى نَفْسِهِ ﴾ (٢) .

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يَشْكُنَ
بِاللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ ، وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ
بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلِهِنَّ ، وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَأَسْتَخْرِضْنَهُنَّ اللَّهُ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

وأيضاً ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا
فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ (٤) .

وجاء فى الحديث الشريف : عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) انه قال :
((بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة فى العسر و
الميسر والمنشط والمكسرة وعلى أثرة علينا ، وعلى أن لا تتنازع الأمر
أهله وعلى أن نقول الحق أينما كنا ، لا تأخذنا فى الله لومة لائم)) (٥) .

-
- | | |
|-----|--|
| (١) | راغب الاصفهاني : المفردات ، مادة ب - ي - ع . |
| (٢) | سورة الفتح آية ١٠ . |
| (٣) | سورة الممتحنة آية ١٢ . |
| (٤) | سورة الفتح آية ١٨ . |
| (٥) | رواه البخارى . |

وهناك أحاديث كثيرة تدل على مبايعة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما توجهنا إلى البيعة الصوفية رأينا أنهم يبايعونهم على اتباع الطريقة الخشيتة والنقشبندية والمجددية ويقولون في المبايعة " اننى بايعت على يد الشيخ الفقير العبد على أنى التزم باتباع الطريقة الخشيتة أو القادرية أو النقشبندية وأقرأ كل ما تقره هذه الطريقة من الأذكار والأوراد " (١) ثم يقرأ عليهم الصلاة والسلام على رسول الله ويسمونها دلائل الخيرات (٢) .

وهذه الأنواع من المبايعة مخالفة صريحة للشرعية الإسلامية لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تنقل عن أحد من الصحابة الكرام رضوان الله عليهم اجمعين .

(١) الشيخ محمد عبد الرحيم : سنة وبدعة " بنغالية " ص ١٧٦ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

المطلب العاشر

فـ

بدعة التوسل والوسيلة

ومن تلك البدع التي نشأت في المجتمع الإسلامي في البنغال هي بدعة التوسل والوسيلة ، وأصبحت اليوم شائعة ومنتشرة في سائر المدن والقرى وفي الحواضر والبادي ، ويظنها جزءاً للإسلام ، وهؤلاء الجهلة بالدين من المتصوفة قد أساءوا فهم الوسيلة التي وردت في بعض الآيات القرآنية ، وحسبوا أن الوسيلة التي تبتغى إلى الله تعالى هي عبادة أمثالهم ، منهم ممن درج وأفضى إلى ما قدم ، ومنهم من لم يزل حياً تسعى به القدم ، فسألوا الله تعالى بذواتهم وتوجهوا إليه بأشخاصهم ، وأقسموا عليه بحقهم ، فضل سعيهم وحبط عملهم وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا .

والدرس الذي يلقيه المتصوفة لعامة الناس وخاصة في الذين جعلوهم في دائرة المريديّة بأنه من المستحيل ترابط العلاقة بين الرب والعباد وتوطيدها إلا بأخذ التوسل بولي من الأولياء أو بشيخ من شيوخ التصوف أو الطريقة ، ولا يمكن لإنسان أن تحصل له منفعة دينية أو دنيوية أو دفع ضرر أو نقصان إلا بالتوسل بأحد من هؤلاء ، وبدونه تكون العبادة مبتورة ومقطوعة .

يدعى المتصوفة أن الأولياء كالأنبياء ، أحياء فى قبورهم ، ولا يطرأ عليهم الموت إلا لثوان ولحظات كخطف البصر ، ثم ترجع إليهم أرواحهم و يحيون حياة دنيوية مع الأبدان و يسمعون ويجيبون ، يقومون ويجلسون ، ينامون ويستيقظون ، ومن هنا يزعم القوم أن الأولياء أحياء فى قبورهم ، يتصرفون كيف يشاءون ويستجيبون لنداء الناس •

فيجوز التوسل بهم كما يجوز ذلك فى حياتهم ، وعلى سبيل المثال إن الإمام عبد الوهاب الشعرانى كان يلتزم بالحضور فى عرس سيدى أحمد البدوى الكبير ، ومرة حصل له التأخير فى الحضور ليومين ، فىرى المجاورون لمرقده أن السيد البدوى يرفع حجاب به بتكرار ، ويسأل عن مريديه عبد الوهاب ، هل حضر أم لم يحضر حتى الآن ، فلما حضر أخبره المجاورون بقبره بما جرى من رفع الحجاب عن القبر وسؤاله عنه ، فقال عبد الوهاب: أعلم السيد بحضوري لمرقده ومزاره ؟ فقالوا: كيف ، وهو الذى قال : " من أراد زيارتى من منزله فهما بعد منزله أعلم بإرادته وأرافقه حتى يحضر قبرى ولا يضع حمله إلا وأكون ضامناً له " (١) •

وأمثال كثيرة مليئة بالخرافات ، وكثير من العلماء المتصوفين قد افتوا بجواز التوسل ، وقالوا : إنه لا يمكن لأحد الحصول على التقرب

(١) راجع : احسان الهى ظهير : البريلوية ص ٢٢٢ - ٢٢٨ " يتصرف " إدارة ترجمان

السنة لاهور ط ١ ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م •

إلى الله دون الأخذ بالوسيلة والتوسل ، فإنهم يمثل هذه الفتاوى أوقعوا الناس في الشرك بالله تعالى •

وجاء في أحد الفتاوى " أنه يجوز بل الواجب على العباد اتخاذ الوسيلة للحصول على القربى والرحمة والمغفرة (١) •

ولمثل هذه الفتاوى أثر بالغ في المجتمع ، حتى يظن الناس أن الصوم والصلاة والزكاة وغيرها من العبادات لا تصعد إلى السماء ولا تتشرف القبول عند الله عز وجل ما لم تتخذ الوسيلة بالمشايخ ، ويقولون إن مجرد التصور للشيخ المعين يستوجب الرضا ورضا الشيخ يستوجب رضا الله (٢) •

وهذه الوسيلة مثل أن يقال بجاه فلان ، أو بحق فلان ، أو بوسيلة عبد القادر الجيلاني أو بجاه خواجه معين الدين جشتي أو بشيخ معين ، وهذه الكلمات ظلت معروفة ومتداولة في المجتمع البنغالي ، ووصل الأمر إلى حد أن من يدعوا الله تعالى ولا يتوسل بشيخه أو بولي من أوليائه تعالى ، ترد - بزعمهم - عليه دعوته ولا يستجاب لها •

(١) الشيخ محمد عبد الرحيم : السنة والبدعة " بنغالية " ص ١١٩ ، خيرون بروكاشوني ،

دكا ، بنغلاديش •

(٢) نفس المرجع ونفس الصفحة •

معنى الوسيلة :

- قال الفيروز آبادي : الوسيلة والواسطة المنزلة عند الملك ، والدرجة والقربة ، ووصل إلى الله توسيلاً عمل عملاً تقرب به إليه كتوسل .
- قال الراغب : الوسيلة التوصل إلى الشيء برغبة ، وهي أخص من الوسيلة لتضمنها لمعنى الرغبة ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَ ﴾ فحقيقة الوسيلة إلى الله مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة ، وهي كالقربة .
- قال الزمخشري : الوسيلة كل ما يتوسل به أي يتقرب من قرابة أو صنعة أو غير ذلك ، فاستعيرت لما يتوسل به إلى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي .
- قال البيضاوي : الوسيلة ما تتوسل به إلى ثوابه والزلفى منه من فعل الطاعات وترك المعاصي .
- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في شرح الوسيلة التي ترد في القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، فلفظ التوسل يراد به ثلاثة معان :
- أحدها : التوسل بطاعته ، فهذا فرض لا يتم إلا به .

(١) سورة المائدة ٣٥ .

(٢) الراغب : غريب القرآن .

(٣) تفسير الزمخشري في تفسير : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَ " .

الثاني : التوسل بدعائه وشفاعته ، وهذا كان في حياته ويكون

يوم القيامة ، يتوسلون بشفاعته .

الثالث : التوسل بمعنى الاقسام على الله بذاته والسؤال بذاته ، فهذا

هو الذى لم تكن الصحابة يفعلونه فى الاستسقاء ونحوه ، لافى حياته ولا بعد مماته لا عند قبره ولا غير قبره ، ولا يعرف فى شئ من الأدعية المشهورة بينهم وإنما ينقل شئ من ذلك فى احاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عن من ليس قوله حجة (١) .

عرفنا من سياق هذه الأنواع من معانى التوسل أنه هناك توسلاً مشروعاً ويحصل ذلك من فعل الطاعات وترك المعاصي ، ومن أداء الفرائض والواجبات واجتناب المحرمات وغير ذلك من الأفعال التى ينزل فيها العقاب والزجر ، فإذا كان العبد يقوم بأداء الواجب الدينى على هذا الأساس فإن له حظاً للتقرب إلى الله تعالى واستحقاق الأجر منه .

أما اتخاذ ذوات الأشخاص وسائل إلى الله تعالى فباطل فإنه من الظن وخدعة من خدع الشيطان ، أما التوسل بجاه فلان فلا يجوز وما يظنه البعض أنه ورد فى الحديث قول النبى (ﷺ) ((توسلوا بجاهى فإن جاهى عند الله)) وهذا الحديث موضوع عند أئمة الحديث

(١) ابن تيمية : قاعدة جلية فى التوسل والوسيلة ص ٥٠ ، المكتبة العلمية ، بيروت لبنان .

وأما ما رواه البخارى فى حديث الغار الذى طبقت عليهم الصخرة
حديث نفر الثلاث ، فإن توسلهم كان يصلح أعمالهم ، لابذاتهم ، قال :
أبو حنيفة وأصحابه " لا يسأل لمخلوق ولا يقال أحد أسألك بحق نبيك " وقال
أبو الحسن القدورى : " المسألة لا يجوز لأنه لاحق للخلق على الخالق ،
فلا تجوز وفاؤها " (١) .

أما الإستشفاع بالنبي (ﷺ) وغيره فى الدنيا إلى الله تعالى فى الدعاء
ففيه تفصيل : فإن الداعى تارة يقول : بحق فلان أقسم
على الله بأحد من مخلوقاته فهذا محذور من وجهين :
أحدهما : أنه أقسم بغير الله .

ثانيهما : اعتقاده أن لأحد على الله حقاً ، ولا يجوز الحلف بغير
الله ، وليس لأحد على الله حق إلا ما أحقه على نفسه ، كقوله تعالى ﴿ وَكَانَ
حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾^(٢) وكذلك ما ثبت فى الصحيحين من قوله صلى الله عليه
وسلم لمعاذ رضى الله عنه وهو رديفه : ((يا معاذ أتدرى ما حق الله على
عباده ؟ قلت الله ورسوله أعلم قال حقه عليهم أن يعبدوه ولا يشركوا

(١) انظر : د/ صالح بن فوزان الفوزان : أضواء على فتاوى شيخ الإسلام ، نشرت فى

مجلة الدعوة - الرياض ١٤١٤ هـ العدد ١٤٠٣ .

(٢) الروم : ٤٧

به شيئاً ، أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ قلت الله ورسوله
اعلم ، قال حقهم عليه أن لا يعذبهم)) •

فهذا حق وجب بكلماته التامة ووعدده الصادق ، لا أن العبد نفسه
يستحق على الله شيئاً كما يكون للمخلوق على المخلوق ، فإن الله هو المنعم
على العباد بكل خير ، وحقهم الواجب بوعدده هو أن لا يعذبهم ، وترك
تعذيبهم معنى لا يصلح أن يقسم به ولا أن يسأل بسبب ويتوسل به ،
لأن السبب هو ما نصبه الله سبباً •

وكذلك الحديث الذى فى المسند من حديث أبى سعيد الخدرى (رضي الله عنه)
عن النبى (ﷺ) فى قول الماشى إلى الصلاة: ((اسألك بحق ممشاى هذا وبحق
السائلين عليك)) فهذا حق السائلين هو أوجهه على نفسه ، فهو الذى أحق
للسائلين أن يجيبهم وللعابدين أن يثبهم)) •

المطلب الحادى عشر

فـ

بدعة الشعوذة والتعاويذ

ومما ابتلى به المسلمون المعاصرون فى شبه القارة الهندية ، الشعوذة والسحر والتماائم والتعاويذ ، كل ذلك قد أخذوها من الثقافة والعادات الهندوكية ، إنها عملية ذات تأثير فى حياة الفرد والمجتمع ، و هم يجعلون ذلك من شعائر الإسلام وعباداته .

ويزعمون أن الإيمان بها والاعتقاد بمؤثراتها أمر لا ينفك عنه الإسلام حتى أن من ينكر ذلك فقد يقع إلى المهالك ، وكان لجماعة من أهل التصوف باع فى إشاعة هذه الفكرة بين المسلمين فى المنطقة ، وهم بذلك فتحوا محلات تجارية يكسبون منها منافع مادية ضخمة ، ولكل من أنواع الشعوذة و التماائم أسعار محددة يحددونها وفق حجم العملية وأهمية القضية ، يتوهم عامة المسلمين من ناقصى العقل والدين أن فى هذه الأشياء قوة مؤثرة فعالة يمكن اللجوء لها عند الضرر والنقصان أو عند الإصابة بمرض أو غير ذلك مما يتعرض له الناس ، إن هذه الأعمال لم تثبت مصداقيتها من الكتاب والسنة ولم يعمل بها الصحابة الكرام والسلف الصالح .

إذاً فما هو المصدر لها وكيف تسالت في المجتمع الإسلامي البنغالي ؟ إن هذه اسئلة تتطلب الإجابة الشافية حتى يتضح للمسلمين أنها دخيلة في مجتمعاتهم وليس لها مصداقية في الشرع الإسلامي ، لذا فنقول: إن هذه الفكرة قد تسالت إلى المجتمع الإسلامي من العادات والتقاليد والثقافات الهندوكية التي كانت تحيط بالمسلمين آنذاك ، وقد أشارت أشارت إلى ذلك بعض الكتب التي كتبها عدد من العلماء حول هذا الموضوع ، وتعتبر هذه ^{الكتب} الكتب المهمة التي تتناول الشعوذة والتعاويذ ونتائجها وكيفية تأثيرها على الناس ، منها :

أ - الكتاب الذي ذاع صيته بالهند في مجال الدعوة " الجواهر الخمس " ألفه الشيخ / عبدالمؤيد عام ٩٥٦م وهو من أصل منطقة كجرات الهندية ، وفي رأى المؤلف، إن نتائج العلوم بالجواهر الخمس تتحقق في المجالات التالية :

- ١ - إحداث الشقاق بين الأخوين .
- ٢ - إزالة الأمراض من أحد أو إهلاكه .
- ٣ - حصول المنافع الدنيوية أو الآخروية .
- ٤ - الانتصار في حرب أو الإتهزام فيها .

إن هذا الكتاب قد تم تأليفه متأثراً بالثقافات الهندوكية المتنوعة، ولكنه يتناول على أنه نوع من الثقافة الإسلامية ولسنا بصدد الحديث عن هذا الموضوع ، والشئ الذي يهمنا هنا هو البحث الجاد عن العلاقة بين تلك العلوم

التي تكن بالأسرار وبين التعاليم الإسلامية ، لكشف المزيّر
علينا أن نقسمها إلى أمور آتية :

أولاً : عامل (Amil) وهو إشارة إلى الأوصاف التي ينبغي أن تكون فيه .

ثانياً : تحديد المواقيت للعمليات المعينة له .

ثالثاً : تفسير بعض الكلمات المصطلحة الخاصة بهم ، وذلك مثل : نصاب ،

زكاة ، عشر ، قفل ، دور ، بذل ، ختم ، سريع الإجابة .

رابعاً : إحضار الجن واستعمالهم لأغراض شخصية (١) .

ب - وفي دائرة المعارف الإسلامية حول التعويذ والشعوذة حيث جاء فيه:

وفي الهند كتب عدة في موضوع التعاويذ ، أشهرها إثنان : الجواهر

الخمسة و نقوش سليمانى . . بعض العلماء قد جوزوا استعمال التعاويذ

وتعليقها لإزالة الأمراض إن كانت هذه من القرآن والسنة ، ولكن الأفضل

الاجتناب من هذه العملية ، وذلك لتفادى الوقوع فى بعض الشراكيات و

المشتبهات (٢) .

ج - وجاء فى دائرة المعارف أيضاً :

والكتاب الجامع لفن التعاويذ المشهورة فى الهند " الجواهر الخمس " الذى

ألفه الشيخ المؤيد عام ٩٠٦ هـ ، الساكن فى كجرات ، وفى هذا الكتاب بعض

(١) راجع : A dictionary of Islam . p - 72 - 73

(٢) دائرة المعارف الإسلامية (اردو ك باب تعويذ ج ، ص ١٦٠ .

العمليات لاستخدامها في الأمور الآتية :

- ١ - إحداث الشقاق بين الأخوين ، إلغاء العداوة بينهما •
- ٢ - لإزالة الأمراض من إنسان أو لإهلاكه •
- ٣ - للحصول على المراد •
- ٤ - للانتصار في الحروب •
- ٥ - لإحضار الجن وغيره •

إن أى أمة أنشئت على توحيد الله تعالى وعبادته، بعدت عن الوثنيات بأنواعها ، فإنها لن تقبل بالسحرة وبالكهنة يعبثون فى العقيدة والدين ، لأن لها آثار سيئة فى الأفراد والمجتمع ، لذا وجب الإحتراز من هذه الأشياء •

وقال صلى الله عليه وسلم : ((من أتى كاهناً أو مساحراً ، فصدقه بما يقول ، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم)) (١) •

وقال صلى الله عليه وسلم : ((من أتى عرافاً فسأله عن شيء فصدقه ، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً)) (٢) •

وقال أيضاً ((من عقد عقدة ، ذمر نث فيها فقد سحر ، ومن سحر فقد أشرك ، ومن تعلق شئناً وكل إليه)) (٣) •

(١) رواه أبو داود عن أبى هريرة •

(٢) رواه مسلم فى صحيحه عن بعض أزواج النبی صلى الله عليه وسلم •

(٣) رواه النسائى عن أبى هريرة •

المطلب الثاني عشر

فـ

برعة عقيدة النور المحمدي

ويشتمل على خمسة فروع

- الفرع الأول : حب الرسول ———— ول مطلب للمسلمين
- الفرع الثاني : الذب عنه ———— وعن سنته
- الفرع الثالث : تصديقه في ———— ما أخبر
- الفرع الرابع : اتباعه ———— وطاعته والاهتداء بهديه
- الفرع الخامس : التحاكم إلى سنته وشريعته

المطلب الثاني عشر

فـ

بدعة عقيدة النور المحمدى

إن ما يقوله المتصوفة عن شخصية الرسول محمد (ﷺ) بأنه فوق عادة البشر ، وأنه خلق من نور الله ، وأنه ليس له فى عند ما يمشى تحت الشمس وإنه حى وموجود ، ويتجول حول العالم وغير ذلك .
نقول : إن هذه الفكرة استمدوها من مقولتهم " الحقيقة المحمدية " أو " النور المحمدى " على حد تعبير المتصوفة .

يقول أصحاب هذه الفكرة : إن محمداً (ﷺ) ليس مخلوقاً ككل الناس ، وإنما هو (أزلى) الوجود ، وإن أول شئ خلقه الله تعالى هو الروح المحمدية أو النور المحمدى (١) .

قال التستري فى تفسير الآية ﴿ إِنَّكَ جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ (٢) : إن الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام قال للملائكة : إني جاعل فى الأرض خليفة ، وخلق آدم عليه السلام من طين العزة من نور محمد (ﷺ) ، وهكذا تكون نفس محمد (ﷺ) أزلية ، لأنها هى نفس الله

(١) د: مصطفى غلوش : التصوف الإسلامى بين الأشراف والفلسفة ص ٥٨ ، جامعة الأزهر .

(٢) سورة البقرة ٣٠ .

التمثلة في النور (١) وقد ظهر (محمد) أول ما ظهر في صورة (آدم) وظل (محمد) يظهر بعد ذلك في صورة جميع الأنبياء من بعد آدم ، فالروح المحمدية ، هي الروح الإلهية التي نفخ الله منها في (آدم) وإن الحقيقة المحمدية هي مبدأ الحياة ومركزها في العالم ، وهي روح كل شئ في الكون وحياته (٢) .

ولاشك أن هذه الدعوة (الحقيقة المحمدية) تناقض العقيدة الإسلامية ، بل إنها مؤيدة لعقيدة التناسخ للأرواح وأزليتها ، وتتناسب مع المعتقدات المتصوفة والوثنية الفارسية والهندوسية والأفلاطونية المحدث (٣) .

ثم إن أزلية النور المحمدي الذي ظهر في صور جميع الأنبياء من آدم إلى عيسى ، ثم ظهر في صورة الرسول (محمد نفسه) ، ولكن ظهور محمد لم ينته في نظر دعاة فكرة (الحقيقة المحمدية) بموته (ﷺ) ويقولون بل يعتقدون : إن محمداً (ﷺ) لا يزال يظهر في صورة الأولياء الذين يقتبسون من نوره ، وهذا غاية الضلالة ، لأن هذه الفكرة تخالف الآية القرآنية الصريحة ، قال الله فيها: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا

الْمُكْمِلُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ (٤) .

-
- (١) د: كامل الشيبني : الصلة بين التصوف والتشيع ص ٤٥١ .
 - (٢) د: مصطفى غلوش : التصوف الإسلامي بين الإشراف والفلسفة ص ٥٨ .
 - (٣) د: سامي النشار : نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام ج ٢ ص ١٦٥ ط ٧ دار المعارف .
 - (٤) سورة الكهف ١١٠ .

وقال أيضاً : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ، إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ﴾ (١) ، وكان رسول الله (ﷺ) مع كونه سيد الأنبياء ونبي الرحمة والهدى ، لم يكن إلّا بشراً رسولاً ، كان يأكل وينام ويصوم ويفطر ويتزوج ويتعبد ويشير ويستشير أصحابه ، ومع كل هذه الدلائل البشرية الموجودة فيه ، فإنه كان نبياً قد اصطفاه الله تعالى من بين الناس ، وأنزل عليه الوحي ، فلا يعلم الغيب ولا يخلد ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ ، أَفَرَأَى مِتَّ فَهُمْ الْخَالِطُونَ ﴾ (٢) .

ثم إن الإسلام قرر أن الروح أو النفس حادثة ، ولا يطرأ عليه القدم ، لأن القديم هو الله سبحانه وتعالى ، وكل شئ هالك إلا وجهه ، والمسيحيون يقولون عن نبيهم عيسى عليه السلام إنه روح قديم أزل جزء للإله الواحد ، وهذه عقيدة مخالفة لأصول العقيدة الإسلامية ، أخذها المتصوفة من الشيعة أو أتباع المسيحية أو الوثنية .

الفرع الأول : حب الرسول لمسلمين :

إن محبة الرسول (ﷺ) أصل عظيم من أصول الدين ، فلا إيمان لمن لم يكن الرسول (ﷺ) أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين .

(١) سورة التوبة ٢٤ .

(٢) سورة الأحزاب ٦ .

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرْضَوْنَهَا ، أَحَبُّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ ، فَتَرْبُطُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرٍ ، وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ (١) .

قال القاضي عياض في شرح الآية : فكفى بهذا حرصاً وتنبههاً ودلالة وحجة على إلزام محبته ، ووجوب فرضها وعظم خطرها ، واستحقاقه (ﷺ) ، إذ قرع الله من كان ماله وولده أحب إليه من الله ورسوله ، وتوعدهم بقوله تعالى : ﴿ فَتَرْبُطُوا حَتَّى يَأْتِيَكُمُ اللَّهُ بِأَمْرٍ ﴾ ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله .

وقال تعالى : ﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٢) .

وقال النبي (ﷺ) : ((لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين)) (٣) .

وقال أيضاً : ((والذي نفسى بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده)) (٤) .

وعن عبد الله بن هشام قال : كنا مع النبي (ﷺ) وهو

(١) سورة التوبة ٢٤ .

(٢) سورة الأحزاب ٦ .

(٣) رواه البخاري ٥٨/١ ومسلم ٦٧/١ .

(٤) رواه البخاري ٥٨/١ .

أخذ بيد عمر بن الخطاب ، فقال له عمر : يا رسول الله لأنت أحب إلي من كل شيء إلا من نفسي ، فقال النبي (ﷺ) : لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك ، فقال عمر : فإنه الآن والله لأنت أحب إلي من نفسي ، فقال النبي (ﷺ) : " الآن يا عمر " (١) .

آثار محبته ﷺ الله عليه وسلم : المحبة عمل قلبي إعتقادي ، تظهر آثاره ودلائله في سلوك الإنسان وأفعاله ومن علامات ذلك :

أولاً : تعزير النبي ﷺ الله عليه وسلم وتوقيره :

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِراً وَنَذِيراً ، لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ

وَتُحْذَرُوا وَتُوقَرُوا وَتُسَبِّحُوا بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ (٢) .

ذكر ابن تيمية : " أن التعزير إسم جامع لنصره وتأييده ومنعه من كل ما يؤذيه " والتوقير : " إسم جامع لكل ما فيه سكينه وطمأنينة من الإجلال والإكرام ، وأن يعامل من التشريف والتكريم والتعظيم بما يصونه عن كل ما يخرج عنه عن حد الوقار " (٣) .

وتوقير النبي (ﷺ) له دلائل عديدة منها :

١ - عدم رفع الصوت فوق صوته :

قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ

(١) رواه البخارى ٥٢٣ / ١١ .

(٢) سورة الفتح ٩ .

(٣) ابن تيمية : الصارم المسلول على شاتم الرسول ص ٢٢ .

وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١﴾
وعن السائب بن يزيد قال : كنت قائما في المسجد فحصبني رجل ،
فنظرت فإذا عمر بن الخطاب ، فقال : اذهب فأتني بهذين ، فجئته بهما ،
قال : من أنتما ، أو من أين أنتما ؟ قالوا : من أهل الطائف ، قال : لو كنتما
من أهل البلد لأوجعتكما ، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله (ﷺ) .

٢ - الصلاة عليه : قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (٣) .
قال ابن عباس : يصلون : يبركون (٤) وفي الآية أمر بالصلاة عليه ،
والأمر يقتضي الوجوب ، لهذا قال النبي (ﷺ) : ((البخيل من دُكِرْتُ عنده
فلم يُصلِّ عليَّ)) وقال : ((رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ دُكِرْتُ عنده فلم يُصلِّ عليَّ))
(٥) .

الفرع الثاني : الذب عنه وعن سنته : إن الذب عن رسول الله (ﷺ)
ونصرته آية عظيمة من آيات المحبة والإجلال .

(١) سورة الحجرات ٢ .

(٢) رواد البخاري ٥٦٠/١ .

(٣) سورة الأحزاب ٥٧ .

(٤) رواد البخاري ٥٣٢ / ٨ .

(٥) رواد أحمد ٢ / ٢٠١ و الترمذي ٥٥٠ / ٥ .

قال الله تعالى : ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ
فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً وَيَبْتَغُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوَّلَ الْكَلِمَةِ هُمْ الطَّائِفُونَ ﴾ (١) .

ولقد سطر الصحابة رضي الله عنهم ، أروع الأمثلة وأصدق الأعمال في
الذب عن رسول الله (ﷺ) ، فضحوا بالأموال والأولاد والأنفس ، في
المنشط والمكره ، في العسر واليسر ، وكتب السير عامرة بقصصهم
وأخبارهم التي تدل على غاية المحبة والإيثار ، وما أجمل ما قاله أنس بن
النضر يوم أحد لما انكشف المسلمون : " اللهم إني أعذر إليك مما صنع
هؤلاء - يعني أصحابه - وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء - يعني المشركين -
ثم تقدم فاستقبله سعد ، فقال : يا سعد بن معاذ الجنة ورب النضر ، إني أجد
ريحها من دون أحد ، قال سعد : فما استطعت يا رسول الله ما صنع ، قال
أنس بن مالك : فوجدنا به بضعاَ وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو
رمية بسهم ، ووجدناه قد قُتل وقد مثل به المشركون ، فما عرفه أحد إلا
أخته بيناته (٢) .

ومن الذب عن سنته (ﷺ) : حفظها وتلقيحها ، وحمايتها

(١) سورة الحشر . ٨ .

(٢) رواه البخاري ٢١/٦ ، ٣٥٤/٧ .

من إنتحال المبطلين وتحريف الغالين وتأويل الجاهلين ، ورد شبهات الزنادقة والطاعنين في سنته ، وبيان أكاذيبهم ودسائسهم ، وقد دعا رسول الله (ﷺ) بالنضارة لمن حمل هذا اللواء بقوله : ((نضرا لله امراً سمع منا شيئاً ، فبلغه كما سمعه ، فرب مبلغ أوعى من سامع)) (١) .

والتهاون في الذب عن رسول الله (ﷺ) أو الذب عن سنته وشريعته ، من الخذلان الذي يدل على ضعف الإيمان ، أو زواله بالكلية ، فمن ادعى الحب ولم تظهر عليه آثار الغيرة على حرمة وعرضه وسنته ، فهو كاذب في دعواه .

الفرع الثالث : تصديقه فيما أخبر :

من أصول الإيمان وركائزه الرئيسية ، الإيمان بعصمة النبي (ﷺ) وسلم ، وسلامته من الكذب أو البهتان ، وتصديقه في كل ما أخبر من أمر الماضي أو الحاضر أو المستقبل ، قال الله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ طَائِفُكُمْ وَمَا عَوَىٰ وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۖ ﴾ (٢) .

والجفاء كل الجفاء ، بل الكفر كل الكفر ، اتهامه وتكذيبه فيما أخبر ، ولهذا ذم الله المشركين بقوله : ﴿ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَكَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ

(١) أخرجه أحمد ٤٣٧/١ والترمذي ٣٤/٥ .

(٢) سورة النجم ١-٤ .

يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَفْتَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ، بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِغَلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿١﴾

ومن لطائف هذا الباب التي تدل على منزلة الشيخين الجليلة، أن رسول الله (ﷺ) قال لأصحابه : ((بينما راع في غنمه ، عدا عليه الذئب ، فأخذ منها شاة ، فطليها حتى استنقذها ، فالتفت إليه الذئب ، فقال : من لها يوم السبع ليس لها راع غيري ؟ بينما رجل يسوق بقدر قد حمل عليها ، فالتفت إليه ، فكلمته ، فقالت : إني لم أر خلق لهذا ، ولكني خلقت للحرث ، فقال الناس : سبحان الله ! قال النبي صلى الله عليه وسلم : فإني أؤمن بذلك وأبوكرو عنه وبين الخطاب)) (٢) .

الفرع الرابع : اتباعه وطاعته والإلهتدأ بهديه :

الأصل في أفعال النبي (ﷺ) وأقواله أنها للإتباع والتأسي ، قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾ (٣) .

(١) سورة يونس آية ٣٧ - ٣٩ .

(٢) أخرجه البخاري ١٥٢/٦ ، ٤٢، ١٨/٧ .

(٣) سورة الأحزاب آية ٢١ .

قال ابن كثير : " هذه الآية أصل كبير في التأسى برسول الله (ﷺ) يوم الأحزاب في صبره ومصابرته ومرابطته ومجاهدته وانتظاره الفرج من ربه عز وجل (١) وجاء أمر الله سبحانه وتعالى في وجوب طاعة الرسول (ﷺ) في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ (٢) وجعل الله عز وجل طاعة الرسول (ﷺ) من طاعته سبحانه وتعالى ، فقال : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾ (٣) وأمر بالرد عند التنازع إلى الله والرسول ، فقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٤) .

وتواترت النصوص النبوية في الحث على إتباعه وطاعته ، والإهتمام بهديه والاستئذان بسنته ، وتعظيم أمره ونهيه ، ومن ذلك قول الرسول (ﷺ) : ((فعليكم بمسئتي وسنة الخلفاء المرشدين المهديين ، تمسكوا بها وعضلوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدث بدعه ،

-
- | | |
|-----|---------------------------|
| (١) | ابن كثير : تفسيره ٤٧٥/٣ . |
| (٢) | سورة الحشر آية ٧ . |
| (٣) | سورة النساء آية ٨٠ . |
| (٤) | سورة النساء آية ٩٥ . |

وكل بدعة ضلالة)) (١) وقال (ﷺ) : ((صلوا كما رأيتموني أصلي)) (٢) .

وقال (ﷺ) : ((لتأخذوا عني مناسككم)) (٣) .

فطاعة الرسول (ﷺ) هي المثال الحي الصادق لمحبتة عليه الصلاة والسلام فكلما ازداد الحب ، زادت الطاعات ، ولهذا قال الله عز وجل : ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (٤) .

الفرع الخامس : التحاكم إلى سنته وشريعته :

إن التحاكم إلى سنة النبي (ﷺ) أصل من أصول المحبة والاتباع ، فلا إيمان لمن لم يحتكم إلى شريعته ، ويسلم تسليماً ، قال الله تعالى : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِيهِ أَنْفُسَهُمْ حَزَاجًا مِمَّا قُضِيَتْ وَتُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ (٥) .

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن من علامات الزيغ والنفاق الإعراض عن سنته ، وترك التحاكم إليها ، قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ

(١) أخرجه أحمد ١٢٦/٤ ، وأبو داود ١٣/٥ ، ١٥ .

(٢) أخرجه البخاري ١١١/٢ ، ٤٣٨/١٠ .

(٣) أخرجه مسلم ٩٤٣/٢ .

(٤) سورة آل عمران آية ٣١ .

(٥) سورة النساء آية ٦٥ .

أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يُطِيعُونَ عَنكَ طُغُوًا ۖ (١) .

الغلو في محبة الرسول صلى الله عليه وسلم :

انحرف بعض الناس عن هدى النبي (ﷺ) وأحدثوا في دين الله عز وجل ما ليس منه ، وغيروا وبدلوا ، وغلوا في محبتهم للرسول (ﷺ) غلواً أخرجهم عن جادة الصراط المستقيم ، وهذا الذي حذر منه الله عز وجل : ﴿ وَأَنْ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ۖ (٢) .

وقد كان رسول الله (ﷺ) حريصاً على حماية جانب التوحيد ، فكان يحذر تحذيراً شديداً من الغلو والإنحراف في حقه ، ودلائل ذلك كثيرة جداً منها :

* عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : ((لا تطرفني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده ، فقولوا: عبداً لله ورسوله)) (٣) .

(١) سورة النساء آية ٦٥ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٥٣ .

(٣) أخرجه البخاري ٤٧٨/٦ .

* وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله (ﷺ) : ((لعنة الله على اليهود والنصارى أخذوا قبور أنبيائهم مساجد إلا أنى أنهاركم عن ذلك محذر ما صنعوا)) (١) .

* وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما ، أن رجلاً قال للنبي (ﷺ) : ما شاء الله وشئت ، فقال له النبي (ﷺ) : ((جعلتنى لله عدلاً ، بل قل ما شاء الله وحده)) (٢) .

* وعن انس (رضي الله عنه) أن رجلاً قال : يا محمد ، ياسيدنا ، وإبن سيدنا ، وخيرنا وإبن خيرنا ، فقال رسول الله (ﷺ) : ((قلوا بقلوبكم ولا يستهوينكم الشيطان ، أنا محمد بن عبد الله ، عبد الله ورسوله ، والله ما أحب أن تفرحنوى فوق من موتى التى اذلننى الله عز وجل)) (٣) .

ونظائر هذه النصوص كثيرة جداً ، ثمرتها كلها بيان أن محبة النبي (ﷺ) وتعظيمه لا تكون إلا بالهدى الذى ارتضاه وسنه لنا ، ولهذا قال عليه أفضل الصلاة والسلام : ((من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد)) -

(١) البخارى ١٤٠/٨ ومسلم ٣٧٧/١ .

(٢) أخرجه أحمد ٢٨٣، ٢١٤/١ .

(٣) أخرجه مسلم ١٣٤٤/٣ .

الفصل الثالث

فى

أثر التصوف فى تطليل

الجهاد الإسلامى

**

أثر التصوف فى تعطيل الجهاد ضد الإستعمار :

حاول المتصوفة صرف الأنظار عن القتال والجهاد ضد أعداء الإسلام عن طريق تفسيرات غريبة للآيات القرآنية وجعلها بعيدة عن معناها ومضمونها ومقاصدها ، قال السهروردي فى تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالْحَيِّىُّ جَاهِدُوا فِيْنَا لَنُهْذِبَنَّهُمْ مِنْبَلَدًا ﴾ (١) .

يدرجهم الله تعالى فى مدارج الكسب بأنواع من الرياضات والمجاهدات وسهر الدياجر وظمأ الهواجر ، تتأجج فيهم نيران الطلب ، وتتجلبب دونهم لوامع الأرب ، يتقلبون فيه رمضاء الإرادة ، وينخلعون عن كل مألوف وعادة وهى الأتابه التى شرطها الحق سبحانه وتعالى لهم وجعل الهداية مقرونة بها : (٢) وقال محمد بن الخفيف : " الإرادة سمو القلب لطلب المراد ، وحقيقة الإرادة إستدامه الحد وترك الراحة (٣) وفى تفسير قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الْحَيِّىُّ أَمِنُوا اطِّبُّوا وَطَابُوا وَوَابِطُوا ﴾ (٤) قال أبو سلمة بن عبد الرحمن : يا ابن أخى هل تدري فى أى شئ نزلت هذه الآية ؟ ثم قال : يا ابن أخى ، لم يكن فى زمن رسول الله (ﷺ) غزو يربط فيه الخيل ولكنه إنتظار الصلاة بعد الصلاة ، فالربط لجهاد النفس .

(١) سورة العنكبوت آية ٦٩ .

(٢) الهروردي : عوارف المعارف ص ٤٩ .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) سورة آل عمران آية ٢٠٠ .

والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه (١) قال ابن المبارك في تفسير قوله عز وجل : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ (٢) هو مجاهدة النفس والهوى ، وذلك حق الجهاد ، وهو الجهاد الأكبر على ما روى في الخبر أن رسول الله (ﷺ) قال : حينما رجع من بعض غزواته ((رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر)) (٣) .

قال القشيري : " أصل المجاهدة ملاكها فطم النفس عن المألوفات وحملها على خلاف هواها في عموم الأوقات " (٤) .

فمعنى الجهاد والمجاهدة عند الصوفية يختلف تماماً عما يعنيه الإسلام فالمجاهدة عند هؤلاء بذل الجهود في منع النفس عن الرغبات في الدنيا ، وأخذ الحيطة للحيلولة دون الاستمتاع بلذاتها ، وهم يقولون أن المعرفة التي يطلبون الحصول عليها لا تحصل إلا بقطع العلاقات بالدنيا وما فيها من المتع واللذات ، فاخترعوا من أجل ذلك وسائل غريبة وعجيبة لاعلاقة لها بالكتاب والسنة ، أهمها التشديد على النفس ، وتعذيبها ، فهم يحرمون على أنفسهم أشياء قد أحلها الله تعالى للإنسان وأحلوا لهم ما حرمه الله عليهم ،

(١) السهروردي : عوارف المعارف ص ١٠٥ .

(٢) سورة الحج آية ٧٨ .

(٣) السهروردي : عوارف المعارف ص ١٠٥ ، قال شيخ ابن تيمية: إن هذا الحديث لأصل

له ، الفرقان ص ٦٠ .

(٤) القشيري : الرسالة القشيرية ص ٦٢ .

وهذا المفهوم للجهد والمجاهدة الذي يعتنون به يشير إلى أمرين :

أولهما : تجريد النفس عن كل ما تسعى النفس للحصول عليه .

ثانيهما : إعدادها وتعويدها لمقاومتها عن الشهوات والغرائز ، بحيث

لا يبقى أثر من قبيل ذلك في النفس ، فالأول يسمونه تهذيب النفس ، والثاني

يسمونه تزكية النفس ، وهذا الأخير هو المطلوب عندهم .

وطبعاً ما تحتاج إليه النفس بادئ ذي بدء التغذية أو الغذاء ولكن

المتصوفة يتصرفون في شأنه تصرفاً يكرهه العقل السليم .

فكثير منهم لا يقتربون الطعام عشرين أو أربعين يوماً أو أكثر (١) كما

يحكى عن سهل بن عبدالله التستري أنه كان يأكل مرة في كل خمسة

عشريوماً ، وفي رمضان لا يأكل شيئاً إلا مرة واحدة (٢) وفي رواية أنه

يحترز سبعين يوماً من الطعام (٣) وذكر الهجویری فی كتابه بعض

الحكايات من الصوفية أنهم لا يقتربون إلى الطعام لمدة ثمانين يوماً ويصلون

مع الجماعة (٤) .

وهناك بعض الآثار تدل على أن بعضاً منهم لا يأكلون لمدة أربع سنوات

أو سبع سنوات .

(١) المكي : قوت القلوب ج ٤ ص ٤٤ .

(٢) القشيري : الرسالة القشيرية ص ٨٥ و كشف المحجوب ص ٢٨١ .

(٣) الطوسي : كتاب التمع ص ٣٣٠ .

(٤) كشف المحجوب ص ٢٧٢ .

إن الإسراف والإفساد في الطعام الذي هو رزق من الله تعالى أمر غير مشروع في الإسلام، بل يعاقب عليه من يرتكب ذلك ، وبعض الصوفية يسيئون التعامل مع الأغذية ويرمونها بعد إفسادها ، فقد ورد أن أبا النصر الطوسي جاء إلى بغداد يوماً من أيام رمضان المبارك ، فاعتكف في أحد المساجد هناك ، وكان خادمه يقدم له كل يوم خبزاً ، فلما إنتهى الشهر ، دخل الخادم ، فوجد عنده جميع الخبز فاسداً (١) .

فالمتصوفة يرون أن باب الحكمة يفتح لمن يعيش جائعاً ، بل وبه يصل إلى رأس الحكمة (٢) وهناك " أربعون يوماً " وصفوه خصيصاً لتزكية النفس .

قال القشيري : إن نوعاً من الطيور يطير في السماء بعد أربعين يوماً جياً ، ثم يعود و يفوح منهم ريح المسك (٣) .

نعم يفوح ريح المسك من فم الصائم ، كما ورد في الحديث الشريف في الصوم ولكنهم قيدوا ريح المسك بالأربعين ، استناداً بإقامة النبي موسى عليه السلام في الطور أربعين ليلة ، كما جاء في القرآن الكريم : ﴿ وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ فَنَمٌ مِيقَاتٍ بِهِ أُرْبَعِينَ لَيْلَةً ﴾ (٤) .

(١) الهجویری :كشف المحجوب ص ٢٨٢ .

(٢) القشيرية : الرسالة القشيرية ص ٨٥ .

(٣) القشيرية : الرسالة القشيرية ص ٨٦ .

(٤) سورة الأعراف ١٤٢ .

ويروى أن موسى عليه السلام لما أقام في جبل الطور . . . فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوماً - وهو ذو القعدة - فلما تمت الثلاثون ليلة ، أنكر خلوف فمه ، فتسوك بعود خرنوب ، فقالت له الملائكة : كنا نشم من فيك رائحة المسك ، فأفسدته بالسواك ، فأمره الله تعالى أن يصوم عشرة أيام من ذى الحجة ، وقال له : أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندى من ريح المسك ؟ ولم يكن صوم موسى عليه السلام ترك الطعام بالنهار وأكله بالليل ، بل طوى الأربعين من غير أكل ، فدل على أن خلو المعدة من الطعام أصل كبير فى الباب ، حتى احتاج موسى إلى ذلك مستعداً لمكالمة الله (١) .

والغرض من تعذيب البطن وحرمانه من الطعام عند الصوفية هو حصول العلم اللدنى والمكالمة بالله سبحانه وتعالى .

يقول الهجویری : إذا أراد ولى من أولياء الله تعالى المكالمة بالله يصوم أربعين يوماً ، أى يصوم ثلاثين يوماً ثم يتسوك ثم يكمل عشرة أيام .
ومن المجاهدة التى يمارسها الصوفية لتزكية النفس ، الإعراض عن الزواج ، لأن فيه مفسدات على حد قولهم وهى :

الأول : الإنشغال فى الذكر لما دون الله .

الثانى : التلذذ والإشباع للنفس والجسد معاً (٢) فهم يعتبرون الزواج خطراً

(١) السهروردی : عوارف المعارف ص ٢٠٨ .

(٢) الهجویری : كشف المحجوب ص ٣١٦ .

• على الحياة الصوفية •

وهناك قصة وردت : أن صوفياً لما تزوج امرأة ، وخلع لباس الخرقة ، ولبس لباساً نظيفاً مزرقاً ، ناداه مناد : أيها الرجل ! أألقيت لأرميت خرقتي ؟ وعند ما أعرضت عني خلعوا منك لباس الخرقة والصفوة ، وإن أعدت ونظرت إلى غيري ، لقد انسلخت منك قميص الروحانية التي كنت أعطيتك

• إياها (١) •

فعلم أن هؤلاء المتصوفة يجعلون عقد الزواج حاجزاً للوصال بينهم وبين الله تعالى ، فقد تبين أن بعضاً من هؤلاء قطعوا علاقاتهم الزوجية بعد

• الزواج •

وذكر الهجویری حكاية عن صوفى قد ذهب لزيارته ودخل بيته فوجده نظيفاً ومضيئاً كما يكون حال بيوت أولياء الله ، وسأله عن سبب نظافته وأضاءته بشكل مرغوب فيه قال الصوفى : إنه قد مضى حوالى خمس وستين سنة على زواجه ولم يدخل عليها مرة ، وأنهما يعيشان منذ ذلك الحين فى

• زاويتين من الغرفة (٢) •

وللإعراض عن عقد الزواج وكبت الشهوات والرغبات الجنسية ، فإن المتصوفة يكتفون أعمالهم فى صيام الوصال، وفى الذكر الدائم والعبادات • ومن مجاهدة الصوفية الالتزام بالصمت وعدم التعرض للكلام مع الناس

(١) الهجویری : كشف المحجوب (يتصرف) ص ٤٤-٤٥ •

(٢) نفس المرجع ص ٣١٦ •

لأن حال الصوفى الحقيقى أن يكون دوماً متكلماً مع الله ، ذاكراً له سبحانه وتعالى ، فلا يليق أن يستعمل لسانه فى الحديث مع غير الله تعالى من العباد ، فمن يتكلم مع غير الله تعالى ، فإنه يقطع الاتصال به تعالى ، فمن يتكلم مع غير الله ، فقد بعد عن جنبات الله تعالى .

وهذه الانحرافات التى يقع فيها المتصوفة مناقضة للجهاد الإسلامى الحقيقى ومميتة للروح الجهادية ، وللجهاد شأن عظيم فى الإسلام ، وفرضه الله على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص فيها ولا مفر معها ورغب فيه أعظم الترغيب وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء ، ومنحهم من الامتيازات الروحية والعلمية فى الدنيا والآخرة ، مالم يمنحه سواهم ، وجعل دمائهم ظاهرة زكية (١) ولكن المتصوفة قد حرفوا مفهوم الجهاد الذى أنزله الله تعالى فى كثير من الآيات القرآنية وحث المسلمين عليه ، كما حث إليه الرسول (ﷺ) ، ولكن هؤلاء جعلوه مقصوراً فى تعذيب النفس وممارسة الرياضات الشاقة ، وإسقاط التكاليف الشرعية وإستحلال المحرمات ، والحرمان من الزواج وغير ذلك من الأمور البدعية التى تقضى على الإسلام وتشوه صورته .

فقد شرع الإسلام الجهاد للأمة لإعلاء كلمة الله وإظهارها على سائر

(١) حسن البنا : الجهاد فى سبيل الله ص ٥٩ الاتحاد الإسلامى للمنظمات الطلابية ١٤٠٣ هـ .

الأديان الباطلة ، وإقامة الحق والعدل بين الناس ورفع الظلم والعدوان ، واستتباب الأمن والاستقرار في الأرض ، ولا يتأتى ذلك إلا بالجهاد ، وهل يشهد التاريخ أن صوفياً لعب دوراً في مواجهة الظلم والبطش والعدوان ، هل حارب أحدهم القوى الاستعمارية ودافع عن الإسلام وعارض المنكرات السائدة في مجتمع عصره ؟ •

نعم هناك عدد غير كبير ذكرت أسماؤهم في كتب التاريخ قاوموا الاستعمار الإنجليزي الذي دام في شبه القارة الهندية أكثر من قرنين ، وحاربوهم محاربة شديدة ، وذاقوا ألواناً من العذاب ، بعضهم قتلوا وشردوا أو نفوا من الأرض ، وما كان باستطاعة الإنجليز أن يمارسوا مثل تلك الأعمال الإجرامية ضدهم إن لم تقعد أكثريتهم عن الجهاد ، وتلزم الصمت والعودة في الزوايا والتكايا لتتفرج على ما يجري في ساحة القتال •

وبعد إجلاء القوى الاستعمارية منها عام ١٩٧٤م تراجع أولئك المتصوفة الذين كافحوا ضد الاستعمار من مواقفهم الجهادية وعادوا إلى ماكانوا عليه قبل المقاومة من الممارسات الرياضية وأهملوا قضية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإصلاح المجتمع ، وتركوا الناس على حالهم ليقعوا في الظلمات وبرائن الفساد ، ومنذ ذلك الحين ما زال وضع المتصوفة سلبياً ، وقد حدث بعد ذلك أحداث دامية في هذه المنطقة ، وما زالت آثارها باقية ولكنهم مع ذلك ما زالوا قابعين في زواياهم

وينفرون تلك الأحداث ، ولم يقد أحد من هؤلاء لإنقاذ المسلمين من تلك المآسى ، وينبغى أن نعرض هنا بعض الأحداث الدامية التى لحق بها الأمة الإسلامية فى شبه القارة الهندية :

إن الإنجليز اغتصبوا شبه القارة الهندية بما فيها منطقة البنغال من المسلمين ، وليس من الهنادكة ، وكان الهنادكة فى عصر الاستعمار متأمرين مع الإنجليز على المسلمين (١) وبعد إنتهاء عصر الإستعمار خلف الإنجليز أولئك الهنادكة ، يمارسون أبشع الظلم مع المسلمين من تشريد وإيادة، لتكون أرض الهند خاضعة للهنادكة دون المسلمين ، ويقولون : إن شبه القارة الهندية أشبه بأمهم البقرة ، فبتر جزء من البلاد أشبه ببتر طرف من البقرة ، وهذا إثم عظيم (٢) .

وإنطلاقاً من هذا التعصب والحقذ الضغين للإسلام والمسلمين ، قام الهنادكة منذ إستقلال الهند من القوى الإستعمارية ، بإيادة جماعية للمسلمين فى جميع أنحاء .

و من الجدير بالذكر أن من بقى من المسلمين فى شبه القارة الهندية ، لا يمكن أن يحسب أقلية بالمعنى المطلق لكثرة عددهم ، ولكنهم مع ذلك يعيشون فى غاية التعاسة والإضطهاد ، ولا يكادون يأمنون على أرواحهم ولا على أموالهم ولا على أعراضهم .

(١) شريف الدين بير زاده : تاريخ نشأة باكستان ص ١٢٠ .

(٢) احسان حقى :باكستان ماضيها وحاضرها ص ٢١٥، دار النفائس /بيروت ط ١ /١٩٧٣م .

وجاءت في الصحافة الهندية أنه في الحالات العادية يقتل مسلم كل خمسة أيام ويجرح شخص واحد كل يوم ، وفي أحد الاضطرابات التي وقعت في غرب البنغال ذات الأغلبية المسلمة عام ١٩٥٠م أستشهد أكثر من عشرة آلاف مسلم ، وكثير منهم لقوا مصرعهم برصاص البوليس الهندوكي ، بالإضافة إلى هدم آلاف من المساجد والمعاهد ، وإحراق مئات المصانع والمحاصيل الزراعية التي كانت بأيدي المسلمين ، ومثل تلك الحادثة وقعت في كل من آسام ، وبتهان كوت ، وجبل بور وغيرها (١) .

وحدثت هذه كلها أمام أعين العلماء والمشايخ الذين يتصفون بالتصوف ، ولم يتحركوا ضد هذه المؤامرة ، ولم يطلقوا ألسنتهم لاستتكار تلك العمليات البشعة ، وبعضهم حرموا على أنفسهم وعلى المسلمين الجهاد ورفع السلاح ضد أعداء الإسلام ، فكتب أحمد رضا البريلوي رسالة مستقلة باسم إعلام الأعلام قال فيه :

" فإن هندوستان دار الإسلام ... " ووصف لبلاده الهند بأنها دار الإسلام هو خدمة لبريطانيا ، حتى لا يقام فيها جهاد ضد الكفرة ، ثم قال بصراحة : " انه لاجهاد علينا - أي مسلمي الهند - بنصوص القرآن الكريم

(١) إحسان حقى : باكستان ما ضيها وحاضرها ص ٢٢١ - ٢٢٥ .

راجع أيضاً : جريدة هندية " ستاندارد " عددها الصادر في ٢٨ مارس سنة ١٩٦٠م .

أيضاً : جريدة " نيشنال هيرالد " ٧ أغسطس ١٩٦٠م .

أيضاً : جريدة " نيويورك تايمز " ٢١ مارس ١٩٦٤م .

ومن يقول بوجوبه ، فهو مخالف للمسلمين ، ويريد اضرارهم " (١) •
بعد هذا العرض نستطيع أن نقول : إن التربية الصوفية بطبيعتها، بعيدة
عن فكرة الجهاد والقتال المشروع ، لأنها تعتبر الرياضيات الروحية هي
الأصل والأساس ، وهذه الرياضيات لا تنتهى إلا إذا وصل أحدهم لمرحلة
الفناء ، وإذا فنى فكيف يجاهد ؟ •

(١) احسان إلهى ظهير : البريلوية ص ٤٣ •

الفصل الرابع

فـ

حركات المقاومة ضد التحديات الصوفية
وغيرها

ويشتمل على ثلاثة مباحث

- المبحث الأول : حركة مجنون شاه
المبحث الثاني : حركة سيد أحمد شهيد
المبحث الثالث : حركة الفرائضية



لقد سبق فيما مضى من الحديث من تدهور وضع الأمة الإسلامية في منطقة البنغال وانحطاطها فكرياً وعقائدياً إبان الحركات الصوفية التي كانت تعمها كلها . وكان ذلك الانحطاط ترجع أسبابه إلى التخلف العقيدي ، والبعد عن التعاليم الإسلامية الصحيحة وتأثرها بالمجتمع السائد في المنطقة . ولكن التخلف العقيدي هو السبب الأصيل للانحراف في الفكر والسلوك والعبادات والعادات . ولقد وصل هذا التخلف إلى أقصى درجاته في القرن الأخير خاصة حينما نحيت الشريعة عن الحكم وعن الحياة البشرية إما كلياً وإما جزئياً فقد نشأت منه كل ألوان التخلف التي أصابت العالم الإسلامي . وأخطرها الحركات الصوفية . " فالصوفية هي التي فرقت بين الدنيا والآخرة . واتجهت إلى إهمال الدنيا بحجة تزكية الأرواح من أجل الآخرة واهملت بالتالي عمارة الأرض ، على أساس أن الاشتغال بها يشغل الروح ويذهب عنها شفافيتها وطلاقتها ، ومن ثم أهملت كل العلوم المتصلة بتلك العمارة . واعتبرتها نافلة تستطيع الأمة أن تستغني عن أدائها بلاضير .^(١)

وجعل هذا التخلف وعدم الاهتمام بتعاليم الإسلام مفهوم العبادة في الأمور التعبدية وفي بعض العادات المحدودة مثل

(١) محمد قطب واقعنا المعاصر : ص ١٧٥ . مؤسسة المدينة للصحافة . جدة

النكاح والطلاق فقط . واخرج منها أنواعاً كثيرة تشتمل فيها وتعلق بحياة الإنسان بما فيها عمارة الارض واستخلافها . يزعم المتصوفة الذين يعملون الدنيا تماماً أنها جيفة وطالبها كلاب ، لاتستحق عند الله جناح بعوضة . فينبغي الابتعاد عنها والحذر من كيدها بحيث ان لاتدخل في صميم القلوب ولا تتمكن فيها . ومن هذا الزعم الباطل وتقصير مفهوم العبادة في جوانب دون جوانب نشأ في المجتمع القعود عن العمل وعن عمارة الأرض التي وعد الله للمؤمنين ، والاكتفاء بالرجاء والتواكل والرضاء بالقدر . مما جعل يتوسع المجال للأفكار الباطلة والقوى المعادية للإسلام لشغل ذلك الفراغ حتى يستطيعوا به تطويق الأمة والعالم الإسلامي . وهذا الانحطاط الفكري والعقايدى وتلك الانحرافات التي نراها اليوم في المجتمع الإسلامي لسبب الهجوم الذي يتربص به أعداؤنا منذ فجر الاسلام .

ومن هذا المنطلق قامت محاولات عديدة في مختلف الأوقات لاصلاح المسلمين في شبه القارة الهندية من عقائدهم الفاسدة ومن البدع والشركيات والانحلال حتى يسيروا على نهج ديني صحيح كما كان عليه المسلمون الأوائل فقد ظهرت حركات التجديد والإصلاح في العصور الماضية وفي مختلف أنحاء القارة بأيدي بعض العلماء والمشائخ والمصلحين ممن تربوا في محاضن المدرسة السلفية ، حينما ادركوا أن المسلمين قد انحرفوا عن منهاج السنة النبوية وأدخلوا في مجتمعاتهم العادات والتقاليد

التي تؤدي بهم الى الشرك والالحاد والبدع والخرافات . وبلغوا إلى حد بحيث انهم فقدوا تشخصهم وكيانهم وقد ذابوا في الحضارة غير الاسلامية التي تعم المنطقة كلها . فاصبح الإسلام غريباً كما بدأ . وظلت الأمة في ضياع يدلهم الظلام في مستقبلها " .^(١)

يقول المؤرخ الألماني السيد Hans Kohn في كتابه تاريخ القومية الشرقية " فكما أن المسيحية كانت بفترات طويلة في الذبول والخمول لم تبق فيها سوى بعض العادات والمراسيم التي كانوا يمارسونها باسم المسيحية ، وما كانت لها علاقة أدنى بها . كذلك كان وضع السلمين في شبه القارة الهندية فيما قبل القرن الثامن عشر الميلادي . وفي أواخر القرن الثامن عشر بدأ يتغير في وضعهم رويداً رويداً . وفي القرن التاسع عشر بدأت فيها حركة إسلامية تعم المنطقة كلها . وكاد الوضع ينقلب مما سبق . وعادت فيهم القوة الروحانية من جديد التي كادت تتلاشى .^(٢)

والكاتب يشير بهذه الحركة التي تهز البلاط الانجليزي الاستعماري بقواتها ومؤثراتها في المجتمع الإسلامي ، إلى الحركة الوهابية . والتي لها الأثر البالغ في مقاومة الشريكات والبدع والانحرافات . وسوف يأتي الكلام في هذا الموضوع .

ويقول السيد « كون » « بعض علماء الهند السلمين قد بذلوا

(١) محمد اكرم خان : تاريخ المجتمع البنغالي . ص ١٩٠ .

(٢)

جهدهم البالغ في إحياء الحركة الوهابية . في حين كان الاسلام فيها مشوهاً بكامله . والمسلمون اصبحوا خاوي العقيدة والتعليم الصحيح ، كانوا يقلدون في جميع حياتهم التقاليد الهندوكية ، حتى العبادات والنكاح كانت على العادات الهندوكية . ويدينون في جميع شؤونهم بالقوانين الوثنية . فالعلماء الوهابيون استطاعوا بانقاذ هذه الأمة من الهاوية والاضمحلال . وبدأوا بالجهاد ضد تلك العادات السيئة والمعتقدات الخارجة عن الاسلام . وهم من ناحية ألفوا كتباً عديدة في سبيل الاصلاح . أهمها « تنبيه الغافلين » « وتقوية الايمان » « والدعوة الى الجهاد » .^(١)

ويقول الكولونيل « يو إن مكهر جي » (الهندوكي) في

كتابه " A Dying Race "

” قبل خمسة وسبعين سنة لم تكن الفوارق والتمييزات بين الفلاحين من المسلمين والهندوس . كما لم يبق فيهم سوى اسم الإسلام . إضافة إلى ذلك فهم كانوا دون مستوى الهندوس في المجتمع . اكثرهم لا يستطيعون النطق بكلمة الشهادة بطريقة صحيحة بينما النطق بها كان من عادات المسلمين . ولا يعتنون بالقيم الاسلامية ولا يبالون الشريعة الاسلامية .

وعند أداء مراسم العبادات يذهبون إلى المعابد الهندوكية بينما الإسلام يكرهه أشد الكراهية . وفي هذه الأوضاع المتردية فقد قامت حركة البعث الاسلامي في شبه القاره الهندية و تنادي المواطنين المسلمين بنبذ جميع الخرافات التي كانت فيهم والعودة

الى تعاليم الاسلام الصحيحة . وبفضل تلك المناداة اقبل المسلمون إليها والتفوا حول علماء الدين الذين حركوها لتلقي منهم التعاليم الاسلامية . ومن هنا نجح المسلمون اعادة شخصاتهم التي تفارق بين المسلمين وغيرهم .^(١)

وفي القرن الثامن عشر والتاسع عشر الميلادي كان المسلمون يواجهون تحديات عديدة منها تحديات الاحتلال الإنجليزي وتحديات التغلغل الصوفي في المجتمع . فأولهما تهاجم الاسلام والمسلمين من الخارج بصورة الغزو الصليبي في المنطقة الذي كان بدايته عام ١٧٥٧م . والثاني تهاجم على الإسلام وعقيدته من الداخل من قبل الجماعات الصوفية التي تغلغت بأفكارها الباطلة في صفوف المسلمين ، يلباس الإسلام واسمه وتلك التحديات قد أضرت بالمسلمين وأضعفتهم . لذا كان من الضروري المقاومة لتلك التحديات . وعند دراستنا عن الحركات الاسلامية التي نشأت في هذين القرنين في شبه القارة الهندية وفي البنغال بالذات نجد أنها قامت لانقاذ هذه الأمة من الضياع ، وإعادتها إلى الإسلام وإلى تعاليمه من جديد ومن ثم ازالة تلك التحديات التي كانت تواجهها في هذه الفترات . فهؤلاء العلماء والمشائخ لعبوا دوراً هاماً في سبيل تحقيق هذه المهمة . ورفعوا السلاح ضد القوى الغازية كما رفعوه ضد أولئك الذين كانوا يريدون مسخ عقيدة عامة المسلمين وتشويه صورة الإسلام . ولم يكن لهم

سوى أمرين : إما الاستسلام للواقع وإما الدخول في النضال الطويل والجهاد المستمر حتى يتم الأرض خالية من كل التحديات فاختاروا الطريق الثاني ونبذوا الأول لما أدركوا فيه مساساً بمجدهم وكرامتهم وعزهم لدينهم وعقيدتهم ^{إذ} القعود عن الجهاد وعن التبليغ إثم عظيم .

أولاً: حركة مجنون شاه :

ففي أواخر عام ١٧٥٧م وحتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي قامت في المنطقة حركات إسلامية ذات نطاق محلية وبعضها قارية بقيادة بعض العلماء المعروفين مثل حركة الشيخ مجنون شاه ^(١) . فانه قام بعد مقتل سراج الدولة بست سنوات بأيدي الصليبيين بإعلان الجهاد ضد الغزاة الصليبية وضد العادات الجاهلية والبدعية . وذلك لإحياء شعائر الدين وتصحيح أفكار المسلمين وانقاذهم من براثن الشرك والإلحاد . فقد دعاهم لليقظة . وحذرهم من المخاطر التي تكمن وراء الغزو الخارجي والداخلي والآثار المترتبة عليه . وحثهم علي العودة إلى الإسلام والجهاد الإسلامي لأن ذلك هو السبيل الوحيد للخلاص من الذل والمهانة . فكانة دعوته ملهية من قبل المسلمين حيث إنها لقيت مقبولة في أنحاء المنطقة . فأصبحت قوة ضخمة اعتبرت

(١) أسمه الأصلي سلطان حسن موريابرهانة : راجع فقير مجنون شاه . لمحمد ابو طالب . ص ٥٥ .

الأولي من نوعها في تاريخ البنغال .^(١)

وقامت الحركة هذه بتركيز نشاطها في الأحياء والمساجد والمعاهد والمحافل الدينية بهدف إثارة العاطفة الدينية في المسلمين وتذكيرهم بأهمية انتسابهم إلى الإسلام وتبيين العقائد الصحيحة .

ولقد استطاعت الحركة بقيادة "مجنون شاه" التأثير في نفوس المواطنين فاعتبر الاستعمار هذه الخطوة الإسلامية الأولى لطمة على خده فثارت ثائرتة واتجه إلى القضاء على الدعوة الجديدة ، ومن هنا قامت عدة محاولات للقضاء عليها واستئصالها ، وخاض الاستعمار وأعوانه معارك ضارية عديدة في البنغال ضد مجنون شاه وحركته الإسلامية ولكنهم فشلوا في إيقافها . وذلك بفضل انتشار الحركة الدينية في أنحاء البنغال ، حيث شارك فيها العلماء والمشائخ وعامة المسلمين وقدموا لها المعونات المادية والمعنوية . لأنهم كانوا مكبتوتين ومضطهدين تحت رعى الطغاة قبل ذلك .^(٢)

وهناك بعض التقارير التي أعدتها السلطات الإنجليزية حول نشاط المسلمين آنذاك بقيادة المجاهد الإسلامي مجنون شاه لتقديمها إلى الحكومة البريطانية ، جاء فيها :

" لقد بدأت حركة مقاومة مسلحة في مسلمي البنغال وشملت

(١) مجلة "العالم" بريتي بي " يونيو ١٩٨٧م ، الصادرة في مدينة دهاكا .

(٢) محمد عبد المنان : بنغلاديش اسلامير جاكورون : نهضة المسلمين في بنغلاديش : ص ١٢ ، مجلة "العالم" العدد ١٢ ، السنة ٥ ، سبتمبر ١٩٨٦م ، دهاكا .

كلأً من ماله ، وارجشاهي ، وديناج بور ، ورنكبور ، ومومن شاهي ، ودهاكا بقيادة الشيخ مجنون شاه . وهو رجل فارسي الأصل يقوم بجولات مكثفة في سائر المناطق في البنغال ويقوم بغارات موسعة ومعه جموع من المواطنين من المسلمين المسلحين أصحاب الحقوق المسلوقة ، فبدأوا يأخذون الأموال والعقارات والمحاصيل عنوة من أيدي الهندوس العملاء التي أعطاهم اياها الانجليز ، ثم يوزعونها علي المسلمين ، وأما الأغنياء وأصحاب الاقطاع ووجهاء المناطق فإنهم يبيتون خائفين منهم .^(١)

واستمرت الحركة الإسلامية بشبابها وقوتها النشطة مدة ثمان وثلاثين سنة بطول البنغال وعرضها ، وخلال هذه الفترة قامت هناك حركات اسلامية مماثلة بسائر المناطق البنغالية في نطاق محلي تحت زعامة العلماء والمشائخ ، مثل ثورة شمشير غازي في تريبورة ، شرقي البنغال ، سنة ١٧٦٧م ، وفي سنديب ثورة أبو تراب سنة ١٩٦٩م ، وفي مومن شاهي وشيربور والمناطق الجبلية المجاورة لها ثورة كرم شاه سنة ١٧٧٥م ، وثورة الفلاحين بقيادة شير دولت خان سنة ١٧٧٦م في تشيتاكونغ والمناطق القبائلية ، وثورة الفلاحين بزعامة السيد نور الدين ضد الاقطاعيين الهندوس في رنكبور وديناج بور سنة ١٧٨٣م ، وثورة بقيادة بولاكي شاه في باقركنج سنة ١٧٩٢م .^(٢)

(١) مجلة " المدينة " البنغالية ، مقالة كتبها محيي الدين خان بعنوان حركة مجنون شاه : العدد الثالث ، السنة ٢٢ مارس ١٩٨٦م ، دهاكا .

(٢) محمد عبدالمنان : نهضة المسلمين في البنغال : مجلة العالم . ص ١١ ، دهاكا .

فلو ألقينا النظر على هذه الأنشطة من الجهاد والثورات التي قام بها المسلمون في أنحاء البنغال نجد أنها ظهرت في صور وأشكال متنوعة وفق الظروف والمتطلبات التي أحاطت بالمسلمين، ولكنها اتحدت في الأهداف والمراد، وهو تخليص المواطنين المسلمين من الشرك والبدع والظلم والعدوان الذي يمارسه أهل التصوف والانجليز والطائفة الهندوسية عليهم، ومن ثم الحصول على الاستقلال الكامل لتقوية الاسلام واحياء تعاليمه في المجتمع. لذا كانت في البداية تركّز على كفاح يمكنهم من استعادة الحقوق التي سلبها الانجليز والهندوس^١ أيديهم وخاصة تلك الأراضي والممتلكات التي كان يمتلكها المسلمون قبل الغزو الصليبي. بل ^{ذلك} عنوا في الوقت نفسه لم يتجاهلوا الجانب الديني والعقدي بوضع أسسه على العقيدة السمحة ودفع البدع والخرافات من المجتمع. ومن أجل ذلك فإنها تشكل فيما بعد حركة البعث والاصلاح في القرن الثامن عشر الميلادي، والتي جعلتهم يكوّنون وحدتهم الأخوية بشأن استرداد الحقوق. ويقول الكاتب الهندوسي شوبر كاش راي: "إن الثورات التي نشأت في المجتمع الاسلامي آنذاك بنيت على الروح الطيبة واستهدفت بناء المجتمع في الهند في ضوء التعاليم الاسلامية. ومن نتائج هذه الثورات أنهم استطاعوا من خلالها التغلب على الاقطاعيين الهندوس^(١).

(١) السيد شوبر كاش راي : بهارتي كريشك بدروهند و لون : حركة تمرد الفلاحين في الهند ، ص ١٠٢ ، كلكتة ، الهند ، ط ١ ، عام ١٩٨٠ م .

ثانياً : حركة سيد أحمد شهيد :

وفي أواسط القرن الثامن عشر الميلادي تقدمت الدعوة الإسلامية إلى الأمام بشكل ملحوظ بجهود العلامة المحدث الشاه ولي الله - رحمه الله تعالى - ، أنه أدرك ببعد نظره وثاقب بصره ما يمكن أن يحدث في المستقبل في المجتمع الإسلامي في شبه القارة الهندية ، إذا ماستمر المسلمون في الانحطاط الديني والخلقي بسبب بعدهم عن الدين .^(١)

واستبعد العلامة بقاء الإسلام في المنطقة ، ما لم يتغير الوضع . استشعرا لهذا الخطر المحدث توجه الشاه ولي الله إلى إصلاح أحوال المسلمين ، واعدادهم للجهاد ليتمكنوا من المقاومة ، كما أنه وضع لهم خطة شاملة لمواصلة الجهاد الإسلامي والعمل الجاد .^(٢) وإن الروح الإسلامية الجديدة التي نفخها الشاه ولي الله الدهلوي في أيامه قد هبت ريحها في سائر الهند وخاصة المناطق البنغالية وأثرت في المسلمين تأثيرا عميقا ، ولذا كان مسلمو البنغال يعتبرونه رائداً لمسيرة الحرية الدينية والوطنية ، ثم حمل اللواء بعده أحد الشخصيات البارزة من أسرته ألا وهو سيد

(١) ومن الملفت للنظر ان للشيخ المذكور علاقة بالصوفية وخاصة بالطريقة الجشتية . ولكنه رغم ذلك كان يقوم بقمع البدع والشركيات التي كانت سائدة في المجتمع وقد ألف كتباً عدة بالفارسية ينبّه الأمة من تلك الخطرات .

(٢) محمد أكرم خان : مسلم بنكير شاما جك أيتي هاش (تاريخ المجتمع الإسلامي في البنغال) ، ص ١٥١ ، دار الأزاد للطباعة والتوزيع ، دهاكا . بنغلاديش ، ط ١ ، سنة ١٩٦٥ م .

أحمد شهيد - رحمه الله تعالى - ^(١) لقيادة المسلمين ^(٢) ، وكان ظهوره حدثاً تاريخياً في حياة المسلمين بالهند . لأن المسلمين في الهند كانوا يواجهون آنذاك مواقف خطيرة سياسياً ودينياً واجتماعياً بل واقتصادياً ، وكاد اليأس أن يغلبهم ، ففي مثل هذا الجو قام السيد أحمد شهيد بحركته ليكمل رسالة الشاه ولي الله واصلاح المجتمع الاسلامي من جديد . ^(٣)

وكانت الحركة الاسلامية بزعامة الشيخ سيد أحمد شهيد تسمى بالوهابية الهندية على غرار ماسميت دعوة الشيخ محمد

(١) ولد الإمام المجاهد سيد أحمد بن عرفان عام ١٢٠١هـ في قرية من إحدى الولايات في الهند في بيت معروف بالعلم ، عريق في الجد والشرف . وكان منذ صغر السن ميالاً إلى الورع والانقطاع إلى الله مشوقاً إلى الجهاد . وما كاد يبلغ من عمره النسة السابعة عشرة حتى حدا به حادي الأسفار ، فافتعد غارب الاغتراب ، وساح في البلاد وتدريب على فنون القتال ، واستشهد مع زملائه في معركة "بلاكوت" عام ١٢٤٦هـ . (انظر : مسعود عالم الندوي : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند : ص ١٦٥ ، دار العروبة ، لاهور ، باكستان) .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٥٢ .

(٣) محمد ولي الله ، أمادير مكتي سنكرام (نضالنا للتحرير) ، ص ٤٧ ، ط ٤ ، مجمع الأدب البنغالي .

بن عبد الوهاب بالوهابية النجدية ^(١) في جزيرة العرب لاتحادهما في الهدف، وهو الرجوع الى الكتاب والسنة . ^(٢)

"وتسمية حركة سيد أحمد شهيد في الهند والحركة الاصلاحية بقيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جزيرة العرب بالوهابية جاءت من الانجليز وأعوانهم من المتأثرين بالحضارة الغربية

(١) حياته : ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي سنة ١١١٥هـ الموافق ١٧٠٢م في بلدة العيينة الواقعة شمال الرياض ، درس علي والده القرآن والتفسير والحديث والفقه الحنبلي ، وكان يعني بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله تعالى وأسكنهما فسيح جناته - ، وقد قام برحلات علمية عديدة الي كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة ، والبصرة ، ولقد كان الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من أولئك العدول المجدين والمخلصين الذين رفعوا شأن المسلمين لاعادتهم الى سيرتهم الأولى التي كان عليها أسلافهم من الصحابة والتابعين والأبرار ، قام يدعو الى تجريد التوحيد واخلص العبادة لله تعالى وحده مما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم - ، كما قام يدعو الى نبذ البدع والمعاصي وعبادة الأولياء والصالحين والأشجار . ويأمر باقامة شرائع الاسلام المتروكة ، وتنظيم حرمانته المنتهكة ، ولا يزال الناس من عصره الى اليوم يعترفون بما حقق في حياته من رسالة هذا الدين والتي وصل صداها الى سائر العالم من شرقه الى غربه فقد وصلت الدعوة الوهابية الى الهند والبنغال بالذات بواسطة الشيخ سيد أحمد ، وبالجمله فقد كان لهذه الدعوة أثر عظيم في العالم الاسلامي وكانت الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الاسلامي كله تأثر بها زعماء الاصلاح في سائر الاقطار الاسلامية . وانتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى جوار ربه في ذي القعدة سنة ١٢٠٦هـ بعد هذه المثابرة في سبيل اصلاح الأمة المحمدية . فجازه الله تعالى عن جميع المسلمين خير الجزاء .

للتفصيل انظر كتاب : " للشيخ العلامة أحمد بن حجر بن محمد آل أبو طامي > الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الاصلاحية > ، من مطبوعات الرئاسة العامة لادارة البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد . الرياض . المملكة العربية السعودية . الطبعة الثانية .

وكتاب الشيخ مسعود عالم الندوي : محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري . مطبعة زمزم .

(٢) انظر الأستاذ مسعود عالم الندوي : محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه ، ص ٢٠ ، ترجمة وتعليق : عبدالعليم عبدالعظيم البستوى ، مراجعة وتقديم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ، مطبعة زمزم ، ط ١ ، ١٩٧٧م .

وفلسفتها . وان أصحاب المطامع حاولوا من هذه التسمية أن يثبتوا أنها خارجة عن الاسلام ، واتحد الانجليز والأتراك والمصريون في جعلهما شبحاً مخيفاً . بحيث كلما قامت أية حركة اسلامية في العالم الاسلامي في القرنين الماضيين ، رأى الأوروبيون فيها خطراً علي مصالحهم ربطوا حبالها بالوهابية النجدية... كذلك حركة التجديد والامامة في الهند قد ألحقت بنجد الحقاً تاماً .^(١)

لم تكن حركة التجديد بقيادة السيد أحمد شهيد - رحمه الله - مركزة على الاحتلال الصليبي لشبه القارة الهندية فحسب ولكنها مع ذلك كانت موجهة ضد ما يسمى بالحركات الصوفية وسلبياتها . وهذا التحدي لم يكن أقل شأناً وخطورة من المخاطر الإحتلالية ، التي جعلت الأمة تستسلم للقوى المعادية للإسلام والأفكار الفاسدة والعادات الجاهلية . فرأى ضرورة إعداد النفوس وتطهيرها قبل كل شيء من أدران الشرك والفسق والإلحاد لتقوية الأساس ، ومن ثم يكون رفع السلاح أمراً ميسوراً وذلك لأن أساس الإنسان يبنى على قوة الإيمان ، وتصحيح العقيدة حتى لاتزعزع النفوس عند مواجهة أي خطر أو عدوان .

فقد بدأ سيد أحمد شهيد نشاطه بتطهير القلوب والأفكار من الشرك والبدع والعقائد الباطلة والعادات السيئة التي أحاطت بهم من كل الجهات ، على أساس ان انقاذ عامة المسلمين من هذه

(١) الأستاذ مسعود عالم الندوي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه ، ص ١٩٩ ، مطبعة زمزم ، ط ١ ، ١٩٧٧ م .

المتاهات والضلال أهم من اشهار السلاح في وجه العدو ، وعند ما رأى الشهيد أن المسلمين أصبحوا في خطر أكيد للتأمر الصليبي توجه الى القتال المباشر إلا إنهم انزموا في وجه العدو في موقعة بالاكوت لضعف قوة المسلمين وقلة عتادهم بالنسبة للعدو وأعوانه .

وأشتهر سيد أحمد وكبار معاونيه من المجاهدين بشهرة فائقة في ربوع الهند كلها ، بما فيها منطقة البنغال .^(١)

أقبل المسلمون في بنغلاديش على هذه الحركة اقبالا شديداً ، وتأثروا بها معتقدين أنها هي السبيل الوحيد للخلاص من التغلغل الصليبي والصوفي في المجتمع ولا أبالغ حين أقول ان الحركة الاسلامية بقيادة سيد أحمد لم تكن لتثبت أقدامها في المواجهة لو لم يقف المسلمون في البنغال وراءها ويدعمونها بالعون المادي والمعنوي^(٢) وقد أنشئت مراكز لها في جميع أنحاء بنغلاديش ، وساعدها المواطنون البنغاليون بتقديم الرجال المتطوعين والأموال الطائلة والحبوب والغلال للوقوف أمام هذا التحدي الذي يصعب على المسلمين البنغاليين وحدهم مواجهته

(١) السيد نور محمد الأعظمي : نور محمد أعظمي رجونا بولي : مقالات السيد نور محمد الأعظمي : ص ٢٨٥ ، اعداد اس . اس . م عزيز الحق ، المؤسسة الاسلامية ، دهاكا ، ط ١ ، ١٩٨٥ م .

(٢) نفس المرجع : ص ٢٥٠ .

طيلة خمسين عاماً .^(١)

يقول " وليم هنتر " الكاتب الانكليزي عن حماسة مسلمي البنغال لصالح هذه الحركة : " أن الحركة الوهابية وزعماءها استطاعوا ببذل الجهود المضنية جمع عدد كبير من شباب المسلمين والبنغاليين الذي سنهم دون العشرين ليكونوا ضحايا في المعركة ضد الانجليز .^(٢)

ويقول وقد أعلن زعماء الحركة الوهابية لسائر المسلمين أنه لايجوز للمسلمين أن يعيشوا تحت ظلال القوى الأجنبية ، ولاسبيل للفرار منها الا باختيار أحد الأمرين : إما الجهاد إن كانوا قادرين عليه ، وإما الهجرة ، وليس هناك أمر ثالث .^(٣)

كانت أهداف هذه الحركة باديء ذي بدء تطهير المجتمع الاسلامي من ادران الشرك والبدع والخرافات ، وتوطيد دعائم الاسلام بين المسلمين ، واصلاح عقيدتهم .

إلا أنه نظراً لظروف التي كان المسلمون يمرون بها في حياتهم

(١) نجد بعض المؤرخين عندما يذكرون البنغاليين المسلمين في كتبهم يسمونهم بالجبنة والحمقى ، وذلك تحقيراً لما كانوا يقدمونه لهذه الحركة الاسلامية من المساعدات المادية والمعنوية . وهذا الكاتب الصليبي " وليم هنتر " عندما يكتب تاريخ الهند يعترف بتلك الخدمات التي قدمها مسلمو البنغال . ويقول انه ليس باستطاعتنا أن ننساهم ولا نتجاهل الدور الذي قاموا به وأثر حركاتهم في تقوية حركة سيد أحمد شهيد الاسلامية .

انظر : محمد أكرم خان : تاريخ المجتمع الاسلامي في البنغال ، ص ١٥٣ ، مؤسسة آزاد للنشر والتوزيع ، دهاكا .

(٢) السيد وليم هنتر The Indian Muslims مسلمونا في الهند : ص ١٨٠ ، لندن ، ط ١ ، ١٩٤٠ م ، وأيضاً : د . عبدالحى ودكتور علي أحسن : بنغالا شاهيتير ايتي كوتها : ومنهل الأدب البنغالي : ص ١٣ ، المجمع الأدبي ، دهاكا ، بنغلاديش .

(٣) المرجع السابق : ص ١٨٠ .

اليومية ، طورت الحركة نشاطها ووسعت نطاقها لتشمل مجالات أخرى وثيقة الصلة بالحياة كالمجال الاقتصادي والاجتماعي والسياسي وما إلى ذلك .

وبهذه الحركة استطاع سيد أحمد شهيد تشجيع المسلمين على مقاطعة الانجليز وترك لغتهم الانجليزية ^(١) ، وعصيانهم للأوامر ، وخاصة فيما يتعلق بتأدية الضرائب والرسوم التي كان الانجليز قد فرضوها على المسلمين ، وأنهم تحملوا بسبب هذا العصيان متاعب كثيرة ، وواجهوا جميع أنواع العقاب والتنكيل ، مما يدل على ثباتهم على المبدأ وصمودهم أمام هؤلاء الطغاة والجبابرة ، وقد حاول الانجليز كثيراً إيقاف مسيرة المسلمين ومواصلة الضرب على حركتهم الدينية والقضاء على زعمائها ولكنهم فشلوا

(١) ولم يكن يتعلم اللغة الانجليزية في فترة مابين عام ١٧٥٧م وعام ١٨١٣م جزءاً من مناهج التعليم في المنطقة ، وانما الناس كانوا يتعلمونها لأغراض ذاتية ومصلحة شخصية ، إما للعلاقة بينهم وبين السلطات الانجليزية ، وإما لنقل كلامهم الى لغة الشعب . ولكنها اصبحت أخيراً لغة الدراسة لجميع مناهج التعليم باعتبارها لغة ثابتة للمواطنين وصارت مادة اجبارية كالمواد الأخرى سنة ١٩٣٥م .

وتعليم اللغة الانجليزية لاتخلوا عن فائدتين : الأولى : تعليم اللغة باعتبارها لغة من اللغات الحية . الثانية : تعلمها لرقى الانسان في مجال المعرفة والعلوم الحديثة لامتطورة ، فاستفتى المسلمون علماءهم عن مدى جواز تعليم اللغة وترويجها في المجتمع الاسلامي . فأفتى الشيخ رشيد أحمد كنگوهي رحمه الله وهو أحد كبار العلماء في الهند بجواز تعلمها وترويجها باعتبارها لغة من اللغات العالمية واسعة الانتشار بشرط أن لاتشكل أمراً خطيراً في حياة وسلوك المسلمين ، ولا تكون عاملاً من العوامل التي تؤدي بهم الي المعاصي والضرر في الدين ، وقول الشيخ عبدالزیز الدهلوي في فتاواه بأنه لاضرر في تعلم اللغة الانجليزية لغرض الحصول على المعاف والمعلومات ، ولكنها اذا كان الغرض المجاملة والملاطفة للانجليز والتقرب إليهم ، فهذا حرام . (فتاوي رشيدية رقم ٤٦٦ وفتاوي عزيزية رقم ١٥٥) .

(أنظر للتفصيل : كتاب الشيخ نور محمد الأعظمي : مقالات نور محمد الأعظمي : ص ١٦٨) .

تماما في هذه المحاولة .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن حركة سيد أحمد الشهيد - رحمه الله - أخذت مكانها في نفوس وأعماق قلوب مسلمي البنغال .

ثالثاً : حركة فرائضية :

وفي أواخر القرن التاسع عشر الميلادي بدأت حركة إسلامية شاملة أخرى في أنحاء البنغال بزعامة الحاج شريعة الله ^(١) ، سميت بحركة فرائضية ^(٢) . لأن المسلمين في ذلك الوقت كانوا في أمس الحاجة الي من يقودهم ويرعى مصالحهم وينقذهم من متاهات الحياة ، فلقي الحاج شريعة الله من قبل المسلمين تأييداً كاملاً بحيث أنهم شاركوه في هذه المهمة مشاركة فعالة ^(٣) .

" وقد تأثر الحاج شريعة الله بما شاهد أثناء رحلته بمكة المكرمة والمدينة المنورة من ثمار حركة البعث الاسلامي والإصلاح في

(١) ولد عام ١٧٨٠م بمحافظة فريد بور في بنغلاديش ، تعلم العلوم الشرعية منذ نعومة أظافره في قرية كان فيها ، وقد سافر الى مكة المكرمة وهو في سن الثامنة عشرة ، وأقام هناك ، وتعلم على كبار مشايخها حيث تلقى فيها علوم القرآن والحديث ولفقه ، ثم عاد الى بلاده ، ثم توجه الى المدينة المنورة وبعد اقامته هناك فترة طويلة ، عاد مرة أخرى الى بلده واشتغل في حقل الدعوة والارشاد ، واصلاح المجتمع من الكفر والشرك والبدع والخرافات ، وقضى بقية أيامه في هذا السبيل ، ثم توفي عام ١٨٤٠م .

(غلام ثقلين : بنغلاديش يشير شوفي شادهاوك : "علماء بنغلاديش وخدماتهم في الاسلام " ص ١٦٤ ، ط ٢ ، ١٩٨٢م ، المؤسسة الاسلامية ، دهاكا ، بنغلاديش) .

(٢) ومفهومها الاهتمام بالفرائض ، والواجبات ، واتيانهما قبل الشروع من المستحبات ، بدأت هذه الحركة حينما تفتشت عقيدة الشرك والبدع والخرافات في المجتمع ، وأحاطت به العادات الجاهلية والتقاليد الهندوسية ، ولذا سميت بالحركة الفرائضية .

(٣) د . معين الدين - 4 p The great of 1857 in India and Bangali muslims

الحجاز ونجد والتي قام بها مجدد الزمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - والتغييرات الواسعة التي طرأت على المجتمع الاسلامي هناك ، بعد أن ظل الناس في دياجير الشرك وعبادة القبور والتقاليد الجاهلية مدة من الزمان ، وعندما رأى الشيخ شريعة الله هذا التغيير الجذري بجهود المصلح الكبير تأثر تأثراً بالغاً وعقد النية بالنهج علي طريقته لاصلاح المجتمع الاسلامي البنغالي . وكان الحاج شريعة الله بنفسه يفكر منذ شبابه في ايجاد السبل الكفيلة لانقاذ المسلمين البنغاليين الذين لم تكن أحوالهم أقل مما كان عليه مسلمو جزيرة العرب .^(١)

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى كان أمامه هدف آخر وهو مقاومة الإستعمار وأعوانه بكل الطرق الممكنة ، لأن المسلمين لن يذوقوا طعم الحرية ، سواء الحرية السياسية ، أو الحرية الدينية مادام الاستعمار جاثياً فوق صدورهم ، ولهذا وذاك ، فقد أعلن شريعة الله كون البنغال داراً للحرب مادام الاستعمار الانجليزي موجوداً في أرضها ، وأفتى بعدم جواز صلاة الجمعة والعيد في فيها^(٢) ، وأمر أتباعه من المسلمين بحصر شعائرهم الدينية في أداء الفرائض والواجبات دون القيام بالمستحبات والمباحات

(١) نفس المرجع : ص ٤ . ، الثورة الكبرى لعام ١٨٥٧م في الهند والمسلمون في البنغال . ص ٤ ، ط ١ ، ١٩٨٣م .

(٢) وفي هذا الصدد ذهب الشيخ شاه عبدالعزيز محدث دهلوي الى صدار فتوى بعدم جواز صلاة الجمعة والعيد في دار الحرب . ويقصد بها البلاد التي تعيش فيها الاكثرية المسلمة تحت حكم الكفرة والطواغيت وتمنعهم من أداء شعائر الدين .

أنظر : فتاوي عزيزة ص ١٥١ ، ج ٢ ، الصادرة من الهند ، والكتاب في اللغة الفارسية ، وترجم بالأوردية .

والنوافل^(١).

وخلاصة القول ان الشيخ شريعة الله شغل طيلة حياته بقضيتين رئيسيتين هما : قضية التوحيد والعمل بكتاب الله وسنة رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وقضية الجهاد ضد الاستعمار وكان بحق مخلصاً وأميناً لكلتا القضيتين .

ثم انتقلت الزعامة بعد وفاته إلى ابنه الوفي الشيخ محمد محسن الدين^(٢) (الملقب بدودوميان) الذي تحمل أعباء هذه الحركة التي بلغت من الانتشار مبلغاً لم يبق فيه مكان في البنغال ولا زاوية إلا وصلت إليه دعوتها ورسالتها ، معاً جعل الانجليز يفكرون في إيقافها تماماً وفرض القيود على نشاطاتها . وبالفعل قام المستعمرون بوضع العراقيل أمام الحركة بشتى الطرق والوسائل وزجوا بزعمائهم في غياهب السجون ومن بينهم زعيم الحركة الشيخ محسن الدين . إلى أن تشتت جموع المسلمين وتفرق شملهم وضعفت قواهم . في البنغال . وهنا عادت

(١) نور محمد الأعظمي : نور محمد الأعظمي رجونا بولي : ص ٢٩٠ .

(٢) محسن الدين دودوميان : ابن الحاج شريعة الله ، ولد عام ١٨١٩م في فريد بور . درس العلوم الشرعية الابتدائية عند والده . ومن مقولاته زن الناس كلهم عبيد لله تعالى فلا يجوز لأحد أن يتبع أوامر الانجليز ، فلا بد من تخليص المسلمين من هؤلاء ومن تبعيتهم . ثم اعتقل وأدخل السجن سنة ١٨٣٨م بتهمة النهب والسلب . ثم اعتقل ثانية سنة ١٨٤٦م بتهمة الاعتداء علي النساء اختلقها الانجليز للتخلص منه . وفي أيام الثورة الكبرى سنة ١٨٥٧م أعقله الانجليز وأودعوه السجن . ولحقه المرض الذي أودى بحياته سنة ١٨٦٠م .

(غلا ثقلين : بنغلاديش شوفي شاد هوك : " علماء بنغلاديش وخدماتهم للإسلام " . ص ١٧ ، ط ٣ ، ١٩٨٢م . المؤسسة الاسلامية ، دهاكا ، بنغلاديش) .

الأحوال الى ماكانت عليه من الإنحطاط والخذلان ^(١) . نتيجة لفقدان الزعامة والقيادة التي تصلح لدفع مسيرتهم نحو الشريعة الاسلامية والعقيدة والحرية . فاستغل الإنجليز الظروف السيئة المحيطة بالمسلمين ، وفكروا في تغيير خطتهم أو بمعنى أدق أنهم بدأوا يفكرون في التآمر على دينهم وعقيدتهم دون استخدام السلاح والقوة . وإثارة الأعمال غير الإسلامية والتي تسيء سمعة الإسلام في المجتمع . وبتمويل فئات ضالة لتنشط فيه أكثر مما كان .

فاغتر بعض الناس من ضعف النفوس ببريق الحضارة الغربية وفكرها المسموم الذي يشكل خطراً كبيراً على المسلمين . ووصل الأمر الى الهجوم على الشريعة الاسلامية الغراء وعلى صاحبها محمد - عليه الصلاة والسلام - وإثارة الشكوك والشبهات حولها باصدار العديد من الكتب والرسائل باللغة البنغالية .

وفي الربع الأخير من القرن التاسع عشر عند نهاية حركة الحاج شريعة الله وابنه محسن الدين وصل المسلمون إلى من حيث كان قبل انطلاق الحركة الإسلامية . حيث تنصر عدد كبير من المسلمين في الجزء الغربي من البنغال وتأثروا بالحضارة الغربية ، فجذبهم بريقها الى أحضانها ^(٢) .

(١) ذو الفقار أحمد قسمتي : آزادي اندولني عالم شوماج (خدمات العلماء المسلمين في حركة التحرير) : ص ١١٢ ، دار النشر والتوزيع الحديثة ، دهاكا .

(٢) ذو الفقار أحمد قسمتي : خدمات العلماء المسلمين في حركة التحرير : ص ١١٢ .

وعند مطالعتنا للتقلبات السياسية في المنطقة البنغالية بالذات ابان الثورة الكبرى ، نجد أن المسلمين وحدهم تأثروا بهذه التقلبات تأثراً سيئاً ، وان كل ماترتب عليها من العواقب الوخيمة والنتائج المريرة قد وقعت على هؤلاء ، ذلك لأن المسلمين كانوا هم القائمين بالثورة ضد الانجليز وضد الفرق الضالة . وهم الذين أسهموا فيها بجميع الوسائل والقدرات ، وهذا الأمر ألحق بهم ضرراً بالغاً ، ووقع اللوم كله عليهم . وتمثل ذلك في تقويض وحدتهم ، وتفرق شملهم ، وتخلفهم المادي والعلمي ، وعدم قدرتهم على تكوين جبهة موحدة اسلامية . للدفاع عن حقوقهم وحريتهم وعقيدتهم . فلم يستطع أحد إعادة بناء وحدتهم ، بل صارت الأمور معكوسة ، وتفرقت الأمة الى فرق عديدة وأصبحت قواهم متناحرة فيما بينها ، ومع تلك الفرقة حاول كثير منهم بعد ذلك تكوين جماعة اسلامية توحد المسلمين لمواجهة التحديات ولكنها افتقدت الطابع الاسلامي الذي هو أساس الوحدة والتجمع الاسلامي القوي ، وأصبحت محاولاتهم ذات طابع سياسي بحث بعيدة عن الواجبات الدينية والعقدية ، ولهذا السبب فان الهجمات المعادية للاسلام علي البنغال ظلت تتصاعد بشكل غير متوقع ، وتتركز على الأمور التي تتعلق بالعقائد ، وفي هذه الظروف قام بعض العلماء والدعاة بمحاولتهم للوقوف أمام تلك الهجمات والمواجهة لهذا التحدي ، ولكنها ليست بصورة جماعية كما كانت حركة " سيد أحمد الشهيد " ، والحاج " شريعة الله "

وأبّنه " محسن الدين " ، بل إنهم بذلوا جهودهم ومسااعيهم في هذا المضمار في نطاقهم ودائرتهم الخاصة المحدودة بشيء من الوسائل الممكنة .

أضف الى ذلك أن كثيراً من العلماء المسلمين آنذاك ذهبوا الى تكوين وحدة المسلمين بجماعات سياسية بحثة لما رأوا فيها سبيلا لاستعادة الحقوق المغتصبة ، كما رأوا أنه بهذا الطريق يمكن الحفاظ على الكيان الاسلامي بعقيدته وشعائره ، ثم الوقوف أمام التحديات المختلفة ، ولكنهم لم يتمكنوا من توحيد صفوف المسلمين واتخاذ الوسائل والسبل الكفيلة بالحفاظ على الكيان الاسلامي ، وذلك لانعدام الزعامة الصالحة والقيادة الرشيدة فيهم ، وفقدان الصفات التي تؤهل المرء للقيادة فيمن تولوا القيادة ، وبالتالي فقدان المنهج الاسلامي الذي يميز المسلمين عن غيرهم .

نعم لقد تم اجلاء الانجليز من البلاد لكنهم تركوا آثارهم وأعوانهم من الجماعات المتصوفة والقاديانية والشيعة والاسماعيلية وغير ذلك من الفرق الهدامة لتلعب بدورها في المنطقة من مسخ الاسلام وعقيدته . والتي كانوا يتمنون تحقيقها منذ وصولهم الى المنطقة . فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين .

الفصل الخامس

فـ

أهمية حركات البحث الإسلامى فى العصر الحديث

ويشتمل على ستة مباحث

المبحث الأول : خصائص الحركة الإسلامية

المبحث الثانى : خطـوط الإنمـراف

المبحث الثالث : أثر الإنمـراف فى المجتمع

المبحث الرابع : حركات البحث الإسلامى وضرورتها

فى المجتمع

المبحث الخامس : شروط حركات البحث الإسلامى

المبحث السادس : الحركات الإسلامية فى بنغلاديش



إن التحديات التي يواجهها المسلمون اليوم كثيرة ومتشعبة الأطراف بما يفوق التصور ، تظهر حيناً بعد حين في الأفاق وبصور وأشكال مختلفة تستهدف الاسلام والمسلمين . وأن الصهيونية العالمية هي التي تقف وراء هذه التحديات ، وتقوم بدور رئيسي في ادارة جميع المنظمات المنحلة الهدامة لتصويب ضرباتها ضد الدين الاسلامي والمسلمين . تمهيدا لانشاء دولة صهيونية عالمية كبرى يحلم بها اليهود منذ قرون . لقد كانت محاولات هذه المنظمات منذ بداية الدعوة الاسلامية جارية لايقاف تأثيرها وانتشائها في نفوس البشر ، ولكن المسلمين في القرن الأول وقفوا أمام تلك المحاولات وما يتبعها من المؤامرات والمكائد بقوة ايمانهم وحماستهم الدينية ، ودخلوا معارك دامية مع أعداء الاسلام وحققوا انتصاراتهم في تلك المعارك .

وبفضل هذه الجهود المشكورة جعل الله عز وجل فتحا للإسلام على سائر الأديان ، ونصرة للمسلمين حتي بلغ أثر الإسلام وصيته الى أفاق العالم . فكيف انتصر المسلمون من الرعيل الأول على الأعداء وبماذا حققوا ذلك النجاح الكبير الذي لامثيل له في تاريخ البشرية في سبيل إعلاء كلمة الله ورفع شأن المسلمين ؟ .

لاشك أن كل ذلك يعود إلى التربية الإسلامية علي يد الرسول الكريم محمد - عليه الصلاة والسلام - وهو المربي العظيم لتكوين جماعة إسلامية لم يشهد التاريخ الانساني لها مثيلاً . مصداقاً لقوله عز وجل : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (١).

ولقد كانت خير أمة في تاريخ البشرية كله ، وحوت من ألوان العظمة في كل اتجاه ما لم يجتمع لأمة أخرى في التاريخ بهذه الوفرة وذلك التعدد وتلك الآفاق : عظمت حربية وعظمت سياسية وإدارية ، وعظمت نفسية ، وعظمت روحية ... عظمت من كل نوع . وفي فترة وجيزة من عمر الزمن كأنها لحظات . (٢)

وهذا نتيجة لما بذله الرسول الكريم - ﷺ - من حسن التربية والبناء والتكوين حتي جعلهم الله تعالى خير أمة أخرجت للناس وغلب الإسلام بهم على سائر الأديان كلها وتغلبوا على كل أعدائهم .

خصائص الجماعة الإسلامية في عهد النبوي الشريف :

وعلينا في هذا المقام أن نتأمل تلك الصفات والسمات التي من أجلها انتصر المسلمون الأوائل . وهذه السمات التي اتصفت بها الجماعة الإسلامية الأولى . فضل ذلك المربي العظيم الذي

(١) سورة آل عمران : الآية ١١٠.

(٢) محمد قطب : منهج التربية الإسلامية : ص ١٥ ، ج ٢ ، ط ٤ ، ١٩٨٣ م ، دار الشروق ببغروت .

جعله الله أسوة حسنة لمن كان يرجوا الله واليوم الآخر :

١ - تعمق معاني الإيمان في قلوبهم وجدية أخذهم بالكتاب والسنة وبذلهم أنفسهم في سبيل الله .

٢ - انصهار الأجناس والشعوب واللغات في أمة واحدة ، متحدة العقيدة و متحدة الوجهة .

٣ - تحقيق المعاني الصحيحة للحرية والأخاء والمساواة في عالم الواقع لا في عالم الشعارات .

٤ - تحقق العدل الرباني بصورة فريدة في التاريخ وخاصة بين المسلمين وغير المسلمين .

٥ - الوفاء بالمواثيق . (كما حدث في صلح الحديبية وغيره)

٦ - التكافل داخل المجتمع الاسلامي على جميع مستوياته .

٧ - أخلاقيات الاسلام التي يبتغي بها وجه الله تعالى في مقابل الأخلاقيات المنحلة السائدة في الجاهلية .^(١)

تلك هي السمات العالية التي يتميز بها الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - . ولا زال المسلمون على هذه السمات مادام الاسلام بتعاليمه الخالدة مؤثراً في شئون حياتهم ، ولم يتغير حالتهم في تطبيقه بجدية وأخلاص . فلما ابتعد المسلمون عن الدين وتعاليمه ودبت فيهم الأمراض الفتاكة ، وانحدروا الى الانحطاط والتدني واستقبلوا الأفكار الدخيلة ورحبوا بأعداء الاسلام القادمين من جميع الجهات

(١) انظر : محمد قطب : الثقافة الاسلامية - المستوى الرابع ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة . ص ٦ ، ١٣٩٦ هـ .

ليحتلوا المكان الذي كان في أيدي المسلمين . وهكذا ازداد المرض في هذه الأمة تدريجيا بمقدار بعدها عن المنهج السليم ، واشتد المرض في الأونة الأخيرة .

وفي عهد الخلافة العثمانية بالذات ، التي تسبب في انهيار الوحدة الاسلامية ، وفتحت الأبواب من كل الأطراف التي تمهد الطريق لأعداء الاسلام . " وكان المسلمون الاتراك قد حكموا في ثلاث قارات في العالم : أوربا ، وآسيا ، وأفريقيا . ملكوا الشرق الاسلامي من فارس حتي مراكش . ودوخوا آسيا الصغرى ، وتوغلوا في أوربا ^(١) . حيث كان العالم الاسلامي في عهدهم دولة اسلامية واحدة ، ولكن لم يكتب لهم البقاء ، وانهارت الوحدة وتفتت القوم وتقطعت الدولة الاسلامية الكبرى العالية الى قطع صغيرة ودويلات عديدة ، عندما عجز المسلمون عن الوقوف أمام الهجمات القوية من الأعداء ، وفقدوا سيطرتهم حتى أصبحوا بعيداً عن السلطات والحكم ، ذلك نتيجة لتركهم المنهج الصحيح ، وانحطاطهم في الأخلاق وانغلاقهم في باب العلم ، وتخلفهم الصناعي ، وهجر العلماء المسلمين مجالاتهم في الدعوة والارشاد ، ودخولهم في الخلافات الجانبية وفي الأمور البدعية ، وغير ذلك من العوامل الأخرى ^(٢) ، التي تجعل المسلمين سفرة للعدو ولعبة لليهود . وعندما ندرس هذا الموضوع ونقارن تلك الفترات المتأخرة بالجماعة الاسلامية

(١) أبو الحسن علي الندوي : ماذا خسر العالم الاسلامي بانحطاط المسلمين : ص ٢٠٩ .

(٢) انظر نفس المرجع : ص ٢١٠ - ٢١٦ .

الأولي نلاحظ فيها الانحرافات التالية : -

أ - الانحراف في مفهوم العبادة :

وكانت العبادة في مفهومها الاسلامي تشمل حياة الانسان كلها ماداموا على الأرض ، كما أشار الى ذلك القرآن الكريم : ﴿ وما خلقت الجنّ والانس إلا ليعبدون ﴾ ^(١) . ﴿ قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي له رب العالمين لاشريك له ، وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ ^(٢) .

فأصبح هذا المفهوم ضيقاً ، ومحصوراً في شعائر التعبد فقط .

ب - الفهم الخاطئ لعقيدة القضاء والقدر :

وكانت هذه العقيدة تدفع الى القوة والصمود في وجه الأحداث اطمئناناً الى قدر الله تعالى ، فأصبحت تفهم بمعنى آخر يختلف تماماً عن المعنى الحقيقي للقضاء ، حيث أصبحت تفهم على أن المقصود بها هو الرضا بالفقر والعجز ، والادعاء بأن هذا هو واجب المؤمن تجاه قدر الله تعالى ! ^(٣)

ج - الانحراف في مفهوم التوكل :

ومعناه التوجه الى الله تعالى والاعتماد عليه مع الأخذ بالأسباب ، وتحويله الى التوكل السلبي مع القعود عن السعي وعدم الأخذ بالأسباب .

(١) سورة الذاريات: آية : ٥٦ .

(٢) سورة الأنعام : آية : ١٦٣/١٢٦ .

(٣) الثقافة الاسلامية : ص ٦-٧ ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

د - الانحراف في مفهوم الزهد :

وهو الإستعلاء على الشهوات مع الايجابيه الكامله والفاعليه في واقع الأرض ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وتحويله الى عزله سلبيه وانصراف عن مواجهه الباطل ، وتقويمه ، وانصراف كذلك عن عمارة الأرض بدعوى أنها تخالف الايمان الصحيح .

هـ - وقف الاجتهاد واغلاق بابه :

وأنصراف الفقهاء الى التقليد ، مع تعصب كل فريق لمذهبه الخاص .

و - ظهور الفرق المختلفة في الأمه الاسلاميه ، وتفتيت الوحدة العقديه للمسلمين .

ز - نحويل الإسلام في قلوب الناس الى مجموعات من الخرافات ، ومجموعات من التقاليد المظهرية الخاوية من الروح .^(١)

أثر الانحراف في المجتمع :

هذه الانحرافات قد أثرت في المجتمع الاسلامي كله في العالم ، وجعلته منهارا من جميع جوانب الحياة ، ودفعته الي الهدم والدمار ، وظهرت النتائج السيئة في المجتمع الاسلامي من هذه الانحرافات ومنها :

أولاً : الضعف العلمي والمادي والاقتصادي والسياسي والعسكري الذي أصاب المسلمين وعالمهم الاسلامي .

ثانياً : وقوع العالم الاسلامي فريسة لأعدائه ، وما حدث من

(١) الثقافة الإسلامية : ص ٢٦ - ٢٧ ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

غزو صوفي وفكري وعسكري واقتصادي وسياسي لمختلف بلدان العالم الاسلامي .

ثالثاً : انتشار البدع والخرافات في المجتمع وتنمية الافكار الدخيلة فيه .

رابعاً : فقدان الوعي الاسلامي الصحيح الذي يقوم بدوره المحافظة على الأمة من جميع انواع المؤامرات .

ولقد أثبتت التجارب عبر التاريخ الاسلامي أن مواجهة التحديات ومكائد الأعداء التي تعرض لها المسلمون في مختلف الأدوار لا يكتب النصر فيها للمسلمين ما لم تكن هناك جماعة قوية ووحدة متكاملة في صفوف المسلمين تتصف بأوصاف حميدة، كالتي كانت في جماعة الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وأن النصر والعز لا ينالهم وهم في حالة الأفتراق والتناحر الذي يؤدي لتدمير كيانهم الأصيل ، ولذلك فقد أمر الله تعالى المسلمين بأن يعيشوا مجتمعين علي العقيدة الاسلامية ، اذ فيها يمكن عز الاسلام وأستعلاء المسلمين ، كما قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا * واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم * فأصبحتم بنعمته إخوانا ... ﴿ (١)

وقد ورد في كتب الحديث النبوي الشريف روايات عديدة تؤكد

(١) آل عمران : آية : ١٠٢ - ١٠٣ .

الوحدة والتزام المسلمين بالجماعة ^(١) . كما يحدث في الصلوات الخمس المكتوبة . إذ أمر الله تعالى المسلمين بأدائها مع الجماعة وأوجب عليهم أثناء الصلاة متابعة الامام في كل حركاته وسكناته حرصاً على ضرورة التضامن والتناسق بين المسلمين ، وان أعداءنا يخشون دائماً من تلك الوحدة الاسلامية والمهمة التي تؤديها بين الجماعات الاسلامية ، ويعملون بكل مافي وسعهم من الوسائل والتدابير لتفريق وحدة المسلمين وتشثيت صفوفهم ، ويحرصون في ذلك على تحقيق غرضين أساسيين :

الغرض الأول : قطع صلة المسلمين في الوقت الراهن وفي المستقبل بالاسلام . بمعنى ابعاد تفكيرهم وتشريعهم . في الحال وفي المستقبل عن مصدر الوحي ، وبذلك يفقد الاسلام ثباته

(١) أخرج الشيخان وأبو داود عن حذيفة - رضي الله عنه - قال : (كان الناس يسألون النبي - ﷺ - عن الخير ، وكنت أسأله عن الشرّ مخافة أن يدركني ، فقلت يارسول الله : انا في جاهلية وشر . فجاءنا الله بهذا الخير ، فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال : نعم ، وفيه دخن ، قلت : وما دخنه يارسول الله ؟ قال : قوم يستنون بغير سنتي ، ويهدون بغير هديي ، تعرف منهم وتذكر ، قلت : فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال : نعم ، دعاة على أبواب جهنم من أجا بهم قذوفه فيها . قلت : فما ترى إن أدركني ذلك ؟ قال : تلزم جماعة المسلمين وإمامهم . قلت : فان لم يكن لهم جماعة ولا امام ؟ قال : فاعتزل تلك الفرق كلها ، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على خير) . رواه البخاري ومسلم .

يبدو من خلال النصوص أن مرحلة الخير الأولى تنتهي بانتهاء القرون الثلاث الأولى ، وان مرحلة الشر تأتي فيما بعد ذلك حتى ظهور النهضة الاسلامية ، وان مرحلة الدخن تستمر حتى يومنا ، وان عصرنا عصر الدعاة على أبواب جهنم ، هذا الحديث يحدد واجب المرحلة وهو الالتزام بجماعة المسلمين وامامهم ، فان لم يكن للمسلمين جماعة أو امام ، فالواجب امتزال الفرق كلها ، والجماعة أن تكون على الحق ولو كان الرجل وحده .

(سعيد حوى : المدخل الى دعوة الاخوان المسلمين : ص ٦٢ ، ط ٣ ، ١٩٨٠ م) .

وذايته المتميزة المستقلة .

الفرض الثاني : تفكيك الوحدة الاسلامية . لأن المسلمين اذا فقدوا ارتباطهم بذلك المصدر الأول الثابت الذي يجمع المسلمين على هدف موحد لم يعد يسيطر عليها الاستعمار الغربي في كثير من الميادين السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وينتهي الأمر الى تقطيع المجتمع الاسلامي وامتصاصه في مناطق النفوذ المختلفة ، وتأمين مصالح الاستعمار الذي يخشى أن تؤلف الغصبية الاسلامية بين المجتمعات الاسلامية .^(١)

" فالغرب والشرق كلاهما يشعرون بمدى قوة الاسلام ووحدة المسلمين التي تمثل في نظرهم شوكة تؤلم صدورهم فلا ينامون ، ولا يغفلون لحظة من اللحظات من اجل القضاء علي هذا الدين .^(٢) فلا بد من اليقظة والتحرك لاعادة مجد الاسلام ، ورفع شأن المسلمين ليكونوا أمة مثالية حية في عالم الواقع ، ولاتتأثر نتائج طموحاتها بصورة واقعية مالم توجد في المجتمع الاسلامي حركات إسلامية تؤدي مسئوليتها في انهاض المسلمين واصلاح أحوالهم ، وعقا ندهم وافكارهم الى أن يكونوا "خير أمة في هذه الدنيا، فالأعداء يعملون علي بتقويض دعائم الحركة الاسلامية لأن الذين يحملون المسئولية الكبرى لحمل الأمانة

(١) د . محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية : ص ١٦١ ، ط ١ ، ١٩٧٩ م ،

المكتب الاسلامي . بيروت .

(٢) نفس المرجع : ص ١٦٢ .

المباركة هم المسلمون وحدهم ، أخرجهم الله تعالى من جنس
البشر ليكونوا هداة البشرية جمعاء في الحياة الدنيا
والشاهدين عليها يوم القيامة .

﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون
عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ .^(١)

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف
وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾ .^(٢)
﴿ ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم
الغالبون ﴾ .^(٣)

(لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد
الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو أخوانهم أو
عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيدهم بروح منه
ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله
عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا أن حزب الله هم
المفلحون)^(٤) .

فحزب الله هو ما كان عليه الصحابة والسلف الصالح
رضوان الله عليهم ومن يسير على نهجهم .

إذن الإسلام هو التكليف الرباني الوحيد للإنسان ، وإن كل
إنسان مكلف ، وأن المسلمين مسئولون عن تبليغه للعالم

(١) آل عمران : ١٠٠ .

(٢) آل عمران : ١٠٤ .

(٣) المائدة : ٥٦ .

(٤) المجادلة : ٢٢ .

واقامته في الأرض . وأن المسلمين جماعة واحدة ، وأن عليهم أن يفعلوا هذا كله على أرضهم وعلى الأرض كلها ، فلا بد من انشاء مجتمع اسلامي مثالي ليقوموا بأداء المسئولية الكبرى والاسهام في اعلاء كلمة الله تعالى .

حركات البعث الاسلامي وضرورتها في المجتمع الاسلامي :

ومفهوم الحركة الاسلامية بالاصطلاح العام محاولات جادة لايقاظ الأمة من غفلتها ، واستئناف الحياة مرة أخرى ، على أساس منهج الله ^(١) ، وعلى هذا يبدأ تاريخها منذ أن كلف الانسان بالشريعة الاسلامية والعقيدة الربانية ، ومنذ أن أرسل الله تعالى أنبياءه ورسله بها . ذلك لأن التاريخ الانساني منذ تكليفه بعقيدة التوحيد يبدأ بالمعركة الفاصلة بين الحق والباطل وبين الفضائل والردائل . وانطلاقاً من هذا المفهوم تعظم المسئولية تجاه الحركة الاسلامية لاحقاق الحق وابطال الباطل لتكون كلمة الله هي العليا ، ويعتز المسلمون باعلان الجهاد المبارك بأنه شرع الله تعالى لحماية الدعوة الاسلامية ونشرها في كل أجزاء الأرض لانقاذ الانسان من براثن الشرك والاحاد ومن عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة . ومن جور الأديان الى عدل الاسلام . والأمر الرباني بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد لم ينقطع منذ بدايته حتى الآن .

(١) الأستاذ مصطفى كامل : الثقافة الاسلامية ، المستوى الرابع ، بعنوان " حركات البعث الاسلامي " . جامعة أم القرى ، مكة المكرمة .

بل هو ماض الى يوم القيامة ، اذن فهو فرض على كل مسلم
لايجوز التخلي عنه ، انه سنة من سنن الأنبياء والرسل بل هو
هدف أساسي للرسالة الشريفة ، يخاطب النبي نوح عليه
السلام - قومه حينما تمرد واعن أمر الله وطفغوا عن شريعته :
﴿ يا قوم اعبدوا الله * مالكم من اله غيره * اني أخاف عليكم
عذاب يوم عظيم ﴾ (١).

وقد استمرت دعوة نوح هذه أكثر من تسعمائة عام . وهكذا
وجد في دعوة سيدنا ابراهيم ، وهود ، وصالح ، وشعيب ، ولوط
، وموسى ، وفي دعوة سيدنا ومولانا محمد ﷺ ، فسنن الأنبياء
والرسل لا تخلوا من الحركة الاسلامية . (٢)

فالحركة الاسلامية أذن محاولة جادة وبذل الجهود في دعوة
الناس الى عبادة الله ، وردهم من ظلمات الجاهلية الي نور
الهداية ، وتنفيذ الشريعة الخالدة في الأرض ليعيش الناس في
ظلمها ويتمتعوا بالحرية الكاملة . فهي حركة لم تتوقف لحظة من
اللحظات منذ ظهور الاسلام ، فمتى رفع الباطل رأسه ووقف
بقوته وعتاده المجنده ضد الاسلام ، قامت حركة اسلامية
بنشاطها وقوتها الفعالة ضده كما نرى ذلك في تاريخ المسلمين

(١) الأعراف : ٥٩ .

(٢) أسعد كيلاني : الدعوة الاسلامية عبر التاريخ : ص ١٧ ، مكتبة أدب اسلامي ،
لاهور ، ١٩٨٠م

في الهند ، كحركة الشيخ أحمد سرهندي ^(١) ، ضد الامبراطور أكبر ودعواته الهدامة وأفكاره الباطلة ، وعلان جهاده ضد العادات الجاهلية السائدة في المجتمع الاسلامي . وكحركة الشاه ولي الله محدث الدهلوي ، ظهرت في جميع أفاق شبه القارة الهندية التي تتمثل بحركة الاصلاح الجديدة تنطلق من النقطة التي أوصلها إليها سلفه الشيخ سرهندي ، ووقف بصراحة ضد الجاهلية المعاصرة ، حيث أنه انتقد علناً الشرك والبدع والخرافات والتفرقة المذهبية وبها استطاع نفخ الروح الاسلامية من جديد في المجتمع ، ثم ظهرت حركة اسلامية بصورة أجلى مما مضى بعد الشاه ولي الله ^(٢) ، بزعامة الشيخ

(١) ولد الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي ، في بيت عريق في المجد والعلم سنة ٨٧١ هـ ، ونشأ في بيئة دينية صالحة ، واستفاد من الشيخ الباقي بالله في الهند ، وقد قضى معظم حياته في سبيل الجهاد الاسلامي ضد الشرك والبدع والالحاد ، ووقف أمام الطواغيت موقف الجبال فأحيا السنة وأمات تلك الخرافات ، ورفع لواء كلمة الله ، والحق أن مقام به حسين بن علي - رضي الله عنه - وأحمد بن حنبل - رضي الله عنه - وابن تيمية في أزمانهم من اعلاء كلمة الحق وتجديد الدين ، قد قام به الشيخ سرهندي - رحمه الله - وتعرض في هذا السبيل للمعارضات الشديدة من قبل الحكام ورؤساء البلاد ، وقضى بعض الأوقات في سجون الطاغوت .
أنظر : مسعود عالم الندوي : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند ، ص ٩٨-١٠٠ ، دار العربية ، لاهور .

(٢) شاه ولي الله (٧٦ - ١٧١٣) ولد في دلهي ، وكان أبوه شاه عبدالرحيم عالماً ورعاً وفقهاً في الفقه الحنفي ، أكمل دراسته الإسلامية في سن مبكرة ، تخصص في علوم الحديث الشريف حتى اشتهر بالحدث ، ذهب الى مكة المكرمة سنة ١١٤٣ هـ ، ثم عاد بعد أداء الحج ، وبعد عودته من الحج قام باصلاح المجتمع الاسلامي في الهند في حين كانوا منهمكين في البدع والشرك والعادات الجاهلية ، وكان أول من قام في الهند بدعوة الاصلاح وحركة النهضة الاسلامية . ولذلك يسمونه مجدداً لعصره .
(٢) أنظر : مسعود عالم الندوي : تاريخ الدعوة الاسلامية في الهند : ص ١٢٧ ، دار العربية ، لاهور .

سيد أحمد الشهيد والشاه اسماعيل الشهيد - رحمهما الله -
وجاهدا في سبيل رفع أعلام الاسلام ، حتى استشهدا في سبيل
الله . وان الآثار الاسيلامية التي نشاهدها في المناطق
البنغالية هي نتيجة لتلك الحركات الاسلامية التي عمّت الهند
كلها آنذاك .

شروط حركات البعث الاسلامي :

من خلال دراستنا لتاريخ الدعوة وحركاتها نجد أن بعضها
تركت آثاراً عميقة لطول المدى في حياة الانسان ، وبعضها لم
تترك آثارها إلا لفترات بسيطة ومحدودة ، لعدم توفر الشروط
المطلوبة فيها ، وعدم التخطيط لها ، لذا نحبذ أن نذكر هنا
بعض الشروط اللازمة التي يعتمد عليها أساس الحركة وقوامها
لتكون مؤثرة وفعالة في المجتمع الاسلامي .

أولاً : لا بد أن يتوافر لهذه الحركات الادراك الشامل لهذا الدين .
ادراك العقيدة ، وادراك المنهج الذي تتحقق به هذه العقيدة ،
ذلك لأنه بغير ادراك واع لطبيعة هذا الدين وتصورات
وعقيدته ومنهجه لا يمكن أن تستقر حقيقة هذا الدين في الأرض
ولا في القلوب ، ومن باب أولى أن تقوم عليها حركة بعث تعيد
للاسلام سلطانه وهيمنته ، وعلان الحكم لله تعالى في كل
المجالات دون أي قيد وشرط ، والولاء لرسوله محمد - عليه
الصلاة والسلام - والالتزام بمتابعته بحيث لا يجوز الخروج
منها ، بأعتبارها قدوة حسنة حياة للبشر .^(١)

(١) الاستاذ مسطفي كامل : الثقافة الاسلامية ، المستوى الرابع ، ص ١٦٦ .

ثانياً : لابد من الالتزام الكامل بمقتضيات هذا الدين عقيدة ومنهجاً وعلى ضوءه حشد الطاقات البشرية التي تتسم بالأخلاق الفاضلة ، والسلوك الحميد ، واتخاذ التدابير والبرامج المناسبة لها . وصحيح أنه بين المحاولة والنجاح فيها جهد قد يطول ، ولكن لابد من استمرار المحاولة والارتفاع الى أفاق هذا الدين والتغلب على كل نداءات الضعف الانساني ، وذلك لكي يتسنى لهذه الحركات أن تقيم هذا الدين بسلوكها وتطبيقها الصحيح .

ثالثاً : لابد من ادراك واقع البشرية الآن وخاصة واقع المجتمع الاسلامي ومدى بعده وانسلاخه من قيم الاسلام وجريها وراء اغواء الجاهلية وتضليلها ، ذلك لأنه بدون أن يتجدد هذا المجتمع ومكانه من الاسلام لا يمكن تحديد طريقة دعوته الى الله تعالى .

رابعاً : لابد من التعرف على الجاهلية من حولنا ودراسة عقائد هذه الجاهلية ومناهجها وأساليبها ، كما ينبغي التعرف على الوسائل التي تكيد بها الجاهلية للإسلام وأهله ومتابعة مخططاتها في كافة المجالات .

خامساً : لابد من اتخاذ الوسائل المكافئة لأساليب الجاهلية في حرب الاسلام والمسلمين ، استجابة لنداء الله عز وجل :

﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾ ^(١) .

فيجب الاستعداد التام واعداد القوى المناسبة لمواجهة من

قبل الطغاة والمتمردين على الدين وأعدائه ، الذين يعيشون في هلع وخوف من ازدياد نشاطاتها وانتشارها في الافاق ، والصراع بين هاتين الفئتين من المسلمين والطغاة أمر حتمي لاعلاء كلمة الله وهيمنة الاسلام علي سائر الطواغيت ، وعلى هذا السبيل فلا بد من الاستعداد لاستقبال الابتلاء والمحن والتعذيب والتشريد لقوله عز وجل ﴿ أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون ﴾ * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين ﴿ (١) .

سادساً : تعيين الامام أو الأمير الذي يصلح لتحمل المسؤولية والقيادته الحكيمة تجتمع فيه كل الأوصاف التي يجب أن تكون في امام المسلمين وأميرهم . ويتم تعيينه لابل المنافسه والدعاية واستخدام الوسائل كما هو مسلك الديمقراطية الجاهلية الحديثة بل بالتشاور مع رجال الفكر وأصحاب العلم وأولى الألباب من بين من تتوافر فيهم الشروط للإمامه على ألا يكون طالبا لها متطلعا إليها .

وإذا استند الأمر اليه بالاجماع فعليه أن يقبل رأي الجميع ويتوكل على الله تعالى . (٢)

وإذا توافرت هذه الشروط للحركة الاسلامية فان الأمل يكون كبيراً في نجاحها وانجاز طموحاتها بمشيئة الله تعالى في نهوض المسلمين واحياء الدين الاسلامي من جديد في

(١) العنكبوت : ٢ ، ٣ .

(٢) الأستاذ مصطفى كامل : الثقافة الاسلامية ، المستوى الرابع ، ص ١٦٦ .

المجتمع الجاهلي ، ومن ثم اعادة المسلمين الى عبادة الله تعالى وحده ليكونوا مصداقا لقول الله عز وجل : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم * وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا)^(١) .

(١) النور : آية : ٥٥ .

الخلاصة



الخاتمة

إن بنغلاديش دولة مسلمة تقع فى الشمال الشرقى من قارة آسيا ، ويشكل المسلمون خمسة وسبعين فى المائة من مجموع سكانها، وصل الإسلام إلى هذه المنطقة أيام العهد العباسى ، بأيدى التجار العرب والغزاة المسلمين للمنطقة .

وللعامل السكانى علاقة وثيقة بالوضع الإقتصادى فى بنغلاديش ولذلك تعد اليوم من أفقر دول العالم .

إن التصوف بمفهومه الحقيقى ليس من الإسلام ، بل إنه مجموعة من الأفكار التى تستهدف الدين الحنيف الذى أتى به رسول الله (ﷺ) ، وأن القائلين به والمؤيدين له لم يستطيعوا التوصل إلى الاتفاق حول تحديد مفهومه ومعانيه ، ممايدل على أن هؤلاء القوم يعيشون فى عالم الوهم والتخيلات .

نشأ التصوف وترعرع فى منطقة البنغال عند قدوم جحافل من العلماء المتصوفة نحو الهند وخاصة فى المناطق الشمالية منها ، وذلك لما وجدوا البنغال وأراضيها ملائمة لنموه وانتشاره ، وإن الظروف التى أحاطت بها مهدت الطريق أمام المسلمين كي يعتنقوا تلك الأفكار المضللة . ومن دراستنا لموضوع التصوف ككل نجد أن العلماء المتصوفة قد أخذوا معظم الأفكار والقواعد والأصول والمبادئ من الفرق الضالة

التي كانت تسود في المناطق الفارسية وجيرانها ، ومن الشيعة والإسماعلية والديانات القديمة الأخرى من البوذية والهندوسية والمسيحية .
فقضية الحقيقة والشرعية والظاهر والباطن ، وقضية الأحوال والمقامات وما إلى ذلك من القضايا التي أثرت في العالم الإسلامي مستحدثة تماماً ، وعلماء التصوف يجعلونها غاية الاهتمام ويعدونّها من أساس الدين الذي تتوقف عليه سائر الأعمال .

إن انتشار التصوف وتوسيعه في المنطقة وآفاقها كان عوامل وأسباب ، منها العبد عن الإسلام وتعاليمه ، وجهل العلماء عن حقيقة الدين وتصورهم الخاطئ له ، ونشر الثقافة الفارسية بين عامة الناس بالإضافة إلى دور التأثير والتأثر في هذا الصدد .

كما أن قضية وحدة الوجود وما يتعلق بها من القضايا كالحلول والاتحاد ونحوه من أخطر القضايا التي أصابت المسلمين في هذه المنطقة ، بل إنها وقفت وقفة منيعة للحيلولة دون ردهم إلى العقيدة الصحيحة .

وللتصوف آثار سيئة ومهلكة على الفرد والمجتمع ، منها نشأة البدع والخرافات والفساد في الأخلاق والسلوك ، ومسح صورة الإسلام وتشويه عقائده ، وانحراف المسلمين عن دينهم وعقيدتهم وتعطيل الجهاد ضد الأعداء والتحريف في النصوص الشرعية حول فرضية الجهاد وفضائله .

هذا وأرجو أن تكون هذه الرسالة قد أنارت بعض الجوانب الهامة للتصوف ومعتقداته الضالة التي تحيط بالأمة المسلمة في بنغلاديش ، أملاً في أن تضع للأجيال الإسلامية الناشئة ، خطة شاملة ومتكاملة لصد أنشطة هذه الفرقة وإحباط مخططاتها الرامية ، كما أمل من تلك الفئات الإسلامية أن تعمل بجدية وإخلاص للنهوض بالأمة الإسلامية من كبوتها وإيقاظها من نومها العميق .

ربنا هب لنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من أمرنا رشداً ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا ونبيينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .



الملاحق

- ١ - مساهمة علماء شبه القارة الهندية في نشر التصوف وفلسفته .
- ٢ - المزارات والقبور للصوفية التي تحولت الى امكنة للشرك والبدع .

١- مساهمة العلماء بالهند في نشر الحقائق الصوفية

التفاسير

- تفسير مجمع البحرين : للشيخ طاهر بن يوسف البرهانوري .
- تفسير انوار الاسرار : للشيخ عيسى بن قاسم بن يوسف السندي .
- تفسير القرآن برواية أهل البيت : للشيخ محمد بن جعفر الحسيني الكجراتي .
- فتح الرحمن في تفسير القرآن : للشاه ولي الله الدهلوي .

الكتب الأخرى :

العربية

العدد	اسم الكتاب	المؤلف
١	طوالع الشموس	القاضي حميد الدين بن عطاء الناجوري
٢	الملهمات	الشيخ جمال الدين احمد الهانسوي
٣	خلاصة اللطائف	الشيخ علي جاندار الدهلوي
٤	كتاب المشاهدة	الشيخ أبو الفتح بن علاء الكالبوري (المتوفى ٨٦٢ هـ)
٥	قراءة الحقائق	الشيخ اشرف بن ابراهيم الحسيني (المتوفى ٧٠٨ هـ)
٦	كنز الحقائق	الشيخ اشرف بن ابراهيم الحسيني (المتوفى ٧٠٨ هـ)
٧	الضوء الازهر	الشيخ علاء الدين علي بن أحمد المهائمي
٨	مرآة العارفين	الشيخ مسعود بيك الدهلوي (المتوفى ٨٣٦ هـ)
٩	مفتاح الأسرار	الشيخ سماء الدين الملتافي
١٠	الروضة الحسنی فی شرح أسماء الحسنی	الشيخ عيسى بن قاسم السندي البرهاني
١١	المعارف اللدنية	الشيخ أحمد بن عبد الاحمد السرهندي . امام طريقة المجدديه
١٢	مظهر النور في مبحث الوجود	الشيخ قمر الدين بن منيب الله الأورنك أبادي

وبالفارسيه

العدد	اسم الكتاب	المؤلف
١	كاشف الأسرار	للحسن بن حسين بن مضر البهاري
٢	خلاصة المعارف	أدم اسماعيل الحسيني البغوري
٣	اثبات الأحدية	عبدالمك بن عبدالغفور الباني بتي
٤	طريقة العون في حقيقة الكون	محمد معين بن محمد أمين السندي
٥	حقائق التوحيد	عبدالله بن عبدالباقى النقشبندى الدهلوى
٦	شمس المعارف	شمس الدين محمد بن يحيى الاودى (م ٧٤٧هـ)
٧	شمائل الانقياء	ركن الدين بن عماد الشيشتى الكاشانى
٨	أداب السلوك	محمد بن يوسف الحسينى الدهلوى
٩	مؤنس الفقراء وانيس الغرباء	نور الدين أحمد بن عمر الشيشى (٨١٨هـ) .
١٠	أداب السالكين	محمد قاسم الاودى (٨٩٦هـ) .
١١	سراج القلوب وعلاج الذنوب	أبو على زين الدين على المعبرى
١٢	هداية الأذكياء (قصيده عربيه)	أبو على زين الدين على المعبرى
١٣	سراج السالكين	عبدالله بهلول الشكارى
١٤	زاد السالكين ومقصود الطالبين	محمود رشيد الجو بنورى
١٥	هداية السالكين	محمد عبدالرحمن القنوجى
١٦	القول الجميل فى بيان السبيل	ولى الله بن عبدالرحمن الدهلوى
١٧	منهاج العابدين	يوسف بن أحمد الايرجى (٨١٤هـ)
١٨	المنازل الأربعة	بير محمد بن أولياء الجونبورى
١٩	مصباح الطالبين	عبدالرسول الكجندوى
٢٠	سبع سنابل	عبدالواحد بن ابراهيم الحسينى البلجرفى
٢١	الارشاد الرحيم (النقشبنديه)	عبدالرحمن بن وجيه الدين الأويس الدهلوى
٢٢	سبيل الارشاد	محمد عاشق بن عبدالله البارھوى
٢٣	ارشاد الطالبين	خير الدين بن محمد زاهد السورتى الكجراتى
٢٤	نجم الهدايه (قصيده فارسىه)	نجم الهدى محمد ثابت الحسنى النقشبندى

بالأرديه :

العدد	اسم الكتاب	المؤلف
١	مذاق العارفين (ترجمة احياء الدين)	محمد احسن النافورى
٢	الشجرة المثمرة	المولوى ولايت على بن فتح على العظيم أبادى
٣	ارشاد المثمر (فى سلوك النقشبنديه)	امداد الدين محمد أمين العمري التهانوى
٤	سراج السالكين (ترجمة منهاج العابدين)	محمد منير النانوتوى
٥	اكسير الهداية (ترجمة منهاج العابدين)	المولوى فخر الدين اللكنوى

الإدعية والاذكار

العدد	اسم الكتاب	المؤلف
١	اسرار الدعوة	عبدالله بن بهلول الشطاري
٢	فتوح الأوراد	فتح محمد بن عيسى البرهانجوري
٣	الحرز المتين من الحصن الحصين	عبدالمؤمن بن محمد بن طاهر اللاهوري
٤	مزرع الحسنات	محمد فاضل الدهلوي
٥	كتاب الاذكار	رفيع الدين المراد أبادي
٦	الحرز المقبول والبركة المنقول من احاديث الرسول (ص)	أبو سعيد محمد الفيض الانصاري
٧	الداء والدواء	السيد صديق حسن القنوجي
٨	اليواقيت الثيرة في الأذكار الماثورة	محمد غوث بن ناصر الدين المدراس
٩	سبيل الرشاد والنجاة يوم المعاد	فخر الدين بن عبدالحق البريلوي
١٠	مفتاح الحاجات في الأدعية والاذكار	جلال الدين بن محمد الحسيني الكجراتي

شروحهم على منظوم الحكم لابن عربي :

اللغة العربية

العدد	اسم الكتاب	المؤلف
١	شرح الفصوص	السيد محمد بن يوسف الحسيني
٢	عين العضوض شدح الفصوص	ابو المحاسن شرف الدين الدهلوي
٣	مشرح الخصوض في شرح الفصوص	علاء الدين بن أحمد المهاتمي
٤	الطريق الأصم شرح فصوص الحكم	نور الدين بن محمد صالح الكجراتي
٥	التأويل المحكم شرح فصوص الحكم	محمد حسن الأمروهي
٦	تأنيذ الهمم في شرح نصوص الحكم	محمد افضل بن عبدالرحمن الإله أبادي

اللغة الفارسية :

العدد	اسم الكتاب	المؤلف
١	شرح الفصوص	محب الله العمري الإله أبادي
٢	شخص الحكم شرح فصوص الحكم	غلام مصطفى بن محمد اكبر الدهلوي
٣	الزوارف شرح عوارف المعارف	علاء الدين علي بن محمد المهاتمي
٤	شرح العوارف	احمد بن عبدالاحمد العمري السرهندي
٥	شرح العوارف	عبدالقدوس اسماعيل الكندلوي
٦	شرح المعارف	اشرف بن ابراهيم الحسيني
٧	شرح الرسالة المكتبيه لقطب الدين دمشقي	للشيخ قطب الدين دمشقي شرالدين احمد بن يحيى الميرابي
٨	مجمع السلوك شرح الرسالة المكيه	سعد الدين القدواني الخير أبادي

٩	شرح أَدَابِ المُرِيدِينَ (للسهروردي)	السيد محمد بن يوسف الدهلوي
١٠	شرح الرسالة القشيرية	السيد محمد بن يوسف الدهلوي
١١	شرح اللمعات (للشيخ فريد الدين العراقي)	الشيخ سماء الدين الملتاني
١٢	شوارق اللمعات في شرح اللمعات	عبد النبي بن عبدالله اشطاري الكراتي
١٣	تعريب اللمعات	علاء الدين علي بن أحمد المهاتمي
١٤	شرح نزهاة الأزواج (حسين المسيني الغزنوي)	تاج الدين ابن زكريا الدهلوي

ومن كتب التصوف المشهورة التي شرحها وعلق عليها علماء شبه القارة الهندية بالهوامش والحواشي :

- اللوائح للعارف الرومي حذيقة الحقائق للسناني .

- فتوح الغيب . اسرار المخلوقات لمحيي الدين ابن عربي .

- السوانح للغزالي .

- الرسالة لإبن عربي

- وقوت القلوب لإبي طالب المكي وغيرها .

وفي أواخر القرن الثامن وأواخر القرن التاسع الهجري قام جماعة من عشاق التصوف ورجاله بجمع المكتوبات والملفوظات التي جرت بين كبار المتصوفين والتي سجلها المريد من أفواه مشايخهم حفظاً وكتابةً .

وهذه المكتوبات والملفوظات قد دونت في الكتب والمجموعات . منها :

- ١ - مكتوبات الشيخ شرف الدين يحيى المنبري (٣ مجلدات)
- ٢ - مكتوبات الشيخ فتح الله نظام الدين الأودي (مجلد واحد)
- ٣ - مكتوبات الشيخ عبدالحق بن سيف الدين الدهلوي (مجلد واحد)
- ٤ - مكتوبات الشيخ أحمد بن عبد الواحد السرهندي (٣ مجلدات)
- ٥ - الصحايف (مجموعة مكتوبات) الشيخ صدر الدين الدهلوي (مجلد واحد)
- ٦ - مكتوبات المعارف للشيخ ولي الله الدهلوي (مجلد واحد)
- ٧ - كلمات طيبات (مجموعة مكتوبات ولي الله الدهلوي والقاضي ثناء الله باني بتي والشيخ غلام علي الدهلوي) جمعها أحمد البهكرابوني . (٤ مجلدات)

ومن الملاحظات الملاحظة :

- ١ - دليل العارفين (ملفوظات الشيخ معين الدين خشتي الاجميري)
جمعها الشيخ قطب الدين بختيار الكعكي الدهلوي .
- ٢ - انيس الأرواح (ملفوظات الشيخ عثمان الهارونسي) جمعها
الشيخ معين الدين السنجري .
- ٣ - سرّ الصدر (للشيخ حميد الدين السوالي) جمعها فريد بن
عبدالعزیز السوالي .
- ٤ - اسرار الأولياء (للشيخ فريد الدين مسعود الأيودهي) جمعها
بدر الدين اسحاق الدهلوي .
- ٥ - فوائد الفؤاد (للشيخ نظام الدين محمد البدايوني) جمعها حسن
بن علاء السنجري .
- ٦ - انوار المجالس (للشيخ المذكور) جمعها السيد محمد بن اسحاق
الحسيني الدهلوي .
- ٧ - تحفة المجالس (ملفوظات الشيخ احمد بن عبدالله المغربي
اللكنوي) جمعها محمود بن سعيد الأرجي .
- ٨ - درّ المعارف (للشيخ غلام علي العلوي الدهلوي) جمعها الشيخ
احمد الزامبوري .
- ٩ - نافع السالكين (للشيخ سليمان بن زكريا التوسوي) جمعها
المولوي إمام الدين .
- ١٠ - خير المجالس (للشيخ نصير الدين محمود الدهلوي) جمعها
حميد الدين القلندر الدهلوي .

٢- المزارات والقبور للمتصوفة التي تحولت إلى أوكار الشريك والبدع

العدد	الاسم	الموقع	المحافظة
١	سيد مخدوم شاه (١٣٢٦ م)	رام بور بوليا	راجشاهي
٢	مولانا شاه الدولة (١٥١٩ م)	باغا	راجشاهي
٣	بير ثبوت شاه (أيضاً)	بدل غاسي	راجشاهي
٤	مخدوم شاه الدولة شهيد (١٤٠١ م)	شاهزادبور	بابنة
٥	شاه افضل محمود (القرن الرابع عشر)	سيرا ج غنج	بابنة
٦	لنكتابير (الشيخ العريان)	سوناموكي	بوغرا
٧	شاه سلطان بلخي (أيضاً)	مهاستان	بوغرا
٨	بير مها كال (أيضاً)	قصبة	بوغرا
٩	فتح علي شاه (أيضاً)	صدر	بوغرا
١٠	بابا آدم (أيضاً)	أدم ديغي	بوغرا
١١	شاه محمد سلطان رومي (١٠٥٣)	مدن بور	مومن شاهي
١٢	قطب صاحب (أيضاً)	جوان غاسي	مومن شاهي
١٣	بير شاهين شاه (أيضاً)	أنيا	مومن شاهي
١٤	مسكين شاه (أيضاً)	غفور كاؤن	مومن شاهي
١٥	شاه كمال (أيضاً)	جمال بور	مومن شاهي
١٦	شاه جلال (١٣٤٦ م)	صدر	سلهت
١٧	بابا آدم شهيد (١٣٤٦ م)	بيكرام بور	دهاكا
١٨	شاه علي بغدادی (١٤٨٠ م)	ميربور	دهاكا
١٩	شاه لنقر (أيضاً)	معظم بور	دهاكا
٢٠	شاه ملك (أيضاً)	الخورشة	دهاكا
٢١	سيد العارفين (أيضاً)	كالي شوري	باقرغنج
٢٢	سلطان بايزيد (٨١٤ م)	ناصر آباد	تشيتاكونغ
٢٣	شيخ فريد (١٢٦٩ م)	مدينة تشيتاكونغ	تشيتاكونغ
٢٤	بدر شاه او بدر أولياء (بدر الدين)	بخشي بازار (١٣٥٢ م)	تشيتاكونغ
٢٥	قتل بير او بير مقتول	قتل غونغ	تشيتاكونغ
٢٦	شاه محسن أولياء (١٣٩٧ م)	انوارا	تشيتاكونغ
٢٧	شاه بير (١٦٣٢ م)	شات كانيا	تشيتاكونغ
٢٨	شاه عمر	تشوكوربا	تشيتاكونغ
٢٩	شاه بدل / بادل	جمال بور دهوم	تشيتاكونغ
٣٠	شاه تشاد أولياء	فتيا	تشيتاكونغ
٣١	شاه زيد	كوندرهات	تشيتاكونغ
٣٢	شاه ملا مسكين (٩٩)	بلدية المحافظة	تشيتاكونغ
٣٣	قاضي موكل	شندنبور	تشيتاكونغ

٣٤	حامد شاه	فوتکشوري	تشیټاکونځ
٣٥	شاه اشرف	قدل بور	تشیټاکونځ
٣٦	أمانة شاه	لال دیکهي	تشیټاکونځ
٣٧	شاه معین الدین	قتالی	تشیټاکونځ
٣٨	شاه شنډر (شاه جمیل)	حفانیا	تشیټاکونځ
٣٩	شاه احمدالله	مایټز بهاندر	تشیټاکونځ
٤٠	شاه غریب الله	دام بارا	تشیټاکونځ
٤١	شاه ابو الحسین	فرید بارا	تشیټاکونځ
٤٢	شاه اسماعیل غازي	رنکیور	رنکیور
٤٣	مولانا کرامتعلی	منشی بارا	رنکیور
٤٤	شاه قلندر	شونارای	رنکیور
٤٥	غازي اسماعیل	رنکیور	رنکیور
٤٦	مخدوم شاه الدولة	شاهزادبور	قابنا
٤٧	شاه شریف زندانی (القرن الرابع عشر)	سراج کینچ / تارش	قابنا
٤٨	شاه سلطان بلخی	مهاستان	بوغرا
٤٩	طور خان شهید	کورتوا شیربور	بوغرا
٥٠	بندکی شاه	شیربور	بوغرا
٥١	نیمائی بیر	بهاثر غاتا	بوغرا
٥٢	دیوان شهادت حسین (١٣٥٠ م)	جودبی بورهات	بوغرا
٥٣	مقصد غازي	هاروزه کهیټ لال	بوغرا
٥٤	دیوان غازي رحمن (القرن الخامس عشره)	شاهبور - آدم یکهي	بوغره
٥٥	شاه مخدوم	شارغات	راجشاهی
٥٦	شاه معظم دانشمند	باغا	راجشاهی
٥٧	بیر خلاص خان	شنډر بان	خُلنا
٥٨	خان جهان علی	بارو بازا	خُلنا
٥٩	شاه جلال مجرّد (القرن الخامس عشر)	صدر بازار	سلهټ
٦٠	سید عمر سمرقندی	قصیه / صدر	سلهټ
٦١	حافظ محمد زکریا قرش	قرب نهر کوشیارا	سلهټ
٦٢	حاجی شیخ شمس الدین	جمائی کاتا	سلهټ
٦٣	یوسف سید	شاتک	سلهټ
٦٤	شاه صدر الدین فرشی	مولای یازا	سلهټ
٦٥	شاه کمال برهان الدین	شونام غنچ	سلهټ
٦٦	شاه حلیم فرشی	کولاؤرا	سلهټ
٦٧	شیخ غریب أفغانی	بالاغنج	سلهټ
٦٨	شاه رکن الدین	قدم هاتا	سلهټ
٦٩	شاه رحیم الدین انصاری	جلال بور	سلهټ
٧٠	شاه کمال الدین	صدر / مابارشر	سلهټ
٧١	قطب الدین أولیاء	راج نغر	سلهټ

٧٢	مولانا شرافت علي	باتهربا	سلهت
٧٣	مولانا ابراهيم علي طشنه	كانائي غات	سلهت
٧٤	سيد احمد تنوري	حاجي غنج	نواكهالي
٧٥	مجدوبه بي بي	شنديب/روحاني	نواكهالي
٧٦	حسن شاه	هوري تشر	نواكهالي
٧٧	يعقوب علي نوري	صدر	نواكهالي
٧٨	عبدالرحيم خان لاهوري	بادوا	نواكهالي
٧٩	مولانا فضل الرحمن	راي بور	نواكهالي
٨٠	مولانا امام الدين (١٨٥٩م)	حاجي بور	نواكهالي
٨١	بادشاه ميان	مايزدي	نواكهالي
٨٢	بير اعظم شاه	ديار ياري	نواكهالي
٨٣	شاه بيدامير الدين (البير المجنون)	فاضل بور	نواكهالي
٨٤	شاه راستي (البير المجنون)	سريبور	كوملا
٨٥	شاه محمد (البير المجنون)	شاه تلي	كوملا
٨٦	شاه مولانا غازي يوري	داروغا ياري	كوملا
٨٧	زين الدين داود كندي	داود كاندي	كوملا
٨٨	بابا شاه عين الدين	صدر	كوملا
٨٩	بابا خلثا	في مسجد شاه شجاع	كوملا
٩٠	شهيد سيد احمد كيسو دراز	اكهورا خرم بور	كوملا
٩١	سيد الحاج حسام حيدر	لنكل كوت	كوملا
٩٢	شاه روشن علي	لنكل كوت	كوملا
٩٣	واجب علي شاه	بهولا	باريسال
٩٤	شاه داود	شاوكانديا	باريسال
٩٥	شاه شراغ	نال شيتي	باريسال
٩٦	نفيس الرحمن حق النوري	باريسال	باريسال
٩٧	قطب شاه	شارشنجارشنيشن	باريسال
٩٨	سيد العارفين	باقر غنج	بارسيال

للمزيد من المعلومات المفصلة يمكن المراجعة : كتاب الصوفيه في
البنغال للدكتور انعام الحق ، حقائق التصوف في البنغال . للدكتور
غلام ثقلين .

الفهارس



- أولاً : فهرس الآيات الكريمــــــــة
ثانياً : فهرس الأحاديث الشريفــــــــة
ثالثاً : فهرس بأهم المصادر والمراجع
رابعاً : فهرس الموضوعات بالتفصيل



فهرس : الآيات الكريمة

الآية	السورة	الرقم	الصفحة
إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ..	الحجر	٩	أ
واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء			
فألف بين قلوبكم	آل عمران	١٠٣	٤٦٠، ٢٣
ما فرطنا في الكتاب من شيء	الأنعام	٣٨	٢٥
قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً . الأعراف		١٥٨	٢٥
وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً . . سبأ		٢٨	٢٥
اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى			
ورضيت لكم الإسلام ديناً	المائدة	٣	٩١، ٢٥
			٢٧٠، ١٨٧
ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون			
بالمعروف وينهون عن المنكر . . .	آل عمران	١٠٤	٣٠، ٢٦
			٤٦٣
فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة			
ليتفقوا في الدين ولينذروا قومهم			
إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون ..	التوبة	١٢٢	٥٠، ٢٦

الآية السورة الرقم الصفحة

الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا			
آمنا وهم لا يفتنون	العنكبوت	١٠	٤٧٠، ٣٨
لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة			
لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر			
الله كثيراً	الأحزاب	٢١	٥١
وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس			
نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله			
إليك	القصص	٧٧	٩٥، ٥٥
فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض			
وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيراً			
لعلكم تفلحون	الجمعة	١٠	٥٦
وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم			
عنه فأنتهوا	الحشر	٧	٢٧١، ٩١
			٢٨٠
وكانوا فيه من الزاهدين	يوسف	٢١	٩٦
هو الذي أنزل عليك الكتاب منه			
آيات محكمات	آل عمران	٨	١١٢

الآية	السورة	الرقم	الصفحة
ثم جعلناك على شريعة من الأمر ..	الجاثية	١٨	١١٤
وإذا سألك عبادى عنى فإنى قريب .	البقرة	١٨٦	١٢٢
ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون .	الواقعة	٨٥	١٢٢
الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ..	الرعد	٢٨	١٢٥
إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون .	النحل	١٢٨	١٢٦
إن الله مع الصابرين	البقرة	١٥٣	١٢٦
للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من			
ديارهم	الحشر	٨	١٣٣
قالت الأعراب آمنا، قل لم تؤمنوا ولكن ..	الحجرات	١٤	١٣٤
اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولوا			
الأمر منكم	النساء	٥٧	١٥٣
وإذا قالت أمة منهم لم تعظون قوماً			
الله مهاكهم	الأعراف	١٦٤	١٥٩
قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما			
إلهكم إله واحد	الكهف	١١٠	١٦٠
فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون .	يونس	١٦	١٦٠
وما أرسلنا قبلك من المرسلين ...	الفرقان	٢٠	١٦٠
هو الذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق .	الصف	٩	١٨٧، ١٦٦

الآية	السورة	الرقم	الصفحة
وإنه لتنزيل رب العلمين، نزل به الروح الأمين.....	الشعراء	١٩١	١٨١
يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ..	البقرة	٢٠٨	١٨٦
وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم	الأنعام	١٢١	١٩٦
وهو معكم أينما كنتم	الحديد	٤	١٩٦
يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع	التوبة	١١٩	١٩٦
محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار	الفتح	٢٩	١٩٦
إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ..	النحل	١٢٨	١٩٦
ألم تر أن الله يعلم ما فى السماوات وما فى الأرض	المجادلة	٧	١٩٧
إنني معكما أسمع وأرى	طه	٤٦	١٩٧
إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ..	التوبة	٤٠	١٩٧
الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً	آل عمران	١٩١	٢٢٣
إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح	فاطر	١٠	٢٤٤، ٢٣٧
يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ..	الأحزاب	٤١	٢٤٤
فاذكرونى أذكركم واشكروا لى ولا تكفرون ..	البقرة	١٥٢	٢٤٤
ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون	العنكبوت	٤٥	٢٤٤

الآية السورة الرقم الصفحة

كنتم خير أمة أخرجت للناس	آل عمران	١١٠	٤٦٢، ٤٥٣
قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي	الأنعام	١٦٢	٤٥٦
وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون	الذاريات	٥٦	٤٥٦
ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا	المائدة	٥٦	٤٦٢
لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر	المجادلة	٢٢	٤٦٢
يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره	الأعراف	٥٩	٤٦٤
واعدوا لهم ما استطعتم من قوة	الأنفال	٦٠	٤٦٨
وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات	النور	٥٥	٤٧٠
والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا	العنكبوت	٦٩	٤٨٢
ألا يذكر الله تظمئن القلوب	الرعد	٢٨	٢٥٣
ومن الناس من يشتري لهو الحديث	لقمان	٦	٢٥٣
وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم	المائدة	٨٣	٢٥٤
ومن أضل ممن يدعو من دون الله	الأحقاف	٥	٢٦٥
وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً	الجن	١٨	٢٦٥
فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذبين	الشعراء	٢١٣	٢٦٥
ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك	يونس	١٠٥	٢٦٦
هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين			
له الدين	غافر	٦٥	٢٦٦

الآية	السورة	الرقم	الصفحة
قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري			
ما يفعل بى	الأحقاف	٩	٢٦٨
و إن هذا صراطى مستقيماً فاتبعوه	الأنعام	١٠٣	٢٧٣
قل إنما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها .	الأعراف	٣٣	٢٧٣
ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً			
ليضل الناس	الأنعام	١٤٤	٢٧٤
إنما يأمركم بالسوء والفحشاء	البقرة	١٦٩	٢٧٤
وإنه لتنزيل رب العالمين ،نزل به الروح			
الأمين	الشعراء	١٩٢	٢٧٥
هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات			
محكمات	البقرة	٦	٢٧٥
أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله .	الجالية	٢٣	٢٧٦
إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس .	النجم	٢٣	٢٧٦
أولئك الذين طبع الله على قلوبهم	محمد	١٦	٢٧٦
قل هل يستوى الأعمى والبصير	الرعد	١٦	٢٧٧
وما يستوى الأعمى والبصير	فاطر	١٩	٢٧٧
ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم .	الحديد	١٧	٢٧٧
كل حزب بما لديهم فرحون	المؤمنون	٥٣	٢٧٨

الآية السورة الرقم الصفحة

٢٧٩	١٥٩	الأنعام	إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً
٢٧٩	١٥٣	الأنعام	وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه
٢٨١	٥٥	الأعراف	ادعوا ربكم تضرعاً وخفية
				لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت
٢٨٧	٨٧	الأنبياء	من الظالمين

..

ثانياً: فهرس الأحاديث الشريفة

الصفحة	الحديث الشريف
٢٦	* ليبلغ الشاهد الغائب فإن الشاهد عسى أن يبلغ.....الحديث
٣٣	* وعدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم غزو الهند.....الحديث
٣٣	* عصابتان من أمتي أحرزهما الله من النار.....الحديث
٣٤	* يكون في هذه الأمة بعث إلى السند والهند.....الحديث
٤٧	* ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله.
٥١	* ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة.....الحديث
٥١	* نضر الله امرءاً سمع منا شيئاً، فبلغه كما سمع.....الحديث
٥٢	* من سئل عن علم فكتمه، ألجم يوم القيامة بلجام النار.
٥٢	* يسرّوا ولا تعسرّوا ، وبشّروا ولا تنفّروا .
٥٢	* إنما بعثتم مبشّرين و لم تبعثوا معسرّين .
	* جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم
٥٦	يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم.....الحديث
	* جاء ناس من الأعراب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
٧٢	عليهم الصوف
٧٣	* كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار.....الحديث
٧٥	* من لبس الصوف ليعرفه الناس.....الحديث

الحديث الشريف	الصفحة
* إن الأرض لتعج إلى ربها من الذين يلبسون الصوف رياءً .	٧٥
* من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد .	٩٥
* أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله الحديث	٩١
* خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية . . الحديث	٩٤
* إني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية الحديث	٩٤
* خير القرون قرنى ، ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم .	٩٥
* الأرواح جنود مجنده .	١٢١
* الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور متشابهات . . الحديث	١٣١
* دع ما يريبك إلى ما لا يريبك .	١٣١
* إن أحب الناس إلى الله يوم القيامة إمام عادل .	١٥٣
* ومن يطع الأمير فقد أطاعنى ومن يعص الأمير . . الحديث	١٥٣
* إن مثل العلماء فى الأرض كمثل النجوم فى السماء . . الحديث	١٥٥
* يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة . . الحديث	١٦٧
* أربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون الأصم . . الحديث	٢٢٧
* من ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى الحديث	٢٤٤
* لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى الحديث	٢٤٤
* إذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا الحديث	٢٤٤
* كان الناس يسألون النبى (ﷺ) عن الخير . . الحديث	٤٥٩

ثالثاً: المصادر والمراجع

- | | |
|---------|--------------------|
| ١٨- ٢ | المصادر العربية |
| ٢٢- ١٩ | المصادر البنغالية |
| ٢٤ - ٢٣ | المصادر الأردنية |
| ٢٥ | المصادر الفارسية |
| ٢٦ | المصادر الإنجليزية |
| ٢٧ | الصحف والمجلات |

المصادر العربية :

- ١ - القرآن الكريم:
- ٢ - الأحاديث النبوية الشريفة:
- (١)
- ٣ - عبدالعظيم شرف الدين:
إين القيم الجوزية: عصره ومنهجه
مكتبة النهضة المصرية
- ٤ - عبد العزيز سلمان:
الأسئلة والأجوبة الأصولية على العقيدة الواسطية
الطبعة الثامنة عشر ١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م
- ٥ - جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري:
أساس البلاغة
تحقيق عبدالرحيم محمود
دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م
- ٦ - محمد محمد حسين:
الإسلام والحضارة الغربية
المكتب الإسلامي بيروت ط ١، ١٩٧٩ م
- ٧ - إحسان إلهي ظهير:
الإسماعيلية: تاريخ وعقائد
إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان - ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م
- ٨ - علي محفوظ:
الإبداع في مضار الابتداع:
المكتبة العلمية بالمدينة المنورة - ١٣٩١ هـ
- ٩ - د/عائشة يوسف المناعي:
أبو حفص عمر السهروردي: حياته وتصوفه
دار الثقافة - الدوحة

- ١٠ - أبو حامد الغزالي:
إحياء علوم الدين
دار المعارف المصرية - القاهرة - ١٣٣٤ هـ
- ١١ - زكي مبارك:
الأخلاق عند الغزالي
دار الكتاب العربي - مصر
- ١٢ - أنور الجندي:
أعلام الإسلام
دار الاعتصام - مصر
- (ب)
- ١٣ - احسان إلهي ظهير:
البريلوية: عقائد وتاريخ
إدارة ترجمان السنة، لاهور - باكستان
- (ت)
- ١٤ - قاسم غنى:
تاريخ التصوف في الإسلام
ترجمه من الفارسية: صادق نشأت
مكتبة النهضة المصرية - ١٩٧٠ م
- ١٥ - عبدالرحمن بدوي:
تاريخ التصوف الإسلامي
دار العلم للملايين - بيروت
- ١٦ - إحسان حقى:
تاريخ شبه الجزيرة الهندية الباكستانية
مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ٢ - ١٣٩٨ هـ

١٧ - د/أحمد محمود ساعاتى:

تاريخ المسلمين فى شبه القارة الهندية
وزارة الثقافة والتربية - مصر

١٨ - ابن خلدون:

تاريخ ابن خلدون
دار الكتاب اللبنانى - بيروت ط٢ - ١٩٦١م

١٩ - الشيخ خضرى بك:

تاريخ التشريع الإسلامى:
المكتبة التجارية الكبرى - مصر ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م

٢٠ - غوستاف لوبون:

تاريخ حضارات الهند
ترجمة: عادل زعيتر

مكتبة مصطفى الحلبي - مصر ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م
و دار احياء الكتب العربية - القاهرة ١٣٦٨هـ - ١٩٤٨م

٢١ - مسعود الندوى:

تاريخ الدعوة الإسلامية فى الهند
دار العروبة - لاهور - باكستان

٢٢ - د/ فليب حتى:

تاريخ العرب
مكتبة النهضة العربية - مصر

٢٣ - أبو الأعلى المودوى:

تجديد الدين وإحيائه
مكتبة الرسالة - بيروت

٢٤ - أبو الريحان البيرونى:

تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة من العقل أو مردولة

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - دكن - ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م

٢٥ - أبو الأعلى المودودي:

تذكرة دعاة الإسلام

مؤسسة الرسالة - بيروت

٢٦ - د/ زكي مبارك:

التصوف الإسلامي في الأدب والأخلاق

دار الجيل اللبنانية - بيروت

٢٧ - إحسان إلهي ظهير:

التصوف: المنشأ والمصادر

إدارة ترجمان السنة - لاهور - باكستان - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

٢٨ - عبدالقادر السندي:

التصوف في ميزان البحث والتحقيق

مكتبة ابن القيم - المدينة المنورة - ط ١ - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م

٢٩ - د/ عمر فروخ:

التصوف في الإسلام

دار الكتاب العربي - بيروت ١٤٠١هـ - ١٩٨١م

ودار الفكر - بيروت ١٩٨١م

٣٠ - د/ محمد غلاب:

التصوف المقارن

مكتبة النهضة - مصر

٣١ - د/ مصطفى حلمي:

التصوف والاتجاه الفلسفي في العصر الحديث

دار الدعوة للطبع والنشر والتوزيع - الإسكندرية - مصر

ودار الاخوان للنشر - القاهرة - مصر

٣٢ - محمد فهد شفقته:

التصوف بين الحق والباطل

الدار السلفية للنشر والتوزيع - الكويت - ط٣ - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

٣٣ - أبوبكر محمد الكلابزى:

التعرف لمذهب أهل التصوف

تحقيق وتقديم: محمود أمين النواوى

مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة - ط١ - ١٣٨٨هـ

وتحقيق: د/ عبدالحليم محمود ود/ طه عبدالباقى

القاهرة - ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م

٣٤ - صديق حسن خان فنوجى:

تفسير فتح البيان فى قصص القرن

طبع جديد - القاهرة - ١٩٦٥م

٣٥ - ابن حجر العسقلانى:

تفسير غريب الحديث

دار المعرفة للطباعة - بيروت

٣٦ - عبدالرحمن ابن الجوزى:

تلبيس إبليس

إدارة الطباعة - دار الكتب العلمية - بيروت

٣٧ - د/ محمد غلاب:

التنسك الإسلامى: منشؤه وتطوره ومذاهبه

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة التعريف بالإسلام - القاهرة - مصر

٣٨ - ابن القيم الجوزية:

تهذيب مدارج السالكين

هذه: عبد المنعم صالح العلى العزى

دار المطبوعات الحديثة - جدة

٣٩ - د/ مصطفى كامل:

حركات البعث الإسلامي [العنوان] الثقافة الإسلامية

المستوى الرابع - جامعة أم القرى

٤٠ - محمد قطب:

الثقافة الإسلامية

المستوى الرابع - جامعة أم القرى - مكة المكرمة - ١٣٩٦م

٤١ - محمد عبدالحى الحسينى:

الثقافة الإسلامية فى الهند

دمشق - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م

(ج)

٤٢ - السهروردى:

جذب القلوب إلى مواصل المحبوب

مطبعة البهاء - حلب - سورية - ١٣٢٨هـ

٤٣ - جوده حسنين:

جغرافية آسيا الإقليمية

دار المعارف المصرية - ١٩٨٥م

٤٤ - محمود أبو الفيض المنوفى:

جمهرة الأولياء وأعلام التصوف

مؤسسة الحلبي وشركاه - القاهرة - ط ١ - ١٩٦٧م

٤٥ - لوثرروب ستوارد:

حاضر العالم الإسلامى - تعليق: الأمير شكيب أرسلان

دار الفكر - بيروت - ط ٤ - ١٣٩٤م

٤٦ - د/ سعيد ناصر الغامدى

حقيقة البدع وأحكامها

مكتبة الرشيد - الرياض - ١٤١٢هـ - ١٩٨٤م

(د)

٤٧ - البستاني:

دائرة المعارف

دار المعرفة - لبنان

٤٨ - مجموعة من العلماء:

دائرة المعارف الإسلامية

تعريب: حمد الشناوي وإبراهيم زكي

٤٩ - سيد قطب:

دراسات إسلامية

دار الشروق - بيروت - ١٩٧٣م

٥٠ - د/ محمد جلال شرف:

دراسات في التصوف الإسلامي

دار الطباعة الجامعية - الإسكندرية - ١٩٧٢م

٥١ - هاملتون جب:

دراسات في حضارة الإسلام - ترجمة: عباس ورفاقه

مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٧٩م

٥٢ - أحمد فخرى:

دراسات في تاريخ الشرق القديم

مكتبة الانجلو - مصر - ١٩٦٣م

٥٣ - د/ محي الدين الألوي:

الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية

دار القلم - دمشق - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

٥٤ - محمد الغزالي:

الدعوة الإسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر

مطبعة دار الاخوان - مصر

(ر)

٥٥ - عبدالكريم القشيري:

الرسالة القشيرية

دار الكتب الحديثة - القاهرة - مصر

٥٦ - رسائل اخوان الصفا:

دار بيروت للطباعة والنشر - بيروت - ١٣٧٧هـ - ١٩٥٩م

٥٧ - لسان الدين ابن الخطيب:

روضة التعريف بالحب الشريف

دار الفكر العربي - بيروت - ١٩٨٦م

٥٨ - محمد قطب:

رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر

دار الوطن للنشر والتوزيع - الرياض - ط ١ - ١٣١١هـ - ١٩٩١م

(ش)

٥٩ - محمد خليل الهراس:

شرح العقيدة الواسطية

مطبوعات الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة - ط ٤

٦٠ - ابن أبي العز:

شرح العقيدة الطحاوية - تحقيق: أحمد شاكر

مطبعة العاصمة - شارع الفلك - مصر

٦١ - عبدالرحمن الجامي:

شرح الجامي للكافية

مطبعة الرحيمية - دلهي - الهند

٦٢ - بدران أبو العينين:

الشريعة الإسلامية

مؤسسة شباب الجامعة - القاهرة

(ص)

٦٣ - الجوهري:

الصحاح

تحقيق: عبدالغفور عطار

٦٤ - د/ كامل الشيبى:

الصلة بين التصوف والتشيع

٦٥ - د/ سميح عاطف الزين:

الصوفية فى نظر الإسلام

دار الكتاب اللبنانى ودار الكتاب المصرى

٦٦ - د/ سعيد حسين نصر:

الصوفية بين الأمس واليوم

ترجمة: كمال يازجى

الدار المتحدة للنشر والتوزيع - بيروت - ط ١ - ١٩٧٥م

(ض)

٦٧ - أحمد أمين:

ضحى الإسلام

دار الكتاب العربى - بيروت - ط ١ - ١٩٦٩م

(ط)

٦٨ - الشعرانى:

الطبقات الكبرى

٦٩ - ابن الملقن:

طبقات الأولياء

٧٠ - يسرى عبدالرزاق الجوهري:

العالم الإسلامى فى آسيا وأفريقيا

مكتبة النهضة المصرية - مصر

- ٧١ - عبدالقاهر بن عبدالله السهروردي:
عوارف المعارف
دار الكتاب العربي - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٣هـ
- ٧٢ - د/ يوسف القرضاوي:
العبادة في الإسلام
مكتبة الوهبة - القاهرة - مصر - ط ١٥ - ١٤٠٥هـ
- ٧٣ - ابن تيمية:
العبودية
دار الكتاب اللبناني - بيروت - ١٣٩٢هـ
- ٧٤ - أحمد المباركفوري:
العرب والهند في عهد الرسالة
المطبعة العثمانية - دلهي
والهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٣م
- ٧٥ - جورج فضل الحوراني:
العرب والملاحة في المحيط الهندي
ترجمة: يعقوب بكر - مكتبة الانجلو - مصر - ١٩٥١م
- ٧٦ - د/ سفر بن عبدالرحمن الحوالي:
العلمانية
دار مكة للطباعة والنشر - جامعة أم القرى
(ف)
- ٧٧ - الشيخ/ أحمد بن عبدالرحمن البنا:
الفتح الرباني لترتيب مسند أحمد
٧٨ - محمد علي الشوكاني:
فتح القدير
مطبعة مصطفى البابي الحلبي - القاهرة - مصر

٧٩ - البلاذرى:

فتوح البلدان

مكتبة النهضة المصرية - القاهرة

٨٠ - عبد القادر الجيلانى:

فتوح الغيب

٨١ - محى الدين ابن عربى:

الفتوحات المكية

٨٢ - أحمد أمين:

فجر الإسلام

دار الكتاب العربى - بيروت - ط ١ - ١٩٦٩م

٨٣ - عبدالقادر طاهر البغدادى:

الفرق بين الفرق

دار المعرفة - بيروت

٨٤ - ابن تيمية:

الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان:

مكتبة دار القلم - بيروت - ١٤٠١هـ

٨٥ - محى الدين ابن عربى:

فصوص الحكم - تحقيق: أبو العلا العفيفى

دار الكتاب العربى - بيروت - ط ٢ - ١٤٠٠هـ - ١٩٨١م

٨٦ - د/ أحمد شلبى:

الفكر الإسلامى: منابعه وآثاره

مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٩٨٧م

٨٧ - عبدالرحمن عبد الخالق:

الفكر الصوفى فى ضوء الكتاب والسنة

مكتبة ابن تيمية - الكويت - ط ٣ - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م

٨٨ - د/ عبدالقادر محمود:

الفلسفة الصوفية في الإسلام

مطبعة المعرفة - القاهرة - ط ١ - ١٩٦٦م

٨٩ - د/ محمد غلاب:

الفلسفة الشرقية

مكتبة الانجلو المصرية

٩٠ - نيكلسون:

في التصوف الإسلامى وتاريخه

دار القلم - لبنان

(ق)

٩١ - ابن تيمية:

قاعدة جلية في التوسل والوسيلة

المكتبة الإسلامية - بيروت - ١٩٧٠م

٩٢ - مجد الدين فيروز آبادى:

القاموس المحيط

مكتبة مصطفى الحلبى - القاهرة - ط ٣ - ١٣٧١هـ - ١٩٥٠م

٩٣ - أحمد عطية:

القاموس الإسلامى

مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦٣م

٩٤ - أبو العباس محمد زروق:

قواعد التصوف

مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة

٩٥ - أبوطالب المكي:

قوت القلوب

دار النهضة المصرية - ١٣٩١هـ

٩٦ - جمال الدين الشاذلى:

قوانين حكم الإشراق

مكتبة الكليات الأزهرية - ط ١ - ١٩٦١م - القاهرة

(ك)

٩٧ - الشيخ محمد بن عبدالوهاب:

كتاب التوحيد

تعليق: الشيخ عبدالرحمن آل الشيخ

الرياض - ١٤٠٨هـ

٩٨ - الشريف الجرجاني:

كتاب التعريفات

الدار التونسية للنشر / دار الكتب العلمية - لبنان - ط ٩ - ١٤٠٣هـ

٩٩ - محمد عبد الجبار النفري:

كتاب المواقف وكتاب المخاطبات

مكتبة الخانجي - القاهرة - ط ١ - ١٩٥١م

١٠٠ - أبو النصر السراج الطوسي:

كتاب اللمع

دار الكتب الحديثة - طبع ليدن - ١٩٣٤م

على الهجویری:

كشف المحجوب

دراسة وترجمة: د/ سعاد عبدالهادی قنديل

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة التعريف - القاهرة

(م)

١٠٢ - أبو الحسن على الندوی:

ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين

الاتحاد الإسلامي العالمي للمنظمات الطلابية - ١٣٩٨هـ - ١٩٨٧م

١٠٣- ابن تيمية:

مجموع الفتاوى

ترتيب: عبدالرحمن بن محمد قاسم

مكتبة المعارف - الرباط - المغرب

١٠٤ - ابن تيمية:

مجموعة الرسائل والمسائل

مطبعة المنار - القاهرة - ١٩٤٩م

١٠٥ - أحمد بن حجر بن محمد آل طامى:

الشيخ محمد بن عبدالوهاب وعقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية

من مطبوعات الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة

والإرشاد - ط٢ - الرياض

١٠٦ - مسعود عالم الندوى:

محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفتري عليه

مطبعة زمزم - ط١ - ١٩٧٧م

١٠٧ - عبد القادر الرازى:

مختار الصحاح

دار الفكر - بيروت

١٠٨ - ابن القيم

مدارج السالكين

١٠٩ - سعيد حوى:

المدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين

المكتبة العلمية - بيروت - ط٣ - ١٩٨٠م

١١٠ - أبو الأعلى الموددى:

المصطلحات الأربع في القرآن

دار الكتاب العلمى - القاهرة - ١٩٧٣م

- ١١١ - أبو الفيض محمود المنوفى:
معالم الطريق إلى الله
دار النهضة المصرية - القاهرة
- ١١٢ - جبران مسعود:
معجم الرائد
دار العلم للملايين - لبنان
- ١١٣ - انوار فون زامباوه:
معجم الأنساب والأسرة الحاكمة فى التاريخ الإسلامى
مطبعة جامعة فواد الأول - ١٩٥١م
- ١١٤ - كمال الدين أبو الفضل المنوفى:
معرفة التصوف والصوفى
تحقيق د/ محمد عيسى
مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع - الكويت
ط ١ - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
- ١١٥ - د/ أحمد شلبى:
مقارنة الأديان
مكتبة النهضة المصرية - ط ٤ - ١٩٧٦م
- ١١٦ - ابن الفارس:
مقاييس اللغة
- ١١٧ - ابن خلدون:
المقدمة
- مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت
- ١١٨ - الشيخ أحمد الفاروق السرهندى:
المكتوبات
طبع استانبول - تركيا

- ١١٩ - د/ عبدالمنعم الشرقاوى:
ملاحم الهند والباكستان
دار المعارف المصرية - القاهرة - ١٣١٧هـ - ١٩٥٢م
- ١٢٠ - عبدالكريم أحمد الشهرستاني:
الملل والنحل
تحقيق: محمد سعيد الكيلاني
دار المعرفة للطباعة والنشر - بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م
- ١٢١ - ابن تيمية:
منهاج السنة النبوية
١٢٢ - محمد قطب:
منهج التربية الإسلامية
دار الشروق - بيروت - ط٤ - ١٩٨٣م
- ١٢٣ - ابن الجوزي القرشي:
الموضوعات
دار الفكر - بيروت - ١٩٦٦م
- ١٢٤ - د/ أحمد البنانى:
موقف إمام ابن تيمية من التصوف والصوفية
كلية الدعوة وأصول الدين - جامعة أم القرى - ط٢ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
- ١٢٥ - مجموعة من العلماء:
الموسوعة الميسرة العربية
دار القلم - بيروت
- (ل)
- ١٢٦ - ابن منظور:
لسان العرب
الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة

(و)

١٢٧ - محمد قطب:

واقعا المعاصر

مؤسسة المدينة للطباعة - جدة - ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م و دار الشروق - جدة

١٢٨ - د/ إبراهيم بسيوني:

نشأة التصوف الإسلامي

دار المعارف المصرية - القاهرة

١٢٩ - د/ عرفان عبدالحميد:

نشأة فلسفة التصوف وتطورها

المكتب الإسلامي - بيروت ١٣٩٤ هـ

١٣٠ - سيد شريف الدين بير زاده:

نشأة باكستان

تعريب: عادل صلاحى

الدار السعودية للنشر والتوزيع - جدة - ١٩٦٩ م

١٣١ - عبدالحى الحسنى:

نزاهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر

مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد - الهند

١٣٢ - عبد الرحمن دمشقية:

النقشبندية: عرض وتحليل

دار طيبة للنشر والتوزيع - الرياض - ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م

المصادر البنغالية :

١ - د/ انعام الحق:

الأدب البنغالى [بنغلا شاهيتو]

كلكتا - ١٩٣٥ م

٢ - فريد الدين شكر غنچ:

أسرار الأولياء

نقله إلى البنغالية: محمد عبد الجليل

مكتبة الفردوس - دهاكا - ط ٣ - ١٣٩٢ هـ

٣ - عبد المنان طالب:

الإسلام فى بنغلاديش [بنغلاديشى إسلام]

المؤسسة الإسلامية - دهاكا - ط ١ - ١٩٨٠ م

٤ - محمد عبد الخالق:

بنغلاديش والقومية البنغالية [بنغلاديش وبنغاله جانوباد]

مركز الكتب - دهاكا - ١٩٧٧ م

٥ - شويرا كاش راى:

حركة التمرد فى الفلاحين بالهند [بهارتى كريشوك بدروهو]

كلكتا - الهند - ط ١ - ١٩٨٠ م

٦ - د/ عبد الكريم:

تاريخ الثقافة الاجتماعية فى البنغال [بنغالار شماجيك شنكسرتى كريشتى]

مجمع الأدب البنغالى - دهاكا - ١٩٨٧ م

٧ - السيد بونيكر:

تاريخ الهند القديم [براتون بهارتيراييتى هاش]

[اييتى هاش بروكاشبونى]

كلكتا - ١٩٦٦ م

- ٨ - محمد اكرم خان:
تاريخ المجتمع الإسلامى البنغالى [مسلم بنغالار شماجيك ايتى هاش]
مطبعة آزاد - ط ١ - ١٩٦٣م
- ٩ - روميش شندرا موجودار:
تاريخ بنغلاديش [بنغالار ايتى هاش]
كلكتا - ١٩٥٦م
- ١٠ - روميش شندرا موجودار:
تاريخ بنغلاديش فى العصور القديمة والوسطى
[بنغلاديشير ايتى هاش براجين جوك ومدهو جوك]
كلكتا - ١٩٥٦م
- ١١ - د/ انعام الحق:
تاريخ دعاة الإسلام فى البنغال [بنغالاى اسلام بروجارك دير ايتى هاش]
المؤسسة الإسلامية - دهاكا - ١٩٦٦م
- ١٢ - د/ عبدالكريم:
تاريخ الحكومات الإسلامية فى شبه القارة الهندية
[بهارت أوبو مهاديشى مسلم شا شو نير ايتى هاش]
- ١٣ - شرى كويلاش شندرا شين:
تاريخ تريپوره [تريپورار ايتى هاش]
بوئى بيتان - دهاكا - ١٨٧٦م
- ١٤ - جدونات شركار:
تاريخ البنغال [بنغالار ايتى هاش]
أدرشو لايبيريرى - دهاكا
- ١٥ - ذوالفقار أحمد قسمنى:
تاريخ علماء الهند [بهارت بورشير علماء ايتى هاش]
برغوتى بروكا شونى - دهاكا - ١٩٨٨م

١٦ - د/ عبدالحى:

تاريخ الأدب البنغالى [بنغالار شاهيتير إيتى بريئو]
المجمع الإسلامى - دهاكا - ١٩٦١م

١٧ - الأستاذ/ غلام ثقلين:

تذكرة علماء المسلمين فى بنغلاديش [بنغلاديشير صوفى شادهوك]
المؤسسة الإسلامية - دهاكا - ١٩٨٢م

١٨ - فريدالدين العطار:

تذكرة الأولياء [اولياء كاهينى]
المكتبة العلمية - دهاكا - بدون تاريخ

١٩ - د/ عبدالكريم:

الإسلام فى تشيتا كونغ [تشيتو كرامى اسلام]
المركز الثقافى الإسلامى - تشيتا كونغ - ط ١ - ١٩٧٩م

٢٠ - يروفسور غلام اعظم:

الحركة الإسلامية فى بنغلاديش [بنغلاديشى اسلامى اندولون]
اسلامك بيبليكيشنز - دهاكا - ط ٢ - ١٩٧٩م

٢١ - الأستاذ غلام ثقلين:

حقائق التصوف فى البنغال [بنغالاى صوفى توتهو]
المؤسسة الإسلامية - دهاكا - ١٩٥٢م

٢٢ - عبدالقادر عبدالحى:

حقائق عن التصوف [صوفى توتهو]
نور جهان بيبليكيشنز - دهاكا ١٩٥٢م

٢٣ - ذوالفقار أحمد قسمنى:

خدمات العلماء المسلمين فى حركة الاستقلال
[شادهينو تا اندولونى مسلمان علماء لويودان]
دار النشر والتوزيع الحديثة - دهاكا - ١٩٨٤م

- ۲۴ - اشرف علی تھانوی:
روح التصوف [روح تصوف]
مکتبہ حافظیہ - دھاکا - بدون تاریخ
- ۲۵ - غلام محمد سلیم:
ریاض السلاطین [ریاض السلاطین]
کلکتا - ۱۹۴۹ م
- ۲۶ - شودری شمس الرحمن:
حقائق عن التصوف [صوفی تو تھیر مورمو کوٹھا]
جمعية البحوث الإسلامية الباكستانية - دھاکا - ۱۹۵۷ م
- ۲۷ - دبی پروشاد تشتر بودھای:
الفلسفة الهندية [بهارتیو دورشن] - لکتا - ۱۹۳۰ م
- ۲۸ - مجموعة من أساتذة الجامعة:
مختصر علوم الاجتماع [شنکھیتوشماج بیکان]
جامعة دھاکا - ۱۹۸۳ م
- ۲۹ - نور محمد الأعظمی:
مذكرات نور محمد الأعظمی [نور محمد اعظمیر روجونا بولی]
المؤسسة الإسلامية - دھاکا - ۱۹۸۴ م
- ۳۰ - محمد أبوبکر الصديق:
مرآة التصوف [صوفی درشون]
دھاکا - بنغلادیش
- ۳۱ - د/عبدالحی ود/ علی احسن:
منهل الأدب البنغالی [بنغلشاهیتر ایتی بریتو]
مجمع الأدب البنغالی - دھاکا - ۱۹۶۷ م
- ۳۲ - محمد ولی اللہ:
نضالنا لأجل الاستقلال [امادیر مکنی شنکرام]

المصادر الأوردية :

- ۱ - سيد اسعد كيلانی:
تاریخ الجماعة الإسلامية [تاریخ جماعت اسلامی]
مکتبة المنار المركزية - منصوره - لاهور - ۱۹۸۲م
- ۲ - شاه ولی اللہ الدہلوی:
التفهيمات الإلهية [تفهيمات الہیہ]
المجلس العلمی - دہلی - ۱۳۵۵ھ
- ۳ - اشرف علی تھانوی:
التكشف فی مهمة التصوف
مکتبة رحمانیہ - کراتشی - پاکستان
- ۴ - سيد اسعد كيلانی:
الدعوة الإسلامية عبر التاريخ [تاریخ کی روشنی میں دین کی دعوت]
مکتبة الأدب الإسلامي - منصوره - لاهور - ۱۹۸۰م
- ۵ - شاه ولی اللہ الدہلوی:
شفاء العلیل
المجلس العلمی - دہابیل - الہند
- ۶ - ابن بطوطة:
عجائب الأسفار [سفرنامہ ابن بطوطة]
المکتبة الإسلامية - دہلی - ۱۹۶۷م
- ۷ - د/ محمد اسحاق:
علم الحديث فی الہند وپاکستان [علم حدیث میں پاک و ہند کا حصہ]
ادارہ ثقافت اسلامیہ - لاهور - ۱۹۷۱م
- ۸ - شاه عبدالعزیز الدہلوی:
فتاویٰ عزیزية
کتبخانہ رحمانیہ - دہلی

٩ - فريد الدين شكر غنج:

فوائد السالكين

المكتبة النورانية - دلهى

١٠ - شاه ولي الله الدهلوى:

القول الجميل

مكتبة رحمانية - دلهى - ١٩٣٠م

١١ - أبوالحسين على الندوى :

الشيخ محمد الياس ودعوته

مكتبة محموديه - راي وند - لاهور

١٢ - الشيخ بديوانى:

منتخب التاريخ من الهند [انتخاب تاريخ بهارت مين]

مكتبة عثمانية - ط٢ - دلهى

المصادر الفارسية :

- ١ - شاه عبدالعزيز الدهلوى:
فيوض الحرمين الشريفين
مطبعة عزيزيه - دلهى
- ٢ - شرف الدين يحيى المنيرى:
مكتوبات صدق
كتبخانه رحمانيه - دلهى - ١٢٨٧هـ
- ٣ - شاه ولي الله الدهلوى:
همعات
المطبعة الإسلامية - دلهى - الهند - بدون تاريخ

المراجع والمصادر الإنجليزية :

1- Dr. Moinuddin

The Great Revolution of 1857 in India & Bangali Muslim Dhaka.

1976

2-The Indian Muslims : السيد ويليام هنتر

ط ١، لندن . ١٩٤٠م

3- Bengal District Gazzett Rajshi.

Calcutta.

A memories of gua & pandua.(Govt. of Bengal)

1863

4- T. W. Arnold

The preaching of Islam.

Calcutta.

5- Abdul Ghani

A History of persia Language & Literature.

Calcutta.

6- The Contribution of the geography & History,

Calcutta.

7- Gammes Haslings.

Ency clopedia of Religion & Ethis, Vol. XL-Washington.

8- Gournal of the Asiatgne Society of Bengal India.

9- Willium Hunter

The Indian Muslims Calcutta.

1915

10- Atolana

Caltural, Fellwship INDIA.

11- Sir Sam Sharma INDIA

The Religius of the mughal Emperors.

12- S. N. INDIA

Studues in India

13-Dr. Enamul Hoque

A History of Sufism in Bengal Calcutta.

14- The Statement year Book- 1982-83

LONDON

الصحف و المجلات :

- ١ - صحيفة انقلاب البنغالية: [بنغالية]
٣ يونيو - دهاكا - ١٩٨٢م
- ٢ - مجلة _____ المدينة: [بنغالية]
العدد الثالث - السنة ٢٢ - مارس ١٩٨٦م - دهاكا
- ٣ - مجلة _____ تهانه بهون: [أردية]
شوال ١٣٣٥هـ - دلهي
- ٤ - مجلة _____ البرهان: [أردية]
فبراير ١٩٥٢م
- ٥ - مجلة جان جاي دن الأسبوعية: [بنغالية]
العدد ١/٤/١٩٩٤م - دهاكا
- ٦ - مجلة _____ شان دُي: [انجليزية]
الأسبوعية شبه الحكومة ١/٤/١٩٩٤م - دهاكا
- ٧ - مجلة عالم المعرفة (١٧٣): [عربية]
المعتقدات الدينية لدى الشعوب
المجلس الوطني الكويتي - ١٩٩٣م

رابعاً : فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٢
الباب الأول : الإسلام في بنغلاديش	٢
الفصل الأول : التعريف ببنغلاديش	٢
الفصل الثاني : بنغلاديش قبل الإسلام	١٤
المبحث الأول : الحالة الدينية	١٤
أ - الديانة الآرية و البرهمية	١٤
ب - الديانة الجينية	١٦
ج - الديانة البوذية	١٨
المبحث الثاني : الحالة الاجتماعية	١٩
المبحث الثالث : الحالة الاقتصادية	٢
المبحث الرابع : الحالة السياسية	٢٢
الفصل الثالث : دخول الإسلام إلى بنغلاديش	٢٤
المبحث الأول : دخول الإسلام عن طريق البر	٢٧
المبحث الثاني : دار العلماء والمشائخ في دخول الإسلام	٣٣
المبحث الثالث : دور السلاطين المسلمين في نشر الإسلام	٥٩

الصفحة

الموضوع

الباب الثانى : الصوفية نشأتها وتطورها

٧٠ الفصل الأول : التصوف : مأخذه اللغوى

٨٣ الفصل الثانى : مفهوم التصوف

٩١ الفصل الثالث : نشأة التصوف

٩٩ الفصل الرابع : مراتب الصوفية وطبقاتهم

١٠٦ الفصل الخامس : بين الحقيقة والشرعية

١١٩ الفصل السادس : الأحوال والمقامات

الباب الثالث : الصوفية فى بنغلاديش

١٣٨ الفصل الأول : عوامل انتشار التصوف

١٣٩ المبحث الأول : الدعوة الإسلامية بين التطور والضمول

١٤٧ المبحث الثانى : دور القادة المسلمين فى انتشار التصوف

١٦٠ المبحث الثالث : دور العلماء والدعاة فى تشييد بناء التصوف

١٦٧ المبحث الرابع : أثر اللغة الفارسية

١٧٤ المبحث الخامس : بين التأثير والتأثر

١٩١ المبحث السادس : دخول المتصوفة فى منطقة البنغال

٢١٠ المبحث السابع : عقيدة وحدة الوجود

٢٢٧ الفصل الثانى : الطرق الصوفية فى بنغلاديش

الموضوع	الصفحة
المبحث الأول : الطرق المشهورة	٢٢٩
المطلب الأول : معنى الطريقة	٢٣١
المطلب الثاني : ظهور الطريقة	٢٣٧
المطلب الثالث : مقام الشيخ فى الطريقة	٢٣٨
المبحث الثاني : أهم الطرق التى تتواجد فى البنغال	٢٤٣
المطلب الأول : الطريقة السهروردية	٢٤٥
المطلب الثاني : الطريقة الجشتية	٢٥١
المطلب الثالث : الطريقة القادرية	٢٦٠
المطلب الرابع : النقشبندية	٢٦٦
المبحث الثالث : الطرق غير المشهورة	٢٦٩
المطلب الأول : الطريقى القلندرية	٢٧٠
المطلب الثاني : الطريقة الأدهمية	٢٧٤
المطلب الثالث : التعليق على الطرق الصوفية	٢٧٨
الباب الرابع : دراسة تحليلية لأثار التصوف على المجتمع	٢٩٣
الفصل الأول : اثر التصوف على الأخلاق والمجتمع	٢٩٥
المبحث الأول : تحويل الأضرحة إلى معابد	٢٩٧
المبحث الثاني : السماع والغناء	٣٠٠
المبحث الثالث : خرق العادات	٣٠٤

الصفحة

الموضوع

٣٠٧	المبحث الرابع : تشويه صورة الإسلام
٣٠٩	المبحث الخامس : الكسل والبطالة عن العمل
٣١٤	الفصل الثانى : اثر التصوف فى البدع والخرافات
٣٢٤	المبحث الأول : البدعة معناها لغة وإصطلاحاً
٣٣٥	المبحث الثانى : اتباع المتشابه
٣٣٦	المبحث الثالث : اتباع الهوى
٣٣٩	المبحث الرابع : التقليد الأعمى
٣٤٤	المطلب الأول : البدع فى العبادات
٣٤٥	الفرع الأول : الجهر بالنية عند تكبيرة الإحرام للصلاة
٣٤٥	الفرع الثانى : أداء النوافل جالساً مع القدرة على القيام
٣٤٦	الفرع الثالث : الذكر برفع الصوت عند أداء الصلوات
٣٤٦	الفرع الرابع : الدعاء جماعة بعد الصلاة مع الإمام
٣٤٧	الفرع الخامس : الصلاة والسلام على الرسول قبل الشروع بالأذان
٣٤٧	الفرع السادس : إحياء ليلة النصف من شعبان
٣٤٨	الفرع السابع : قراءة القرآن جماعة
٣٤٩	المطلب الثانى : البدع فى القبور (١ لعقيدة)
٣٥٠	الفرع الأول : العرس عند القبور
٣٥٢	الفرع الثانى : النذور عند المقابر
٣٥٣	الفرع الثالث : التمسح فى القبور
٣٥٤	المطلب الثالث : الخواتيم

الصفحة

الموضوع

٣٥٥	الفرع الأول : ختم شبيبة
٣٥٥	الفرع الثاني : ختم شفاء
٣٥٦	الفرع الثالث : ختم جلال
٣٥٦	الفرع الرابع : ختم يونس
٣٥٦	الفرع الخامس : ختم تسمية
٣٥٧	الفرع السادس : ختم جواكجان
٣٥٩	المطلب الرابع : درود وسلام
٣٦٠	الفرع الأول : درود وسلام
٣٦٢	الفرع الثاني : درود أكبر
٣٦٢	الفرع الثالث : درود هزارى
٣٦٢	الفرع الرابع : درود لكهى
٣٦٣	الفرع الخامس : درود النجاة
٣٦٤	المطلب الخامس : صوم النافلة
٣٦٦	المطلب السادس : بدعة أحياء ليلة النصف من شعبان
٣٦٩	المطلب السابع : المولد النبوي
٣٧٤	المطلب الثامن : بدعة المشيخة والمريدة
٣٧٩	المطلب التاسع : بدعة المبايعة على يد الشيخ
٣٨٤	المطلب العاشر : بدعة التوسل والوسيلة
٣٩١	المطلب الحادى عشر : بدعة الشعوذة والتعويد
٣٩٦	المطلب الثانى عشر : عقيدة النور المحمدي

الصفحة

الموضوع

٣٩٨	الفرع الأول : حب الرسول مطلب المسلمين
٤٠١	الفرع الثاني : الذب عنه وعن سنته
٤٠٣	الفرع الثالث : تصديقه في ما أخبر
٤٠٤	الفرع الرابع : اتباعه وطاعته والأهداء بيديه
٤٠٦	الفرع الخامس : التحاكم إلى سنته وشريعته
٤٠٩	الفصل الثالث : أثر التصوف في تعطيل الجهاد اسلامي
٤٢٣	الفصل الرابع : حركات المقاومة ضد التحديات الصوفية وغيرها
٤٢٨	المبحث الأول : حركة مجنون شاه
٤٣٢	المبحث الثاني : حركة سيد أحمد شهيد
٤٣٩	المبحث الثالث : حركة الفرائضية
٤٤٦	الفصل الخامس : أهمية حركات البعث الإسلامي في العصر الحديث
٤٤٨	المبحث الأول : خصائص الحركة الإسلامية في عصر النبوي الشريف
٤٥٠	المبحث الثاني : خطوط الانحراف
٤٥١	المبحث الثالث : أثر الانحراف في المجتمع الإسلامي
٤٥٦	المبحث الرابع : حركات البعث الإسلامية وضرورتها في المجتمع الإسلامي
٤٥٩	المبحث الخامس : شروط حركات البعث الإسلامي
٤٦٣	المبحث السادس : الحركات الإسلامية في بنغلاديش
٤٦٤	* جماعة التبليغ
٤٧٠	* الجماعة الإسلامية
٤٨٨	الخاتمة -

الصفحة

الموضوع

٤٩١

الملاحق :

٥٠٠

الفهارس :

٥٠٠

أولاً : فهرس الآيات القرآنية

٥٠٧

ثانياً : فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

٥٠٩

ثالثاً : فهرس بأهم المصادر والمراجع

٥٤٢

رابعاً : فهرس الموضوعات بالتفصيل

*